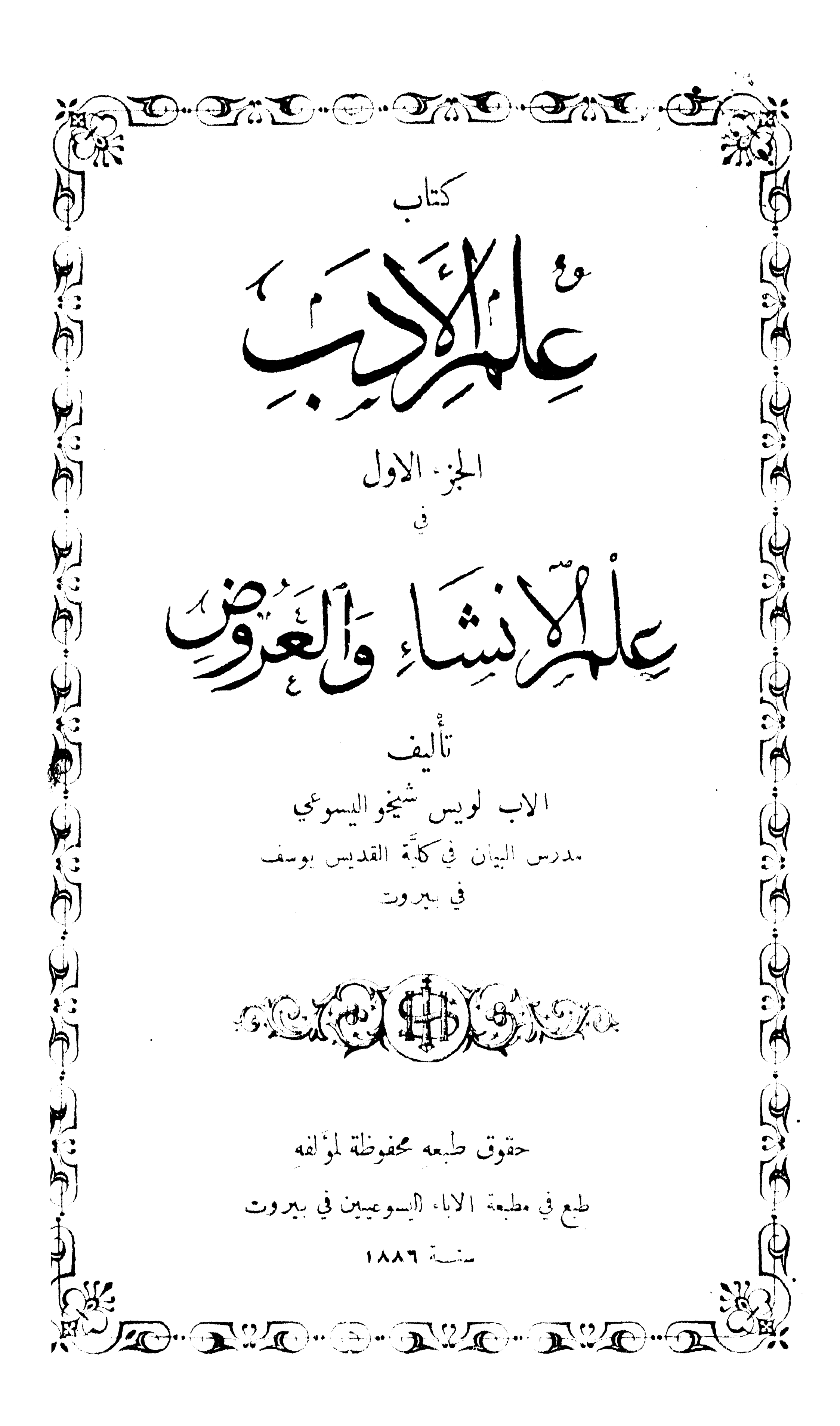


كتاب

علم الادب

الجزء الاول

في

علم الانشاء والعروض

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

مدرس البيان في كليّة القديس يوسف

في بيروت

طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٨٦

المقدمة

بسم الله الحي السرمدي

الحمد لله الذي زين الانسان ، ببراعة المنطق وفصاحة اللسان ، واقدره بما اختصهُ من بديع المقال ، على دفع الضلال ، ودرء الشبهات ، وابطال الترهات ،

امَّا بعد فان احق ما يُعنى بشانهِ الكاتب ، ويسعى في تحصيلهِ فهمهُ الثاقب ، معرفة فنون الكتابة ، واساليب الانشاء والخطابة ، لئلاَّ يخوض في عبابها وهو قليل الدربة ، ويخبُّ في مضمارها فارغ الجعبة ، فيخبط على غير هدًى ، وتُترَك بضاعتهُ سدًى ، هذا وكثيرًا ما نرى من مُتطفّلي الكتبة ممن يعتاضون بشقشقة اللسان ، عن وِرْد صافي مناهل البيان ، ويؤثرون النظم السخيف ، على لُباب الشعر الشريف ، ويظنون ان بتسويد الصفائح ، غِنىً عن تجويد القرائح ، فمن ثم استهدفوا سهام العائبين ، واستعرضوا لعذل المنتقدين الصائبين ، فتداركاً لهذا الخلل تقدَّم اليَّ من فوَّضتُ اليهِ زِمام امري بوضع كتاب ينهج لطلاَّب المدارس طرْق الكتابة ومعاهدها ، ويرشدهم الى مصادرها ومواردها ، فلم أرَ بُدًّا من التلبية الى دعوته ، واسعاف رغبته ، ولمَّا ألممتُ في بدء الامر بقصدي خالج قلبي تعريب كتاب من كتب الاجانب ، لسعة

نطـاق تآليفهم في هذا الجانب ، لكنني رأيت قبيحًا ان اعدل عن مخيم جهابذة العرب ، لأقيد نفسي بإسار تقليدٍ معلول النسب ، وعليـهِ شمرتُ عن ساعد الجدّ في مطالعة قسم كبيرٍ من مصنفات جلّة الادباء المبرزين في ارشاد الكتّاب الى فنون الانشاء ، على مناحي البلغاء ، فلمّا صرفت شطرًا من الزمان وانا اسرّح في رياض تقاريرهم النظر ، تحققت انما ادراك الوطر ، بتخليص اوضاعهم وتبويبها ، وكشف اسرارهم وتقريبها ، وتدوين مقاصدهم وتهذيبهـا ، فصرت اجتلي من انوارهم واجتني من اثارهم ، واقتفي على آثارهم ، حتى جاء والحمد لله كتـابًا مختصرًا شاملًا على اصول فنون الكتابة ، حاويًا على مباحثها ودلائلهـا ، منطويًا على جل اركانها ومسائلها ، بمنهاج لا يمجهُ ذوق المتأخرين ، تستشف من ورائهِ نتائج افكار المتقدمـين ، ومفرغًا بقالب السؤال والجواب ، تيسيرًا لاحداث الطلاّب ، محلّىً بفقر وشواهد هي خلاصة اقوال الكتّاب من طريف وتالد ، وجعلتهُ جزئين اودعت الاول قواعد فن الكتابة من نظم ونثر ، والثاني قوانين فن الخطابـة مردفة بعلم نقد الشعر ، واشفعهما ان شاء الله بكتاب ثالث يتضمن مقالات اشهر كتّاب العرب في هذه الفنون

هذا واني ارجو من كرم ارباب الفضل ان يجعلوا ما يستحسنون من بعض اقسام هذا العمل ، شافعًا عمّا تقف عليهِ فكرتهم النقّادة من الخلل ، والله الموفق للصواب ، واليهِ المرجع والمآب

توطئة

لكتاب علم الادب

س ما هو الادب

ج الادب عبارة عن معرفة ما يُحترز بهِ عن جميع انواع الخطإ (١)

س ما هو علم الادب (٢)

ج علم الادب صناعة (٣) تعرف بها اساليب الكلام البليغ في كل حالٍ من احوالهِ (٤)

---

١ الجرجاني ٢ اعلم ان بعض المحدثين اطلقوا اسم علم الادب على العلوم العربية فتنقسم على ما صرَّحوا الى اثنَيْ عشر قسماً منها اصول ومنها فروع . فالاصول هي الصرف والنحو والاشتقاق واللغة والقافية والعَروض والمعاني والبيان واما الفروع فعلم الخطّ والشعر والانشاء والمحاضرات والتاريخ . واما البديع فقد جعلوهُ ذيلًا لعلمَي المعاني والبيان لا قسماً براسهِ . ومنهم من حصرها في عشرة علوم وهي علم اللغة وعلم التصريف وعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وعلم العروض وعلم القوافي وعلم النحو وعلم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة (راجع كتاب كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي)

امَّا نحن فقد اخذنا علم الادب بمعنى علم الانشاء والخطابة وفنونهما نثراً كان او نظماً . وكان ذلك في عرف الاقدمين : قال السخاوي في كتاب ارشاد القاصد : الادب علم يتعرّف منهُ التفاهم عمَّا في الضمائر بادلَّة الالفاظ والكتابة . وموضوعهُ اللفظ والخطّ من جهة دلالتهما على المعاني . ومنفعتهُ اظهار ما في نفس الانسان من المقاصد وايصالهُ الى شخص آخر من النوع الانساني حاضراً كان او غائباً . وهو حلية اللسان والبنان وبهِ تميَّز ظاهر الانسان على سائر انواع الحيوان

٣ الصناعة هي العلم المتعلّق بكيفية العمل (الجرجاني) ٤ الثعالبي

س ما موضوع علم الادب

ج انما موضوعهُ تهذيب العقل وتثقيف الادراك وتذكية القلب

س ما فوائدهُ

ج المقصود منهُ عند اهل اللسان الاجادة في فنَّي المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم (١) . هذا الى انهُ اسمق الصناعات باصحابهِ الى طلب المعالي وشرائف الرُتَب (٢)

س كم نوعًا الادب

ج الادب نوعان نفسيّ وكسبيّ فالنفسيّ بتوفيق الله يهبهُ لمن يريد . والكسبيّ ما استفادتهُ الانفس من احاسن الاقوال الآخذة باعنَّة القلوب والاسماع (٣)

ومدار الكلام في هذا الكتاب على الكسبيّ

س كم قسمًا الادب الكسبيّ

ج الادب الكسبيّ قسمان الاول ما يعلم اجادة الانشاء والثاني ما يعلم اجادة الخطابة . وسنفرد لكل قسم كتابًا

س ما هي اركان علم الادب

ج اركان علم الادب اربعة :

١ ابن خلدون ٢ تحفة الاديب للفاسي ٣ الوطواط

اوَّلها قوى العقل الغريزيَّة

ثانيها معرفة الاصول

ثالثها مطالعةُ بلغاء الكتَّاب

رابعها الارتياض والممارسة (١)

١ قوى النفس الغريزية

العقل غريزيٌّ تُدرَك بهِ حقائق الامور . ومكتسبٌ وهو ما يستفاد بالتجارب والممارسة (٢) . فكل درس يكون بخس الفائدة اذا لم يكن المرء اصاب من العقل الغريزي بقسم صالحٍ وما العقل المكتسب الَّا نتيجة العقل الغريزي . قال عليّ بن ابي طالب :

رأيتُ العقل عقلينِ فمطبوع ومسموعُ
فلا ينفع مسموعٌ اذا لم يكُ مطبوعُ
كما لا تنفع الشمسُ وضوء العين ممنوعُ

ثُمَّ انهُ لا يخفى على ذوي العقول النيرة ان للعقل الغريزي خدمًا تقوم بمساعدتهِ وتسمى قواهُ

س ما هي قوى العقل الغريزيَّة المعوَّل عليها في علم الادب

ج ان القوى الغريزيَّة التي بها يستعدُّ الانسان لقبول

---

١ قال بعض الحكماء : العلوم الادبية مطالعها من ثلاثة اوجه قلب مفكّر ولسان معبّر وبيان مصوّر ٢ الجرجاني والتهانوي والقزويني

العلوم الادبية وادراك الصناعات الفكريَّة خمسٌ وهي الذكاء أَو الذهن والخيال والحافظة والحسّ والذوق

س ما الذكاء

ج الذكاء ويُعرَف أيضًا بالذهن هو الاستعداد التام لادراك العلوم والمعارف بالفكر (١) . وفي كتب اللغة ان الذكاء عبارة عن حدّة الفؤاد وسرعة الفطنة والقبول وتوقُّد الذهن

اعلَم انَّ في القوة الغريزية هذه تفاوتًا لا يُنكَر (٢) . فمن الناس مَن اصاب من الذهن بالنصيب الكافي للاتيان على ما يريد من التآليف الصحيحة المباني الرشيقة الالفاظ البديعة المعاني ناهجًا في ذلك مناهج المتقدّمين من ايمة الكتَّاب . ومنهم من يُؤتى ذهنًا متوقدًا يرتجل بهِ مناهج لم يسبقهُ اليها غيره فيأتي بالمعاني السامية والتصانيف البايغة من نثرٍ يفتن اللُّبَّ بطلاوتهِ ونظمٍ مُفاقٍ يأخذ بمجامع القلب لسلاستهِ ممَّا يعجز عن تقليدهِ عامَّة الكتَّاب (٣)

١ أدب الدنيا والدين للماوردي

٢ قال القزويني في كتاب عجائب المخلوقات : ان التفاوت في الغريزة امرٌ لا سبيل لجحدهِ فانَّهُ مثل نور يشرق على النفس . ومبادي اشراقهِ عند سنّ التمييز ثمَّ لا يزال ينمو ويزداد نموًّا الى ان يتكامل بقرب الاربعين . وكيف ينكر تفاوت الغريزة وقد شاهدنا اختلاف الناس في فهم العلوم وانقسامهم الى بليدٍ لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعبٍ طويل والى ذكيّ يفهم بادنى رمز والى مغفَّل كثير الخطإ قليل الصواب والى فطن كثير الصواب قليل الخطأ ٣ راجع الماوردي والقزويني

س ما الخيال

ج الخيال عند الحكماء قوَّة باطنة تحفظ صُوَر المحسوسات بعد غيبوبة المادَّة (١)

والخيال من اكبر اسباب النجاح في فنّ الكتابة اذ يحلّي ما ورد على العقل من المعاني بصور البديع بحيث يخال للسامع او القارئ معاينتها . ومن خواصهِ تشخيص المعنى الصرف المجرَّد عن الحسّ حتى يجعلهُ كالمحسوس مثل اسماء المعاني وغيرها كما قال الامام عليّ في الموت :

الموت بابٌ فكل الناس تدخلهُ　　ياليتَ شعريَ بعد البابِ ما الدارُ

س ما الحسّ

ج الحسّ قوّة يتأثر بها الانسان من صُوَر المدركات كاللذَّة والالم (٢)

والحسُّ ايضاً من شروط الكتابة فيهِ يتمكن الكاتب من تحريك عواطف السامعين . قال ابن عبد ربّهِ في عقدهِ الفريد: ان الكلام العذب اذا حلَّ في القلب احدث فيه حركةً وهزَّةً . واذا سمع ذو ذكاء كلاماً مستظرفاً او نظماً وجد لهُ دبيباً وقشعريرةً

س ما الحافظة

ج الحافظة قوَّة من شانها حفظ ما يدركهُ العقل من

---

١ المواقف للايجي والكشّاف للتهانوي

٢ الشفاء لابن سينا

المعاني فتذكرهُ عند الحاجة ولذلك سمّيت ذاكرة (١)

قال الماوردي : ولا بدَّ للكاتب من معاناة الحفظ ومراعاتهِ وطول الامل في التوفُّر عليهِ عند نشاطهِ ... والعرب تقول في امثالها : حرفٌ في قلبك خير من الفٍ في كتبك . وانشد للشافعيّ :

علمي معي حيث ما يمَّتُ ينفعني
قلبي وعاءٌ لهُ لا بطنُ صندوقي
ان كنتُ في البيتِ كان العلم فيهِ معي
او كنتُ في السوق كان العلم في السوقِ

س ما الذوق

ج الذوق في اللغة الحاسَّة يُدرَك بها طعم المآكل . وفي اصطلاح الادباءِ : الذوق قوَّة ادراكية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنهِ الخفيَّة (٢)

قال بعضهم : الذوق هو البصر بجيّد الكلام ورديئهِ فان سمع تركيباً غير جارٍ على منحى البلاغة مجّهُ ونبا عنهُ سمعهُ بادنى فكر بل وبغير فكر الَّا بما استفادهُ من حصول ملكة الذوق (٣)

س ما الطريقة لتحسين الذوق

ج انما الذوق يحسَّن :

١ التهانوي والجرجاني وغيرهما ٢ الحلبي في شرح خطبة التلخيص
٣ ابن خلدون وابن عبد ربّهِ

اوَّلًا بالمثابرة على الدرس والدراية

ثانيًا بممارسة كلام ائمّة الكُتَّاب وتكرارهِ على السمع والتفطّن لخواص معانيهِ وتراكيبهِ

ثالثًا بتنزيه العقل والقلب عمَّا يفسد الآداب والاخلاق فان ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق (١)

٢ اصول علم الادب

س ما اصول علم الادب (٢)

ج هي مجموع قوانين الكتابة وفيها تبيان طُرُق حُسن التأْليف وضروب الانشاء وفنون الخطابة (٣)

س كيف تقسم الاصول

ج الاصول على صنفين منها عامَّة ومنها خاصَّة . فالعامَّة تشمل كل صنف من التآليف الادبيَّة من منظومٍ ومنثور . امَّا الخاصَّة فقد وضعت لكل تصنيفٍ بمفردهِ كالرسائل والامثال الى غير ذلك كما سترى (٤)

---

١ ابن خلدون والزرنوجي والغزَّالي

٢ يسمّي ابن خلدون هذه الاصول (قوانين البلاغة) فقال في تحديدها : قوانين البلاغة انما هي قواعد علميَّة قياسيَّة تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصَّة بالقياس وهو قياس علمي صحيح مطَّرد كما هو قياس القوانين الاعرابيَّة

٣ كتاب الصناعتين للعسكري ٤ راجع المثل السائر لابي الفتح الموصلي

ومرجع هذا الكتاب الى ايضاح هذه الاصول وتبيانها

٣ المطالعة

س ما المراد بالمطالعة

ج المطالعة في اللغة القراءَة وفي اصطلاح اهل الادب الوقوف على كلام البلغاء بتدبُّر (١)

س ما الفائدة من المطالعة

ج اعلم ان النظر في كتب الخواصّ يجدي المتفرّغ لذلك منافع جمَّة : (٢)

اولها ان الكاتب يَذَّخر لهُ كل لفظ مونق شريف وكل معنًى بديع مليح بحيث يتصرَّف بهما عند الضرورة

ثانيها ان قراءَة جهابذة اللغة وفرسان الكلام كثيرًا ما تبيّن اساليب الكتابة بوجه أَصرح من دراسة القوانين

ثالثها انها تطبع في الذهن ملكة البلاغة اللهمَّ اذا

---

١ ابن خلدون وابو الفتح الموصلي . والتدبُّر التبُّصر والتأَنّي

٢ قال الجاحظ : القراءَة تشحذ الفكرة وتجلو العقل وتُحيي وتقوّي القريحة وتعين الطبيعة وتبعث نتائج العقول وتستثير دفائن القلوب فضلاً عن انها تونس في الوحشة وتصل لذَّتها الى القلب من غير سآمة تدركك ولا مشقة تعرضُ لك قال المتنبي :

اعزُّ مكانٍ في الدُّنا سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزمان كتابُ

رُوعيت شروطها (١)

س ما هي شروط المطالعة

ج شروط المطالعة اربعة : (٢)

الاول ان يستقلَّ المطالع ببعض فحول اللغة وايَّمة الادب فيقتصر على درسهم دون من سواهم حتَّى ينطبع على منحاهم

الثاني ان يطيل النظر في هذه المطالعة ويردّد مرارًا ما استحسنهُ من تصانيفهم كي يرصَّ الذهن في قالبهم

الثالث ان ينتقي منها شيئًا مما استجادهُ من التراكيب الصحيحة والمعاني البليغة تكون محكًّا لقريحتهِ فينحو نحوها ويستنهج سبيلها امَّا في تحسين الالفاظ أو في تحسين المعاني

الرابع ان يتخيَّر لهُ من الحرّ النقيّ طُرَفًا يودعها ذاكرتهُ (٣) ويصرف همَّتهُ في زيادة حسنة عليها (٤)

الارتياض والممارسة

س ما الارتياض

---

١ الفخري وبن خلدون ٢ راجع ابن الاثير وابن خلدون وابا الفتح الموصلي

٣ قال ابن خلدون في المقدّمة : ان مَنْ كان خاليًا من المحفوظ فنظمهُ قاصر رديء لا يعطيهِ الرونق والحلاوة الَّا كثرة المحفوظ ٤ المثل السائر

ج هو التدرُّب بوجوه الانشاء (١). فانما ملكة الكتابة تستحكم وترسخ بالاكثار من التمرُّن والممارسة

س ما هي طرائق الممارسة

ج هي على انحاء مختلفة نقتصر على ذكر بعضها :

أولًا ان تستوعب في شرح بعض المعاني فتبينهُ باوجهٍ شتَّى وتنمّقهُ باشكال البديع كما فعل الحريري في زجرهِ العاصي لايثار السفليَّات على العلويَّات بقولهِ :

تؤْثر فلساً توعيهِ ، على ذكر تعيهِ ، وتختار قصراً تعليهِ ، على برّ توليهِ ، وترغب عن هادٍ تستهديهِ ، على ثوب تشتريهِ ، يواقيت الصِلات ، اعلق بقلبك من مواقيت الصَلاة ، ومغالاة الصدُقات ، آثر عندك من موالاة الصدَقات ، وصِحاف الالوان ، اشهى اليك من صحائف الاديان ، ودُعابة الاقران ، آنس لك من تلاوة القرآن

ثانيًا ان تصرف الهمَّة في وضع بعض مواضيع وجيزة فتصوغ تارةً وصف مدينةٍ أو مدحًا أو تهنئةً واخرى تسرد مثلًا أو تسبك رواية الى غير ذلك من المواضيع فانهُ على

---

١ قال خالد بن صفوان في الممارسة : انما اللسان عضو ان مرّنتهُ مرن فهو كاليد تخشّنها بالممارسة والبدن الذي تقوّيه برفع الحجر والرِجل اذا عوّدت المشي مشت

قال بعضهم : ان الطبيعة الاصل والادب الفرع وكل فرع يرجع الى اصلهِ : قال الشاعر

اذا كان الطباع طباع سوءٍ فليس بنافعٍ ادبُ الاديبِ

قدر ما يسنح للمتروّض من الهمّة والثبات في ذلك يفلح وينجح

ثالثًا ان تحذو حذو المتقدّمين في اوضاعهم في استعمال الفاظهم ومعانيهم (وسنفرد ان شاء الله بابًا في الاحتذاء)

رابعًا ان تحلّ النظم فتاتي بهِ نثرًا أنيقًا وتعقد النثر فتصوغه صوغًا رشيقًا

كتاب

علم الادب

الجزء الأول

في علم الانشاء والعروض

القسم الأول

في علم الانشاء

س ما هو علم الانشاء (١)

ج علم الانشاء صناعة يُعرَف بها كيفية استنباط المعاني وتاليفها مع التعبير عنها بلفظ يطابق مقتضى الحال (٢)

وذلك ان الانسان اذا اراد ان يعبر عمَّا في ضميره من المعاني يبتدع لها صورة من اللفظ تكون بمنزلة لباس المعنى وحليتهِ (٣)

س على اي شيء يدور علم الانشاء

ج مدار علم الانشاء على ركنين وهما اصول الانشاء وفنونه

---

١ هو مصدر انشأ اعني وضع واوجد وابتدع وعند اهل العربية يطلق على الكلام الذي ليس لنسبتهِ خارج تطابقهُ او لا تطابقهُ . اعني لا يحتمل صدقًا ولا كذبًا كقولك : جزاك الله خيراً .فان قائله لا ينسب اليهِ صدقٌ او كذب

٢ ابن رشد ٣ الغرر الخصائص للوطواط

الفصل الاول

اصول علم الانشاء

س ماهي اصول علم الانشاء

ج اربعة :

الاول مواد الانشاء

الثاني خواص الانشاء اي محاسنه ومعائبه

الثالث طبقات الانشاء

الرابع تحسين الانشاء وتنميقه وهو البديع

الأَصْلُ الأَوَلُ

موادّ علم الانشاء

س ماهي موادّ علم الانشاء

ج مواد علم الانشاء ثلاث :

الاولى الالفاظ ومرجعها الى الفصاحة

الثانية المعنى وتركيب الكلام ومرجعهما الى البلاغة

الثالثة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ومرجعه الى البيان

الباب الاول

الفصاحة والالفاظ

س ما الفصاحة

ج الفصاحة في اللغة تنبئ عن الابانة والظهور فيقال فصح الاعجمي وافصح اذا انطلق لسانهُ فلم يلحن . وعند اهل المعاني : هي عبارة عن الالفاظ البيّنة الظاهرة المتبادرة الى الفهم والمأْنوسة الاستعمال لمكان حسنها (١) *

س كيف يُحصَل على فصاحة الكلام

ج لمَّا كان الكلام فصيحًا من حيث الالفاظ اقتضى الامر بان يُجاد اولاً في انتقائها وثانيًا في صراحتها (٢)

١ انتقاء الالفاظ

س ما اولى طريقة لانتقاء الالفاظ

ج ان ارجع طريقة الى ذلك فصاحة المفرد وفصاحة المركَّب

* راجع في التذييلات مقالة ابي الفتح بن عبد الكريم الموصلي في الفصاحة

١ التهاوني والتفتازاني ٢ ابن عبد ربهِ والحصري

س كيف يحظى الكاتب بفصاحة المفرد

ج انما يحصل على ذلك :

اولاً بخلوص الالفاظ من تنافر الحروف كقولك :

استشزر وسجسج وعقعقة (١)

ثانياً بالتجافي عن الالفاظ الغريبة كقول بعضهم :

يوم عَصَبْصَب وَهلوف اي شديد البرد . او كقول روبة :

اني اذا أَنشدتُ لااحبنطي (٢) ولا أُحب كثرة التمطي

وكقول عيسى بن عمر وقد سقط عن دابَّتهِ :

ما لكم تكأكأتم (٣) عليَّ كتكأكئكم على ذي جناية افرنقعوا عني (٤)

(فائدة) ولاستيفاء احكام الالفاظ ان لا تكون عامية او دخيلة اي مستعارة من لغة اجنبية كما تكاثر ذلك بين كتَّاب عصرنا . واذا لم يجد الكاتب مندوحةً عن استعمال هذه الالفاظ الدخيلة او ابتغاء منهُ ان يوسع نطاق اللغة فعليهِ ان يتبعها بما يبيّن معناها

ثالثاً بالعدول عن مخالفة القياس اللغوي كقول الفرزدق :

واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الابصارِ

قال ابو العبَّاس محمَّد بن يزيد النحوي : قد جمع الفرزدق ناكس على فواعل وهذا لا يجوز عند اهل النحو الّا في موضعين فوارس وهوالك . انما فواعل جمع فاعلة لا جمع فاعل فاخرجهُ عن الاصل ولولا ضرورة الشعر ما جاز لهُ

او كقول آخر :

---

١ استشزر اي فتل والسجسج الارض ليست بسهلة ولا صلبة والعقعقة صوت العقعق ٢ المحبنطي المتمتع في الظلال ٣ اي اجتمعتم ٤ اي تنحَّوا

الحمدُ لله العليّ الاجلل الواحد الفرد القديم الازل

ففك ادغام الاجلّ ولا مسوّغ لهُ

رابعًا بسلامتها من الكراهة في السمع كقولك :

داهية خنفقيق أي كبيرة وماءَ نُقاخ أي عذب

او كقول ابي تمّام :

قد قلت لمّا اطلخمّ الامر وانبعثت عسواء تالية غبسًا دهاريسا (١)

قال الموصلي : ان لفظة اطلخمّ من الالفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في انها غريبة وانها غليظة في السمع كريهة على الذوق . وكذلك لفظة دهاريس

س كيف يتمكن الاديب من فصاحة المركب

ج يتمكن من ذلك بخلوص المركب الفصيح المفردات :

اولاً عن ضعف التاليف كقول المتنبي :

ليس الّاك ياعليُّ همامٌ سيفهُ دون عرضهِ مسلولُ

فوصل الضمير بالّا وحقهُ ان ينفصل (الّا ايّاك)

وكقولهِ ايضًا :

لانت اسود في عيني من الظُلَمِ

وانّما يقال اشدّ سوادًا اذ لا يبنى افعل التفضيل من الافعال الدالّة على الالوان (٢)

ثانيًا عن تنافر الكلمات مع بعضها كقول المتنبي ايضًا :

جفخت (٣) وهم لايجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغرّ دلائلُ

وقد استهجن هذا البيت لما في صدرهِ من الكراهة

ثالثًا عن التعقيد كما قال في المدح :

١ اطلخمّ الامر اي ضعف وقصر . والعسواء الليلة المظلمة والغبس مثلها . والدهاريس جمع دهرس هو المسرع ٢ راجع يتيمة الدهر للثعالبي

٣ اي فخرت

انى يكون ابا البرايا آدم وابوك والثقلان انت محمَّد

تقديره أَنَّى يكون آدم ابا البرايا وأَبوك محمَّد وانت الثقلان

رابعاً عن تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين كقولهِ ايضاً :

ومن جاهل بي وهو يجهلُ جهلهُ ويجهل علمي انهُ بي جاهلُ

٢ صراحة الالفاظ

س ما المراد بالالفاظ الصريحة

ج هي ما دلَّت على نفس المطلوب فتكون كالقوالب لمعانيها (١)

س كيف يحصَل على صراحة الالفاظ

ج بمعرفة المترادفات وانتقاء الصفات والابدال

س ما الترادف

ج الترادف في تعريفات الجرجاني : توارُد الفاظ مفردة دالَّة على مسمًّى واحد لكنها تختلف بعض الاختلاف من

١ الماوردي . قال ابن عبد ربهِ في ذلك : لا تجعل اللفظة قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فأنك متى فعلت هجنت الموضع الذي حاولت تحسينهُ وافسدت المكان الذي أَردت اصلاحهُ فان وضع الالفاظ بغير اماكنها وقصدك بها الى غير مصابها انما هو كترقيع الثوب الذي لم تشابهُ رقاعهُ ولم تتقارب اجزاؤُهُ وخرج من حد الجدَّة وتغير حسنهُ كما قال الشاعر :

ان الجديد اذا ما زيد في خلقٍ يبين للناس انَّ الثوب مرقوعُ

اصول وضعها

كالكسرة مثلًا والخرقة والبدرة والفلذة والبقعة هي كلمات تُرادف لفظة قطعة لكنما الاولى للخبز والثانية للثوب والثالثة للذهب والرابعة للكبد والخامسة للارض · ومن ذلك ما ورد عن قتيبة بن مسلم لاهل خراسان بقولهِ: من كان في يده شيءٌ من مال عبدالله بن حازم فلينبذهُ . فان كان في فيهِ فليلفظهُ . فان كان في صدرهِ فلينفثهُ . فتعجَّب الناس من حسن ما فصَّل وقسَّم (١)

س ما الصفات

ج الصفات هي مفردات وضعت لتحسين النعت الموصوف فتولي المعنى رونقًا ورشاقة كقولك : سيف جراز. حرّ لافح. برد قارس · غصن املود الخ

س ما مصدر هذه الصفات

ج ان احسن النعوت ما كان ناجمًا من نفس المنعوت دالًّا عليهِ دون غيره وذلك موكول الى الذوق فضلًا عما يقتضيهِ من شحذ الفكرة والتبصرة في نواميس الطبيعة والعمران مع مراعاة مقتضى الحال (٢)

س ما الذي يقتضي العدول عنهُ في استعمال الصفات

ج انما يستهجن استعمال الصفات :

أولاً اذا لم تطابق الموصوف

---

١ فقه اللغة للثعالبي

٢ للوطواط

ثانيًا اذا قلَّت فائدتها فلم تزد الموصوف بيانًا

ثالثًا اذا تراكمت على بعضها (١). وهذا عيب فشا في كتَّاب عصرنا

س ما البَدَل

ج البدل في اللغة ما ناب عن غيرهِ وفي اصطلاح البيانيين هي صفات تقوم مقام الاسماء فتزيد في تعريفها ونعتها (٢)

كقولك : كليم الله (في موسى النبي) . وصنَّاجة العرب (للاعشى) . وعروة الصعاليك (في عروة بن الورد)

واعلم ان الابدال هذه اذا ما اجاد الكاتب في استعمالها من شأنها ان تولي الكلام حسنًا ورونقًا

---

١ كتاب الصناعتين للعسكري والمثل السائر ٢ بدائع القرآن

الباب الثاني

في البلاغة

س ما البلاغة *

ج البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء وعند اهل المعاني مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال (١)

اعلم ان البلاغة صفة يتحلّى بها الكلام والمتكلم . فبلاغة الكلام هي ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ (٢). واماً بلاغة المتكلِم فهي ملكة يُقتدَر بها على تأليف كلام بليغ (٣) . وعليهِ يترتَّب ان البلاغة راجعة الى المعاني فيكون كل بليغٍ فصيحاً (كلاماً كان او متكلماً) ولا كل فصيحٍ بليغاً

س من اين تستفاد البلاغة

ج من معرفة المعاني ومعرفة حسن التعبير عنها

* راجع المقالة في البلاغة في اخر الكتاب

---

١ كتاب التلخيص للخطيب . ٢ التعالبي والحصري

٣ شرح الشمسيَّة

البحث الاول
في المعاني

س ما المعنى

ج المعنى لغة المقصود وفي عُرف البيانيّين هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ (١)

ان المتأخرين من البيانيين من دأبهم ان يبحثوا في هذا الباب عن الاسناد وعمّا يختص بهِ من الاحكام . كتقسيمهِ وخواصّ المُسنَد والمسند اليهِ من تنكير وتعريف وتقديم وتأخير ومجاز وحقيقة . ولمّا رأينا ان ليس تحت ذلك كبير امرٍ ممّا يرجع الى الكتابة وفنونها مع سهولة استخراج مباحث الاسناد لم نكن لنفرد لهُ بابًا . واما ما كان من ذلك متعلقًا بالانشاء فنستطرد اليهِ استطرادًا ان شاء الله

س كم وجهًا للمعنى

ج ان المعنى على وجهين فامّا انهُ يعرض للذهن مجرَّدًا عن كل تنميق وهو الفكر (٢) مثلًا :

صلاح الانسان في حفظ اللسان . ادب المرء خير من ذهبهِ

وامّا انهُ يتكيَّف بكيفيَّة . فان كانت هذه الكيفيَّة شكلًا عارضيًّا حسيًّا يتَّصف بهِ المعنى فيُدعى

(١) الجرجاني (٢) وفي عرف المنطقيين : الفكر هو حركة النفس في المعقولات بواسطة القوَّة المتصرّفة اي المتفكرة

المعنى صورةً (١) كقولك :

الصبر مفتاح الفرَج . لين الكلام قيد القلوب . الانام فرائسُ الأيّام

وان كانت هذه الكيفيَّـــة دالَّة على بعض عواطف القلب كالحب والبغض فيدعى المعنى شاعرة كقول الحريريّ :

تبًّا لطالب دنيا ثنى اليها انصبابهْ

س ما هي صفات المعاني

ج ثلاث تتحلَّى بها المعاني على اختلاف اساليبها (٢)

الاولى ان يكون المعنى سديدًا اي ان يكون القول مطابقــًا للواقع (٣) كقول لبيد :

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لامحالةَ زائلُ

الثانية ان يكون واضحًا اي سهل المــأخذ خاليًا من اللبس والاشكال كقول الاخطل :

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الاعمالِ

الثالثة ان يكون ملائمًا اي مطابقًا لمقتضى الحال كقول بعض من رمتهُ الدنيا بسهامها :

اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفت له عن عدوٍّ في ثياب صديق

---

١ وعند اهل الكلام : الصورة كيفية تحصل في العقل هي آلة ومرآة لمشاهدة ذي الصورة وهي الشبح والمثال الشبيه بالمتخيَّل بالمرآة

٢ راجع الماوردي والمثل السائر والعقد الفريد ٣ قال ابو الفتح البستي :

تكلّم وسدّد ما استطعت فانمَّا كلامك حيٌّ والسكوت جمادُ
فان لم تجد قولاً سديدًا تقولــهُ فصمتك عن غير السَّداد سدادُ

اساليب المعاني

س ما اساليب المعاني

ج اساليب المعاني هي اختلاف صورها من حيث يدركها العقل (١)

س اذكر بعض اساليب المعاني

ج اعلم ان المعاني بابها متَّسع والمجال فيها على الناظر فسيح وانما سنخصّ بالذكر ما شاع منها . فتكون المعاني على الوجوه الآتية :

١ً المعنى المبتكر . وهو ما كان جديداً بحقيقتهِ او بصورتهِ كقول ابن النبيه في ولد الناصر لمّا افترط :

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجَواد

او كقول المتنبيّ في وصف الموت :

وما الموت الّا سارقٌ دقَّ شخصهُ يصول بلا كفٍ ويسعى بلا رجلِ

٢ً المعنى الدقيق وهو ما لطف مأخذهُ وبعُدَ مرامهُ ودلَّ على نجابة قائلهِ

كقول ابن عُنين في فخر الدين الرازي وكانت دخلتْ الى مجلسهِ حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت الى حجرهِ :

جاءتْ سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحَي خاطفِ
من أنبأ الورقاء ان محلّكم حَرَمٌ وأنّك ملجأ للخائف

١ الصفدي

ومن ذلك اجوبة كثيرة لاهل الذكاء والنباهة

سأل المتوكل يوماً ابا العيناء الضرير : ما اشدُّ ما عليك في ذهاب بصرك قال : هوما حرمتهُ ياامير المؤمنين من رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك * وقال لهُ المتوكل يوماً : كيف ترى دارنا هذه فقال : ياامير المؤمنين رأيت الناس يبنون الدور في الدنيا وانت تبني الدنيا في دارك

وقال المعتصم الخليفة للفتح بن خاقان وعلى يده خاتم ياقوت احمر في غاية الحسن : أرأيت احسن من هذا الخاتم . فقال : نعم اليد التي فيها * وسأله يوماً اخر المعتصم : أداري احسن أم دار ابيك . فقال : ما دام امير المؤمنين في داري فهي احسن

وكان الرشيد أمر بقتل بعض الخوارج فاخذ يبكي فقيل لهُ في ذلك فقال : بكيت لا فزعاً من الموت وانما اسفاً على خروجي من الدنيا وأمير المؤمنين ساخط عليَّ

٣ً المعنى الفطري ماقذفتهُ الطبيعة بلا تصنُّع ولا تفطن ودلَّ على بعض السذاجة كقول بعضهم وسُئل هلاَّ تُسافر بحراً فانشد :

لاأركب البحر اخشى ... عليَّ منهُ المعاطب
طينٌ أنا وهو ماءٌ ... والطين في الماء ذائب

اوكقول آخر في وصف احمق :

لو انَّ خفَّة عقلهِ في رجلهِ ... سبق الغزال ولم يفتهُ الارنبُ

ومن هذا القبيل ما حكاه المقري في نفح الطيب قال :

دخل مغربيٌّ على هارون فقال له : يقال ان الدنيا بمثابة طائر ذَنَبه المغرب . فقال الرجل : صدقوا يا امير المؤمنين وانه طاووس . فضحك الرشيد وتعجب من سرعة جوابهِ

٤ً المعنى الليّن هو ما كان لطيف التعبير سلس الالفاظ غير كريهٍ على الذوق فيطرب المسامع ويثلج الصدور لتناسبها

وعذوبة مشارعها (١) كقول احد الشعراء :

ان السماءَ اذا لم تبكِ مقلتها لم تضحك الارض عن شيءٍ من الزهرِ

او كقول امرئ القيس يصف صديقًا لهُ :

وكنَّا جميعًا شريكَيْ عنانٍ رضيعَيْ لِبانٍ خليلَيْ صفاءِ

ومنهُ اقاويل بلعام في بركة اسرائيل :

ما اجملَ خيامك يايعقوب واخبيتك يااسرائيل منبسطةً كاودية وكجنَّات على نهر وكاغراس عودٍ غرسها الرب وكارزٍ على مياه يجري الماءُ من دلائهِ وزرعهُ في ماءٍ غزير ....

ومن هذا القبيل القصائد الزهريَّات عند العرب

٥ً المعنى النافذ وهو ما تسابق الى الفهم بسرعة البرق واخذ لحدَّتهِ ومضائهِ بمجامع القلب (٢) كقول عنترة :

وما دانيت شخص الموت الَّا كما يدنو الشجاع من الجبانِ

او كقولهِ ايضًا :

وسيفي كان في الهيجا طبيبًا يداوي رأس من يشكو الصداعا
ولو أَرسلت رمحي مع جبانٍ لكان بهيبتي يلقى السباعا

٦ً المعنى المتين ما تحلَّى بالضبط والحزم وتمكَّن من ذهن سامعهِ فهو بعيد المرام مع قربهِ من الفهم كقول ابي العتاهية :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى تبابِ

او كقول آخر :

فانك واجدٌ ارضًا بارضٍ ونفسك لم تجد نفسًا سواها

---

١ الثعالبي ٢ الاغاني

٧ً المعنى الجامع ويسمى الاشارة (١) وهو ما افاد باللفظ القليل المعنى الكثير :

كقول زهير في سنان بن هرم :

تراهُ اذا ما جئتهُ متهلّلا كأنك تعطيهِ الذي انت سائله

او كقول المتنبي :

قد شرَّف الله أرضاً أنت ساكنها وشرَّف الناس اذ سوَّاك إنسانا

ومنهُ قول ابي تَمَّام في قوم يجودون بانفسهم :

يستعذبون مناياهم كأنهمُ لاييأسون من الدنيا اذا قُتلوا

٨ً المعنى الجرئ وهو ما تجاوز الحدود في ما يوردهُ من التصاوير الخارقة العادة والتشابيه البديعة المستحسنة

كقول ابي تَمَام :

ولو صوَّرت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباعِ

او كما قال شاعرٌ :

ما كنت أَحسب قبل دفنك في الثرى ان الكواكبَ في التراب تغورُ

٩ً المعنى السني وهو ما دلَّ مع قرب جناه على مروَّة وشهامة طباع قائلهِ كقول العبَّاس بن مرداس :

نُعرّض للسيوف اذا التقينا وجوهًا ما تُعرَّض لِلّطامِ

او كقول السموْأل :

تعيّرنا أنَّا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليلُ

---

١ راجع الحموي

وقول الآخر :

فالمنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ومنهُ ايضاً قول جرير وقيل هو افخر بيت قالتهُ العرب :

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا الى الناس وقّفوا

١٠ المعنى الموغل او الايغال (١) هو ما فتن بسموهِ القلب وسبى العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة

كقول ابي نوّاس للرشيد وكان تهدّدهُ بالقتل :

قد كنت خفتك ثمَّ أَمَّنني من أَن أَخافك خوفك الله

وكقول العتبي في رثاء ولدهِ :

والصبر يُحمدُ في المواطنِ كلها الّا عليك فانهُ مذمومُ

ومن ذلك قول الكتاب الكريم :

رأيتُ المنافق معتزّاً مثل جذع ريّان وشجرة ناضرة ثمَّ اجتزتُ واذا ليس هو والتمستهُ فلم يكن

---

١ راجع الحموي في خزانة أدبهِ وشواهد التنصيص

البحث الثاني

في تركيب الكلام

او ائتلاف اللفظ مع المعنى

لَمَّا كانت البلاغة كما ذكرنا آنفًا ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ . فعليهِ لا تتمُّ شروط البلاغة الَّا بتلاؤم الالفاظ مع المعاني اي بتركيب الكلام وحسن عبارتهِ فيكون كما قيل :

تزينُ معانيهِ الفاظهُ　　　والفاظهُ زائنات المعاني

س　ما هو الكلام

ج　الكلام في اللغة القول وفي الاصطلاح حسن تعبير اللسان عمَّا يضمنهُ الجنان وتدركهُ الاذهان وانما يُحصل على ذلك اذا ضمت العبارات والمباني الى بعضها ضمًّا لهُ مبادئ ومقاطع ومداخل ومخارج (١)

س　ما هي خواصّ الكلام

ج　خواصّ الكلام أَربع : الصراحة والضبط والتمكين والايقاع

س　كيف يحصل البليغ على صراحة الكلام

ج　انما الصراحة في الكلام تقوم بصراحة الالفاظ المفردة

١　من كتاب الاتقان في بيان وجوه اعجاز القرآن

والمركبة وحسن سبكها وتاليف بعضها الى بعض

س ما الوسيلة لضبط الكلام ووحدتهِ

ج يكون الكلام مضبوطًا :

اولاً بالعدول عن كثرة العوامل في الجملة الواحدة

ثانيًا بالاحتراز عن تراكب المعاني ببعضها فيجعل كل معنى على حدتهِ لسلامة الكلام من التشويش

ثالثًا بالتجافي عن كثرة الجمل الاعتراضيَّة لاسيما اذا كانت طويلة

رابعًا بمراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء الى كيفية ايقاع حروف العطف في مواقعها (١)

---

١ صناعة الترسُّل لشهاب الدين الحلبي .

قال عبد القاهر الجرجاني : العلم بالوصل والفصل من اعظم اركان البلاغة حتى ان بعضهم حدَّ البلاغة بانها معرفة الفصل والوصل . والغرَض منهُ التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه فلذلك اقتضى ان يكون بين الجملتين جهة جامعة . فلو قلت مثلًا : زيدٌ نائم واحسن الامير لقلتَ ما يضحك منهُ ومن ها هنا عابوا ابا تمام في قولهِ

لا والذي هو عالم ان النوى صبر وان ابا الحسين كريم

لعدم الجامع بين مُرّ النوى وكرامة ابي الحسين

س كيف يحلَّى الكلام بالتمكين

ج انما يحلَّى الكلام بالتمكين

اولاً . اذا اقتصرتَ من التركيب في خطاب المخاطب على قدر الحاجة وذلك ان يعزَّز الحكم بمؤكد او ينتزع عنهُ المؤكد حسب مقتضى الحال مثلًا ان تقول : (بطرس صادِق) . او : (انَّ بطرس صادِق) . او : (انَّ بطرس لصادِق) . على مقتضى افادة المخاطب وشكوكهِ في صدق بطرس

ثانيًا بمراعاة القصر وهو تخصيص شيء بشيء وحصرهِ فيهِ لاثبات امر ما ونفي ما عداه كقولك : (ما بطرس الّا ناظم) خطابًا لمن يعتقد انهُ ناثرٌ . (وما ناظم الا بطرس) خطابًا لمن يعتقد اشتراك غيره معهُ في النظم

رابعًا ومن أقوى اسباب تمكين الكلام التقديم والتأْخير فانمَّا يقدَّم في صدر الجملة ما كان بيانهُ اهمّ كقولك : (قتل زيدٌ الخارجيَّ) . يعنيك فعل القتل . (وزيدٌ قتل الخارجيَّ) . يهمُّك تعيين القاتل . (والخارجيَّ قتل زيدٌ) . تريد تعيين المقتول .

وللتقديم هذا اغراض منها الانكار كقولك : (أأنت تمنعني . أيرضى عنك فلان . أزيدًا أقتل) . والاستحقار كقولك : (أهو الشجاع) . او للتعظيم : (أأنا اسأل الناس) . او للمبالغة في صفة : (أهو يبخل بمالهِ) . الى غير ذلك

من الاغراض كالتقرير والتوبيخ الى اخره (١)

خامساً ومن اسباب التمكين الحذف والاضمار . فانهما كثيراً ما يجديان الكلام متانة (٢) . مثلاً في الحذف لابن مطروح في الوزير عماد الدين :

على مثل يا من يحاول مجده فبين الثريا والسماك منازله
كريم له بيت كريم تقاسمت اواخره إرث العلا واوائله

فانه استأنف الخبر (كريم) وحذف مبتداه

والمثال في الاضمار قول البحتري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السوء دد والمجد والمكارم مثلا

والمعنى قد طلبنا لك مثلا في السوءدد والمجد فلم نجده

في الايقاع

س ماهو الايقاع

ج الايقاع في اللغة اتفاق الاصوات في الغناء . وفي الاصطلاح عبارة عن الكلام اللين المحكم السبك الذي يؤنس القلب ويطرب السمع بحيث يتغنى بهِ القارئ (٣)

قال ابن بسام :

ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد ازين

وكتب الصفي الحلي الى بعض الفضلاء وقد بلغهُ انه اطلع على ديوانهِ وقال :

---

١ البناني والقزويني وشهاب الدين الحلبي

٢ قال عبد القاهر : ما من اسم يحذف في الحالة التي ينبغي ان يُحذف فيها الّا وحذفهُ احسن من ذكرهِ ٣ ابن رشد على ارسطاطاليس

لا عيب فيهِ سوى انهُ خالٍ عن الالفاظ الغريبة

انما الحيزبون والدردبيسُ والطخا والنقاخ والعلطبيسُ (١)
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئزُ النفوسُ
وقبيح ان يُسلك النافرُ الوحشيّ منها ويُترك المأنوسُ
ان خير الالفاظ ما طرب السامع منهُ وطاب فيهِ الجليسُ
ولذيذ الالفاظ مغناطيسُ

س كم نوعًا الايقاع

ج الايقاع نوعان الانسجام والمماثلة

س ما الانسجام

ج الانسجام في اللغة جريان الماء . وعند البلغاء هو ان يكون الكلام لخلوّهِ من التعقيد متحدّرًا كتحدُّر الماء المنسجم ويكاد بسهولة تركيبهِ وعذوبة الفاظهِ أَن يسيل رقَّةً فيكون احلى في القلوب موقعًا واجلَّ في النفوس موضعًا (٢)

كقول احد الشعراء لطائرٍ :

فياليتني كنت أَسطيع طيرًا اذًا لصحبتكَ بحرًا وبرْ
فجلنا البلاد وزرنا العباد وحزنا المراد ونلنا الوطرْ

وكقول ابي العتاهية :

اتتهُ الخلافة منقادةً اليهِ تجرّر اذيالها
فلم تكُ تصلح الّا لهُ ولم يك يصلح الّا لها

وقال ابو القاسم القشيري في الفراق :

لو كنتَ ساعةَ بيننا ما بيننا وشهدت حين نكرّر التوديعا

١ اي العجوز والداهية والسحاب والماء الصافي والاملس ٢ التهانوي والبديعيات

ايقنتَ أنَّ من الدموع محدثًا وعلمت انَّ من الدموع سميعا

س كيف يحظى الكاتب على الانسجام

ج أولى طريقةٍ لذلك :

اولاً انتقاد الالفاظ وحسن اختيارها

ثانيًا تهذيب الجمل وذلك بسلامة العبارات من تنافر الحروف والاحتراز عن كل ما ينبو عنهُ السمع وبحسن اقتران الالفاظ العذبة الرقيقة مع اخواتها

ثالثًا العدول عن تكرار اللفظ ذاتهِ

س ما المماثلة

ج المماثلة هي عبارة عن مطابقة بين الالفاظ والاصوات والحركات واهواء القلوب(١)

كقول ابي الحليم يصف قتالاً في خطبةٍ لعيد الصليب :

اذا احتدمت بين الصفوف نار الحرب واشتدَّ اللَّدد ، وازعجت القلوب غمغمة الابطال وصاصلة الصوارم ، وخشخشة العُدد ، وتغشَّت الابصار من هبوات المعارك واشتباك القساطل ، وادهشت الافكار شعشعة اللهاذم وقطُّ البواتر واصطكاك الجحافل ، نظروا الى جبهة العلَم المشدود واللواء المعقود

وكقول مقري الوحش في زهريَّتهِ :

والماء بين ترقرقٍ وتدفقٍ وتفنُّدٍ وتسلسلٍ وتجمُّدِ

---

١ وقد وسم بعض العرب المماثلة باسم المحاكاة ولا تفرق كثيرًا عن ائتلاف اللفظ مع المعنى (راجع الحموي ونفحات الازهار)

ومن ذلك قول جرير في رجل نهم كثير الأكل :

وُضع الخنزيرُ فقيل اين مجاشع   فشحا جحافلهُ (١) جراف هبلَعُ (٢)

ومنهُ ايضًا قول امرئ القيس في فرس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مُدبرٍ معًا   كجلمود صخرٍ حطهُ السيلُ من علِ

وللحلّي في وصف شجاع :

مستقتلٌ قاتلٌ مسترسلٌ عجلٌ   مستأصلٌ صائلٌ مستعجلٌ خصِمُ

ولبعض المحدثين في وصف عسكرٍ :

ليس الملا الّا المراكب والموا   كب والقواضب والقنا والادرعُ
ثمَّ السوابق والسرادق والبنا   دق والصواعق والمنيّة تتبعُ

١ اي فتح فاه . والجحفل شفة الخيل والبغال . والخزير اكلة للعرب
٢ الجراف الاكول والهبلع النهم

البحث الثالث

في

الاستدارة

س ما هي الاستدارة

ج الاستدارة عبارة عن سياق جمل متتالية بايقاع وانتظام مرتبطة ببعضها ارتباطاً محكماً بحيث لا يتأتّى كمال فهم الواحدة الّا مضافةً الى المجموع (١)

س كم جزءًا الاستدارة

ج الاستدارة جزءان المقدّمة والخاتمة. فالمقدّمة ما تصدّر امام المقصود فعليها يستند اواخر الكلام. والخاتمة ما تمّم معنى

١ راجع ابن رشد على ارسطاطاليس. والاستدارة قد اشار اليها كثيرون من الادباء وان لم يستوفوا بشرحها. فمن ذلك قول الحموي في حسن النسق قال: حسن النسق ويسمّى التنسيق نوع من محاسن الكلام وهو ان يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً مستبهجاً وتكون جملها ومفرداتها متّسقة متوالية اذا افرد منها البيت قام بنفسه واستقلّ معناه (اه). ولربّما كنى عنها صاحب صناعة الترسّل بالقول بالنظم فقال: القول بالنظم هو عبارة عن تواخي معاني النحو فيما بين الكلم. وذلك بان تنظر في كل باب الى قوانينهِ والفروق التي بين معاني اختلاف صيَغهِ وتراعي شرائط التقديم والتأخير ومواضع الفصل والوصل ومواضع حروف العطف على اختلاف معانيها.. وهو على وجوه شتّى لكنها من اخص اقسامهِ ان تكون الجُمَل المذكورة يتعلّق بعضها ببعض وهناك تظهر قوّة الطبع وجودة القريحة واستقامة الذهن.

المقدَّمة كقول بعضهم في الاستغفار :

ولمَّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي (مقدَّمة) جعلتُ رجائي نحو عفوك سلَّما (خاتمة)

س ما هي فواصل الاستدارة وقرائنها

ج هي فقرات تحتوي كالكلِم على بعض المعنى لكنها تقتضي الالتحام بباقي الجملة ليتمّ المراد بها . وامَّا القرائن فهي اجزاء الفواصل كقول ابن المقفَّع :

لمَّا قرب ذو القرنين من فور الهندي (فاصلة) . وبلغهُ ما اعدَّ له من الخيل (فاصلة) التي كانها قطع الليل (قرينة) ممَّا لم يلقهُ بمثلهِ احد من الملوك الذين كانوا في الاقاليم (قرينة . تمام المقدَّمة) . فتخوَّف ذو القرنين من تقصير يقع بهِ (فاصلة) ان عجَّل المبارزة (قرينة . تمام الخاتمة)

س كم نوع الاستدارة

ج ثلاثة انواع : فمنها ما لها فاصلتان . ومنها ما لها ثلاث فواصل . ومنها ما لها اربع

اولاً شواهد على الاستدارة ذات الفاصلتين .

منها قول الحريري :

(١) لعمرُك ما تغني المغاني ولا الغنى (٢) اذا سكن المثري الثرى وثوى بهِ

ثانيًا شواهد على الاستدارة ذات الثلاث فواصل .

كقول بعض الشعراء :

(١) فلمَّا رأَى ان لا نجاة (٢) وانهُ هو الموت لا ينجيهِ منهُ المؤَازرُ
(٣) تندَّم لو اغناهُ طول ندامةٍ عليهِ وابكتهُ الذنوبُ الكبائرُ

او كقول انوشروان الحكيم :

(١) انَّ الملك اذا كثر مالهُ ممّا يأخذ من رعيّتهِ (٢) وسمق الى مراتب الشرف بمذلّة شعبهِ واسترقاق اهل مملكتهِ (٣) كان كمن يعمّر سطح بيتهِ بما ينقضهُ من قواعد بنيانهِ

ثالثًا شواهد على الاستدارة ذات الاربع فواصل .

من ذلك قول قُسّ بن ساعدة مطران نجران وخطيب العرب :

(١) لمّا رأيتُ مواردًا للموت ليس لها مصادرْ
(٢) ورأيتُ قومي نحوها تسعى الاصاغر والاكابرْ
(٣) لا يرجع قومي اليَّ م ولا من الماضين غابرْ
(٤) ايقنتُ أني لا محا م لة حيث صار القوم صائرْ

ومن ذلك ما ورد في كتاب كليلة ودمنة :

(١) ان الملك ان كان فهيمًا عالمًا بابواب الحكمة والاحكام والسياسة مع صلاح النيَّة والعدل في الرعيَّة (٢) فيكرم من يجب اكرامهُ ويوقّر من يجب توقيره (٣) كان حقيقًا بالسعادة الدنيويّة والاخروية (٤) وانتصر بذلك على اعدائهِ مع زيادة نِعَم الله عليهِ

قال عليّ بن ابي طالب مفتخرًا :

(١) ولمَّا رأيتُ الخيل تقرع بالقنا فوارسها حورُ العيونِ دوامِ
(٢) واقبل ريحٌ في السماء كانهُ غمامة دجن او عراضُ قتامِ
(٣) ومن كل حيّ قد اتتنا عصابة ذوو نجداتٍ في اللقاءِ كرامِ
(٤) فناديتُ فيهم دعوةً فاجابني فوارس من همذان غير لئامِ

س ما الغرض من الاستدارة

ج الاستدارة تورث الكلام جزالة وفخامة لا سيما اذا لحقت الاستدارات بعضها

باب البيان

س ما هو البيان

ج البيان في اللغة هو النطق الفصيح المظهر عمَّا في الضمير وفي اصطلاح البلغـاء هو ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليهِ (١)

(فائدة) اعلم ان المحدثين من البيانيين قد حصروا علم البيان في ثلاثة ابواب وهي التشبيه والمجاز والكناية لكن نطاق هذا العلم اوسع كما رواهُ القدماء . قيل لجعفر بن يحيي البرمكي : ما البيـان . قال : ان يكون اللّفظ يحيط بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجهُ من الشركة ولا يستعان عليهِ بالفكرة ويكون سليمًا من التكلُّف بعيدًا من العُنف يأمن التعقيـد غنيًّا من التأويل (اه). واحسن ما قيل في البيان وسعة مجالهِ ما قالهُ الجاحظ في كتاب البيان والتبيين البيـان اسم لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك لك الحجُب عن الضمير حتى يفضي السـامع الى حقيقتهِ ويهجم على محصولهِ كائنًا ما كان ذلك البيان ومن ايّ جنس كان ذلك الدليل . لان مدار الامر والغاية التي اليها يجري القـائل والسامع انمَّا هو الفهم والافهام فبأَيّ شيء بلغتَ الافهام واوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع (اه)

١ التفتازاني والبناني والقزويني وغيرهم

وقد يسمى ايضاً هذا النوع من البيان عند البديعيين حُسن البيان ·
قال الحموي : حسن البيان هو عبارة عن الابانة عمَّا في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منهُ اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصالهِ الى فهم المخاطب باسهل الطرق وقد تكون العبارة عنهُ تارةً من طريق الايجاز وطوراً من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيهِ الحال وهذا بعينهِ هو البلاغة وحقيقتها (اه)

س ما الغرض من البيان

ج الغرض منهُ ايضاح المعنى وتثبيتهُ والتبرُّع بتحسين الكلام

س كيف يقسم البيان

ج يقسم الى قسمين وهما البيان اللفظي والبيـان المعنوي

البحث الاوَّل

في البيان اللفظي

س ما البيان اللفظي

ج البيان اللفظي هو إيراد المعنى الواحد على اساليب مختلفة من الالفاظ

س على كم نوع يدور البيان اللفظي

ج مداره على ثمانية أنواع : المجاز والكناية والاستتمام والمبالغة والترادف والصفات والابدال والتكرار

١ المجاز

س ما هو المجاز

ج المجاز من قولك أجاز المكان اذا تعدَّاهُ هو في اللغة خلاف الحقيقة . وفي عُرف البيانيين : هو اللفظ الدالّ على غير ما وُضع لهُ في اصطلاح التخاطب . وقد حدَّهُ بعضهم أيضًا قال : هو نقل اللفظ عن حقيقة معنًى وضع للدلالة عليهِ في الاصل الى معنى آخر يشبههُ كقولك : استشاط غضبًا . وتلظَّى غيظًا . فان استشاط وتلظَّى من اصل وضعها للنار فنُقلتا للدلالة على شدَّة الغيظ

(فائدة) قال بعضهم : بين التشبيه والمجاز فرق فانَّ التشبيه معنًى من المعاني ولهُ الفاظهُ تدلُّ عليهِ وضعًا فليس فيهِ نقل اللفظ عن موضوعهِ . بخلاف المجاز فلا تكون دلالتهُ الَّا بقرينة ولا بُدَّ للمجاز من علاقة بين المعنى المستعمل فيهِ والمعنى الموضوع لهُ

س الى كم قسم ينقسم المجاز

ج ينقسم الى استعارة والى مجاز مُرسل

س ما الاستعارة

ج الاستعارة هي اللفظ المستعمل في ما شُبّه بمعناها (١)

١ قال الجرجاني : الاستعارة ادّعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبَّه من البَين . وحدّ الرمّاني الاستعارة قال : هي تعليق العبارة على غير ما وضعت لهُ في اصل اللغة على سبيل النقل للابانة . وقال ابن المعتزّ : هي استعارة الكلمة من شيء قد عُرف بها الى شيء لم يُعرف بها

كقولك : (لقيت اسدًا) وانت تعني رجلًا شجاعًا .

قال ابن الوردي :

اشدد يديك بحبل الله معتصمًا فانهُ الركن ان خانتك اركانُ

س ما هو عمل الاستعارة

ج ان عمل الاستعارة لا يضمهُ حصرٌ فانما يُستعار :

أولًا المحسوس للمحسوس كقولك : (طار قلبهُ فرحًا)

فاستعار الطيران لغير ذي جناح

وكقول المتنبي في وصف بقعة انتصر فيها عضد الدولة وقد جمع بين الاستعارة وحسن التشبيه :

قد صبغت خدَّها الدماءُ كما يصبغ خدَّ الخريدة الخجَلُ

وكقول الربّ في التوراة :

أُسكِر سهامي من الدّماء ويلتهم سيفي لحم الصرعى

ثانيًا المعقول للمعقول كاستعارة الموت للجهل لاشتراك الموصوف بهما في عدم الادراك والعقل . او كقولهم : (لقي فلان الموت) يريدون الشدائد لاشتراكهما . اوكقول القرآن : (لمَّا سكت عن موسى الغضب) والسكوت والغضب امران معقولان

ثالثًا يُستعار المحسوس للمعقول كقول ابن الرومي في الشباب :

قال محمود بن سليمان الحلبي : ان قولنا مع طرح ذكر المشبَّه لانهُ اذا ذُكر المشبَّه وقلنا : زيد اسد . فالمختار انهُ ليس بالاستعارة وانما هو تشبيه مُضمر الاداة اذ في اللفظ ما يدلّ على انهُ ليس باسد فلم تحصل المبالغة امَّا اذا طُرح كقولنا رايتُ اسدًا واردنا الرجل الشجاع فهو استعارة بالاتفاق

ايا بُرد الشباب لكنت عندي من الحسنات والقسم الرغاب
لبستك برهة لبس ابتذال على علمي بفضلك في الشباب
ولو ملَّكت صونك فاعلمنهُ اصنتك في الحرير من الغياب

رابعًا ويُستعار المعقول للمحسوس كقول ابن عربشاه :

تبسَّم بقدومهِ ثغر البلاد وتهلَّلت بوفودهِ اطراف الامصار وقلوب العباد

س ماذا يستهجن بعمل الاستعارة

ج يستهجن : أولاً الافراط في المبالغة والخروج فيها الى الاحالة (١) كقول الشاعر وجعل للدموع الوانًا وهو محال :

وقائلة ما بالُ دمعك اسودًا وقد كان محمرًّا وانت نحيلُ
فقلتُ لها ان الدموع تصرَّمت وهذا سواد العين فهو يسيلُ

وكقول المتنبي :

إلَّا يشبْ فلقد شابت لهُ كبد شيبًا اذا خضَّبتْهُ سلوةٌ نصلا

جعل للكبد شيبًا وهذه استعارة لم تجرِ على شبهٍ قريب ولا بعيد

ثانيًا يستقبح فيها تراكبها على بعضها مع غرابتها

كقول الاخطل في مصلوبٍ :

فخلتهُ عاشقًا قد مدَّ صفحتهُ يوم الوداع الى توديع مرتحلِ
او قائمًا من نعاسٍ فيهِ لوثتهُ (٢) مواصل لتمطّيهِ من الكسلِ

س ما مراعاة النظير

ج هي سياق الكلام على الاستعارة الواحدة. او كما قال البديعيون : هي ان يجمع بين كلام وما يناسبهُ من غير

---

١ يتيمة الدهر للثعالبي ٢ اللوثة الاسترخاء

تضادّ (١) كقول المتنبئ في وصف فرس :

على سابح موج المنايا بنحرهِ غداةً كأن السيل في صدرهِ وبلُ

فانهُ ساق كلامهُ على الاستعارة الاولى اي السبوح وهي من استعارات الفرس

او كقول ابي الحليم بن الحديثي في تشبيه الصليب بشجرةٍ :

هو الغرس الذي ازهرت البركات من افنانهِ، واورقت الخيرات من اغصانهِ، وكان النجل الحبيب ثمرتهُ، والمختار النجيب زهرتهُ، والجاجلّة (٢) الاورشليميّة اصلهُ وارومتهُ، والجمجمة الادمية جذمهُ وجرثومتهُ، وارض صهيون منبتهُ وقراحهُ، ويوسف الحسيب اكّارهُ وفلّاحهُ،

فانهُ ناسب بين الشجرة وافنانها واصلها وثمرتها وصاحب غرسها على ابدع منوال

وكقول ابي العلاء المعرّي :

دع اليراع لقوم يفخرون بهِ وبالطوال الرُدينيّات فافتخرِ

فهنَّ اقلامك اللاتي اذا كتبت مجداً اتت بمدادٍ من دمٍ هدرِ

فانهُ لمّا شبّه الرماح بالاقلام ناسب بينها وبين الكتابة والمداد

ومن ذلك ما جاء في الانجيل الشريف :

انا الراعي الصالح . الراعي الصالح يبذل نفسهُ عن الخرفان . امّا الاجير الذي ليس براعٍ وليست الخرفان لهُ فيرى الذئب مقبلًا فيترك الخرفان ويهرب فيخطف الذئب الخرفان . انا الراعي الصالح واعرف خرفاني وخرفاني تعرفني . ولي خرفان أُخر ليست من هذه الحظيرة فينبغي ان آتي بها ايضاً وستسمع صوتي وتكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد

وللرب ايضاً قولهُ عزّ من قائل :

انا الكرمة الحقيقيّة وابي الحارث . كل غصنٍ فيَّ لا يأْتي بثمرٍ ينزعهُ وكل ما يأتي بثمرٍ ينقيهِ ليأْتي بثمرٍ اكثر . انتم الآن انقياء من اجل الكلام الذي كلمتكم بهِ . اثبتوا فيَّ وانا فيكم . كما ان الغصن لا يستطيع ان يأْتي بثمرٍ من عندهِ ان لم يثبت في الكرمة كذلك انتم ايضاً ان لم تثبتوا فيَّ . انا الكرمة وانتمُ الاغصان من يثبت فيَّ

١ الحموي والسيوطي ٢ جبل الجلجلة

وانا فيهِ فهو يأتي بثمرٍ كثيرٍ لانكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً . ان كان احدٌ لا يثبت فيَّ يطرحُ خارجاً كالغصن فيجفُّ فيجمعونهُ ويطرحونهُ في النار فيحترق

س ما المجاز المُرسَل

ج المجاز المرسل هو ما كانت علاقتهُ غير المشابهة

كقولك : جلَّت اياديهِ عندي (اي نعمهُ)

فان لفظ اليد قد وُضع في اللغة للعضو المخصوص فاستعمل للنعم والعلاقة كون ذلك العضو مصدراً للنعمة فان النعمة تصل الى المنعم عليهِ من اليد (١)

س على كم نوع المجاز المرسل

ج المجاز المرسل على نوعين احدهما من قبيل التضمن والآخر من قبيل الالتزام

س ما المجاز المرسل من حيث التضمن

ج هو ما أورد أقلّ أو اكثر ممَّا دلَّت عليهِ حقيقتهُ . وهو أنواع :

١ يسمَّى الشيء باسم جزءِهِ نحو : (حرر رقابهم) يريد اطلاق سبيلهم فاخذ الرقبة عوض الكل

٢ يسمَّى الجزء باسم الكل نحو : (طابوا نفساً) اي انفساً (٢)

---

١ الجرجاني والسيوطي

٢ قال الثعالبي في سرّ العربية : ومن سُنن العرب اقامة الواحد مقام الجمع فيقولون قررنا بهِ عيناً اي اعيناً . وفي القرآن : (لا نفرق بين احدٍ منهم) والتفريق لا يكون الَّا بين اثنين . والتقدير لا نفرق بينهم

٣ يذكر المكان ويراد بهِ من فيهِ نحو : (جمع النادى) اي اهلهُ (١)

٤ يسمَّى الخاصّ بالعامّ والعامّ بالخاصّ نحو : (الخطّيات والهندوان) لكل جنس من الرماح والسيوف . ونحو : (الطير) للبازي وحده

س ما المجاز المرسل من حيث الالتزام

ج هو ما اقتضى معناه معنى آخر لاجل علاقتهِ وهو أنواع أيضًا

١ فيسمَّى الشيء باسم فاعلهِ نحو : (رجعوا الى نفوسهم) اي الى الرشد . لانَّ النفس هي فاعلة للرشد والحكمة

٢ ويسمَّى الشيء باسم مفعولهِ نحو : (شربنا الحُميَّا) اي الخمر . والحُميَّا نتيجة الخمر وسورتهُ

٣ وباسم سببهِ : كتسمية العرب المطر بالسماء لانهُ من السماء ينزل . وفي القرآن : (يُرسِل السماء عليكم مدرارًا) اي المطر وكما قال : (انّي اراني اعصر خمرًا) اي عِنبًا

٤ ويسمَّى الشيء بما يقع فيهِ او يكون منهُ كما قيل : (يوم عاصف) اي عاصف الريح . (وليل نائم وساهر) اي يُنام فيهِ ويُسهر فيهِ

٥ او باسم آلتهِ كقولك : (اذكرني بلسان صدق) اي بكلام صدق لان اللسان آلة الكلام

٦ ويسمَّى الشيء باسم ضدّهِ نحو : (بشّرهم بعذاب اليم) اي اخبرهم

---

١ قال الثعالبي : تسمّي العرب بالمكان من كان فيهِ فيقال (اسأل القرية التي كنّا فيها) اي اهلها . والعرب تقول : (اكلت قدرًا طيّبة) اي اكلت ما فيها . وكذلك قول الخاصّة : (شربت كأسًا) اي ما فيها

(فائدة) وفي كل ما سبق علاقة ظاهرة هي الجزئية او الكلية او المناسبة الى غير ذلك

٢ البيان بالكناية

اعلم ان اللفظة اذا اطلقت وكان الغرض الاصلي غير معناها اماً فان كان لا يجوز ان يُقصد معناها فهو المجاز وقد مرّ . وان كان يجوز ان يُقصد معناها فهي الكناية

س ما الكناية

ج الكناية في اللغة نقيض التصريح وفي اصطلاح البيانيين : ان يُعبَّر عن شيء لفظاً او معنًى بكلام غير صريح مع دلالة تدلُّ على المعنى الاوَّل (١) كقولك : (فلان طويل اليد طاهر الذيل قوي الظهر) تريد بذلك سلطتهُ ونزاهتهُ واقتدارهُ . مع انهُ يجوز ايضاً ان يراد كونهُ طويل اليد على حقيقة معناه . وكذلك طاهر الذيل وقوي الظهر (٢) وكقول الشاعر :

وما يكُ فيَّ من عيبٍ فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

يريد انهُ سهل المعاشرة كريم

---

١ التفتازاني الجرجاني والسكاكي ٢ قال الحلبي : الكناية عند علماء البيان ان يريد المتكلّم اثبات معنًى من المعاني فلا يذكرهُ باللفظ الموضوع لهُ في اللغة ولكن يجيءُ الى معنى هو تاليهِ وردفهُ في الوجود فيومئُ بهِ اليهِ ويجعلهُ دليلًا عليهِ . مثال ذلك قولهم هو طويل النجاد (اي حمائل السيف) كثير رماد القدر يعنون انهُ طويل القامة كثير القرى . فلم يذكروا المراد بلفظهِ الخاصّ بهِ ولكن توصَّلوا اليهِ بذكر معنًى آخر هو رديفهُ في الوجود . الا ترى ان القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر (اه)

(فائدة) وقد تفرق الكناية عن المجاز بكون المجاز يدلّ على غير معنى الكلام الظاهر . واما الكناية فتدل على حقيقة اللفظ وبعيد معناهُ

س ما الغرض من الكناية

ج للكناية اغراض كتحسين اللفظ وتعزيز الكلام والابهام على السامعين

قيل ان حارثة بن بدر دخل على زياد وفي وجههِ اثرٌ . فقال لهُ زياد : ما هذا الاثر الذي في وجهك . قال : ركبتُ فرسي الاشقر فجمح بي (كنى بالفرس الاشقر عن النبيذ يريد أنهُ سكر فسقط وجُرح)

س ما هي اقسام الكناية

ج للكناية ثلاثة اقسام :

الاول الكناية عن الموصوف كقولنا : (مجامع الاضغان) كناية عن القلب . والضغن الحقد

وكقول الشنفرى :

اقيموا بني أُمّي صدور مطيّكم   فاني الى قوم سواكم لارحل

يريد ببني أُمهِ اخوته

الثاني الكناية عن صفة من الصفات كالجود والكرم والشجاعة ونحو ذلك كقولك : (رحب الصدر) كناية عن اللطف والمرؤة

والكناية عن الصفة ضربان قريبة وبعيدة . فالقريبة ما ينتقل منها الى المطلوب بصراحة ودون واسط كقولك في الكرم : (رجل بسيط اليدين) فان بسط اليدين كناية صريحة عن السماح . امَّا البعيدة فهي الكناية

الخفيَّة التي ينتقل منها الى المطلوب بواسط كقولك في المضياف : كثير الرماد لان كثرة الرماد تدلّ على كثرة النار . وكثرة النار دليل على كثرة الطبائخ . وكثرة الطبائخ ناتجة عن كثرة الاضياف

الثالث الكناية عن نسبة اي اثباتِ امر لآخر او نفيهِ عنه

كقول العرب في الشريف : المجد بين ثوبيهِ والكرم بين بُرديهِ

وكقول زياد الاعجم في وصف ابن الحشرج :

ان المروَّة والسماحة والنَّدى   في قبَّة ضربت على ابن الحشرج

فانهُ ترك التصريح بان يقول ان ابن الحشرج مختصّ بالمروَّة والكرم وعدل الى الكناية بان جعل صفاتهِ في قبَّة مضروبة عليهِ .

وفي الكناية عن النسبة قد يكون ذو النسبة مذكوراً كما مرَّ وقد يكون غير مذكور كقول بعضهم : (احسن العلم ما كان مقروناً بعمل) كناية عن قلّة منفعة علم مَنْ لم يعمل بعلمهِ

س ما التعريض

ج التعريض نوع لطيف من الكناية وهو عبارة عن ان يكني المتكلم بالشيء ولا يصرّح ليأخذهُ السامع لنفسهِ ويعلم المقصود منهُ كقولك أمام بخيل : (ما اقبح البخل) فيفهم انهُ بخيل

ومن ذلك ما أُخبر عن الفتح بن خاقان فانهُ رأى شيئاً في لحية الخليفة المتوكل فأنف من تنبيههِ فقال : ياغلام هات مِرآة امير المؤمنين . فجاءَ بها فنظر المتوكل واخذهُ بيدهِ

س على اي نوع يكون البيان بالكناية

ج انّما يُنال ذلك بالحاق الكنايات ببعضها او بالتورية عن المعنى الواحد بكناية مركَّبة كقولك في الانسان :

حي مستوي القامة ناطق ضحوك الخ . فيؤخذ من مجموع الصفات انهُ الانسان

او كقول بعضهم وكان ابن حجَّامٍ :

أَنا ابنُ مَنْ دانتِ الرقابُ لهُ ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيهِ بالرغم وهي صاغرة يأخذ من مالها ومن دمها

٣ البيان بالاستتمام

س ما الاستتمام

ج هو ان يذكر المعنى الواحد بطرائق متشعبة او بعبارات مستطيلة على سبيل الاطناب . والغرض منهُ او ايضاح المعنى او تقوية الكلام او العدول عن لفظة ينفر عنها السمع او نحو ذلك من الاغراض كقول ابن الحبيب في غروب الشمس :

ولمَّا حجبت عن العيون شخصها، وخطف المغرب من يد المشرق قرصها، واكتحلت جفون الافق بالنار، وطرد زنجي الليل روميّ النهار

او كقول كلثوم في الكعبة :

واقسمت بالبيت الذي طاف حولهُ رجال بنوهُ من قُريش وجُرهم

او كقول الشاعر في من مات :

خلت دورهم منهم واقوت عراصهم وساقتهمُ نحو المنايا المقادرُ
وخلُّوا عن الدنيا وما جمَّعوا بها وضمّتهم تحت التراب الحفائرُ

س ما الفرق بين الكناية والاستتمام

ج ان الكناية تجمع بين معنيَين قريب وبعيد امَّا الاستتمام

فانهُ دالٌّ على معنًى واحد يعرضهُ بمجموع الفاظ تقوم مقامهُ

٤ البيان بالمبالغة

س ما هي المبالغة

ج المبالغة ان يُدَّعى لشيءٍ وصفٌ يزيد على ما في الواقع: (١)

كقول ابي تمّام في المعتصم:

بمعتصم بالله قد عُصمت بهِ ... عرى الدين والتفّت عليهِ رسائلُهْ
رعى الله فيهِ للرعيّة رأفةً ... تزايلهُ الدنيا وليست تزايلُهْ
وقام مقام العدل في كل بلدةٍ ... خطيباً واضحى الملك قد شقّ بازلُهْ
تعوّد بسط الكفّ حتى لو انهُ ... ثناها لقبضٍ لم تطعهُ اناملُهْ
ولو لم يكن في كفّهِ غير روحهِ ... لجاد بها فليتّقِ الله سائلُهْ

س ما اقسام المبالغة

ج ثلاثة:

اولاً التبليغ وهو وصف الشيء بالممكن البعيد وقوعهُ عادةً. كقول عُمير التغلبي:

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعهُ الكرامة حيث مالا

ثانياً الاغراق وهو وصف الشيء بالممكن في العقل

١ قال التهانوي وغيره: اختلفوا في المبالغة فقالوا انها مردودة مطلقاً لان خير الكلام ما خرج مخرج الحق. وقيل انها مقبولة مطلقاً والفضل مقصور عليها والعرب تقول: احسن الشعر اكذبهُ وقال النابغة: اشعر الناس من استجيد كذبهُ. وقيل منها مقبولة ومنها مردودة وهذا القول هو الراجح فالمقبولة منها ما خيّلت الافراط شبيهاً بالحق. والمردودة ما خرجت عن حدّ الامكان ولم تطابق اصلاً الموصوف بها

دون العادة كقول ابن الاعمى في وصف دارٍ :

وبها خفافيش تطير نهارها   مع ليلها ليست على عاداتها

ومن ذلك قول المتنبي في وصف سيف الدولة :

ولربّما أطرى القناة بفارس   وثنى فقوَّمها باخر منهم

ثالثًا الغلوّ وهو الوصف الغير الممكن لا في العقل ولا في العادة كقول زهير :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم   قومٌ باوَّلهم اومجدهم قعدوا

وكقول ابن الاعمى في هجو دار :

والنارُ جزءٌ من تلهُّب حرِّها   وجهنّم تُعزى الى لفحاتها

(فـائدة) اعلم انهُ لا بُدَّ بمقرون للغلوّ والاغراق يخرجهما من باب الاستحالة ويدخلها في باب الامكان . كقول الشاعر :

تكاد قسيُّهُ من غير رام   تُمكّن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفهُ من غير سلٍّ   تجدُّ الى رقابهم انسلالا

فبقولهِ كاد خرج عن استحالة القول ومكّن السامع من تصديقهِ

٥ البيان بالترادف

س كيف يكون البيان بالترادف

ج يتم ذلك اذا بيَّنت المعنى الواحد باساليب مختلفة من ارداف اللفظ(١) كقول الحريريّ :

اما نادى بك الموت   اما اسمعك الصوت   اما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتمّ

١ راجع صفحة ٦

فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو وتنصبّ الى اللهو
كأنّ الموت ما عمّ

فترى ان المعنى لا يكاد يختلف وانّما يزداد تقريرا فقط

وكقول ابن الحديثي في دعاء لامير المؤمنين :

لا برحت شموس سعوده في دوائر النصر دائره ، واقمار اقباله في افلاك العزّ سائره ، وطوالع جدّه على الآفاق مشرقه ، وكواكب مجده بنجوم السعد محدقه

٦ البيان بالصفات

س كيف يكون البيان بالصفات (١)

ج بتعزيز الموصوف بنعوت جديرة به تكشف عن حقيقة امره كقول ابن النبيه الشاعر :

هو العادل الظلّام للمال والعدى خزائنهُ قد اقفرت ودیارها
كريمٌ لهُ نفسٌ تجود بما حوت واعجب شيء بعد ذاك اعتذارها
عليمٌ بنور الله ينظر قلبهُ فلم يغنِ اسرار القلوب استتارها

قال آخر في وصف كريم :

جزيل المروَّة ، شريف الابوَّة ، كريم النجار ، جليل المقدار ، عالي الهمَّة ، طليق الوجه عند الملمَّة ، ظلّهُ ممدود ، وفناؤهُ مقصود ، وباب منزلهِ عن الواردين غير مردود

٧ البيان بالأبدال

س كيف يكون ذلك

ج اذا جعلت في تعريف الامر ما ينوب عنهُ من الاوصاف القائمة مقامهُ (٢)

١ راجع صفحة ٧ ٢ راجع وجه ٨

كقول يشوعياب الدنيسري في اسمائهِ تعالى عزَّ وجلّ :

هو الاول قبل الكون والمكان من غير أبد ولا بداية ، والآخر بعد فناء المكوّنات والازمان بغير أمد ولا نهاية ، الظاهر في علوّه بغير بعدٍ ولا نأيه ، الباطن في دنوه دون قرب ولا دناية ، القيوم في ديمومة وحدانيته ، خالق الخلائق بمشيته ، ومبيّن الهيولي والعلل ، ومانع الحقائق بقدرتـــه ومرتّب الاحكام من الازل ، الواجب الذي اتضحت حجّة وجودهِ لكل عاقل ، وشهدت بتصديق عزّة جودهِ قواطع الدلائل

٨ البيان بالتكرار

س ما التكرار

ج هو عبــارة عن اعادة الالفاظ ذاتها لتقرير المعنى في ذهن السامع سواءٌ كانت اللفظة المكرَّرة موصولة باختها او مفصولة كقول كثير في عُمر بن الخطَّاب :

فاربح بها من صفقة لمبايع واعظم بها اعظم بها ثم اعظمِ

وكقول ابي العتاهية :

حتى متى لا ترعوي ياصاحبي حتى متى حتى متى والى متى

ولهُ ايضاً :

ماذا تقول وليس عندك حجّةٌ لو قد اتاك مهدّم اللذّاتِ
او ما تقول اذا حللت محلّـــةً ليس الثقات لاهلهـــا بثقات
او ما تقول وليس حكمك نافذاً فيما تخلّفهُ من التركاتِ

وكقول عنترة في معلقته :

يدعون عنترَ والرماح كانها اشطان بئر في لبـــان الادهم
يدعون عنترَ والسيوف كانها لمع البوارقِ في سحابٍ مظلم
يدعون عنترَ والسهام كانها طشّ الجراد على مشارعَ حوَّمِ

البيان المعنوي

س ما البيان المعنوي

ج هو ان يُعرَض المعنى الواحد بطرق مختلفة من المعاني لوضوح الدلالة عليهِ

س كم نوعًا للبيان المعنوي

ج سبعة هي : الحدّ . والتجزئة . والعلَّة والمعلول . والظروف . والتشبيه . والمذهب الكلامي . والتضادّ

١ البيان بالحدّ

س ما هو الحدّ

ج الحد لغة المنع ونهاية الشيء هو عند الاصوليين : القول الدالّ على ماهيَّة الشيء وكمال وجودهِ (١)

كقولك في حدّ الانسان : (هو حيوان ناطق) فانك بيَّنت طبيعتهُ وميَّزتهُ عن كل ما سواهُ

س ما الحد البيانيّ او التعريف

ج الحد عند البيانيين هو ان يأْتي الكاتب باوصاف

١ ابن سينا في رسائلهِ . قال بعضهم : الحدّ هو الجامع المانع اي الوصف المحيط بمعناهُ المميّز لهُ عن غيره

وتصاوير وامثال وما يشبه ذلك من انواع المحسّنات ممّا يدلّ على المعرَّف إمّا ببيان حقيقتهِ او ببيان صفاتهِ

قال بعض البلغاء يعرّف اللسان :

اللسان اداةٌ تُظهر حسن البيان . وظاهر يخبر عن ضمير . وشاهد ينبئك عن غائب . وحاكم يُفصَل بهِ الخطاب . وناطق يردّ الجواب . وواعظ ينهي عن القبيح . ومزيّن يدعو الى الحَسَن . وشافع يدرك بهِ الحاجة . وواصف تعرف بهِ الحقائق . وبشير يُنفى بهِ الحزن . ومؤنس يذهب بالوحشة . وزارع ينبت الوداد . وحاصد يحصد الضغائن والاحقاد

وقال الحريري في تعريف الحج :

ما الحج سيرك تأويباً وادلاجا (١) ولا اعتيامك اَجمالاً واحداجا (٢)
الحج ان تقصد البيت الحرام على تجريدك (٣) الحج لا تقضي بهِ حاجا
وتمتطي كاهل الانصاف متخذاً ردع الهوى هادياً والحق منهاجا
وان تؤاتيَ ما اوتيت مقدرة (٤) من مدَّ كفًّا الى جدواك محتاجا

(فائدة) اعلم ان هذا النوع من التعريف هو بالوصف اشبه منهُ بالتحديد وانّما يكون على طُرُق مختلفة فتارة نبيّن المعرَّف باقسامهِ وتارة بخواصهِ وبآثارهِ وظروفهِ الى غير ذلك

١ اي السير نهارًا وليلًا ٢ الاعتيام الاختيار والاحداج مراكب السفر للنساء ٣ اي اخلاص نيتك ٤ اي على قدر غناك وسعة حالك

٢ البيان بالتجزئة

س ما التجزئة (١)

ج التجزئة عند الاصوليين تقسيم الكل الى اجزائه وعند اهل الادب ان تأخذ بعض المعاني وتورد ذكر اصنافهِ (٢) المنطوية تحت حكمهِ كما فعل ابن المعتزّ في مزدوجتهِ في ذكر بستان وانواع ازهارهِ :

اما ترى البستان كيف نوَّرا ... ونشر المنثورُ بُرداً اصفرا
وضحك الوردُ الى الشقائقِ ... واعتنق الغصن اعتناق الوامقِ
وياسمين في ذرى الاغصانِ ... منتظم كقطعة المرجان
والسرو مثل قضب الزبرجدِ ... قد استمدَّ الماء من ترب ندي
والاقحوان كالثنايا الغرّ ... قد صقلت انواره بالقطرِ

فانهُ ابتدأ بذكر البستان ثمَّ أخذ يوصف ما فيهِ من الازهار مقسماً

قال آخر في تعديد اهل القبور :

اتيتُ القبور فناديتها ... فاين المعظَّم والمحتقَرْ
واين المذلّ بسلطانهِ ... واين المزكَّى اذا ما افتخرْ
تفانوا جميعاً فلا مخبر ... وماتوا جميعاً ومات الخبرْ

---

١ اعلم ان التجزئة تسمَّى ايضاً عند البديعيين بالتقسيم . قال عبد الغنيّ النابلسي : التقسيم استيفاء المتكلم اقسام المعنى . قال زُهير بن ابي سلمى :

واعلم ما في اليوم والامس قبلهُ ... ولكنني عن علم ما في غدٍ عمي

فانهُ قسَّم الزمان الى حال وماضٍ ومستقبل

٢ قال الجرجاني الصنف هو النَّوع المقيَّد بقيد كلّي

٣ البيان بالعلّة والمعلول

س ما العلّة والمعلول

ج العلّة ما يتوقّف عليهِ وجود الشيءُ والمعلول ما صدَر من العلّة

والعلّة اربعة انواع : الاول العلّة الفاعلية وهي المؤثّرة في المعلول الموجدة لهُ كالمهندس والدار . ثانيًا العلّة الغائية وهي ما كان المعلول لاجلها كالدرس لنيل الرزق او المجد . الثالث العلّة المادّيّة وهي ما تركب منها المعلول كالذهب او الفضة المتركب منها الكأس. الرابع العلّة الصوريّة وهي ما قامت بها ماهية الشيء كالنفس في الانسان وهيئة البيت للبيت

س كيف يتمّ البيان بالعلّة والمعلول

ج ذلك اذا اوردت امرًا ما وفصّلت ما ينجم عنهُ من المفاعيل (١) وكقول الحسن بن عبدالله في الغدر ونتائجهِ :

ان الغدر نتائجهُ وخيمة ، وعواقبهُ ذميمة ، من ارتقى في سلّمهِ كان السقوط اليه اقرب ، ومن توصل بسهولتهِ وقع في الاشدّ الاصعبِ ، بهِ تبخس الحقوق وتتفرّق وتتضعضع النفوس وتضمحلّ المروّة وتذهب الامانات

قال آخر في الفقر والغنى وآثارهما عند الناس :

---

١ وقد ذكر البديعيون هذا النوع من البيان في باب التعليل وحسن التعليل . قال الحموي : هذا النوع هو ان يريد المتكلم ذكر حكم واقع او متوقّع فيقدّم قبل ذكرهِ علّة وقوعهِ لكون رتبة العلّة تتقدّم على المعلول (اه)

من كان يملك درهمين تعلَّمت شفتاهُ انواع الكلام فقالا
وتقدَّم الاخوان فاستمعوا لهُ ورأيتهُ بين الورى مختالا
لولا دراهمهُ التي يزهو بها لوجدتَهُ في الناس اسوأَ حالا
ان الغنيَّ اذا تكلَّم بالخطا قالوا صدقت وما نطقت محالا
امَّا الفقير اذا تكلَّم صادقاً قالوا كذبت وابطلوا ما قالا
ان الدراهم في المنازل كلها تكسو الرجال مهابةً وجمالا
فهي اللسان لمن اراد فصاحةً وهي السلاح لمن اراد قتالا

٤ البيان بالظروف

س ما الظروف

ج الظروف كل ما عرض للامر المقصود واحدق بهِ وبصاحبهِ من زمان ومكان وغير ذلك

وقد جمع بعضهم الظروف بقولهِ :

فمن وما اينَ بماذا ولما كيف متى تأتي بها مستفهما

(فمن) تدلُّ على الفاعل (وما) على الفعل (واين) على المكان (وبماذا) على الوسائط (ولما) على الغاية (وكيف) على الهيئة (ومتى) على الزمان

س كيف يكون البيان بالظروف

ج يكون ذلك بذكر المقترنات الطارئة على الموصوف وتفسيرها باطناب كقول الحريري :

انا من ساكني سرو ج ذوي الدين والهدى
كنتُ ذا ثروة بها ومطاعاً مسوَّدا
مربعي مألف الضيو ف ومالي لهم سدى
ويراني المؤمَّلو ن ملاذاً ومقصدا

فقضى الله أن يغيّر م ما كان عودا
بوّأ الروم ارضنا بعد ضغنٍ تولدا
فاستباحوا حريم من صادفوهُ موحّدا
وحووا كل ما استترّ م بها لي وما بدا
فتطوّحتُ في البلا د طريدًا مشرّدا
اجتدي الناس بعدما كنت من قبل مجتدى
وترى بي خصاصة اتمنى لها الرّدى
والبلاء الذي بهِ شملُ انسي تبددا
استباء ابنتي التي اسروها لتفتدى
فاستبن محنتي ومدّ م الى نصرتي يدا
واجرني من الزّما ن فقد جار واعتدى
واعنّي على فكا ك ابنتي من يد العدى
واسمح الآن بالذي يتسنّى لتحمدا

وكقول عليّ يصف الدنيا واحوالها :

اعلموا عباد الله انكم وما انتم فيهِ من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان أطول منكم أعمارا ، واعمر ديارا ، وابعد اثارا ، اصبحت أصواتهم هامدة ، ورياحهم راكدة ، واجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية ، فاستبدلوا بالقصور المشيّدة ، والنمارق الممهدة ، الصخور والاحجار المسندة ، والقبور اللاطية الملحدة ، التي قد بُنيَ على الخراب فناؤها ، وشيد بالتراب بناؤها ، فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ، بين اهل محلة موحشين ، واهل فراغ متشاغلين ، لا يستأنسون بالاوطان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، على ما بينهم من قرب الجوار ، ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى ، واكلتهم الجنادل والثرى ، وكأنّ قد صرتم الى ما صاروا اليهِ وارتهنكم ذلك المضجع ، وضمكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لو تناهت بكم الامور ، وبعثرت القبور ، هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت . وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترّ ون

٥ البيان بالتشبيه

س ما هو التشبيه

ج التشبيه عند اهل البيان هو الدلالة على مشاركة امرٍ لآخر في معنًى على غير وجه الاستعارة (١)

كقول بعض الحكماء :

انمَّا الدنيا كبيتٍ نسجهُ من عنكبوت

قال شهاب الدين الحلبي : التشبيه من اركان البلاغة لاخراجهِ الخفيّ الى الجليّ وادنائهِ البعيد من القريب . وهو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف هو من اوصاف الشيء الواحد في نفسهِ كالشجاعة في الاسد والنور في الشمس

س على كم وجه التشبيه

ج على اربعة وجوه

الاول تشبيه محسوس بمحسوس (٢) كقول بعضهم :

١ الكشَّاف للتهانوي والصفدي والحموي والنابلسي

٢ (فائدة) قال بعضهم : قد يستحسن تشبيه المحسوس بالمحسوس لاشتراكهما امَّا في المحسوسات الاولى وهي مدركات السمع والبصر والذوق والشمّ واللمس كتشبيه الخدّ بالورد او في المحسوسات الثانية وهي الاشكال المستقيمة والمستديرة والمقادير والحركات كتشبيه المستوى المنتصب بالرمح والقدّ اللطيف بالغصن . او في الكيفيَّات الجسمانيَّة كالصلابة والرخاوة . اوفي الكيفيَّات النفسانيَّة كالغرائز والاخلاق او في حالة اضافيَّة كقولك هذا برهان كالشمس لان كليهما مزيلٌ للحجاب

الدنيا كالكأس من العسل في اسفلهِ السُّمُّ وكاحلام النائم التي تفرحهُ في منامهِ فاذا استيقظ انقطع الفرح . وكالبرق الخُلَّب يضيءُ قليلًا ويذهب وشيكًا فيُبقي راجيهُ في الظلام مقيمًا

الثاني تشبيه المعقول بالمحسوس كقول ابن سيناء :

انمَّا النفس كالزُّجاجة والعلم م سراج وحكمة الله زيتُ

الثالث تشبيه المحسوس بالمعقول كقول الشنفرى في وصف قوس :

هتوفٌ من أُلملس المتون يزينها رصائع قد نيطت اليها ومَحمَل
اذا زل عنها السهم حنَّت كأنَّها مُرَزَّأَة ثَكلى ترنُّ وتُعوِل

الرابع تشبيه المعقول بالمعقول كقول الشاعر :

رُبَّ حيٍّ كَمَيّت ليس فيهِ أَمَل يرتجى لنفع وضَرّ

س ما هي اركان التشبيه

ج اركان التشبيه اربعة طرفاهُ وأَداتهُ ووجههُ

س ما طرفا التشبيه

ج هما المشبَّه والمشبَّه بهِ ولا بدَّ لهما من الملاءَمة كي يتمّ وجه التشبيه . وينقسم التشبيه باعتبار الطرفين الى تشبيه مفرد بمفرد كقولك : وجههُ كالبدر وتشبيه مقيد كقولك : علم لا ينفع كدواء لاينجع

س ما اداة التشبيه

ج هي الكاف وكأَنَّ وكمثل وشبه وما هو في معناها .

وربما تحذف اداة التشبيه فتدل عليهِ القرينة . كقول الهمذاني :

وخرجتُ خروج الحيّة من حجرهِ وبرزتُ بروز الطائر من وكرهِ

او كقول التهامي :

والعيش نَوم والمنيّة يقظة والمرء بينهما خيال سارِ

س ما وجه التشبيه

ج هو ما يشترك فيهِ الطرفان تحقيقًا أو تخييلًا . كالشجاعة مثلًا في قولك : زيد كالاسد . والاشتهار في قولك : ذِكر فلان كنار على علَم

(فائدة) ولا بُدَّ من ان يكون هذا الجامع بين طرفي التشبيه فلولا ذلك لكان مردودًا مستهجنًا (١)

س كيف يقسم التشبيه من حيث وجههِ

ج التشبيه يكون تمثيلًا أو غير تمثيل . فالتمثيل ما انتزع وجههُ من متعدد : كقول بعضهم : الرَّجل بلا اخوان كالشمال بلا يمين . والمرأة بلا ادب كطعام بلا ملح .

وكقول الشاعر :

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك والعقل للمرء مثل التاج للملكِ

والغير تمثيل ما لم ينتزع وجههُ من متعدد كقولك : الجسم كالصدف وكقول آخر : البخيل كالدابّة تحمل الذهب وتعتلف بالتبن والشعير

١ قال التهانوي : القاعدة في المدح تشبيه الادنى بالاعلى وفي الذمّ تشبيه الاعلى بالادنى فيقال في المدح : فصٌّ كالياقوت . وفي الذمّ : ياقوت كالزجاج . قال الشيخ ظهير الدين بن عسكر :

تقول هذا مجاج النحل تمدحهُ وان ذممت تقل قيء الزنابير

٢ ويكون التشبيه مجملًا ومفصلًا . فالمجمل ما لم يذكر فيهِ وجه التشبيهِ : كقول بعضهم :

اللسان كالسهم النافذ (يريد بحدَّتهِ)

والمفصَّل ما ذكر فيهِ وجهُ التشبيه كقول بعضهم : الكلام الفصيح هو كالشهد في حلاوته

س ما الغرض من التشبيه

ج الغرض منه تعريف المشبَّه أمَّا لبيان حالهِ كقولك : مرٌّ كالعلقم . أمَّا لتقرير حالهِ وتقوية شأنهِ مثلًا : هو كالقابض على الماء .

أمَّا لتزيينهِ او تشويههِ كقول ابن المعتزّ في بقعة :

يجول حُباب الماء في جنباتها كما جال دمعٌ فوق خدّ مورَّدِ

س كيف يتم البيان بالتشبيه

ج اذا أوردت امرًا وبينتهُ بتشبيهات متراكمة . فيسمى الانشاء اذ ذاك منوَّعًا (١) كما قال حبيب الحلبي في وصف الكتابة :

الكتابة قطب دائرة الاداب ، وصدر اسرار الالباب ، ورسول صادق ، ولسان بالحق ناطق ، وسيفٌ تُحدُّ بحدّهِ المعارف ، وميزان يميّز التالد من الطارف .

وكقول الكتاب الكريم في شعب اسرائيل :

لقيهُ الرب في ارض يباب وفي خلا بلقع فاطافهُ وارشدهُ وصانهُ كانسان عينه كالنسر الذي يثير فراخهُ وعلى فراخهِ يرقّ ويبسط جناحيهِ فيأخذها ويحملها على ريشهِ . الرب اقتاد اسرائيل وليس معهُ اله غريب الخ

---

١ راجع السيوطي والحموي

٦ البيان بالمذهب الكلامي

س ما المذهب الكلامي

ج قال الجاحظ : هو ان يأتي البليغ على صحَّة دعواه وابطال دعوى خصمهِ بحجَّة قاطعة لا يمكن الخصم نقضها

س على اي نوع يتمُّ البيان بالمذهب الكلامي

ج يتمُّ ذلك بسياق براهين دامغة عقليَّة لإثبات ما تقدَّم الكاتب بصحَّتهِ كقول القرآن : لو كان في السماء والارض آلهة غير الله لفسدتا

قال الحموي : وهذا دليل قاطع على وحدانيَّتـهِ جلَّ جلالهُ وتمام الدليل ان تقول : لكنَّ السماء والارض لم تفسدا فليس اذاً فيهما آلهة غير الله .

ومثلهُ قول الغزَّالي وكان الزمخشري اراد شرح قول القرآن : الرحمان على العرش استوى . فاجاب (١) :

انت لا تعرف ذاتك ولا تدري من انت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكّبت فيك حارت في خفاياها العقولْ
اين منك الروح في جوهرها هل تراها او ترى كيف تجولْ
انت اكلَ الخبز لا تعرفهُ كيف يجري فيك ام كيف يجولْ
فاذا كانت طواياك التي بين جنبيك بها انت جهولْ
كيف تدري من على العرش استوى فتعالى ربُّنا عمَّا تقولْ

او كما قال صاحب متن الشيبانيَّة في تنزيهِ الخالق :

ولا جهة تحوي الالاهَ ولا لهُ مكان تعالى عنهما وتمجَّدا
اذِ الكون مخلوقٌ وربّيَ خالقٌ لقد كان قبل الكون ربًّا وسيّدا

---

١ ولهذه الابيات رواية اخرى راجع الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ٤ .

٧ البيان بالتضادّ

س ما التضادّ

ج هو المقابلة بين امرين متخالفين لفظًا او معنًى . والبيان بهِ ان تتوارد المتضادّات على بعضها كقول الحريريّ :

تأمرُ بالعرف وتنتهك حماه ، وتحمي عن النكر ولا تحاماه ، وتزحزح عن الظلم ثمّ تغشاه ، وتخشى الناس والله احقُّ ان تخشاه ،

وكقول اوس بن حُجر :

اطعنا ربَّنا وعصاهُ قومٌ فذقنا طعم طاعتنا وذاقوا

ومثلهُ قول ابي الحليم في العذراء مريم :

ترى صبيّةً خاملة الذكر مسكينة ، نشاهد محيًّا قد مُدَّ عليهِ قناعُ الحياء والخَفَر ، اعضادًا جُعلت سُدَّة لسيّد الكل ابن البشر ، ضعيفة ولدت جبّار العوالم ، فقيرة أثرت بفقرها ابناء آدم ، خاملة تخدمها الزُمَر الملائكيَّة ، حاملة لعاقد التيجان على المفارق الملكيَّة ، يتيمة لم يكن لها في فسيح الارض مأوىً ، ضئيلة افتخرت بضآلتها أمها حوّا ،

س ما الذي يلزم العدول عنهُ في البيان

ج يلزم : اولاً العدول عن الفضول والحشو في التفسير

ثانيًا ان لا يتتبَّع الكاتب كل اجزاء روايتهِ فيشرحها شرحًا مسهبًا بل الاجدر بهِ ان يعطي كل قسم حقَّهُ من البيان والتفسير ويدع ما لا فائدة في تبيانهِ

ثالثًا ان يحترز من شرح ما يقتضي بعض الرمز والتلميح او ما كانت قوَّتهُ قائمة بايجازهِ .

أَلأَصْلُ ٱلثَّانِي

خواصّ الانشاء

البحث الأوّل

في

محاسن الانشاء

س كم هي محاسن الانشاء

ج للانشاء ستّ محاسن يتحلّى بها هي الايضاح والصراحة والضبط والطبَعيّة والسهولة والجزالة

س ما الايضاح

ج الايضاح دفع الابهام وهو تمكّن السامع من الاستدلال على المعنى بتنزيه الكلام عن اللَّبس والخفاء (١)

كقول الشاعر :

ليس الجمال باثواب تزيّننا ان الجمالَ جمالُ العلم والادبِ
ليس اليتيم الذي قد مات والدهُ بل اليتيمُ يتيمُ العلم والحسبِ

١ الهمذاني وابن حُجر . قال في الاتقان : ان الكلام اذا كان موضحاً يتمكّن في النفس تمكّناً زائدا فانهُ اعزّ من المُنساق بلا تعب وتكمل لذّة العلم بهِ . فان الشيء اذا عُلمَ من وجه ما تشوّقت النفس العلم بهِ من باقي الوجوه فاذا فازت بالمطلوب كانت لذّتها اشدّ . قال بشر بن المُعتَمر : ايّاك والتقعير فانهُ يسلمك الى التعقيد ويمنعك عن اصابة مرامك

او كما قال آخر :

لم ندرِ ما الدنيا وما طيبها وحسنها حتّى رأيناها
انّك لو ابصرتها ساعة اجللتها ان تتمنّاها

س ما هي الصراحة

ج الصراحة لغةً الخلوص وعند الاصوليين هي سلامة الانشاء من ضعف التأْليف وسخافة الالفاظ والمعاني كقول زُهير بن ابي سلمى :

ولا تُكثر على ذي الضعف عتباً ولا ذكرَ التجرُّم للذنوبِ
ولا تسألهُ عمّا سوف يُبدي ولا عن عيبهِ لك بالمغيبِ
متى تكُ في صديق او عدوٍّ تخبّرك الوجوهُ عن القلوبِ

س ما هو الضبط

ج الضبط في اللغة عبارة عن الجزم وفي الاصطلاح هو حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الالفاظ كقول طَرَفة البكريّ :

ارى الموتَ لايرعى على ذي قرابة وان كان في الدنيا عزيزاً بمقعدِ
لعمرك ما الايّام الّا مُعارة فما اسطعتَ من معروفها فتزوَّدِ

وكقول امرئ القيس في الصديق :

انّي لأَحرِمِ من يصارمني واجدُّ وصلَ من ابتغى وصلي
وأخي إخاءِ ذي محافظة سهلُ الخليقة ماجد الاصلِ
حُلوٍ اذا ما جئتُ قالَ ألاَ في الرَّحب انت ومنزلِ السهلِ

س ما الطبعيَّة

ج الطبعيَّة خلوُّ الكلام عن التكلُّف والتصنُّع (١) كما قال ابو العتاهية يرثي ابنهُ :

بكيتك يا بُنيَّ بدمع عيني فلم يُغنِ البكاء عليك شيئًا
وكانت في حياتك لي عظاتٌ وانت اليوم اوعظ منك حيَّا

وكقول المقرّي عند خروجهِ من الشام وكان حصل لهُ اكرام من اهلها :

ان شام قلبي عنك بارقُ سلوةٍ ياشامُ كنتُ كمن يخونُ ويغدرُ
كم راحل عنها لفرط ضرورةٍ وعلى القرارِ بغيرها لا يقدرُ
متصاعد الزَّفرات مكلوم الحشا والدمع من اجفانهِ يتحدَّرُ

س ما السهولة

ج هي الخلوص من التعسُّف في السبك هذا الى انها تفيد

١ زهر الآداب للحصري . وجاء في العقد الفريد : التكلُّف هو ان يأتي الكاتب بما ليس من طبعهِ . وقد قالوا : ليس الفقه بالتفقُّه والفصاحة بالتفصح وانما قيل : الطبع املك (اه)

قال ذو الاصبع العدواني :

كل امرئٍ راجع يومًا لشيمتهِ وان تخلَّق اخلاقًا الى حينِ

وقيل ايضًا : ان من تطبَّع بغير طبعهِ نزعتهُ العادة حتى تردّهُ الى طبعه كما ان الماء اذا اسخنتهُ وتركتهُ عاد الى طبعهِ من البرودة وكالشجرة المرَّة اذا طليتها بالعسل لا تثمر الَّا مرًّا . قال الاصمعي : قلتُ لاعرابيّ : ما بالُ المراثي اشرف اشعاركم. قال : لاننا نقولها وقلوبنا محترقة

قال بعضهم يفتخر بمطبوع شعرهِ :

ولستُ بنحويّ يلوك لسانهُ ولكن سليقيٌّ اقول فأُعربُ

وقد اكثرت العرب من صفة الطبعيَّة وسموها باسماء مختلفة . قال صاحب كتاب الصناعتين في قرب المأخذ : قرب المأخذ ان تأخذ عفو الخاطر ولا تكدَّ فكرك ولا تتعب نفسك وهذه صفة المطبوع

الكلام رونقًا وطلاوة (١) كقول البهاء زُهير في الاشواق :

شوقي اليك شديدٌ كما علمتَ وازيَدُ
فكيف تنكر شيئًا فيهِ ضميرك يشهدُ

وكقولهِ يستدعي بعض اصدقائهِ :

ان شكا القلب هجركم مهّد الحبُّ عذرَكم
شرّفوني بزورة شرّف الله قدرَكم
كنتُ ارجو بأنّكم شهرَكم لي ودهرَكم
قد نسيتم وانّما انا لم انسَ ذكرَكم

وقال آخر في الوداع :

في كنَف الله ظاعنٌ ظعنَا اودع قلبي وداعهُ حزنَا
لا ابصَرَتْ مقلتي محاسنهُ ان كنتُ ابصرتُ بعدهُ حسنَا

س ما الاتّساق

ج الاتّساق عبارة عن تلاحم المعاني وأئتلاف الالفاظ وتناسب الكلام (٢) قال عليّ بن الجهم يعتذر الى المتوكل :

---

١ الصفدي وسرّ الفصاحة للخفاجي . قال بعض البلغاء : احذّركم من التقعير والتعمّق في القول وعليكم بمحاسن الالفاظ والمعاني المستخفَّة المستملحة . فانَّ المعنى المليح اذا كُسِي لفظًا حسنًا واعارهُ البليغ مخرجًا سهلًا كان في قلب السامع احلى ولصدرهِ املى . قال البُستيّ :

اذا انقادَ الكلامُ فقدهُ عفوًا الى ما تشتهيهِ من المعاني
ولا تُكرِهِ بيانك انْ تأبّى فلا اكراهَ في دين البيانِ

قال آخر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانّما جُعِل اللسان على الفؤاد دليلا

٢ قال بعضهم : ان تناسب المعاني واتساقها اقوى دليل على حسن الانشاء وذلك ان تكون اقسامهُ غير متباينة فتجمع الجديد مع الجديد والرقيق مع ما

عفا الله عنك أما حرمةٌ تعود بعفوك إن ابعدا
الم ترَ عبدًا عدا طورهُ ومولىً عفا ورشيدا هدَى
ومفسدَ امرٍ تلافيتهُ فعاد فاصلح ما افسدا
أَقِلني اقالك مَن لم يزل يقيك ويصرف عنك الردى

ومن ذلك قول عُمر بن عبد العزيز من خطبة :

اعلموا ان الامانَ غداً لمن خاف الله اليوم وباع قليلًا بكثير وفانيًا بباقٍ . ألا ترون انكم في أَسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك ترد الى خير الوارثين . ثمَّ انتم في كل يوم تشيّعون غاديًا ورائحًا قد قضى لله نحبهُ وبلغ اجلهُ . ثمَّ تغيّبونـهُ في صدع من الارض ثمَّ تدَعونـهُ غير موسَّد ولا ممهَّد قد خلع الاسباب . وفارق الاحباب . وباشر التراب . وواجه الحساب . غنيًا عمّا ترك فقيرًا الى ما قدم

س ما الجزالة

ج هي ابراز المعاني الشريفة في معارض من الالفاظ الانيقة اللطيفة (١) كقول الصابي في المدح وهي من اواسط قلائده :

لك في المحافل منطق يشفي الجوى ويسوغ في اذن الاديب سُلافُهْ
فكـأنَّ لفظك لؤلؤٌ متخـلٌ وكـأنَّما آذانـنـا اصدافـهُ

ومن ذلك مطالع الخطَب كقول ابن نباتة :

الحمد لله الذي تدكدكتْ لعظمتهِ الجبال الراسية ، العليم فلا تتحرّك ذرَّة الّا باذنهِ ولا تخفى عليهِ في الكون خافية ، احتجب في حجاب جلالهِ فلا تراهُ العيون ، وتفرَّد في صفات كمالهِ فلا تخالطهُ الظنون ، احمدهُ سبحانهُ وتعالى حمدًا لا بلوغ لمنتهاه ، واشكرهُ شكر عبدٍ طلب من ربّهِ رضاه ،

يناسبهُ . قال الشاعر :

ان الجديدَ اذا ما زيد في خَلَق يُبينَ للناس انَّ الثوب مرقوعُ

١ الجاحظ وابن هلال العسكري

البحث الثاني

في

معايب الانشاء

س ماهي عيوب الانشاء

ج هي سبعة : الهجنة والوحشيَّة والركاكة والسهو والاسهاب والجفاف وحدَة السياق

س ما الهجنة

ج الهجنة عبارة عن اللفظ المطروق السخيف والمعنى المستهجَن (١)

قال الماوردي : على الكاتب ان يتجافى فحش القول ومستقبح الكلام فيعدل الى الكناية عمَّا يُستقبح صريحهُ ويستهجن فصيحهُ ليبلغ الغرَض ولسانهُ نزه وادبهُ مصون

ومن المستهجن قول ذي الرمَّة في طلوع النهار :

وقد لاح للساري الذي كمَّل السُّرى على أُخرَيات الليل فتقٌ مشهَّرُ
كلون الحصان الابيض البطنِ قائماً تمايل عنهُ الجلُّ واللون اشقرُ

وكقول آخر :

واذا ادنيتَ منهُ بصلاً غلب المسكُ على ريح البصَل

ومنهُ قول الفرزدق :

١ يتيمة الدهر ونفحات الازهار

ليبكِ ابا الحلساء بغلٌ وبغلةٌ   ومخلاة سوءٍ قد أُضيع شعيرها

س ما الوحشيّ

ج هو الكلام الغليظ المتعسّف الغير المأْنوس الاستعمال الثقيل على السمع الكريه على الذوق فلا يصل الى القلب الّا بعد اتعاب الفكر وكدّ الخاطر (١) كقول المتنبيء :

وما ارضى لمقلتهِ بحُلمٍ   اذا انتبهتْ توهّمهُ ابتشاكا

يقول وان حدَّثهُ حلم في نومهِ عن شكري لهُ فلا ارضى بهِ لعلّهُ يتوهّمهُ كذباً . والابتشاك الكذب . قال الثعالبي : ولم اسمع بها شعراً قديماً ولا محدثاً

ومنهُ ايضاً قولهُ وقد كرَّر الالفاظ دون تحسين :

ولم ارَ مِثلَ جيراني ومثلي   لمثلي عند مثلهمِ مقامُ

ولهُ قولهُ :

كبر العيان عليَّ حتى انهُ   صار اليقين من العيانِ توهّما

وكما قال ابو تمَّام :

والمجدُ لا يرضى بان ترضى بان   يرضى المعاش منك الّا بالرضاء

س ما الركاكة

ج هي ضعف التأليف وسخافة العبارات كقول المتنبيء وقد جمع الركاكة والحشو :

ان كان مثلك كان او هو كائن   فبرئتُ حينئذٍ من الاسلامِ

وكقولهِ :

قد بلغتَ الذي اردت من البرّ   م ومن حقّ ذا الشريف عليكا
واذا لم تسر الى الدار في وقتك   م ذا خفتُ ان تسير اليكا

١ يتيمة الدهر للثعالبي

قال الصاحب بن عبّاد : لقد استكثر من قول (ذا) وهي ضعيفة في صنعة الشعر
وله ايضًا :

أُروض الناس من تُرب وخوف   وأَرض ابي شجاع من امانِ

وكقولهِ : (عليم بالديانات واللّغى) او كما يقول : (كل أَخائهِ كرام بني الدنيا)
فان أُروض ولُغى وأَخاء جموع غريبة لم تسمع لارض ولغة وأَخ

س ما السهو

ج السهو عبارة عن ضعف البصر بمواقع الكلام
كقول ابي الطيّب في رثاء امّ سيف الدولة :

بعينكَ هل سلوتَ فان قلبي   وان جانبتُ ارضكَ غير سالي

قال ابن عبّاد : ان هذا القول يدلّ على فساد الحسّ وسوء ادب النفس
وكما قال في بدر بن عمّار وهو دليل على قلّة دين :

تتقاصر الافهام عن ادراكهِ   مثل الذي الافلاك فيهِ والدُّنى

وقد شبّه ممدوحهُ بالله عزّ وجلّ وهو كُفر محض

س ما الاسهاب

ج هو الاطالة الزائدة المملّة في شرح المادّة والعدول الى الحشو. (١) قال بعضهم : الاسهاب الاسترسال في الكلام

---

١ قال ابن المعتزّ : الاطالة مملولة كما يُملّ التكرير . سأل ابنُ السمّاك بعضهم قال : كيف ترى ما اعظ النّاس بهِ . قال هو حسن الّا انّك تكررهُ . قال : انمّا اكررهُ ليفهمهُ من لم يكن فهمهُ . قال : الى ان يفهمهُ الباطئ يثقل على مسمع الذكيّ . قال عبد الله بن سالم بن الخيّاط في صديق مسهب :

لي صاحبٌ في حديثهِ البركهْ   يزيد عند السكوتِ والحركهْ
لو قال لا في قليل احرُفها   لردّها بالكلام مشتبكهْ

قال المتنبيّ في من يطيل شرح الأمر الواضح :

والخروج عمّا بُني عليهِ الكلام (١)

كقول الشاعر :

وحكَّمتُ الحديد براهشَيْهِ فاضحى قولها كذباً ومينا

فان المَين هو الكذب ولا يزيد شيئاً على المعنى! والراهشان عرقان في ظاهر الكف

او كقول آخر في المدح :

اعني فتىً لم تذرَّ الشّمسُ طالعةً يوماً من الدهر الّا ضرَّ او نفعا

فقولهُ : يوماً من الدهر حشو لا يحتاج اليهِ لان الشمس لا تطلع ليلًا

وكقول النابغة :

تبيَّنتُ آيات لها فعرفتها لستَّةِ اعوامٍ وذا العام سابعُ

قال العسكري : كانَ ينبغي ان يقول لسبعة اعوام ويَتمَّ البيت بكلام آخر تكون فيهِ فائدة فعجز عن ذلك فحشا البيت بما لا وجه لهُ

ومن ذلك قول ابن عرباشاه في عفو الملوك وقد افرط في الاطالة :

احسنُ العفو يا ذا السلوك ، عفو السلاطين والملوك ، لا سيما اذا عظم الجرم ، وكبر الاثم ، فان العفو اذ ذاك صادر ، من ملك ذي سلطان قادر ، مع قوّة الباعث على المؤاخذة ، والقدرة الشاملة النافذة ، وغيرُ الملوك ، من العاجز والصعلوك ، عفوهم انمَّا هو عجز خشية ، او لتمشية غرض مشية ، والملوك انمَّا يؤثر عنهم الخلال الحميدة ، والخصال الشريفة السعيدة ، والاكابر يعفون ، والاصاغر يهفون ، ولا شك ان سيرة العفو والفضل ، افضل من القصاص والعدل ، وذلك هو اللائق بالحشمة ، والاوثق للحرمة ، والاجدر لناموس السلطنة ، والابقى على ممرّ الدهور والازمنة ،

وليس يصحُّ في الأفهام شيءٌ اذا احتاج النهارُ الى دليلِ

قال الطائي يمدح قصيدة منزَّهة عن الاسهاب :

منزّهةٌ عن السرَف المؤذّي مكرَّمةٌ عن المعنى المُعادِ

١ الحصري وابن المعتزّ

س ما الجفاف

ج هو الايجاز المقصر سواءٌ كان لخفة بضاعة الكاتب وتعذّر المادّة عليهِ او ليبوسة الكلام وقلّة مائيّتهِ وقد قيل : ان الاختصار مُخلّ كما ان الاسهاب مُملّ (١) فمن المقصر قول الحارث ابن حلزة :

والعيش خيرٌ في ظلا م ل النوك ممّنْ عاش كدّا

قال ابن هلال العسكري : اراد ان العيش الناعم في ظلال النوك (الجهل) خير من العيش الشاق في ظلال العقل . وليس يدلُّ لحن كلامهِ على هذا وهو من الايجاز المقصر

وكتب بعضهم :

وما زال فلانٌ حتّى اتلف مالهُ ، واهلك رجالهُ ، وقد كان ذلك في الجهاد والابلاء ، احقّ باهل الحزم واولى

وتمام المعنى ان يقول : ان اهلاك المال والرجال في الجهاد والابلاء افضل من فعل ذلك في الموادعة . ومثل هذا مقصّر غير بالغٍ مبلغ المعنى الشافي (٢)

س ما وحدة السياق

ج هي التزام اسلوب واحد من التعبير وطريقة واحدة من التركيب بحيث تكون للاذهان كلالاً وللقلوب ملالاً

ولك من هذا القبيل مثلٌ في اخبار عنترة . فان اوصاف الحروب وسياق الرواية ونمط الانشاء وطريقة التعبير لا تكاد تختلف في اثناء

١ راجع كتاب الصناعتين ٢ ابن هلال العسكري والوطواط

احاديثهِ المملَّة . حتى ان من قرأ منها مائة صفحة لا يحتاج لمطالعة باقي الكتاب

قال الماوردي : ان القلوب ترتاح الى فنون مختلفة وتسأم من الفنّ الواحد وانمَّا يُسرُّ الانسان بالتفنن باساليب الكتابة قال ابو العتاهية :

لا يصلح النفس ان كانت مدبَّرةً الّا التنقُّل من حالٍ الى حالِ

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني : اذا لم يتجاوز الكاتب الفنّ الواحد لكانت للنفس عنهُ نبوة وللقلب منهُ ملَّة . وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء والاستراحة من معهود الى مستجدّ . وكل منتقل اليهِ اشهى الى النفس من المنتقل عنهُ والمنتظر اغلب على القلب من الموجود فيكون المطالع انشط لقراءتهِ واشوق لتصفح فنونهِ



الأَصْلُ الثَّالِثُ

طبقات الانشاء

اعلم انهُ كما تتفاوت مراتب الناس ومقاديرهم والاحوال ومقتضياتها كذلك تتفاوت طبقات الانشاء فينبغي للكاتب الاديب ان يُراعي كل مقام ليعطيهُ حقهُ من الكلام من تجويد التعبير وتحسين صورهِ وانتقاء الالفاظ . فتعيَّن علينا لذلك ان نأتي اولاً ببيان طبقات الانشاء . و ثانياً بطريقة التعبير اللائق بكل طبقة منها . ثم ثالثاً بمقامات هذه الانماط

البحث الاول

في

بيان طبقات الانشاء

س ما هي طبقات الانشاء

ج هي انماطهُ ومراتبهُ المختلفة من حيث التعبير والتصاوير واساليب البلاغة والبديع

س كم هي طبقات الانشاء

ج ثلاث * الطبقة السفلى ومرجعها الى الانشاء الساذج .

* راجع مقالة ابراهيم الشيباني في التذييلات في آخر الكتاب وقد قسم هذه الطبقات الى ثماني بحسب مراتب المخاطبين

والطبقة العليا ومرجعها الى الانشاء العالي • والطبقة الوسطى ومرجعها الى الانشاء الانيق

س ما الانشاء الساذج

ج هو ما عرا عن رقّة المعاني وجزالة الالفاظ والتأنُّق في التعبير فكان بالكلام العاديّ اشبه لسهولة مـأخذهِ وقرب مورده

س ما صفات الانشاء الساذج

ج ان هذا النمط من الانشاء هو عارٍ عن كل تصنُّع وتطبُّع وخواصُّهُ الوضاءَة وسهولة الالفاظ وصحَّة التراكيب وايجاز التعبير فانهُ يكتفي باداء المقصود من الكلام باقلّ عبارة والاكثار فيهِ خلل والاطالة شين وملل

هاتِ مثلًا عن الانشاء الساذج

اختلاف جوهر النفس عن المادَّة

(من كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه)

ان النفس وان كانت تاخذ كثيرًا من مبادي العلوم عن الحواسّ فلها من نفسها مبادٍ اخر وافعال لا تأخذها عن الحواسّ البتة وهي المبادي الشريفة العالية التي تنبني عليها القياسات الصحيحة . وذلك انّما اذا حكمت انهُ ليس بين طرفي النقيض واسطة فانّما لم تأخذ هذا الحكم من شيء آخر لانهُ أوَّلي ولو اخذته من شيء آخر لم يكن اوَّليًا . وايضًا فان الحواسّ تدرك المحسوسات فقط واماَّ النفس فانّما تدرك اسباب الاتفاقات واسباب الاختلافات التي من المحسوسات وهي معقولاتها التي

لا تستعين عليها بشيء من الجسم ولا آثار الجسم . وكذلك اذا حكمتْ على الحسّ انّهُ صدق أوكذب فليست تأخذ هذا الحكم من الحسّ لانَّ الحسّ لا يضادّ نفسه فيما يحكم فيه . ونحن نجد النفس العاقلة فينا تستدرك شيئًا كثيرًا من خطإ الحواس في مبادي افعالها وتردّ عليها احكامها . من ذلك ان البصر يخطئ فيما يراه فيدركه الشمس صغيرة مقدارها عرض قدم وهي مثل الارض مائة ونيفًا وستين مرّة (١) فتردّ النفس العاقلة عليهِ هذا الحكم وتغلطه في ادراكهِ وتعلم انهُ ليس كما يراه . . . وتخطئ البصر ايضًا في حركة القمر والسحاب والسفينة والشاطئ وفي الاشياء التي تتحرَّك على الاستدارة حتى يراها كالحلقة والطروق . ويخطئ ايضًا في الاشياء الغائصة في الماء حتى يرى ان بعضها اكبر من مقداره ويرى بعضها مكسورًا وهو صحيح وبعضها معوجًا وهو منكسر او هو منتصب . فيستخرج العقل اسباب هذه كلها من مبادٍ عقليَّة ويحكم عليها احكامًا صحيحة . وكذلك الحال في حاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللَّمس . اعني حاسة الذوق تغلط في الحلو تجده مرًّا عند الصدا وما اشبه . . . وبالجملة فان النَّفس اذا علمت ان الحس صدق أو كذب فليست تأخذ هذا العلم من الحس . ثم اذا علمت انها قد أدركت معقولاتها فليست تعلم هذا العلم من علم آخر فانها لو علمت هذا العلم من علمٍ آخر لاحتاجت في ذلك العلم ايضًا الى علم آخر وهذا يمرّ بلا نهاية . فاذاً علمها بانها علمت ليس بمأخوذ من علم آخر ابتة بل هو من ذاتها وجوهرها اعني العقل وليست تحتاج في ادراكها ذاتها الى شيء آخر غير ذاتها . فاما الحواس فلا تحس ذواتها ولا ما هو موافق لها كل الموافقة . ولذلك قد تبين من هذه الاشياء بيانًا واضحًا ان النفس ليست بجسم ولا بجزء من جسم ولا حال من أحوال الجسم وانَّها شيء آخر مفارق للجسم بجوهرهِ واحكامهِ وخواصهِ وافعاله

س ما الانشاء العالي

ج الانشاء العالي او النمط السامي من الكلام هو ما شُحن منهُ بدُرَر المعاني وغُرر الالفاظ وتعلَّق باهداب المجاز ولطائف

١ قد ثبت الآن ان الشمس اكبر من الارض بنحو ٣٥٥٥٠٠ مرَّة

التخيُّلات و بدائع التشابيه فيفتن ببراعتهِ العقول ويسحر الالباب

س ما صفات الانشاء العالي

ج انهُ يتَّسم بكل ما لطف وجاد من المحسّنات البيانيَّة والغرائب الادبيَّة والالفاظ المنمَّقة والمعاني الشريفة فالرونق ميسمهُ والجزالة من شيمهِ

اذكر لنا مثالاً عليهِ

انقراض دولة الامويين

وظهور دولة بني عبَّاس

لمَّا انطوى بساط ملك بني مروان ، وآل الى آل عبَّاس الإمرة والسلطان ، مُزّقت بنو أُميَّة كل ممزّق ، وشقّق الدهر حلل ايناسهم ومزّق ، وحرَّق بنار البأس لباسهم وخرَّق ، وكان رقص لهم الدهر وصفَّق ، وكانت ثغور آمالهم بواسم ، وغُرَر ايَّامهم بصنوف اللهو مواسم ، ورياح عزَّتهم في رياض غُرّتهم نواسم ، وكانت تضيق بجيوشهم الفضا ، وتجري على حسب مطلوبهم خيول القدر والقضا ، ثم انحرفت عنهم الايام فاظلمت غُرر إشراقهم ، واذوى بلهيب العكس يانع اوراقهم ، ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم ، فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحُسام ، ولم ينفع ما سبق لهم من المنن الجسام ، وأُذيق الموت الاحمر مروانُ الحمار ، ونُزع من تخت الملك فلحق بهِ الدمار ، فما بكت عليهم السماء والارض ، وما بقي لهم الا ما قدَّموهُ من نفل وفرض ، ونُزِعوا من بين الاتراب ، الى بطن التراب ، وسيقوا للحساب ، الى يوم الحساب ، فسحقًا لدنيا لا وفاءَ فيها لبنيها ، ولا بقاءَ لحالَتي تجلّيها وتجنّيها ، ولا ابقاءَ فيها على مُجتليها ومُجتنيها ، ذلَّلت عزَّة عاد ، وهدمت قصر شدَّاد ، وأخربت أرَمَ ذات العماد ، فأُفٍّ على الدنيا و زخرفها ، والحَذَر الحَذَر من هجوم صرفها وتصرفها ، كم نادت عليهم حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي ، وكم صاحت عليهم لا تغترُّوا بضحكي ،

ولا يَغرركم مني ابتسامٌ فقولي مضحكٌ والفعل مُبكي

وآل الملك بعدهم الى آل العبّاس ، واضحكهم الدهر بعد العبوس واليأس ، والبسهم حُلل الامر والنهي وافرحهم بذلك الالباس ، وآنسهم بعدالوحشة اوما دام لهم ذلك الايناس ، وهكذا الدنيا دوَل تدُول وتُدال ، وما زال لكل زمان دولةٌ ورجال (لقطب الدين النهروالي)

س ما الانشاء الانيق

ج هو ما توسَّط بين الانشاء العالي والسافل فيأْخذ من الاوَّل رونقهُ ورشاقتهُ ومن الاخير جلاءَهُ وسلامته

س ما هي صفات الانشاء الانيق

ج يُستحسن في هذا النمط الاوسط من الانشاء ما رقَّ ولان من اشكال البديع كالاستعارات القريبة المأخذ والالفاظ المنسجمة والمعاني المبتكرة

اذكر في ذلك مثلًا

في سبب اختيار العرب للبادية دون الحضر
وطرفة من حسن اخلاقهم

رأَت العرب انَّ جوَلان الارض وتخيُّر البقاع على الايَّام اشبه بأُولي العز والبق بذوي الانَفة . وقالوا : لئن محكمين في الارض ونسكن حيث نشاء اصلح من غير ذلك . فاختاروا سكنى البدو من اجل هذا . وذكر آخرون ان القدماء من العرب لما ركّبهم الله على سموّ الاخطار ونُبل الهِمَم والأَقدار وشِدَّة الانفة والحمِيَّة من المعرَّة والهرب من العار بدأت بالتفكير في المنازل والتقدير المواطن . فتأملوا شأن المدن والابنية فوجدوا فيها معرَّة ونقصاً وقال ذوو المعرفة والتمييز منهم : ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب

تخيُّر المواضع بحسب احوالها من الصَّلاح اذ الهواء ربما قوي فاضرّ باجسام سكانها واحال امزجة قطّانها . وقال ذوو الآراء منهم : ان الابنيــة والتحويط حصر عن التصرف في الارض ومقطعــة عن الجولان وتقييد للهِمَم وحبس لما في الغرائز والمسابقة الى الشَرَف ولا خير في اللبث على هذه الحال . وزعموا ايضاً ان الاظلال والابنية تحصر الغذاء وتمنع انفساح الهواء وتصدُّ سروحَهُ عن المرور وقداه من السلوك . فسكنوا البرّ الأفيح الذي لا يخافون فيهِ من حصر ولا منازلة ضرّ. هذا مع ارتفــاع الاقذاء وسماحة الهواء وعدم الوباء ومع تهذيب الاحلام في هذه المواطن ونقي القرائح في التنقل في المساكن مع صحة الامزجة وقوة الفطن وصفاء الهواء ومتانة الاجسام . فان العقول والآراء تتولد من حيث تولّد الهواء وطبع الفضاء . وفي هذا الامن من العاهات والاسقام والعِلل والآلام فآثرت العرب سكنى البوادي والحلول بالبيداء فهم اقوى الناس هِمماً . واشدهم احلاماً . واصحهم اجساماً . واعزهم جاراً . واحماهم ذماراً . وافضلهم جوداً . واجودهم فطناً لما اكسبهم اياه صفاء الجوّ ونقاء الفضاء . لان البدن تحتمي اجزاؤها على متكاثف الاكدار لما يرتفع اليــهِ ويتلاطم في عرصاتهِ ولما وافقهُ من جميع المستحيــلات والمستنقعات من المياه ففي اكنافهِ جميع ما يتصعّد اليهِ . ولذلك تراكبت الاقذاء والأدواء والعــاهات في اهل المدن وتركبت في اجسامهم وتضعفت في اشعارهم وابصارهم . ففضلت العرب على سائر من عداها من بوادي الامم المتفرقة لما ذكرنا من تخيرها الاماكن وارتيادها المواطن (للمسعودي)

(فائدة) اعلم أنَّ تبويب كتاب مجــاني الادب موافق لتقسيم هذه الانماط الثلاثة كمــا نوّهنا بهِ في مقدّمة المجموع فالجزءان الاوّلان منهُ للانشاء الساذج . والثانيان بعدهما للمتوسّط . والأخيران للعالي . هذا في الجملة الّا انهُ قد وُجد في اكثر هذه الاجزاء من كل طبقة من طبقات الانشاء وذلك لا يخفى على من يعرف انماط الكلام وفنون الكتابة

البحث الثاني

في

التعبير اللائق بطبقات الانشاء

اعلم ان طبقات الانشاء تشترك في وجه التعبير فتكون عبارتها طوراً مرسلة وطوراً مسجَّعة. ثمَّ تختلف ايضاً هذه الطبقات من حيث الايجاز والمساواة والاطناب

١ في الانشاء المُرسَل والانشاء المسجَّع

س ما الانشاء المُرسَل

ج هو ما لا يلتزم فيهِ السجع والجناس وما شا كلهما من الصناعات اللفظية (١) كقول ابن عبد ربّهِ في الكتابة :

اشرف الكلام ما كان كلُّهُ حسنًا واوقعهُ قدرًا . واعظمهُ في القلوب موقعًا واقلهُ على اللسان عملًا . ما دلَّ بعضهُ على كلّهِ وكفى قليلهُ عن كثيرهِ وشهد ظاهرهُ على باطنهِ

س ما الانشاء المسجَّع

ج هو ما بُنيت فواصلهُ على حرف واحد

س ماهو السجع

ج هو تواطـوء الفاصلتـين على الحرف الواحد في الآخر (٢) . ويُحدُّ موالاة الكلام على حدٍّ واحد كقول الثعالبي

---

١ السكاكي والخفاجيّ ٢ التهانوي وصاحب الاتقان

في وصف حرب :

فصمتت الالسنة ، ونطقت الاسنّة ، وخطبت السيوف على منابر الرقاب ، وتلاصقت القنا والقنابل ، وتعانقت الصوارم والمناصل ، فبلغت القلوب الحناجر ، وادركت السيوف المناحر ، وضاق المجال ، وتحكّمت الآجال ، فلم تر الّا رؤوساً تندر ، ودماءً تُهْدَر ، واعضاء تتطاير ، وتتناثر ، واجساماً تتزايل ، وتتمايل ، حتى ثملت الرّماح من الدماء فتعثرت في النحور ، وتكسّرت في الصدور ، فرجموا الاعداء من جوانبهم ، وتمكّنوا من فضّ مواكبهم

س كم هي اقسام السجع

ج اربعة (١) المطرّف والموازي والمتوازن والمرصّع

١ً السّجع المُطرّف وهو أَن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتّفقا في حرف السجع كقول القرآن :

ما لكم لا ترجعون لله وقارًا ، وقد خلقكم اطوارًا

او كقولك : (جناب فلان محطّ الرحال ، ومخيّم الآمال)

٢ً السّجع الموازي وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة مع نظيرتها في الوزن والروي كقول بعضهم في هلاك الاعداء :

صاروا جزر السباع والطيور ، ورهن الدمار والثبور

او كما قال الحريري : (أَلجأني حكم دهر قاسط ، الى ان انتجع ارضَ واسط)

وكقولهِ : (اودى بي الناطق والصامت ، ورثى لي الحاسد والشامت)

٣ً السّجع المتوازن هو ما اتّفقت فاصلتاهُ وزنًا دون

---

١ راجع جنان الجناس للصفدي والكشّاف للتهانوي وخزانة الادب

التقفية (١) كما قال احد البلغاء : (النّاس كالاهداف ، لناب الامراض)

وكقول ابي تمّام في المعتصم الخليفة :

تدبيرُ معتصمٍ بالله منتقمٍ ... لله مرتقبٍ في الله مرتغبِ

٤ السّجع المرصّع وهو ان تتفق الفاصلتان وزناً وتقفية ويكون ما في الاولى مطابقاً لما في الثانية كقول الحريري :

فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظهِ ، ويقرع الاسماع بزواجر وعظهِ

وكقول القرآن : (انَّ الابرار لفي نعيم ، وان الفجّار لفي جحيم)

س ما احسنُ السجع

ج قال البديعيون : احسن السجع ما تساوت قرائنهُ نحو : (الزمان يعير ويرتجع ، والدهر يمنح وينتزع). وان لم تتساوَ فالاحسن ما طالت قرينتهُ الثانية كقول البديع : (كتابي الى من انتهت الى المجد حدودهُ ، ونبت في مغرس الجود والفضل جذرهُ وعودهُ)

ولا يجوز ان تكون الثانية اقصر من الاولى (٢)

س ما هي شرائط السجع

ج قال ابن الاثير : السجع يحتاج الى اربع شرائط . اختيار المفردات الفصيحة . واختيار التأليف الفصيح . وكون اللفظ تابعاً للمعنى لا عكسهُ . وكون كل واحدة من الفقرتين دالّة

---

١ وان كان التوازن بين شطري البيت يدعى السجع مشطّراً

٢ الخفاجي والصفدي

على معنًى آخر والّا لكان تطويلًا معيبًا

س هل للكلام المسجَّع فضلٌ على الكلام المُرسَل

ج اعلم انهُ لا مزيَّة للكلام المسجَّع على الكلام المُرسَل الّا اذا كان مع تمكُّن الفواصل رصين التركيب مُحكم السبك مجيبًا داعيَ الحال في كُل مكان . ولقد عاب البيانيون المسجَّع اذا شوَّههُ التكلُّف والتصنُّع

٢ في الايجاز والمساواة والاطناب

س ما الايجاز

ج هو تقصير الالفاظ وتكثير المعاني (١) كخطبة زياد :

ايها الناس لا يمنعكم سوءُ ما تعلمون منَّا ان تنتفعوا باحسن ما تسمعون منَّا فان الشاعر يقول :

اعمل بقولي وان قصَّرتُ في عملي ينفعْك قولي ولا يضررك تقصيري

والسلام

وكقول القرآن : (انَّما بغيكم على انفسكم) . وكقولهِ : (ولكم في القصاص حياة)

س ما المساواة

ج المساواة ان تكون الالفاظ قوالبَ للمعاني لا يزيد بعضها على بعض كقول الجاحظ : انَّ القلوب اوعية والعقول معادن . فما في الوعاء ينفد اذا لم يمدَّهُ المعدن

---

١ ابن هلال العسكري

وكقول ابي الحسن في ابن العميد :

اذا اعتمدتني خطوب الزما ن كان اعتمادي على ابن العميدِ
تذكّرتُ قربيَ من قلبهِ فيمّمتهُ من مكان بعيدِ
تجاوز في الجود حدَّ المزيد وفات الانام برأيٍ سديدِ

وكقول امرىء القيس :

فان تكتموا الداء لا نخفهِ وان تبعثوا الحرب لا نقعدِ
وان تقتلونا نقتّلكم وان تقصدوا الذمّ لا نقصدِ

س ما الاطناب

ج هو الاطالة في شرح المعنى لفائدة كقول القرآن :

ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القُرْبَى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي

فان الاحسان داخل في العدل وإيتاء القربى داخل في الاحسان والفحشاء داخل في المنكر والبغي داخل في الفحشاء . الّا انهُ خصّص ذلك لفائدةٍ في المعنى

وكقول ابي نواس يصف بعضهم بالنزاهة :

فتىً لايحبُّ الكسبَ الّا احلّهُ ولا الكنز الّا من ثناءٍ ومن شكرٍ
عيوف لاخلاق الكرامِ وهديهم وممتنعٌ عمّاً يقرّب من وزرِ

س هل يرجّح الاطناب على الايجاز

ج قال ابن هلال العسكري : ان الايجاز والاطناب يُحتاج اليهما في جميع الكلام وكل نوعٍ منهُ . ولكل واحد منهما موضع فالحاجة الى الايجاز في موضعهِ كالحاجة الى الاطناب في مكانهِ فمن استعمل الاطناب في موضع الايجاز والايجاز في موضع الاطناب اخطأ .

قيل لبعضهم : ما الاحسن من الاطناب او الايجاز . فقال : متى كان الايجاز ابلغ كان الاكثار خطلًا ومتى كان الاطنــاب ابلغ كان الايجاز تقصيرًا وعجزًا وانمَّا يُستحسَن كلاهما في موضعهِ (١)

البحث الثالث

في

بيان موضع طبقات الانشاء الثلاث

اعلم ان كثيرًا ما تسبك هذه الانماط الثلاثة ببعضهــا فيدخل في الواحد منها شيء من الآخر . فعلينا ان نبيّن مقــام كل نمط منها على اغلبيَّة الاستعمال

س متى يستخدم الانشاء الساذج

اولاً في المحــافل العمومية ليقرب منال المعاني على جُمهور السامعين

وثانيًا في المقالات العلميــة لينصرف الذهن الى أَخذ المعنى وليس دونهُ حائل من جهة العبارة

وثالثًا في كل تأليف من شأنهِ التعليم والاخبــار والمكاتبات الاهلية والرحلات والاسفار والحكم وما شابه ذلك

س اذكر اسماء بعض من اشتهروا بالانشاء الساذج

١ اعجاز القرآن والعقد الفريد

ج لك في الآداب والحكم السُّيوطي والماوردي والغزَّالي . وفي الاخبار وانساب العرب ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني . وفي التاريخ ابن الاثير وابو الفداء . وفي القصص والحكايات صاحب كتاب الف ليلة وليلة . وفي الاسفار ابن بطوطة . وفي آثار البلاد ياقوت المستعصميّ والبشَّاري وابن حوقل . وفي الاراجيز والشعر ابو العتاهية ورؤبة واصحاب الاراجيز العلمية والكتب اللغويَّة

س ما موضوع الانشاء المتوسط الانيق

ج يُلتجأ الى هذا النمط في مراسَلات ذوي المراتب وفي الروايات المنمَّقة والاوصاف المسهبة الانيقة وفي بعض التواريخ وسيَر الخاصَّة وفي خُطَب المحافل وما اقتاس بهذه المواضيع

س اورد ذكر بعض مشاهير هذه الطبقة

ج قد اتَّسم بسيماء هذا النمط ابن خلكان والثعالبي في تراجمها . وابن شاذي في سيرة صلاح الدين وابن خلدون والطبري والفخري في التاريخ . وابن المعتزّ والبهاء زُهير في الاوصاف والزهريَّات . وابن المقفَّع في ترجمة كليلة ودمنة . وابن

•

غانم المقدسي في اشاراتهِ. وابن جُبَير في رحلتهِ . والمسعودي في مروج الذهب

س ما هو مقام الانشاء العالي

ج يصلح هذا النمط للترسُّل بين بُلغاء الكتَّاب وللمجالس الادبية وديباجة بعض التصانيف وفي الاجمال للمواضيع التي من شأنها الزجر وتحريك العواطف والحماسة

س تقدَّم بذكر بعض فضلاء هذا الميدان

ج قد تشبَّث باهداب بُرد هذا الفنّ الحريريّ والبديع الهمذاني في المقامات . وابن نباتة وابن الحديثي في الخطب . والمعرّي في درعيَّاتهِ ومراثيهِ . وابو تمَّام والبحتري والمتنبيء في مدح الخلفاء والامراء . وابن خاقان في قلائد عقيانهِ ومُلح اهل الاندلس . والعتبي في تاريخ ابن سبكتكين . والمقّري في قسم كبير من نفح طيبهِ . والفارضيّ في وصفهِ الذات الالهية وكمالاتهِ تعالى . وشعراء الجاهلية في مُعلَّقاتهم وحماستهم ومراثيهم

الأَصْلُ الرابعُ

في تحسين الانشاء

او البديع

قد قدَّمنا فيما سبق انَّ للانشاء موادّ وخواصّ وطبقات ذكرناها بالتفصيل فعلينا الآن بذكر تحسين الكلام وتنميقهِ

س ما هي مصادر تحسين الكلام

ج لتحسين الكلام وتوشية بردتهِ مصادر يشتمل عليها البديع

س ما هو البديع

ج هو علم بهِ تعرف ضروب البلاغة

س ما هي ضروب البلاغة

ج هي اساليب وطرائق وُضِعت لتنميق الكلام

س ما الغرض من ضروب البلاغة

ج الغرض منها : اولاً ان تحلّي الكلام بالمتانة والحزم ليكون اشدّ اتّصالاً بالعقول السليمة

ثانيًا ان تجديَهُ رونقًا واناقةً ليكون الطف وقعًا في القلوب

.

ثالثًا ان تورثهُ من اللّين والطلاوة اوفى سهم ليكون ألذَّ في الاسماع واقنع للنفوس

س كم قسمًا البديع

ج البديع قسمان معنويٌّ وهو الذي ترجع وجوه تحسينهِ الى المعنى دون اللفظ ٠ ولفظيٌّ وهو الذي تعود ضروب تحسينهِ الى اللفظ دون ملاحظة المعنى

الباب الاوَّل

البديع المعنوي

س ما البديع المعنوي

ج البديع المعنوي كما سبق هو الذي وَجَبت فيهِ رعاية المعنى فيبقى مع تغيير الالفاظ كقول الشاعر :

اتطلب صاحبًا لا عيب فيهِ وانت لكل ما تهوى ركوبُ

فبهذا القول ضربان من البديع هما الاستفهام والمقابلة لا يتغيَّران بتبديل الالفاظ كما لو قلت مثلًا : كيف تطلب صديقًا منزَّهًا عن كل نقص مع انك انت نفسك ساعيًا وراءَ اهوائك

س الى كم قسم تقسم اشكال البديع المعنوي

ج الى ثلاثة اقسام منها ما افاد تحريك العواطف ٠ ومنها ما كان مرجعهُ لافادة الذهن والتعليم ٠ ومنها اخيرًا ما كان

عائداً الى توشية الكلام وتفكيه المخيّلة (١)

البحث الاول

في الاشكال الراجعة لتحريك العواطف

س كم هي هذه الاشكال

ج هي عشرة : الهُتاف وتجاهل العارف والاستفهام والالتفات والدعاء والتسليم والامر بمعرض النهي والادماج والاكتفاء والقَسَم

١ الهُتاف

س ما الهُتاف

ج هو عبارة عن اطلاق الصوت باداة النداء وما شاكلها لابراز ما أَكنّتهُ النفس من العواطف الحميمة كالحبّ والبغض والفرح كقول ابن الرومي :

لله ايّامٌ تقضَّت لنا ما كان احلاها واشهاها
مرَّت فما ابقت لنا بعدها شيئاً سوى ان نتمنَّاها

وكقول الحريري :

غسَّان أُسرتيَ الصميمهْ وسروج تُربتي القديمه
واهاً لعيش كان لي فيها ولذَّات عميمهْ

وكقول ابي العتاهية :

١ اعلم ان هذا التقسيم ليس بمطّرد وكثيراً ما تفيد الاشكال مع انارة الذهن تفكيهاً للمخيّلة وتحريكاً للعواطف . لكننا تبعنا في هذا التقسيم وجه الاجمال

أيا عجب الدنيا لعين تعجبت ويا زهرة الايام كيف تقلّبت
وما أعجب الآجال في خُدَعاتنا لها فِتَنٌ قد حنّكتني وأنصبت

وكقول ابن المعتزّ :

يادهرُ ويحك قد اكثرتَ فجعاتي شغلتَ ايام دهري بالمصيباتِ

س ما هي شروط استعمال الهتاف

ج اولها الاقلال منهُ لئلَّا يبتذل بالكثرة فلا يتأَثَّر منهُ السامع . ثانيها ان يوردهُ الكاتب في مهمَّات الامور

٢ تجاهل العارف

س ما تجاهل العارف

ج هو عبارة عن سؤَال المتكلم عمَّا يُعلم سؤَال من لا يعلم . فائدتهُ المبالغة في المعنى مدحاً كان او ذماً ويأتي على طريقة التشبيه اوغير ذلك كقول ابن شرف في سيفٍ :

ان قلت ناراً اتندى النار ملهبة او قلتُ ماءً أيرمي الماءُ بالشررِ

قال الشابُّ الظريف في اميرٍ :

والله ما ادري بايّ صفاتهِ ملك القلوب فأُوثقت في أسره
ابوجههِ ام ثغرهِ ام قدّهِ ام نحرهِ ام ردفهِ ام خصره

او كقول شاعر نصراني في موت المسيح :

اترى نظام الكون اوشك يُهدمُ ام مَن براهُ للحمامِ مُسلَّمُ
وهل الطبيعة قد غدت مُؤْلمةً ام انمَّا ربُّ الطبيعة مُؤْلَمُ
ما للنهار موشحاً ثوبَ الدُّجى وضياؤُهُ عند الظَّهيرة مظلم

وكقول الفارضيّ :

أَو ميضُ برقٍ في الأُبيرقِ لاحا ام في رُبى نجدٍ ارى مصباحا

ولابن مخلوف في الخمر :

أَشَهْدٌ في الزُّجاجة ام شرابُ ودُرٌّ ما علاهُ ام حُبابُ

س ما الفائدة من تجاهل العارف

ج قال النابلسي : فائدتهُ المبالغة في المعنى نحو قولك : (وجهكَ هذا ام البدر) فان المتكلم يعلم ان الوجه غير البدر الَّا انهُ لمَّا اراد ان يبالغ في وصف الوجه بالحسن استفهم هل هو وجه ام بدر من شدَّة الشبه بينهما ... وانمَّا يأتي لنكتة من مبالغة في المدح او الذمّ او تعظيم او تحقير او تقرير او تعريض (اه)

٣ الاستفهام

س ما الاستفهام

ج هو القاء السؤَال لا ليستفحص المتكلم عن امر يجهلهُ بل لتعريفهِ او لتبكيت المخاطب وتقريرهِ بالحق (١) كقول الحريريّ يخاطب الجاهل المفتون بالدنيا :

الى مَ تستمرُّ على غيّك ، وتستمرئ مرعى بغيك ، وحتى مَ تتناهى في زهوك ، ولا تنتهي عن لهوك ، اتظنُّ ان ستنفعك حالك ، اذا آن ارتحالك ، او ينقذك مالك ، حين توبقك اعمالك ، او يغني عنك ندمك ، اذا زلّت قدمك ، او يعطف عليك معشرك ، يوم يضمُّك محشرك ، هلاَّ انتهجت محجَّة اهتدائك ، وعجَّلت معالجة دائك ، ... أَما الحِمام ميعادك ، فما اعدادك ، وبالمشيب انذارك ، فما اعذارك ، وفي اللحد مقيلك ، فما قيلك ، والى الله مصيرك ، فمن نصيرك

١ الجرجاني والتهانوي

ومنهُ قول ابي العتاهية :

اين القرونُ وأين المبتنونَ لنا هذه المدائن فيها الماء والشجرُ
واين كسرى انوشروانُ مال بهِ صرف الزمان وأفنى ملكهُ الغيَرُ
بل اين أَهل التُّقى والانبياء ومَن جاءَت بفضلهم الآيات والسُّوَرُ

وكقول ابن المعتزّ :

الى ايّ حين انت في صبوة اللاَّهي اما لك في شي وُعظتَ به ناهي
ويامذنباً يرجو من الله عفوهُ اترضى بسبق المتَّقين الى الله

(فائدة) اعلم ان الاستفهام كثيراً ما يليهِ جوابهُ فيزيد الكلام متانةً . ويسمَّى هذا الجواب تقريراً (١) كقول بعضهم :

الموت بابٌ فكلُّ الناس داخلهُ ياليت شعريَ بعد الباب ما الدارُ
الدارُ دارُ نعيمٍ ان عملتَ بما يُرضي الالهَ وان خالفتَ فالنارُ

٤ الالتفات

س ما هو الالتفات

ج قال ابن المعتزّ : هو انصراف المتكلم عن الإخبار الى المخاطبة (٢) كقول القرآن : (الحمدُ لله ربّ العالمين : ايّاك نعبد وايّاك نستعين) فانهُ عدَل عن الخبر ووجّه الكلام اليهِ تعالى عزَّ وجلّ

ومن ذلك قول جرير :

متى كان الخيامُ بذي طلوح سُقيتِ الغيثَ ايتها الخيامُ

١ ابن المعتزّ والتهانوي

٢ قال قدامة : الالتفات هو ان يكون المتكلم آخذاً في معنىً من المعاني فيعترضهُ اماَّ شكٌّ فيهِ او ظنٌّ ان رادًّا يردُّهُ عليهِ او سائلا يسألهُ عن سببهِ فيلتفت اليهِ بعد فراغهِ منهُ فاماَّ ان يُجلي الشكّ او يذكر سببهُ

ومثلهُ قول الحريري بعد ان ذكر ذلّ الخاطي:

ياخاطب الدنيا الدنيَّة انها شرك الرَّدى
فاقطع علائق حبّها وطلابها تلقَ الهدى

(فائدة) وربَّما كان توجيه الخطاب الى غير ناطق كقول الفارعة في اخيها ابن طريف:

ايا شجر الخابور ما لك مورقًا كأَنَّك لم تجزع على ابن طريفِ

وكقول ارميا النبي:

ياسيف الربّ الى متى لا تكفّ . انضمَّ الى غمدك فاسترح واستقرّ

ومثلهُ قول المتنبي منتهرًا سيف ابن حمدان:

ألا ايها السيف الذي لستَ مُغمدًا ولا فيك مرتابٌ ولا منك عاصمُ
هنيئًا لضرب الهامِ والمجد والعلى وراجيك والاسلامِ أَنَّك سالمُ

وكقول السيد فرحات:

هُنئتِ يابيتَ لحمُ وضاء منكِ المحيَّا
أتى من البكر بكرٌ فكان معنىً خفيَّا
اذ حلّ فيكِ الهٌ نراهُ طفلًا صبيَّا

ومنهُ ايضًا قول بعضهم في رثاء:

ياقبر ما فيكَ من دين ومن ورَع ومن عَفاف ومن صون ومن خَفَرِ
اسكنتَ من كان بالاحشاء مسكنهُ بالرَّغم مِنّيَ بين التُربِ والحَجَرِ

٥ الدُّعاء

س ما الدعاءُ

ج الدعاءُ في اللغة كلام انشاءيّ دالٌّ على الطلب مع خضوع . وعند البيانيين هو عبارة عن طَلب الخير او الشرّ .

وذلك ان يبتهل المتكلم الى الله بالسؤال في ان يشمل بنعمه من حاول بمدحه او ان يلحق بنقمه من همَّ بقدحه (١)

فمن امثال الدعاء بالخير قول العرب :

اكرمك الله بلباس التقوى ، ووفقك لطريق الهدى ، ولا ابلاك بلاء يعجزُ عنهُ صبرك ، وانعم عليك نعمةً يعجزُ عنها شكرك ، واحياك حياةً هنيَّةً ، واماتك موتةً رضيةً

ومنهُ قول يعقوب في بركة يوسف ابنهِ عند وفاته :

يوسف غصنٌ مفرع . غصنٌ مفرع على عين لهُ دوالٍ قد امتدَّت على سور . فامرَّتهُ اصحاب السهام ورمتهُ وضطهدتهُ . ولكن ثبتت بمتانة قوسهُ وتشدَّدت سواعد يديهِ من يدي عزيز يعقوب . . من اله ابيك الذي يعينك ومن القدير الذي يباركك . تأتي بركة السماء من العلوّ و بركات الغمر الراكد الاسفل . بركات الثديَين والرَّحم . بركات ابيك تضاف الى بركات آبائي الى مُنية الإكام الدهرية

وكقول بديع الزمان :

صباح الله لا صبح انطلاقِ وطيرُ الوصل لا طير الفراقِ

وللمعرّي قولهُ :

فلا تزل لك ازمانٌ ممتَّعةٌ بالآل والحال والعلياء والعُمرِ

ولهُ ايضاً :

وقاك الهُ العرش من كل محنة وما اضمرت يوماً عداك وحسَّدُ

ومن الدعاء بالشرّ قول الثعالبي في اعداء اميرٍ :

لا زالت اعداؤهُ عبيد دولتهِ ، وصرعى صولتهِ ، وجُزُر سيوفه ، ورهائن خطوب الدهر وصروفه ، وزادهم الله سقوط مواقع ، وهبوط مواضع ، ونحوس مطالع

١ قال السيّد حسَن خان في كتاب محسَّنات البيان : الدُّعاء هو ان يطلب المتكلم نفعاً او ضرراً يقال دعا لهُ او عليهِ

وكقول ابن النقيب :

لا كان يومٌ تمَّ فيهِ فراقنا فلقد اطال الحزنَ والبلبالا

وكقول النابغة :

لا مرحبًا بغدٍ ولا اهلًا بهِ ان كان تفريق الاحبَّة في غدِ

ومنهُ قول بعضهم :

لا اسعد الله ايَّامًا عززتُ بها دهرًا وفي طيّ ذاك العزّ اذلالُ

ومنهُ ما جاءَ في المزامير :

ان انا نسيتكِ يا اورشليم فلتنسني يميني . ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكركِ . ان لم أُعلِ اورشليم على ذروة فرحي

٦ التسليم

س ما التسليم

ج قال الحلّي : هو ان يفرض المتكلم فرضًا محالاً ثمَّ يُسلِّم بوقوعهِ تسليمًا جدليًّا يدلُّ على عدَم الفائدة على تقدير وقوعه كقول ابي السعود :

هَبْ انّ مقاليد الامور ملكتها ودانت لك الدنيا وانت همامُ
ومُتِّعت باللَّذات دهرًا بغبطةٍ أليس بحتمٍ بعد ذاك حِمامُ

وكقول ابي العتاهية :

هَبِ الدنيا تقاد اليك عفوًا أليس مصير ذلك للزوالِ

٧ اضمار النهي او الامر بعرض النهي

س ما اضمار النهي

ج قال صاحب محسِّنات البيان : هو عبارة عن قولٍ

ظاهرهُ الاباحة وباطنهُ النهي والزجر (١) كقول ابي تمّام :

اذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحيِ فاصنع ما تشاءُ
فلا والله ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا اذا ذهب الحياءُ

وكقول الشبراوي :

اذ لم تصن عِرضًا ولم تخشَ خالقًا وتستحيِ مخلوقًا فما شئتَ فافعلِ

ومنهُ قول بدر الدين الحلبي :

اذا المرءُ ضيّع ما امكنهْ ومال الى التيهِ واستحسنهْ
فدعهُ فقد ساءَ تدبيرهُ سيضحك يومًا ويبكي سَنهْ

ومنهُ ايضًا قول ابي العتاهية :

ودونك فاصنع كلما انت صانعٌ فانَّ بيوت الميّتين قبورُ

٨ الادماج والتغاضي

س ما الادماج

ج هو لغةً الادخال وعند البديعيين ان يُدخل المتكلم غرَضًا في ضمن معنًى قد نحاهُ من جملة المعاني ليوهم السامع انهُ لم يقصدهُ (٢) كقول ابن عبيد الله من كتابٍ ارسلهُ الى سليمان بن وهب لمَّا استوزرهُ المعتضد الخليفة :

أَبى دهرُنا اسعافَنا في نفوسنا واسعفنا فيمن نُحبُّ ونكرمُ

١ قال الثعالبي في سرّ العربيَّة : انهُ لمن سُنَن العرب ان تأتي بذكر شيءٍ ظاهرهُ امرٌ وباطنهُ زجرٌ فيقولون : (اذا لم تستحِ فافعل) . وجاء في القرآن : من شاءَ فليكفر

٢ الحموي وبديعيَّة العميان والنابلسي

فقلتُ لهُ نعماك فيهم أَتِمَّها   ودع امرنا انَّ المهمَّ المقدَّمُ

فبقولهُ (انَّ المهمَّ المقدَّم) جمع بين التهنئة والشكوى من الزمان مع تظاهرهِ مجرَّد المدح فتلطَّف في المسأَلة وصان نفسهُ عن التصريح بالسؤَال

ومنهُ كتاب الصابي للصاحب بن عبَّاد :

لمَّا وضعتُ صحيفتي   في ضمن كفّ رسولها
قبَّلتها لتمسَّها   يُمناك عند وصولها
وتودُّ عيني انَّها م   اقترنتْ ببعض فصولها
حتى ترى من وجهها   الميمونِ غاية سؤْلها

وكقول آخر يصف طول الليل وقد ادمج بهِ الشكوى من الدهر :

أُقلّب فيهِ اجفاني كأَنّي   اعدُّ بهِ على الدهر الذنوبا

او كقول اسحاق الموصلي من ابيات كتبها الى هارون الرشيد :

وآمرة بالبخل قلتُ لها اقصري   فليس الى ما تأمرينَ سبيلُ
وكيف أَخاف الفقر أَو أُحرَم الغنى   ورأْيُ امير المؤمنين جميلُ

وقد يأْتي الادماج على صورةٍ اخرى وهو ان يتظاهر البليغ ضاربًا صفحًا عن امرٍ يذكرهُ بالحقيقة فيسمَّى التغاضي . فمن ذلك قول ابي الفضل الانطاكي يصف انتشار النصرانية في العالم اجمع بوسائط مخالفة للوسائل البشرية فقال بعد ان بيَّن انتصار المسيح بصلبهِ وموتهِ :

واني لاضرب صفحًا عن ضعف تلاميذهِ الحواريين . ولا حاجة للتنبيه انهم كانوا قومًا أُميّين لا علم لهم ولا معرفة ولا شرف ولا ايسار . ولا اذكر لما في الامر من الشهرة انهم قهروا كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر . وتذلل لهم كل ملك عزيز وكل جبَّار عنيد . ودخل في طاعتهم كل شريف وجيه وافتقر اليهم كل غنيّ حتى دان لهم ذوو الايسار واقرَّ لهم كل ذي علم وفهم وانقطع عن حجَّتهم كل ذي بلاغة . وانما يضيق ذرعي بتعداد ما جالوا من البلاد فبشَّروا بالانجيل العربَ والعجمَ والرومانَ واليونان . وللصَّمتُ في بعض الاحوال خير من الاطناب .

٩ الاكتفاء

س ما الاكتفاء

ج هو ان يأتي الناظم او الناثر بقافية او فقرة تتعلق بمحذوف . فلم يُفتقَر الى ذكر المحذوف لدلالة باقي اللفظ عليهِ (١) . قال بعضهم : الاكتفاء هو ان ينقطع البليغ عن الكلام بغتةً فيستدلَّ السامع على ان ما وراء قولهِ ما هو اعظم واقوى كقول ابن مطروح :

لا أَنتهي لا أَنثني لا أَرعوي ما دمتُ في قيد الحياة ولا اذا . .

يريد ولا اذا اذا ادركني الموت . فلم يتمَّ الكلام لتقرير المعنى وافادتهِ رونقًا وحزمًا

وكقول شرف الدين عبد العزيز الحموي :

راموا فطامي عن تقيٍّ غذيتهُ طفلًا وكهلا
فوضعتُ في طوقي يديَّ وقلت خلُّوني والّا . . .

وقال آخر في مثَل الذئب والخاروف :

قال لهُ الذئب وكم تشتمني أَما علمتَ ياخروف انني . . .

١٠ القسم

س ما هو القسَم

ج هو عند اهل البديع ان يحلف المتكلم بما يكون مدحًا لهُ او ما يكسبهُ فخراً او ما يكون هجاءً لغيرهِ (٢) كقول ابي العتاهية :

---

١ عبد الغني النابلسي والسيوطي والخفاجي

٢ ابن جابر الاندلسي والحموي والنابلسي

اقسمتُ باللهِ وآياتهِ شهادةً باطنةً ظاهرهْ
ما شرفُ الدنيا بشيءٍ اذا لم يتّبعهُ شرفُ الآخرهْ

قال آخر يتهدّد اعداء قومهِ :

وقد حلفتُ يميناً لا اصالحهم ما دام فينا ومنهم في الملا احدُ

ولبعضهم في المدح :

حلفتُ بمن سوّى السماءَ وشادها ومن مرج البحرين يلتقيانِ (١)
ومن قام في المعقول من غير رؤيةٍ باثبت من أدراك كل عيانِ
لما خُلقت كفّاك الّا لأربعٍ عقائلَ لم تعقل لهنّ ثواني
لتقبيل افواهٍ واعطاءِ نائلٍ وتقليب هنديٍّ وحبس عنانِ

البحث الثاني

في الاشكال الراجعة لافادة الذهن والتعليم

س ماهي هذه الاشكال

ج هي اربعة عشر : التصرُّف والمطابقة والمقابلة والاستدراك والمفاوضة والتوقُّف والتلافي والكلام الجامع والتلميح والارصاد والتفريق والاستطراد والاستتباع والتهكُّم

١ التصرُّف

س ما التصرُّف

ج قال صاحب صناعة الترسُّل : هو ان يتداول المتكلم المعنى الذي يقصدهُ فيبرزهُ في عدَّة صوَر تارةً بلفظ الاستعارة

١ هذا من سورة الرحمن والمعنى أنَّهُ تعالى لم يدع اختلاط البحر الملح بالبحر العذب

وطوراً بلفظ التشبيـه وآونة بلفظ الارداف وحينـاً بلفظ الحقيقة (١) كقول امرئ القيس يصف الليل :

وليل كموج البحر ارخى سدولهُ   عليَّ بانـواع الهمـوم ليبتلي
فقلتُ لـهُ لمـاَّ تمطّى بصُلْبـهِ   وأردف أعجـازًا وناء بكلكلِ

فانهُ ابرز هذا المعنى بلفظ الاستعارة ثم تصرَّف فيهِ فاتى بلفظ التشبيه فقال :

فيالك من ليل كأنَّ نجومهُ   بكلّ مغار الفتلِ شُدَّت بيذبُلِ

ثم تصرَّف فيهِ فاخرجهُ بلفظ الارداف فقال :

كأنَّ الثريَّا عُلّقت في نظامها   بامرِ ابنِ نعمان الى صمّ صندلِ

ثم تصرَّف فيهِ فعبَّر عنهُ بلفظ الحقيقة فقال :

ألا أيُّها الليل الطويل ألا انجلي   بصبحٍ وما الاصباحُ منك بامثلِ

وهذا يدلُّ على قوَّة الشاعر

ومن ذلك قول ابن الحبيب في المواعظ :

ايها الناس ، ما الموت بساه ولا ناس ، فتأهبوا لحلولهِ ، قبل نزولهِ ، . . . واياَّك والدنيا فانها تمكر بصاحبها ، وتُهدي الى اقاربها سمَّ عقاربها ، عامرها خراب ، وغامرها سراب ، . . ويحك أتظنُّ انك ستُترَك سدى ، وان الحقوق تبطل بطـول المدى

تنبَّـه ايها المغرور واسـأل   الهـك مرَّة من بعد مـرَّة
ولا تركن الى الدنيـا ففيها   من الاحزان مـا يخفي المسرَّة
ألا بُعداً لها من دارِ قوم   بما يرضون وهي لهم مضرَّة

يا ارباب الملابس الفاخرة ، الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة ، ما هذه الغفلة التي رانت على قلوبكم . . . الى مَ تستبدلون الضلالة بالهدى ، وترتدوُن بما يوقعكم في الردى

---

١ قال بعض البديعيين : التصرُّف هو ان يُكرَّر المعنى الواحد المبالغـة في تقريره وزيادة البسط في مغزاه

٢ المطابقة

س ما المطابقة

ج المطابقة هي الجمع بين الضدَّين (١) كقول الشاعر في صروف الدهر :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَر

وكقول عنترة يدحض من عيَّرهُ بسواد جلدهِ :

ان كنتُ عبداً فنفسي حرَّةٌ كرَماً او اسوَدَ الخَلْقِ اني ابيضُ الخُلُقِ

وكقول ابن بطوطة في وصف مصر :

هي مجمع الوارد والصادر ، ومحطُّ رحلِ الضعيفِ والقادر ، بها ما شئتَ من عالمٍ وجاهلٍ ، وجادٍّ وهازل ، وحليمٍ وسفيه ، ووضيع ونبيه ، وشريف ومشروف ، ومنكَر ومعروف ، تموج موجَ البحر بسكانها ، وتكاد ان تضيق بهم على سَعَة مكانها

وكقول الحريريّ :

وإذا اسخطتَّ مولاك فلا تقلق من ذاك وان اخفق مسعاك تلظيت من الهمّ

وان لاح لك النقش من الاصفر تهتّش وان مرَّ بك النعش تغامَمت ولا غمّ

٣ المقابلة

س ما المقابلة

ج هو ان يؤتى بمتعدّد من المتوافقات ثمَّ يؤتى بما يطابقهُ على

١ الحموي وابن المعتزّ

الترتيب (١) كقول الشرَفي في سيّد نكبهُ الدهر :

على رأس عبد تاج عزٍّ يزينهُ   وفي رِجل حُرٍّ قيدُ ذُلّ يَشينهُ

ومنهُ قول الحاجري في مديح بعض الامراء :

لو انكر الاحياءُ فضلَ جميلهِ   شهدت لهُ الامواتُ في الالحادِ

ولهُ ايضاً في غيرهِ :

وتجود سُحب الغيث وهي عوابسٌ   وتراهُ يُعطي ضاحكاً متبسّما

س ما الفرق بين المقابلة والطباق

ج الفرق بينهما من وجهين الاول ان الطباق لا يكون الّا بالجمع بين متضادَّين فقط والمقابلة تجمع بين اربعة او ستَّة اضداد . الثاني ان المطابقة لا تكون الّا بالاضداد امَّا المقابلة فتكون بالاضداد وغير الاضداد (٢) فيقابَل الكبيرُ بالصغير كقول المتنبي :

واْجزِ الامير الذي نعماهُ فاجئة   بغير قول ونعمى الناس اقوالُ
فربَّما جزَتِ الاحسانَ موليَهُ   خريدةٌ من عذارى الحيّ مكسالُ

وكقول الحلّي :

من ليس يخشى أُسودَ الغاب ان زَأَرَت   فكيف يخشى كلابَ الحيّ ان نبحت

ويُقابَل الصغير بالكبير كقول ابي اذينة يغري ابن المنذر بقتل سادة غسان :

ايحلبون دماً منّا ونحلبهم   رِسلًا لقد شرَّفونا في الورى حلبَا
علامَ نقبل منهم فديةً وهمُ   لا فضَّةً قبلوا منّا ولا ذهبا

---

١ السكاكي والحموي ٢ بديعيَّة العميان والتهانوي وابن جابر

٤ الاستدراك

س ما الاستدراك

ج هو عبارة عن عود المتكلم عمَّا صدر منهُ من الكلام ليعتاضهُ بما هو ادقّ واحسن وقعًا في القلوب كقول زُهيرٍ في المدح :

اخو ثقةٍ لا يُهلك الخمرُ مالهُ ولكنَّهُ قد يُهلك المالَ نائلهُ

او كقول ابي الطيّب :

هم المحسنون الكرَّ في حومة الوغى واحسن منهم كرُّهم في المكارمِ
ولو لا احتقار الأُسد شبَّهتها بهم ولكنَّها معدودةٌ في البهائمِ

ومن احسن ما جاء في هذا الباب قول بعضهم :

واخوانٍ حسبتهمُ دروعًا فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهُم سهامًا صائباتٍ فكانوها ولكن في فؤَادي
وقالوا قد سعينا كل سعيٍ فقلتُ نعم ولكن في فسادي
وقالوا قد صفت منَّا قلوبٌ لقد صدقوا ولكن عن ودادي

(فائدتان) الاولى ان الاستدراك لا يُعدّ من المحسّنات البديعة اذا لم يكن فيهِ نكتة زائدة في معنى الاستدراك (١)

الثانية ان عود المتكلم على كلامهِ ان كان لابطال ما تقدَّم منهُ او لنقضهِ فيسمَّى ذلك : القول بالموجب واضرابًا ورجوعًا (٢) كقول دعبل :

ما اكثر الناس بل ما اقلّهمُ الله يعلمُ اني لم اقُل فندا
اني لافتح عيني حين افتحها على كثيرٍ ولكن لا ارى احدا

وكقول آخر :

وجهك البدرُ لا بل الشمسُ لو لم يقضَ للشمسِ كسفةٌ وافولُ

---

١ الحموي والسيوطي ٢ التهانوي والجرجاني والنابلسي

او كما قال بعضهم :

وما ضاع شعري عندكم حين قلتهُ   بلى وايكم ضاع فهو يضوعُ

او كقول ابي البيدا متظلماً :

فما لي انتصار ان غدا الدهر جائراً   عليَّ بلى ان كان من عندك النصرُ

او كقول الحماسي :

اليس قليلًا نظرة ان نظرتها   اليك فكلَّا ليس منك قليلُ

٥ المفاوضة

س ما المفاوضة

ج هو ان يتعاطى المتكلم مع خصمهِ فطوراً يلحُّ عليه بالسوأل وتارةً يقررهُ بالحق او يتظاهر انهُ يطلب منهُ المشورة عمَّا يفعل وذلك لفرط استيثاق المتكلم بقضيَّته وحقوقهِ كقول ابن سعيد مفنداً ابن حوقل وكان نسبَ اهل الاندلس الى الذلّ وصغر النفس :

ليت شعري اذ سلب اهل الاندلس العقول والآراء والهمم والشجاعة فمن الذين دبَّروها بآرائهم وعقولهم مع مراصدة اعدائها المجاورين لها . . ومن الذين حموها ببسالتهم من الامم المتَّصلة بهم . . واني لاعجب من ابن حوقل اذ كان في زمان قد دلفت فيهِ الافرنج الى الشام والجزيرة وعاثوا كل العيث . . حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما ادراك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة . . فلم تجتمع هِمم الملوك المجاورة على حسْم الداء في ذلك

ومن هذا القبيل قولهُ تعالى عزَّ وجلَّ في نبوَّة ميخا :

ان للرب خصومةً مع شعبهِ وهو يحاجّ اسرائيل . ياشعبي ماذا صنعتُ بك وبم

اسأتُ اليك . أجبني . فاني اخرجتك من ارض مصر وافتديتك من دار العبودية وارسلت امامك موسى وهارون ومريم . ياشعبي اذكر ما ائتمر بهِ بالاق ملك موآب وما اجابهُ بلعام لكي تعلم عدل الرب . . . .

ومنهُ قول الحريري في تقريع الخاطىء :

اتظن ان ستنفعك حالك ، اذا آن ارتحالك ، او يعطف عليك معشرك ، يوم يضمك محشرك ، او يغني عنك ندمك ، يوم تزلُّ بك قدمك

٦ التوقُّف

س ما التوقُّف

ج هو ان يضبط المتكلم الباب السامعين مدَّة في التأَنّي والتأْميل عمَّا سيقول يريد بذلك استجلاب واستعطاف خاطرهم كقول هوشع النبيّ :

أَعطهم يارب . . . . . ماذا تُعطي . اعطهم رحمًا مثكلاً واثداءً جافَّة

ومن ذلك قول المتنبيء في ابي شجاع فاتك :

لا يُدرك المجدَ الّا سيّدٌ فطنٌ لما يشقّ على السادات فعّالُ
كفاتك ودخول الكاف منقصةٌ كالشمس قلتُ وما للشمس امثالُ

٧ التلافي

س ما التلافي

ج هو ان يتدارك الاديب حجج خصمهِ فيفنّدها قبلما يبادر الى ذكرها كقول المتنبي :

وما شكرت لانَّ المال فرَّحني سيَّانِ عندي اكثارٌ واقلالُ
لكن رأيتُ قبيحًا ان يُجادَ لنا واننا بقضاء الحق بُخَّالُ

فانهُ سبق وردَّ على قول قائل لهُ: انك لم تمدح الَّا لاجل مال تلتهُ

ولهُ ايضًا يدحض من عيَّر ابا شجاعٍ فاتك بلقب المجنون لُقِّب بهِ لاجل تهوُّرهِ في الحرب :

وقد يلقّبهُ المجنونَ حاسدهُ   اذا اختلطنَ وبعض العقل عُقَّالُ

ومن هذا الباب قول رسول الامم في من ينكر البعث :

ولكن يقول قائل كيف يقوم الاموات وبأيّ جسد يبرزون . ياجاهل انَّ ما تزرعهُ انت لا يحيا الَّا اذا مات . وما تزرعهُ ليس هو ذلك الجسم الذي سوف يكون بل مجرَّد حبّة من الحنطة مثلًا او غيرها من البزور الَّا ان الله يجعل لها جسمًا كيف شاء

وبمعناهُ قول القرآن :

ياايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانّا خلقناكم من تراب

٨ الكلام الجامع

س ما الكلام الجامع

ج هو ان يؤتى ببيتٍ او بفقرة تشتمل على حكمة او موعظة او تنبيه او غير ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال (١) كقول عنترة :

ومدجَّجٍ كره الكماة نزالهُ   لا ممعنٍ هربًا ولا مستسلمِ
جادت لهُ كفّي بعاجل طعنةٍ   بمثقَّف صدق الكعوب مقوَّمِ
فشككتُ بالرمح الاصمّ ثيابهُ   ليس الكريم على القنا بمحرَّمِ

وكقول الحريري بعد ما بيَّن ما ينجم للنفس من سوء عملها وارتكابها المُنكر :

---

١ القزويني والنابلسي والصفيُّ الحليّ

فياخسارَ من بغى ومن تعـدّى وطغى
وشبَّ نيران الوغى لمطعـم اومطمـع

ومنهُ ايضاً قول المتنبي ولهُ في هذا النوع الباع الطولى :

لولا المشقَّة ساد الناس كلُّهمُ أَلجـود يفقرُ والاقدام قتّالُ
وانما يبلغ الانسانُ طـاقتهُ ما كل ماشية بالرجل شِملالُ
انَّا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ من اكثر الناس احسانٌ وإجمالُ

(فائدة) ولا يبعـد عن الكلام الجامعِ المثلُ وارسال المثل . وقد يُحدُّ المثل : القول السائر المتشبّه مضرِبهُ بموردهِ (١) كقول الحريريّ : (ندمتُ ندامة الكسعيّ)

فانهُ شبَّه نفسهُ بالكسعي وهو رجلٌ من الاعراب رمى بسهامهِ سهوًا وهو يظنّ انها لم تصب الصيد (راجع الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ٧٢)

امَّا ارسال المثل فهو عبارة عن ان يأتي الشاعر في بعض بيت او الناثر في فقرة بما يجري مجرى المثل من حكمة اونعت او غير ذلك ممَّا يحسن التمثل بهِ (٢) كقول بشَّار :

اذا انت لم تشرب مرارًا على القذى ظمئت وايُّ الناس تصفو مشاربُهْ

وكقول ابي فراس الحمداني :

ايا قومنا لا تنصبوا الحربَ بيننـا ايا قومنا لا تقطعوا اليد باليـدِ
عداوة ذي القُربى اشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنَّدِ

والامثال في هذا الباب اكثر من ان تحصى (راجع الجزء الاول من مجاني الادب صفحة ٢٦ — ٣٠ والجزء الثاني صفحة ٦٧ — ٧٩ والجزء الثـالث ٦٢ — ٦٨) . ومن هذا القبيل قصيدة ابي العتاهية المثَليَّة التي ضمَّنها نحو اربعة الاف مثَـل

١ قال المنـاوي في التوقيف : المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء بينهما مشابهة يبيّن احدهما الآخر ويصوّرهُ ٢ الحلّي والحموي والنابلسي

(راجع قسماً منها في آخر ديوانهِ المطبوع حديثاً) والارجوزة الحكميَّة الموسومة بالصادح والباغم (راجع نبذة منها في الجزء الرابع من مجاني الادب صفحة ١٠٨)

٩ التلميح

س ما التلميح

ج قال البديعيُّون : هو ان يشير المتكلم في بيت او قرينة سجع الى قصَّة معلومة او نكتة مشهورة او بيت شعر حُفظ لتواترهِ او الى مثل سائر يجريهِ في كلامهِ وكل ذلك على جهة التمثيل واحسنهُ وابلغهُ ما حصل بهِ المعنى المقصود كقول الشاعر يذمُّ صديقًا :

لعمروٌ مع الرمضاءِ والنارُ تلتظي ارقُّ واحنى منك في ساعة الهجرِ

يشير الى قصَّة بيت القائل :

المستجير بعمرٍو عند كربتهِ كالمستجيرِ من الرمضاءِ بالنارِ

وهو تلميح الى قصَّة كُلَيب بن ربيعة التغلبي حين طعنهُ عمروُ بن مرَّة البكريّ طلب منهُ كُلَيب شربة ماءٍ فاجهز عليهِ فضُرب بهِ المثل في القسوة

ومن التلميح قول آخر :

اذا جاءَ موسى والقى العصا فقد بطل السحرُ والساحرُ

ومنهُ ايضاً قول بعضهم لبنيهِ وقد اشار الى قصة العصيّ المضمومة :

كونوا جميعاً يا بُنيَّ اذا اعترى خطبٌ ولا تتفرَّقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعن تكسُّراً واذا افترقنَ تكسَّرت افرادا

(تنبيه) ويقرب من التلميح نوعان اخران من البديع هما العنوان والاقتباس فالعنوان هو ان يأخذ المتكلم في غرض

لهُ من وصف او فخر او مدح او ذمّ او غير ذلك ثمَّ يأْتي لقصد تكميلهِ بالفاظ تكون اشارة لاخبار متقدمة وقصص سالفة (١)

كقول ابن الاعرابي :

ومن فعل المعروف مع غير اهلهِ   يلاقي كما لاقى مجير امّ عامرِ

يشير الى قصة ضبع لجأَت من الصيَّادين الى بعض الاعراب فاجارها ثم بقرتهُ يوماً وولغت بدمهِ

امَّا الاقتباس ويسمَّى ايضًا التضمين فهو إِتيان المتكلم في كلامهِ المنظوم او المنثور بشيء من اقوال غيرهِ من الشعراء او من احكام القرآن وغير ذلك (٢) كقول الرافعي وفيهِ شيء من قول القرآن :

الملك للهِ الذي عنَت الوجو   هُ لهُ وذلَّت عندهُ الاربابُ
متفرّدٌ بالملك والسلطان قد   خسر الذين يحاربوهُ وخابوا
دعهم وزعم الملك يومِ غرورهم   فسيعلمون غداً مَن الكذَّابُ

وكقول ابن الحجَّاج يردُّ على من لامهُ في انقطاعهِ الى بعض الروَساء :

قال قومٌ لزمتَ حضرة حمد   وتجنَّبتَ سائر الرؤساءِ
قلتُ ما قالهُ الذي احرز المعنى   م قديماً قبلي من الشعراءِ
يسقطُ الطير حيث يلتقط الحبَّ   م ويغشى منازلَ الكرماءِ

وهذا البيت الثالث لبشَّار بن بُرد قد ضمَّنهُ ابن حجَّاج شعرهُ

ومنهُ قول الحسن بن هانئ وقد ضمَّن قصيدتهُ البيت الآخير بكمالهِ :

اني عجبتُ وفي الايام معتبرٌ   والدهرُ يأْتي بالوان الاعاجيب
من صاحبٍ كان دنيايَ وآخرتي   عدا عليَّ جهاراً عدوة الذيبِ
قد كان لي مَثَلٌ لو كنتُ اعقلهُ   من رأْيِ غالب امرٍ غير مغلوبِ

---
١ كل البديعيين   ٢ الشريشي

لا تمدحنَّ امرءًا حتى تجرّبهُ ولا تذمنّهُ من غير تجريبِ

وكثيراً ما تُقتبَس المعاني والالفاظ من علم الاصول والنحو والصرف والعروض وغير ذلك كقول ابن الوردي :

شاعرٌ اخرج نصفاً زغلًا عند خبّاز فلمّا ان عرَفْ
قال لا تصرفُ ذا قلتُ لهُ يصرف الشاعرُ ما لا يُنصرَفْ

وكما قال آخر يهجو طبيباً :

قال حمار الطبيب موسى لو انصفوني لكنتُ أركبْ
لانني جاهلٌ بسيطٌ وراكبي جاهلٌ مركّبْ

١٠ الارصاد

س ما الارصاد

ج الارصاد ويسمَّى ايضًا التسهيم وهو ان يقدّم المتكلم في اول نظمهِ او نثرهِ ما يدلُّ على آخرهِ فيستدعي صدر الكلام ما يليهِ (١) كقول عنترة :

ورمحي كان دلّال المنايا فخاض غبارها وشرى وباعا

ومنهُ قول البحتري :

واذا حاربوا اذلّوا عزيزاً واذا سالموا اعزّوا ذليلا

وكقولهِ ايضاً :

احلّتْ دمي من غير جرم وحرَّمتْ بلا سببٍ يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حلّلتهِ بمحلّلٍ وليس الذي حرَّمتهِ بحرامِ

فانَّ في هذا كلّهِ يستدلُّ الحاذق بصناعة الكلام على تمامهِ اذا ما سمع اوّله

١ الحموي وابن جابر الاندلسي وكتاب صناعة الترسُّل

(فائدة) وانّما يقرب من الارصاد التوشيح وهو ان يدلَّ اوَّل بيت الشاعر على آخرهِ

١١ التفريق

س ما التفريق

ج هو ان يأتي المتكلم بذكر شيئَين من نوع واحد ثم يفصلهما بما يفيد معنىً زائداً فيما هو بصددهِ من مدح او ذمّ او غير ذلك من الاغراض الادبيَّة (١) كقول ابن هندو :

من قاس جدواك بالغمام فما انصف في الحكم بين شيئينِ
انت اذا جدتَ باسمٌ ابداً وهو اذا جاد دامعُ العينِ

وكقول آخر :

ما نوالُ الغمام يوم ربيعٍ كنوالِ الامير يوم سخاء
فنوالُ الامير بدرة مالٍ ونوالُ الغمام قطرة ماء

(فائدة) وربَّما أَتى التفريق مع الجمع (٢) كقول الشاعر :

وجهك كالنار في ضوءها وقلبي كالنار في حرّها

فانهُ شبَّه الوجه والقلب بالنار ثم فرَّق بينهما

وكقول المتنبي :

الحزنُ يقلقُ والتجمُّلُ يردعُ والدمع بينهما عصيٌّ طيّعُ
يتنازعان دموع عيني مسهَّدٍ هذا يجيء بها وهذا يرجع

١ القزويني والنابلسي والحلّي والحموي ٢ الجمع هو ايراد متعدد تحت حكم واحد كقولك (العدل والسخاء زينة المرء) . وكقول ابي العتاهية :

ان الشباب والفراغ والجدَهْ مفسدةٌ للمرءِ ايِّ مُفسدَهْ

ومنهُ قول الفارضيّ في وصف الحضرة الالهية :

يقولون لي صفها فانت بوصفها خبير أَجل عندي باوصافها علمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوآ ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ

ومن قبيل التفريق نوع المؤتلف والمختلف . وهو عبارة عن ان يريد المتكلم المساواة بين ممدوَحين ثمَّ يحاول ترجيح احدهما على الآخر بزيادة وصف لا ينقص بها حقُّ الثاني (١) كقول الخنساء في اخيها وقد ارادت مساواتهُ بابيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بهِ حق الولد :

جارى اباهُ فاقبلا وهما يتعاوران ملاءَة الفخرِ
وهما وقد برزا كأنهما صقران قد حطَّا على وكْرِ
حتى اذا نزَت القلوبُ وقد لزَّت هناك العذرَ بالعُذرِ
وعلا طباق الارض ايهما قال المجيبُ هناك لا ادري
برقتْ صحيفة وجه والدهِ ومضى على غلوائهِ يجري
اولى فاولى ان يساوِيَهُ لو لا جلالُ السنّ والكبرِ

وقال زهير يصف ابوَي هرم بن سنان ممدوحه :

هو الجوادُ فان يلحق بشأوهما على تكاليفهِ ما مثلهُ لحقا
او يسبقاهُ على ما كان من مَهَلٍ فمثل ما قدَّما من صالحٍ سبقا

١٢ الاستطراد

س ما الاستطراد

ج هو ان يخرج المتكلم من غَرَض هو بصددهِ كالمدح او الوصف الى غَرَض آخر لمناسبة بينهما فيوهم انهُ يستمرّ في

١ الحموي وعبد الغني النابلسي مع اصحاب البديعيّات

المعنى (١) كقول عبد المطلب وقد استطرد من المجد الى النوم :

لنا نفوسٌ لنيل المجد عاشقةٌ فان تسلَّت اسلناها على الاَسلِ
لا ينزل المجدُ الّا في منازلنا كالنوم ليس لهُ مأوى سوى المُقَلِ

وكقول السموأل وقد خرج من الفخر الى الهجو :

وانّا لقومٌ لا نرى الموت سبَّةً اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلُولُ

ومثلهُ قول المتنبي وقد استطرد من رثاء فاتك الى هجو كافور :

قبحًا لوجهك يازمان فانهُ وجهٌ لهُ من كل لوْمٍ بُرقُعُ
ايموتُ مثل ابي شجاعٍ فاتكٍ ويعيش حاسدهُ الخصيُّ الاوكَعُ

١٣ الاستتباع

س ما الاستتباع

ج هو ان يذكر الكاتب معنًى من مدح او ذمّ او ما شابه ذلك فيلحقهُ بمعنًى آخر من جنسهِ يقتضي زيادة في ذلك الوصف (٢) كقول ابي الطيّب :

نهبتَ من الاعمار ما لو حويتهُ لهُنِّئتِ الدنيا بانك خالدُ

قال الحموي : انهُ مدحهُ بالشجاعة على وجه استتبع مدحهُ بكونهِ سببًا لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهنَّأَةً بخلودهِ

وكقولهِ ايضًا وقد جمع بين مدح السخاء والشجاعة :

الا ايها المالُ الذي قد ابادهُ تسلَّ فهذا فعلهُ بالكتائبِ

ولا يفرق كثيراً عن الاستتباع نوع التفريع وهو على ما حدَّهُ

١ السيوطي والنابلسي وشهاب الدين الحلبي
٢ التفتازاني وشرح المفتاح

القزويني في تلخيص المفتاح : ان يُثبت لمتعلق امر حكم بعد اثبات ذلك الحكم لمتعلق لهُ آخر (١) كقول الكميت :

احلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم تشفي من السَّقَمِ

١٤ التهكم

س ما التهكُّم

ج قال ابن المعتزّ والجاحظ ما خلاصتهُ : التهكم عبارة عن الهزء والسخرية بذي نقص فيأتي المتكلم بلفظ الاجلال في موضع التحقير والبشارة في مكان الانذار و الوعد في معرض الوعيد او ما يكون ظاهرهُ المدح وباطنهُ القدح كقول ابن الذروي في وصف احدب :

لا تظننَّ حدبة الظهر عيباً فهي في الحسن من صفات الهلالِ
وكذاك القسيُّ محدودبات وهي انكى من الظُّبا والعوالي
واذا ما علا السنام ففيهِ لقروم الجمالِ ايُّ جمالِ
كوَّن الله حدبةً فيك ان شئت من الفضل او من الافضالِ
فاتت ربوةً على طود علمٍ واتت موجةً ببحر نوالِ
ما رآها النساءُ الَّا تمنَّت أنْ غدت حليةً لكل الرجالِ

وكقول ابن الروميّ :

فيالهُ من عملٍ صالحٍ يرفعهُ الله الى اسفلِ

ولا يفرق كثيراً عن التهكم النوع المعروف عند البديعيين بالهجاء في معرض المدح الَّا ان التهكم لا تخلو الفاظهُ من

١ الموصلي والنابلسي

اللفظ الدالّ على نوع من انواع الذمّ امَّا الهجاء في معرض المدح فلَا يقع فيهِ شيء من ذلك ولا تزال أَلفاظهُ تدلّ على ظاهر المدح حتى يقرن بها ما يصرفها عنهُ كقول ابي نواس في بخيل :

ابو جعفر رجل عالم   بما يصلح المعدة الفاسدهْ
تخوّف تخمة اضيافهِ   فعوَّدها اكلة واحدهْ

والهجاء بمعرض المدح شبيه بتاكيد الذمّ بما يشبه المدح ليس بينهما فرق يُعبأ بهِ (١)

وقد ياتي الهزل على صورة أُخرى تُعرف عند البديعيين بالهزل المراد بهِ الجدّ وهو ان يقصد المتكلم غرضًا من الاغراض كالطلب والوصف والاعتذار وغير ذلك فيُخرِج ذلك المقصود مخرج الهزل(٢) كقول بعضهم يطلب علفًا لحمارهِ من رجلٍ استضافهُ :

اوليتني فضلًا واني عاجزٌ   ما طال عمري ان اقوم بشكركا
انا في ضيافتك العشيّة كلّها   فاجعل حماري في ضيافة مهركا

او كما قال آخر في احمق :

لو انَّ خفَّة عقلهِ في رجلهِ   سبق الغزال ولم يفتهُ الارنبُ

وكقول الحلّي :

اشبعتَ نفسك من ذمّي فهاضك ما   تلقى واكثرُ موتِ الناس بالتخَم

او كقول الحاجري في طبيب :

يمشي وعز رائيل من خلفهِ   مشمَّر الاردان للقبضِ

١ راجع الحموي وابن جابر الاندلسي ونفحات الازهار ٢ كل البديعيَّات

وكقول المتنبي :

ان اوحشتك المعالي فانها دارُ غربهْ او آنستك المخازي فانها لك نسبهْ

امَّا اذا اراد المدح فخرج من القصد الى الهزل فيسمّى المدح في معرض الذمّ كقول النابغة الذبياني :

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

وكقولهِ ايضًا :

فتىً كملَت اوصافهُ غير أنهُ جوادٌ فما يبقي على المال باقيا

وربّما اورد الشاعر هجواً على لسان ضعيف كي يكون مدحًا المهجوّ كما قال المتنبي :

واذا اتتك مذمّتي من ناقص فهي العلامة لي باني كاملْ

وكُل هذه الانواع اذا لم يدخلها شيء من سَخَف المعاني وبذاءِ الالفاظ تدخل في النوع المدعوّ عند البديعيين بالنزاهة

البحث الثالث

في

الاشكال الراجعة لتوشية الكلام وتفكيه المخيَّلة

س ما هي هذه الاشكال

ج هي تسعة الاستحضار . والمراجعة . ومعاتبة الانسان نفسهُ . والمغايرة . والطيّ والنشر . والمشتقّ . والتورية . والمشاكلة . وحسن التخلُّص

١ الاستحضار

س ما الاستحضار

ج هو ان ينسب المتكلم الخطاب لمن غاب او توفّاهُ الله ولمن عدم النطق والحسّ كقول ابي الفرج الساوي من مطلع قصيدة يرثي بها فخر الدولة :

هي الدنيا تقول بملء فيها حَذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركمُ منيّ ابتسامٌ فقولي مضحكٌ والفعلُ مبكي

وكقول ابي البقاء صالح في رثاء الاندلس :

حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ

ومنهُ قول ابي العتاهية على لسان قبر :

اني سألتُ القبر ما فعلَتْ بعدي وجوهٌ فيك منعفرهْ
فاجابني صيَّرتُ ريحهمُ تؤذيك بعد روائحٍ عطِرهْ
واكلتُ اجسادًا منعَّمةً كان النعيمُ يهزها نضرهْ
لم ابقِ غير جماجمٍ عرِيَتْ بيضٍ تلوحُ واعظمٍ نخرهْ

(راجع ايضًا المبارزة بين بلاد الاندلس في الجزء السادس من مجاني الادب صفحة ٦٢)

٢ المراجعة

س ما المراجعة

ج هي ان يذكر المتكلم حادثة جرت بينهُ وبين غيرهِ من سؤال وجواب باحسن عبارة في ارشق سبك واسهل لفظٍ (١) كقول ابي نواس وقد احسن :

١ حلية البديع للشيخ بكرهجي وبديعيَّة الموصلي والحلّي

قالـ لي يوماً سليمان وبعض القول اشنع
قالـ صفني وعلياً أيُّنا اسخى واورع
قلتُ اني إن أقل ما فيكما بالحقّ تجزع
قالـ كلاّ قلتُ مهلاً قالـ قل لي قلتُ فاسمع
قالـ صفهُ قلتُ يُعطي قالـ صفني قلتُ تمنع

ومثلهُ قول بعض الاصدقاء وكان لم يُراعِ حقَّ الوداد فجاء مستغفراً :

فقال صديقي اذ رآني ببابهِ مَنِ الوالهُ الباكي فقلتُ غريبُ
فقال اتانا مخبرٌ عنك بالَّذي اذعتَ من الاسرار قلتُ كذوبُ
فقال بلى قد جآنا غير كاذب امينٌ صدوقُ القولِ قلتُ اتوبُ
فقالـ ألا بالله ما انت صانعٌ اذا نحنُ ابعدناك قلتُ اذوبُ

ومنهُ قول زين الدين عمر بن الوردي في المجون :

نمتُ وابليسٌ أتى بحيلة منتدَبهْ
فقال لي هل لك في خمرة كرمٍ عذبهْ
فقلتُ لا قال ولا آلةِ لهوٍ مطربهْ
فقلتُ لا قال فَنَمْ ما انت الاَّ حطَبهْ

٣ عتاب المرء نفسهُ

س ما هي حقيقة هذا النوع

ج هي ان يوجّه الانسان الخطاب الى نفسهِ فيبكّتها على امرٍ من الامور (١) كقول الحماسي :

اقول لنفسي في الخلاء الوُمها لكِ الويل ما هذا التجلُّد والصبرُ

وكما قال ابو تمَّام من ابيات زهديَّة وفيها ايضاً شاهد على نوع التسليم :

اقولُ لنفسي حين مالتْ بصغوها الى خطران قد تجنَّ امانيا

١ ابن المعتزّ وابن ابي الاصبع

هبني من الدنيا ظفرتُ بكل ما تمنّيتُ او أعطيت فوق منائيا
ألسنَ الليالي غاصباتيَ مهجتي كما غصبتُ قبلي القرونَ الخواليا

(فائدتان) الاولى ان هذا النوع يتضمن ما خلا معاتبة المرء نفسهُ التوجّع والتفجّع والتقصير وتأكيد الملامة من الغير وما اشبه ذلك (١) كقول المتنبي :

ابعين مفتقرٍ اليك نظرتَني فحقرتني ورميتَني من حالقِ
لستَ الملوم انا الملوم لأنّني انزلتُ آمالي بغير الخالقِ

الثانية وكثيراً ما يخاطب الانسان نفسهُ دون عتاب ويسمّى ذلك التجريد (٢) كقول ابي الطيّب :

لا خيل عندك تهديها ولا مالُ فليسعدِ النطقُ ان لم تسعدِ الحالُ

٤ المغايرة

س ما المغايرة

ج المغايرة وقد سمّاها البعض التلطُّف هي ان يتلطّف الكاتب فيمدح ما ذمّهُ هو او غيرهُ ويذمّ ما مدح (٣) كما فعل الحريري في مقامتهِ الدينارّية فمدح بها اولاً الدينار ثم حاول فذمّهُ

١ شرح بديعية ابي الوفاء
٢ ابن جابر الاندلسي . امّا التجريد فهو كما قال الحموي : ان ينتزع من امرٍ موصوف بصفة امرٌ مثلهُ وفائدتهُ المبالغة في تلك الصفة كقولك : (مررت بالرجلِ الكريم والنسمة المباركة) فجرّدتَ من الرجل نسمة متّصفة بالبركة وعطفتها عليهِ كانّما غيرهُ وهي هو ٣ كل البديعيّات

ومثلهُ قول بعضهم في الحسَّاد :

لا مات حسَّادك بل خُلّدوا حتى يروا منك الذي يكمدُ
ولا خلاك الدهرُ من حاسدٍ فانَّ خيرَ الناس من يُحسدُ

ومن ذلك رثاء ابي الحسن الانباري في ابي طاهر : (راجع الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ٢٣٧)

وكقول امير المؤمنين عليّ في مدح الدنيا :

الدنيا دار صدق لمن صدَّقها . ودار عافية لمن فهم فيها . ودار غنىً لمن تزوَّد منها . هي مسجد احبآءِ الله ومهبط وحيهِ ومتجر أوليائهِ . اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا منها الجنَّة . فمن ذا يذمُّها وقد آذنتْ ببينها ونادت بفراقها ونعتْ نفسها واهلها وشوَّقت بسرورها الفاني الى السرور الباقي

(فائدة) وقد صنَّف الثعالبي كتاب الاضداد في مدح الشيء وذمّهِ وهو كلهُ من باب المغايرة

٥ الطي والنشر

س ما الطيّ والنشر

ج هذا النوع ويسمَّى اللفَّ والنشر أيضاً هو عبارة عن ذكر شيءٍ معدَّداً ثمّ يؤتى بتفسير ذلك جملة مع رعاية الترتيب اودون رعايتهِ ثقةً بان السامع يردّ الى كل واحد من المعدَّد ما لهُ (١) كقول القرآن : (جعل الله لكم الليل والنهار لتسكنوا فيهِ ولتبتغوا من فضلهِ)

فالسكون راجع الى الليل وابتغاء الفضل الى النهار

١ صناعة الترسُّل وابن المعتزّ

ومنهُ قول الشاعر :

الستَ انتَ الذي من وَرْدِ نعمتهِ   ووِرْد راحتهِ اجني واغترِفُ

ومثلهُ قول ابن الرومي :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم   في الحادثاتِ اذا دجونَ نجومُ
فيها معالمُ للهدى ومصابحٌ   تجلو الدُّجى والأُخرَيات رجوم

وللحلّي قولهُ في الملك الصالح سلطان ماردين :

كالبحر والدهر في يومَيْ ندىً وردىً   والليثِ والغيثِ في يومَيْ رعىً وقرى

(فائدة) ويقرب من اللفّ والنشر التفسير وهو ان يعود المتكلم على المتعدّد فيذكر كل مفرد مع تفسيرهِ كقول ابن مسهر :

غيثٌ وليثٌ فغيثٌ حين تسألهُ   عرفًا وليثٌ لدى الهيجاءِ ضرغامُ

ومنهُ قول الشاعر :

يُحيي ويُردي بجدواهُ وصارمهِ   يُحيي العفاة ويُردي كل من حسدَا

٦ المشتقّ

س ما المشتقّ

ج هو ان يشتقّ المتكلم من الاسم معنًى في غرض يقصدهُ من مدحٍ او هجاء (١) كقول ابن دريد في نفطويه :

من سرّهُ ان لا يرى فاجراً   فليجتهد ان لا يرى نفطويهْ
احرقهُ الله بنصف اسمهِ   وصيّر الباقي صراخًا عليهْ

وقال اعرابيٌّ في ثابت قطنة الشاعر :

١ السيوطي والشيخ بكره جي

لا يعرفُ الناس منهُ غير فطنتهِ ... وما سواهُ من الانسان مجهولُ

ومثلهُ قول العبَّاس بن الاحنف :

اصبحتُ اذكرُ بالرَّيحان رائحةً ... منكم فللنفس بالرَّيحان ايناسُ

واهجرُ الياسمين الغضَّ من حَذَري ... عليك اذ قيل لي شطرُ اسمهِ ياسُ

ومثلهُ قول قاضٍ يلقب بالقرعة وقد شهد عندهُ رجل يلقَّب ايضاً بالقرعة فقال : لم ارَ كاليوم . القرعة تقضي والقرعة تشهد

٧ التورية

س ما التورية

ج التورية او الايهام هي ان يذكر المتكلم لفظاً ذا معنيين احدهما قريب والآخر بعيد . فيراد البعيد منهما ويستر بالقريب

كقول ابن هشام : (اقرَّ الله عينهُ وكفاهُ شرَّها واجرى لهُ عَذْبها واكثر لديهِ تبرها)

فانهُ أخذ العين اولاً بمعنى آلة البصر ثم بمعنى النظرة التي يُخاف منها ثم عين الماء واخيراً بمعنى الذهب

وكقول آخر :

لله ان الشهد بعد فراقهم ... ما لذَّ لي فالصبرُ كيف يطيبُ

وكقول الورَّاق الشاعر ابن السرَّاج :

ياخجلتي وصحائفي قد سُوّدتْ ... وصحائف الابرار في الاشراقِ

وموبّخٍ لي في القيامة قائلٍ ... اكذا تكون صحائفُ الورَّاقِ

(فائدة) والتورية شبيهة بنوع الاستخدام لكنَّ في الاستخدام يُعاد الى اللفظ ذي المعنيين ضمير تريد بهِ المعنى

الآخر (١) كقول الشاعر :

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناهُ وان كانوا غضابا

فان لفظ السماء معناهُ المطر والنبات . فاراد اولاً معنى المطر ثم اراد المعنى الآخر بالضمير في قوله (رعيناهُ)

ويقرب ايضاً من التورية الترديد وهو اعادة اللفظة بمعنًى آخر كقول الحلّي :

سأسرع نحو رأس العين خطوي واقصدها على رأسي وعيني

ورأس العين اسم بلدة

٨ المشاكلة

س ما المشاكلة

ج هي ذكر الشيء بلفظ غيرهِ لوقوعهِ في صحبتهِ كقول القرآن : (وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها) يريد عقوبة مثلها الّا انهُ سمّاها سيئة للمشاكلة

وكقول ابي الرقعمق الشاعر وكان لهُ اصحاب دعوهُ الى المنادمة :

اصحابنا قصدوا الصَّبوح بسحرة واتى رسولهمُ اليَّ خصيصا
قالوا اقترح شيئاً نُجِدْ لك طبخهُ قلتُ اطبخوا لي جُبَّةً وقميصا

ومنهُ قول الآخر في قاضٍ وكان قد شهد عندهُ برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادتهُ :

اترى القاضيَ اعمى ام تراهُ يتعامى
سرق العيد كأنَّ العيد اموال اليتامى

جعل العيد مسروقاً وهو ممّا لا يُسرَق مشاكلة لاموال اليتامى

---

١ خزانة الادب والتفتازاني

٩ حسن التخلّص

س ما التخلّص

ج قال صاحب المثل السائر : هو خروج الكاتب من معنًى الى معنًى برابطة . لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة . وهذا ركنٌ يشترك فيهِ الكاتب والشاعر (١)

كقول ابن النبيه :

يا طالب الرزق ان سُدت مذاهبهُ قلْ يا ابا الفتح يا موسى وقد فتحت

وكقول ابي البقاء الرنديّ وقد انتقل من شكوى الدهر الى الرثاء :

فجائعُ الدهر انواعٌ منوَّعةٌ وللزمان مسرَّاتٌ واحزانُ
وللحوادثِ سلوانٌ يسهّلها وما لما حلَّ بالاسلام سلوانُ

ومن احسن ما جاء في التخلص قول زُهير :

انَّ البخيل ملومٌ حيث كان ولـ ـكنَّ الكريمَ على علاّتهِ هرِمُ

ومثلهُ قول ابي نواس في الامير خصيب في مدح هرم :

فقلتُ لها واستعجلتها بوادرُ جرت فجرى في اثرهنَّ عبيرُ
دعيني اكثّرْ حاسديكِ برحلةٍ الى بلد فيهِ الخصيبُ اميرُ

(فائدة) اعلم ان هذا الباب جليل في موقعهِ ولكننا نكتفي بالاشارة اليهِ هنا وانمَّا سنذكر منهُ نبذة في الجزء الثاني من تأليفنا ان شاء الله

---

١ قال الحموي : هو ان يستطرد الشاعر المتمكن من معنًى الى معنًى آخر يتعلّق بممدوحه بتخلّص سهل يختلسهُ اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من الاول الّا وقد وقع في الثاني لشدَّة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما كأنَّهما قد افرغا في قالب واحد

الباب الثاني

في

البديع اللفظي

س ما البديع اللفظي

ج قد تقدَّم ان البديع اللفظي هو ما رجعت وجوه تحسينهِ الى اللفظ دون المعنى فلا يبقى الشكل اذا تغيَّر اللفظ (١) كقول ابي الفتح البستي :

اذا ملكٌ لم يكن ذا هِبَهْ فدعهُ فدولتهُ ذاهِبَهْ

فانك اذا بدلت لفظة (ذا هِبَه) بغيرها ولو بمعناها فيسقط الشكل بسقوطها

س ما أخصّ اشكال البديع اللفظي

ج أخصُّها سبعة (٢) : الجناس . والعكس . والتصدير . والترتيب . والتوشيع . وتنسيق الصفات . والتعديد

١ الجناس

س ما الجناس

ج هو تماثل اللفظ او بعضهِ مع اختلاف المعنى (٣)

---

١ التهانوي وابن جابر الاندلسي وابن المعتز

٢ قد مرَّ ذكر بعض اشكال تدخل في البديع اللفظي كالتكرار والسجع

٣ جنان الجناس للصفدي وابن المعتز والمثل السائر

س ما هي انواع الجناس

ج يتشعَّب الجناس شعباً كثيرة دونك اهمَّها . وهي التامّ . والناقص . والمتكافئ . والمحرَّف . والمقلوب . والمزدوج .

١ الجناس التامّ هو ما اتفقت لفظتاه في عدد الحروف وانواعها وهيئاتها وترتيبها سواءٌ كان مفرداً او مركباً كقول المعرّي :

لم يَبقَ غيرُكَ انسانٌ يلاذُ بهِ فلا برحتَ لعين الدهر انسانا

وكقول ابي نواس في الفضل بن الربيع :

عبّاسُ عبّاسٌ اذا احتدم الوغى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

ومنهُ قول الشاعر :

عضَّنا الدهرُ بنابهْ ليتَ ما حلَّ بنا بهْ

وكقول آخر :

لا تعرضنَّ على الرواة قصيدةً ما لم تكن بالغتَ في تهذيبها
فاذا عرضتَ القول غير مهذَّبٍ عدُّوهُ منك وساوساً تهذي بها

٢ الجناس الناقص هو ما اختلفت اعداد حروفهِ سواء كان الاختلاف في بدء اللفظة او في وسطها او طرفها كقولهم :
(فلانٌ حامٍ حاملٌ لاعباء الامور ، كافٍ كافلٌ بمصالح الجمهور) او ايضاً :
(فلانٌ سالٍ من احزانهِ ، سالمٌ من زمانهِ) وكقول ابي تمَّام :

يمدُّون من ايدٍ عواصٍ عواصمٍ تصولُ باسيافٍ قواضٍ قواضبِ

٣ الجناس المتكافئ ما اختلفت انواع حروفه كقول الحريريّ :
(بيني وبين كِنّي ليلٌ دامس ، وطريقٌ طامس) او قول القرآن : (ينهون عنهُ

ويأون) او ايضًا : (الخيل معقود في نواصيها الخير) وكقول الحطيئة في مدح قوم :

مَطاعينُ في الهيجا مطاعيمُ في الدُّجى ... بنى لهمُ آباؤهم وبنى الجدُّ

او كقول ابي نواس :

من بحر شعرك أغترِفْ ... وبفضل علمكَ اعترِفْ

ومنهُ للمعرّي في درع :

ضافيةٌ في الجرّ صافيةٌ ... ليستْ بمطويّة على قَتَمِ

٤ الجناس المحرَّف هو ما اختلفت هيئات حروفهِ امَّا بالحركات وامَّا بالنقط كقول شرف الدين الانصاري يصف حزنهُ لفراق صديق :

لعيني كل يوم الف عَبْرَهْ ... تصيّرني لاهل الحيّ عِبْرَهْ

او كقول الحريريّ يصف هيام الجاهل بالدنيا :

ما يستفيق غـرامًا ... بها وفـرط صبابَهْ
ولو درى لكفـاهُ ... ممّا يروم صُبـابَهْ

ومنهُ قول بعضهم في وصف سيّد :

احسنُ خَلقِ الله وجهًا وفمًا ... ان لم يكن احقَّ بالحُسنِ فمن

٥ الجناس المقلوب هو ما اختلف ترتيب حروفهِ فقط كقول الاحنف (والشاهد في فتح وحتف) :

حسامك فيهِ للاحباب فتحٌ ... ورمحك منهُ للاعداء حتفُ

او كقول آخر وقد قلب لفظة (لاح) :

لاح انوار الهدى من ... كفّهِ في كل حالِ

(فائدة) ومن القلب ما يقرأ طردًا وعكسًا كقول الارجاني :

مودّتهُ تدوم لكل هولٍ ... وهل كلٌّ مودّتهُ تدومُ

٦ الجناس المزدوج وهو ان يؤتى بلفظتين متجانستين احداهما ضميمة للاخرى كقول الفارضي يصف العزَّة الالهية :

فما سكَنتْ والهمُّ يوماً بموضعٍ كذلك لم يسكُن مع النغَمِ الغمّْ

ومثلهُ قول بعضهم :

وكم سبقت منهُ اليَّ عوارفُ ثنايَ على تلك العوارف وارفُ
وكم غُرَرٍ من برّهِ ولطائف لشكري على تلك اللطائف طائفُ

س هل يُستحسن الاكثار من الإجناس

ج قال المطرّزي : انواع الجناس لا تُستحسَن حتى يُساعد اللفظ المعنى ولا تُستلَذُّ حتى تكون عذبة الإصدار والايراد سهلة المقاد . ولا تبرعُ حتى يساوي مصنوعها مطبوعَها مع مراعاة النظير

٢ العكس

س ما العكس

ج هو تقديم المؤَخَّر وتأخير المقدَّم (١) كقول المتنبي :

ولا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

ومثلهُ قول الاضبط بن قُريع :

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلهِ ويأكلُ المالَ غيرُ من جمعَهُ
ويقطع الثوبَ غيرُ لابسهِ ويلبس الثوبَ غيرُ من قطعَهُ

ومنهُ قول بعض الحكماء : (اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون)

---

١ الشريشي وابو الحجَّة

ومثلهُ قول جوادٍ قيل لهُ : (لا خير في السَرَف . قال : لا سرَف في الخير)

٣ التصدير

س ما التصدير

ج التصدير ويُعرف بردّ العجز على الصدر هو ان يؤتى بكلمة في صدر البيت تُعاد في اوَّل العجز او آخرهِ (١) كقول بعضهم في الهجو :

سريعٌ الى ابن العمّ يلطمُ وجههُ وليس الى داعي الندى بسريعِ

وكقول آخر :

وحقّهم ما نسينا عهد ودّهمِ ولا طلبنا سواهم لا وحقّهمِ

٤ الترتيب

س ما الترتيب

ج هو ان يعمد الكاتب الى معدَّد من وصف او موصوف فيوردهُ بالتدريج كما تكون رتبتها الطبيعة (٢) كقول القرآن :

خلَقَكم من تراب ثمَّ يخرجكم طفلا ثمَّ لتبلغوا أُشدَّكم ثمَّ لتكونوا شيوخًا

ومثلهُ قول زُهير في الاعمال البشرية :

يؤَخَرْ فيوضعْ في كتاب فيُدَّخرْ ليومِ حسابٍ او يعجَّلْ فينقمِ

ومنهُ ايضًا قول الحارثيّ في الفراق :

أَلَمُّوا فحيُّوا ثمَّ قامـوا فودَّعوا فلمَّا تولَّوا كادتِ النفس تزهقُ

---

١ كل البديعيَّات ٢ السيوطي وابن المعتزّ

٥ التوشيع

س ما التوشيع

ج هو عبارة عن ان يأتي المتكلم باسم مثنًّى في حشو عجز ثم ياتي باسمين مُفردين هما عين ذلك المثنَّى يكون الآخر منهما قافية بيتهِ او سجعة كلامهِ(١) كقول بعضهم في الفراق:

أُمسي واصبح من تذكاركم وَصِباً يرثي ليَ المشفقانِ الاهلُ والولدُ
قد خدَّد الدمعُ خدّي من تذكُّركم واعتادني المضنيانِ الوجد والكمدُ
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم وخانني المسعدانِ الصبرُ والجلدُ
لاغروَ للدمع ان تجري غواربهُ بحتِّهِ المظلمانِ القلب والكبدُ
لم يبقَ غير خفيّ الروح في جسدي فدى لك الباقيانِ الروح والجسدُ

٦ تنسيق الصفات

س ما تنسيق الصفات

ج هو الاتيان بصفات متوالية على سياق واحد دون عاطف(٢) كقول الهمذاني:

خلٌّ كريمٌ جوادٌ ماجدٌ بطلٌ عفٌّ اديبٌ بصيرٌ عالمٌ خبرُ

وكقول ابن الجزري:

شجاعٌ مطاعٌ عادلٌ باذل اللُّهى وفيٌّ سخيٌّ اريحيٌّ سميذعُ
إمامٌ هُمامٌ فاضلٌ كاملُ النُّهى اميرٌ خطيرُ القدرِ مجدُ ادرعُ

---

١ ابن المعتزّ والعسكريّ ٢ التيفاشي والحموي

٧ التعديد

س ما التعديد

ج هو عبارة عن ايقاع اسماء منفردة على سياق واحد يضمها العاطف كقول المتنبي :

ان تلقهُ لا تلقَ الّا جحفلًا او قسطلًا او طاعنًا او ضاربا
او هاربًا او راعبًا او طالبًا او راهبًا او هالكًا او نادبا

وكقولهِ ايضًا :

الخيلُ والليل والبيداء تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

وقال ابن حسين الجزّار يعارض المتنبي في قولهِ هذا :

فان يكن احمد الكنديُّ متّهمًا بالفخر يومًا فاني الدهرَ متّهمُ
فاللحمُ والعظم والسكّين تشهد لي والحدُّ والقطع والساطورُ والوضمُ

الفصل الثاني

في

فنون الانشاء

قد قدَّمنا انَّ مدار علم الانشاء على ركنَين اصولهِ وفنونهِ فقد انجزنا بحولهِ تعالى القول في شرح اصول الكتابة فبقي علينا ان نبسط الكلام في فنون الكتابة

س ماهي فنون الانشاء

ج هي ضروبهُ وطرقهُ

س كم هي هذه الفنون

ج هي سبعة : الامثال والوصف والمناظرة والرواية والمقامات والتاريخ والرسالة

وقد اردفنا الفنون باربعة ابواب في الاحتذاء وحلّ الشعر والتعريب والنقد البيانيّ

ألفَنّ ٱلأوَلُ

في الامثال

قال ابن عبد ربّهِ : الامثال وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني التي تخيَّرتها العرب وقدَّمتها العجم ونطق بها كلُّ زمان ولهج كلّ لسان فهي ابقى من الشعر واشرف من الخطاب لم يسر شيء سيرها ولا عمّ عمومَها حتى قيل : اسير من مثل . قال الشاعر :

ما انت الّا مثل سائر يعرفهُ الجاهل والخابرُ (اه)

والامثال على صنفَين منها الاقوال الموجزة المتشبَّه بها موردها وقد مرَّ ذكرها (راجع صفحة ١٠٠). ومنها ما جاء على السنة الحيوانات والجمادات . وهي الآن موضوع كلامنا

س ما المَثَل

ج قال الشريشي : المثل عبارة عن تأْليف لا حقيقة لهُ في الظاهر وقد ضمن باطنهُ الحكم الشافية

فقولهُ لا حقيقة لهُ في الظاهر فلانّ الكلام والافعال طالما تُعزى في الامثال الى من لا عقل لهُ ولا روح . اما قولهُ ان المثل يضمن الحكم الشافية فلانَّ القصد منهُ ارشاد الانسان وتهذيبهُ

ولك في ذلك مثل جميل اوردهُ صاحب التذكرة (هو الخطيب علي بن عراق) قال : لما ظهر الطاعون بدمشق همَّ عبد الملك بن

مروان بالفرار من المدينة فدخل عليهِ بعض اهل الفضل وقال :

محالفة الاسد والثعلب

بلغني ان ثعلبًا صادَق اسدًا على ان يجيرهُ من السباع فكان ابدًا بين يديه . فظهر في يوم من الايَّام عقاب في الهواء فخافهُ الثعلب ووثب على ظهر الاسد فانحطَّ العقاب واختطفهُ . فقال الثعلب : يا ابا الحارث . العهدَ العهدَ . فقال : انَّما عاهدتك على ان احفظك من اهل الارض واماَّ اهل السماء فلا قدرة لي عليهم

فلما سمع عبد الملك هذا المثل قال : واللّٰه لقد وعظتني . ثم أبى ان يفارق المدينة

البحث الاول

في تقاسيم المثل

س الى كم قسم تُقسم الامثال

ج الامثال على ثلاثة اقسام مفترَضة ممكنة . ومخترَعة مستحيلة . ومختلطة

س ما هي المفترضة الممكنة

ج هي ما نسب فيها النطق والعمل الى عاقل وتختلف عن الحكاية من وجهين الاول انَّ لها مغزًى والثاني كونها غير واقعيَّة وان كانت في حيّز الامكان

س اذكر بعض امثال من هذا الباب

الصبيّ المشرِف على الغرق

صبيّ رمى بنفسهِ مرّةً في نهرٍ. ولم يكن يُحسن السّباحة . فأشرف على الغرق . فاستعان برجلٍ عابرٍ في الطريق . فأقبل اليهِ وجعل يلومهُ على نزولهِ الى النهر . فقال الصبيّ : يا هذا . خلّصني اوّلًا من الموت ثم لُمني

مغزاه

اذا وقع صديقك في شدَّةٍ فنجّهِ وخلّصهُ اوّلًا ثم لُمْهُ (من امثال لقمان)

ابن الملك والطبيب والصيدلانيّ الجاهل

زعموا انهُ كان في بعض المدن طبيبٌ لهُ رفق وعلم وكان ذا إخطار فيما يجري على يديهِ من المعالجات . فكبِر ذلك الطبيب وضعف بصرهُ وكان لملك تلك المدينة ابن وحيد هو وليُّ عهدهِ فاصابهُ يومًا مرض انهك قواهُ . فجيء بهذا الطبيب فلما حضرهُ سال الولد عن وجعهِ وما يجد فاخبرهُ فعرف داءَهُ ودواءَهُ وقال : لو كنت أُبصر لجمعتُ الاخلاط على معرفتي باجناسها ولا اثق بذلك احدًا غيري . وكان في المدينة رجل سفيهٌ يُعالج صِناعة الصيدلة مع قلّة درايتهِ بها . فبلغهُ الخبر فاتاهم واعلمهم انه خبير بمعرفة اخلاط الادوية والعقاقير عارفٌ بطبائع الادوية المركبة والمفردة . فامر الملك ان يدخل خزانة الادوية وعُرِضت عليهِ الادوية ولا يدري ما هي ولا لهُ بها معرفة . فاخذ في جملة ما اخذ منها صرَّة فيها سمٌّ قاتل لوقتهِ وخلطهُ في الادوية ولا علم لهُ بهِ ولا معرفة بجنسهِ . فلما تمَّت اخلاط الادوية سقى الولد منهُ فمات لوقتهِ . فلما عرف الملكُ ذلك دعا بالسفيه فسقاهُ من ذلك الدواء فمات من ساعتهِ

وانما ضربتُ هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الزلّة في الشبهة والخروج عن الحدّ . فمن تجاوز طورهُ اصابهُ ما اصاب ذلك الجاهل ونفسهُ الملومة

اعلم ان المخلص لذكرهِ المجد كثيرًا ما ضرب في انجيلهِ الطاهر امثالًا من هذا القبيل جاءَت على نهاية ما يُرام من الصدق والعذوبة . وقد ذكر منها الانجيليون نيفًا وثلاثين

مثلاً (١)

راجع ايضاً الجزء الاول من مجاني الادب عدد ٨٤ و٩٥. والجزء الثاني عدد ١٢١ و١٢٤ و١٢٦ و١٢٩ و١٣١ و١٣٢ والجزء الثالث عدد ٨٤ و٩٢ والجزء الرابع عدد ١١٦

١ مثل الشجرة الجيدة والشجرة الفاسدة (لوقا ٦ ع ٤٢—٤٥) مثل من بنى بيتاً على صخرة ومن بناهُ على التراب (لو ٦ ع ٤٨—٤٩) مثل الزارع (متى ١٣ ع ٣١—٣٤ مثل الزؤان (مت ١٣ ع ٢٤—٣١ مثل الزرع الملقى على الارض (مر ٤ ع ٢٦—٣٠) مثل حبة الخردل والخمير (مت ١٣ ع ٣١—٣٤) مثل الكنز المخفي والدرَّة الثمينة والشبكة الملقاة في البحر (مت ١٣ ع ٤٤—٥١) مثل العبد الظالم (مت ١٨ ع ٢٣—٣٥) مثل الراعي الصالح (يو ١٠ ع ١١—١٧) مثل السامري والكاهن لو (١٠ ع ٣٠—٣٨ مثل الشجرة الصالحة والكنز الصالح (مت ١٢ ع ٣٣—٣٦) مثل العين البسيطة (لو ١١ ع ٣٤—٣٧) مثل الغنيّ الجاهل (لو ١٢ ع ١٦—٢١) مثل العبيد المنتظرين سيّدهم (لو ١٢ ع ٣٦—٣٩) مثل التينة اليابسة (لو ١٣ ع ٦—١٠ مثل المتكئين في العرس (لو ١٤ ع ٧—١٥) مثل المدعوّين الى الوليمة (لو ١٤ ع ١٦—٢٥) مثل الخروف الضالّ والدرهم المضاع (لو ١٥ ع ٤—١٠) مثل الابن الشاطر (لو ١٥ ع ١١—٢٥) مثل وكيل ظلم صنع بحكمة (لو ١٦ ع ١—٨) مثل الرجل الغني والمسكين لعازر (لو ١٦ ع ١٩—٣١) مثل قاضي الظلم (لو ١٨ ع ١—٨) مثل الفريسيّ والعشار (لو ١٨ ع ٩—١٥) مثل عملة الكرم (مت ٢٠ ع ١—١٧) مثل العشرة الامناء (لو ١٩ ع ١٢—٢٨) مثل الابنين (مت ٢١ ع ٢٨—٣٢) مثل الكرم والعملة الاشرار (مت ٢١ ع ٣٣—٤٢) مثل الملك الصانع عرساً لابنهِ (مت ٢٢ ع ١—١٥) مثل العشر العذارى (مت ٢٥ ١—١٤) مثل العبد البطّال (مت ٢٥ ع ١٤—٣١

مثل العبد الظالم

(نُقل من ترجمة قديمة كُتبت سنة ٩٧٦ للمسيح)

أشبه ملكوت السماء رجلًا ملكًا شاءَ ان يَستلم الحسابَ من عبيده . فلما بدأ بمحاسبتهم قرّبوا اليهِ واحدًا عليهِ عشرة الاف قنطارًا . فلمَّا لم يكن لهُ ان يقضي امرَ مولاهُ ان يباع هو وامرأتهُ وبنوهُ وكل شيءٍ . فخرَّ ذلك العبد وقال : ياسيّدي تأنَّي وأَمهِلني وانا اوفيك كل شيءٍ فرقَّ مولى ذلك العبد واطلقهُ وترك لهُ دينهُ . ثم خرج ذلك العبد فصادف احد نظرائهِ كان لهُ عليهِ مائة دينار فاخذهُ وجعل يخنقهُ ويقول لهُ : أَعطني مالي عليك . فوقع ذلك العبد على قدميهِ وطلب اليهِ وقال : أَمهلني وانا اوفيك . اما هو فلم يشأ لكنَّهُ انطلق فقذفهُ في السجن حتى يُعطيَهُ ما لهُ عليه . فلما رأى نُظراؤهما ما كان احزنهم ذلك جدًّا فجاؤا واخبروا مولاهم بكلَّ ما كان . حينئذ دعاهُ مولاهُ وقال لهُ : يا عبدَ السوء ذلك الدين كلهُ تركتهُ لك لانك طلبتَ اليَّ أَ فما كان ينبغي لك ايضًا ان ترثي لنظيرك كما رثيتُ انا لك . فغضب سيّدهُ ودفعهُ الى الجلادين حتى يقضي كلَّ شيءٍ لهُ عليهِ . فهكذا ابي السماوي يفعل بكم ان لم يغفرِ الانسان منكم لاخيهِ ذنبهُ من كل قلبكم

س ما هي المخترعة المستحيلة

ج هي ما جاءَت على السنة الحيوانات والجمادات فيُعزى لها النطق والعمل لارشاد الانسان

س اذكر بعض امثال من هذا الصنف

الكركيّ والذئب

قالوا بلع ذئبٌ عظمًا فطلب من يعالجهُ فجاءَ الى الكركيّ وجعل لهُ اجرةً على ان يخرج العظم من حلقهِ . فادخل الكركي رأْسهُ في فم الذئب . فاخرج بمنقارهِ العظم من حلقهِ وقال للذئب : هاتِ الاجرة . فقال الذئب : انتَ لستَ ترضى بان ادخلتَ رأْسك في فمي ثمَّ اخرجتهُ صحيحًا حتى تطلب مني ايضًا اجرة

(الكلم الروحانية لابن هندو)

الافعى والشوك

قالوا كانت افعى نائمة فوق جرذة شوك فحملها السيل والافعى عليها . فنظر اليها ثعلبٌ فقال هذه السفينة لا يصلح لها الاَّ مثل هذا الملّاح (لهُ)

الثعلب والعوسجة

قيل ان ثعلبًا اراد ان يصعد حائطًا فتعلَّق بعوسجة فعقرت يدهُ فاقبل يلومها . فقالت لهُ : ياهذا لقد اخطأتَ حتَّى تعلَّقتَ بي وانا من عادتي ان اتعلَّق بكل شيء

الغراب المحتذي حذو القطا

انَّ الغراب وكان يمشي مشيهُ فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطا واراد يمشي مشيها فاصابهُ ضربٌ من العُقَّالِ
فاضلَّ مشيتهُ وأخطأ مشيها فلذاك سمَّوهُ ابا مرقالِ (١)

(فائدة) والامثال من هذا الباب كثيرة (راجع فصل الامثال عن السنة الحيوانات في الجزء الاول والثاني والثالث من مجاني الادب)

س ما الامثال المختلطة

ج هي ما جمعت بين الناطق وغير الناطق

س اورد لنا بعض شواهد لهذا النوع

الحية والاخوان

زعم العرب ان اخوين هبطا بغنمها واديًا يرعيان فيهِ فخرجت حيَّة من تحت الصفا وفي فمها دينار فالقتهُ اليهما وقامت كذلك فقال احدهما لا بدَّ لي من قتل هذه الحيَّة وأخذ هذا الكنز فنهاهُ اخوهُ فلم يقبل . فخرجت فضربها بفأس بيدهِ فشجَّتها وشدَّت عليهِ فقتلتهُ فدفنهُ اخوهُ مقابلها فلمَّا خرجت قال : هل لك ان نتعاهد

١ المرقال المسرع والارقال ضربٌ من المشي يشبه الخبب

على المودَّة وعدم الأذيَّة وتعطيني ذلك الدينار كل يوم . فقالت : لا . قال : ولمَ . قالت : لانك كلما نظرتَ الى قبر اخيك لا تصفو لي وكلما ذكرتُ الشجَّة التي في رأْسي لا اصفو لك (من رواية الأصمعي)

وقد ورد هذا المثل في جملة قصيدة للنابغة يعاتب فيها قومهُ ذبيان وكانوا تحالفوا عليهِ

أَلا بلّغا ذُبيانَ عني رسالةً ... فقد اصبحَتْ عن منهج الحقّ جائرهْ
أَجِدَّكُمُ لن تزجروا عن ظلامةٍ ... سفيهاً ولنْ ترعَوا لودّيَ آصرهْ
وإني لالقى من ذوي الضغن منهمُ ... وما اصبحتْ تشكو من الوجْد ساهرهْ
كما لقيَتْ ذات الصفا (١) من حليفها ... وما انفكَّتِ الامثال في الناس سائرهْ
فقالت لهُ ادعوك للعقلِ وافيًا ... ولا تغشينّي منك بالظلم بادرهْ
فواثقها باللهِ حين تراضيا ... فكانت تديهِ المال غبًّا وظاهرهْ
فلمّا تُوُفّي العقلُ الّا اقلّهُ ... وجارتْ بهِ نفسٌ عن الحقّ جائرهْ
تذكَّر انّى يجعلُ اللهُ جنّةً ... فيصبحَ ذا مالٍ ويقتلَ واترهْ
فلمّا رأى أن ثمّر اللهُ مالهُ ... وأَثّلَ موجوداً وسدَّ مفاقرهْ
أكبَّ على فأسٍ يحدُّ غرابها ... مذكَّرةٍ من المعاولِ باترهْ
فقام لها من فوق جحرٍ مشيَّدٍ ... ليقتلها او تخطئَ الكفُّ بادرْ
فلمّا وقاها اللهُ ضربةَ فأْسهِ ... وللبرِّ عينٌ لا تُغمّضُ ناظرهْ
فقالَ تعالَي نجعلِ اللهَ بيننا ... على مالنا او تنجزي ليَ آخرهْ
فقالت يمينُ اللهِ افعلُ انني ... رأيتك مسحوراً يمينك فاجرهْ
ابى ليَ قبرٌ لا يزالُ مُقابلي ... وضربةُ فأسٍ فوق رأسي فاقرهْ

ابن السبيل والمروَة الباكية

مررتُ على المروَة وهي تبكي ... فقلتُ لها لِما تبكي الفتاةُ
فقالت كيف لا ابكي واهلي ... جميعًا دون خلقِ الله ماتوا

---

١ من اسماء الحيَّة

السائل والقلنسوة القلقة

رأيتُ قلنسوةً تستغيث | من فوق رأسٍ يُنادي خذوني
وقد قلقتُ فهي طوراً تميلُ | من عن يسار ومن عن يمينِ
فقلتُ لها ما الذي قد دهاك | فقالتْ مقالَ كئيبٍ حزينِ
دهانيَ انْ لستُ في قالَبي | واخشى من الناس انّ ينكروني
وان يأْخذوا في مزاحٍ معي | فان فعلوا ذلك مزَّقوني

(لاسمعيل النوبختي)

راجع ايضاً في مجاني الادب الاعداد ٧٨ و ٨٠ و ٨٣ و ٩٦ و ٩٨ و ٩٩ من الجزء الاول. والاعداد ١١٩ و ١٢٠ و ١٢٨ و ١٣٠ من الجزء الثاني

البحث الثاني

في شروط المثل

س كم هي شروط المثَل

ج اربعة: اولها ان تكون روايتهُ خالية من كل تعقيد ليفضي المقصود منهُ الى ذهن السامع

ثانيها ان يكون موجزاً

ثالثها ان يبهج السامع بطلاوتــه ويشحــذ فكرتهُ بهزل كلامهِ وابتكار معانيهِ ويضبط عقلهُ في الرواية وفضّ مشكلها

رابعها ان يُورَد بصورةٍ محتملة

س كيف يتأَتّى ان يكون المثل الذي يعزو النطق الى غير

الناطق محتملًا

ج اعلم ان المثل وان كان امراً غير واقعيّ فلا بدَّ لهُ من بعض تشابُه بالحقيقة. ويتأتَّى ذلك اذا نُسب الى كُل حيوان ما طابق غريزتهُ واذا عبَّرت العناصر بلسان حالها عن خواصّ طبعها. وعليهِ فتُعزي البسالة للأسد. والصبر والحمق للحمار. والرَوَغان للثعلب. والضرع والتملُّق للسنَّور. والنصرة والامانة للكلب. والتواضع للبنفسج. والكبر للأَرز والشدَّة للريح. وهلمَّ جرًّا

س أَلا يوجد شرط آخر لاستيفاء حقوق المثل

ج نعم وهو المغزى

س ما هو المغزى

ج هو الامر المقصود من ضرب المثل حتى لا يظنّ ان نتيجة المثل الإخبار عن حيلة بهيمتَين او محاورة سبُع مع ثور فينصرف بذلك عن الغرَض المقصود كما قال ابن المقفع

س ماذا يُشترط في المغزى

ج يُشترط فيهِ ان يكون ادبيًّا لا يزيح الانسان عن جادَّة الفضيلة ثم ان يكون واضحًا وجيزاً

س هل يتقدَّم المغزى على المثل

ج انهُ لاجدر بالمغزى ان يتأخر عن المثل فينجم عنهُ ولكن ربَّمَا تصدَّر على المثل لاغراضٍ . وكثيراً ما يأتي المغزى عن فم البهائم او مَن دارت عليهم رواية المثل فيزيد بذلك رونقًا

س اضرب على هذه المغازي مثلًا

١ً شاهد على مغزىً يلي المثل

الحمامة والنملة

حمامة مرةً عطشت فاتت الى نهر ماء تشرب وبقربها نملة وقعت في الماء فاشرفت على الهلاك . فلماَّ عاينت الحمامة استغاثت بها . فرمت لها الحمامة تبنة في الماء فنجت من الموت . واذا بصيَّاد خرج على الحمامة فوتر قوسهُ ليقتلها . فعضَّت النملة رجل الصيَّاد فالتفت من الألم وتخلَّصت الحمامة

معناهُ

انَّ الاحسان لا يضيع (السيوطي)

٢ً شاهد على مغزىً يتقدَّم المثل

الثعلب والعنب

انَّ مَن ينكرُ فضلًا هو عندي كثْعالَه
رام عُنقوداً فلماَّ ابصر العُنقودَ هالَهْ
قال هذا حامضٌ لمَّا رأى ان لا ينالَه

٣ً شاهد على مغزىً يُستخلَص من مثل على فم البهائم

الشاة والذئب

رأيتُ شاةً وذئبًا وهي ماسكــةٌ بأُذنهِ وهو منقادٌ لها ساري
فقلتُ اعجوبــةٌ ثم التفتُ أَرى ما بين نابَيهِ ملقىً نصفُ دينارِ
فقلتُ للشاة ما ذا الألفُ بينكما والذئبُ يسطو بانيابٍ واظفارِ
تبسَّمَتْ ثم قالت وهي ضاحكةٌ بالتِّبرِ يُكسَرُ ذاك الضيغمُ الضاري

البحث الثالث

في فوائد المَثَل وذكر من برع فيهِ

س ما هي فوائد المثل

ج فوائــد المثل جمَّة عجيبة اذا ما أُحكم سبكهُ . منها اوَّلاً نزهة البال وترويح الخاطر بجعل ذلك احبولة لموعظة النــاس وارشادهم الى سواء السبيل او الى نيل غرَض من الاغراض كما فعل نصر بن منيع وكان خارجيًّا قام على المأمون فسيَّراليهِ جيشًا تمكَّن منهُ وقادوهُ الى الخليفة . فامر بضرب عنقهِ فقال نصر : ياامــير المؤْمنين اسمع مثلًا خطر على بالي . قال : قل : فأَنشأَ يقول :

زعموا بأَنَّ الصقر صادف مرَّةً عُصفــورَ برٍّ ساقــهُ التقديرُ
فتكلَّم العصفورُ تحت جنــاحهِ والصَّقــرُ منقضٌّ عليهِ يطــيرُ
اني لمثلكَ لا اتمُّ لقمــةً ولئن شُويتُ فــانني لحقــيرُ
فتهاون الصقرُ المــدلُّ بصيدهِ كَرَمًا وأَفلتَ ذلك العصفــورُ

ثانيًا ان المثل بفكاهة ظاهرهِ يورث للمستبصر مجلَّة حكم

ودستور نصائح تعدل بالمرء عن نقائصهِ . ولهُ بذكر طبائع الحيوان وصفة احوالها مندوحةٌ لتقويض اركان الرذيلة وتعزيز اسباب الفضيلة وذلك على طريقة التعريض والاشارة كما ترى في المثل الذي ضربهُ ناتان النبي لداوُد بعد خطيئتهِ :

فارسل الربُّ ناتان الى داوُد وقال لهُ كان رجلان في احدى المدن احدهما غنيٌّ والآخر فقير . وكان للغنيّ غنمٌ وبقرٌ كثيرة جدًّا . والفقير لم يكن لهُ غير رِخلة واحدة صغيرة قد اشتراها وربَّاها وكبرت معهُ ومع بنيهِ تأكلُ من لقمتهِ وتشرب من كأسهِ وترقد في حضنهِ وكانت عندهُ كابنتهِ . فنزل بالرجل الغنيّ ضيف فشحَّ ان يأخذ من غنمهِ وبقره ليهيّئَ للضيف الوافد عليهِ فاخذ رخلة الرجل الفقير وهيَّأها للرجل الوافد عليهِ . فغضب داوُد على الرجل جدًّا وقال لناتان: حيٌّ الربُّ ان الرجل الذي صنع هذا يستوجب الموت . يردُّ عوض الرخلة اربعاً جزاءَ انهُ فعل هذا الامر ولم يشفق . فقال ناتان لداوُد : انت هو الرجل . هكذا قال الربُّ الهُ اسرائيل : اني مسحتك ملكاً على اسرائيل وانقذتك من يد شاوُل . . فلماذا ازدريتَ كلام الربّ وارتكبت القبيح في عينيهِ . قد قتلتَ أُوريّا الحثيّ بالسيف واخذتَ زوجتهُ زوجةً لك ... فقال داود لناتان : قد خطئتُ الى الربّ

س من واضع فنّ الامثال

ج ان الامثال قديمة العهد جدًّا ولا يُعرف اسم اول من تكلم بها .

امَّا اقدم مثل فهو مثل الاشجار الذي ورد في الاسفار الالهية ضربهُ يوتام اصغر بني جدعون وكان اخوهُ ابيملك قتل سبعين من اخوتهِ وملك على شكيم . وكان يوتام افلت من القتل فجاءَ الى شكيم ووقف على جبل جرزيم ونادى باهل شكيم المجتمعين بسفح الجبل واشار بالاشجار

الى اخوته المقتولين . ولحَّ الى ابيملك بالعوسجة

ذهبت الشجر ليمسحنَ عليهنَّ ملكًا فقلنَ لشجرة الزيتون كوني علينا ملكة . فقالت لهنَّ الزيتونة : أأدعُ زيتي الذي لاجله تكرمني الآلهة والناس واذهب لاستعلي على الشجر . فقالت الشجر للتينة : تعالي انتِ فكوني علينا ملكة . فقالت لهنَّ التينة : أأدعُ حلاوتي وثمرتي الطيّبة واذهب لاستعلي على الشجر . فقالت الشجر للجفنة : تعالي انت فكوني علينا ملكة . فقالت الجفنة : اادعُ مسطاري الذي يسرُّ الله والناس واذهب لاستعلي على الشجر . فقالت الشجر كلها للعوسجة : تعالي انتِ فكوني علينا ملكة . فقالت العوسجة للشجر : ان كنتنَّ حقًا تمسحنني ملكة عليكنَّ فتعالَينَ استظللنَ بظلّي وإلّا فلتخرج نار من العوسجة : وتحرق ارز لبنان (من الفصل التاسع من سفر القضاة)

س اذكر اسماء من رزقوا السعادة بالامثال عند العرب

ج قد اشتهرت عند العرب الامثال المنسوبة للقمان الحكيم (١) نُقلت عنهُ بالتقليد ثم اودعت بطون الدفاتر في اواسط القرن العاشر للمسيح سِمَتها الايجاز والايضاح والضبط بيد انها لا تخلو من بعض الدقّة والذكاء . وقد اجاد ايضًا ابن المقفَّع (٢) في ترجمة كتاب كليلة ودمنة (٣) وهو كتاب جليل تضمن نيّف ومائة مثل بافصح عبارة وابلغ لسان وفيها من الرشاقة والسهولة والطلاوة ما يبهّجها الى القلوب ويُحسن موقعها في النفوس غير انهُ يؤخذ على صاحبها تداخل الامثال ببعضها

١ اطلب ترجمتهُ في حواشي مجاني الادب صفحة ٧

٢ اطلب ترجمتهُ في حواشي مجاني الادب صفحة ٢٦٨

٣ اطلب ما قيل في صدد هذا الكتاب صفحة ٢١ من الحواشي على كتاب مجاني الادب

بحيث يتولَّد في ذهن القارئ شي من الالتباس والتشويش .
ومن كتب الامثال كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عَربشاه الدمشقي المتوفَّى سنة ٨٥٤ هـ (١٤٥٠م) نحا فيهِ نَحو كتاب كليلة ودمنة وضعهُ على عشرة ابواب وصنفهُ بانشاء لطيف غير ان امثالهُ مسهبة مملَّة يشينها التصنُّع والتكلف .
وقد ورد شيء كثير من الامثال الحسنة في كتاب سلوان المطاع لحجَّة الدين بن ظفر المتوفَّى سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢م) وفي كتاب عنوان البيان للشبراوي المتوفَّى سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢م) وكذلك في كتاب الف ليلة وليلة قسم كبير من الامثال . وفي كتاب الاذكياء لابي الفرج بن الجوزي المتوفَّى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠م) وفي آخر كتاب الكلم الروحانية لابن هندو المتوفَّى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٣٠م) وفي مصنفات السيوطي وغيرهم من الائمة

امَّا المحدَثون فقد جدَّ بعضهم في تأليف الامثال وادركوا بها قسمًا من السعادة نخصُّ منهم رزق الله حسُّون في نفثاتهِ ومحمَّد عثمان جلال المصري في كتاب الامثال والمواعظ [1] دونك

[1] طُبعت النفثات في لندرة والامثال والمواعظ في مصر واغلب الامثال الواردة فيهما معرَّبة عن الافرنسيَّة

منها مثلًا تقف بهِ على نجابة ناظمها

الذئب والأمّ وولدها

حكاية الذئب تُهدى الى الملوك حلالا
فانّها في القوافي حُسناً زهتْ وجمالا
قد مرّ يوماً بدار نوقاً حوت وجمالا
ونعجةٌ ذات صوفٍ أحمالها تتلالا
فرام يدخل لكن رأى الدخول محالا
والامّ للوقت صاحتْ على ابنها قُم تعالى
لاجابَ الذئب عندي يأ كلك اليوم حالا
والذئب مذ سمع القول طاب نفساً وقالا
لا بُدَّ من اكل هذا وانقضّ فورا وصالا
فصاحت الامّ صوتاً في الدار لمَّ الرجالا
حتى الكلاب اتتهُ وجرَّعتهُ القتالا
فقصّهم ما رآهُ فلم يُجيبوا سؤالا
واغماً قطّعوهُ ورشقوهُ نبالا
والامّ للذئب قالت متى اكلتَ العيالا
ياطامعاً في الثريّاً قد زدتَّ منها ضلالا
وانت ياذئب تجزى بما فعلتَ خبالا
اما سمعتَ القوافي وما قرأت المثالا
ادعو على ابني وقلبي يقول يارب لا لا

ألفنّ الثاني

في الوصف

قد سبق القول آنفًا (صفحة ٧ و ٤١) انّ الصفاتِ مفرداتٌ وُضعت لبيان المنعوت وكشف حالهِ ولكن كثيرًا ما يتوسَّع نطاق هذه الصفات بحيث ان الكاتب يتصرَّف بها لايضاح غرَض من الاغراض وتبيان ظروفهِ وخواصهِ فيخرج اذ ذاك الوصف الى حيز فنٍّ من فنون الانشاء يترتب علينا الآن ذكر اصولهِ

س ما الوصف

ج هو عبارة عن بيان الامر باستيعاب احوالهِ وضروب نعوتهِ الممثّلة لهُ كقول المقدسي في وصف روضٍ :

فانتهيتُ الى رَوْضة قد رقَّ اديمها ، وراق نسيمها ، ونمَّ طيبُها ، وغنّى عَنْدَليبها ، وتحرَّكت عِيدانها ، وتمايَلت اغصانُها ، وتبلبلت بلابلُها ، وتسلسلت جَداولها ، وتسرَّحت انهارُها ، وتضوَّعت اقطارُها ، وتنمَّقت ازهارها ، وصوَّت هَزارُها ، فقلت : يا لها من روضة ما اهناها ، وخَلوة ما اصفاها . . .

او كما قال زُهير بن ابي سلمى في وصف الحرب وتتائجها الوبئة وقد شبهها بعرك الرَّحى للحبوب :

وما الحربُ الّا ما علمتُم وذُقتُمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتضرَى اذا ضرَّيتموها فتضرم
فتعركْكمُ عرك الرحى بثفالها ... وتلقحْ كشافًا ثمَّ تُنتَج فتُتئمِ
فتُنتَج لكم غِلمانَ اشامَ كلّهم ... كأحمر عادٍ ثم تُرضع فتفطم
فتُغلِل لكم ما لا تُغلُّ لِاهلها ... قُرًى بالعراق من قفيزٍ ودرهم

البحث الاول

في اصول الوصف

س على كم نوع اصول الوصف

ج اصول الوصف عامّة وخاصّة

س ماهي اصوله العامّة

ج ثلاثة : الاول ان يكون حقيقًا بالموصوف مفرزًا له عمّا سواه كقول المأمون في وصف القلم :

القلم احد اللسانين يفرّغ ما يجمعهُ القلب ويصوغ ما يسبكهُ اللبُّ . بهِ حفظت الآثار وسيقت التواريخ وعرفت الاخبار وقيّدت الشهادات ونقشت السكوك وثبتت الحقوق

الثاني ان يكون ذا طلاوة ورونق كقول البحتري في وصف الشام :

عُنيتُ بشرقِ الارض قِدمًا وغربها ... اجوّبُ في آفاقها واسيرها
فلم أرَ مثلَ الشام دار اقامة ... لراحٍ أُغاديها وكاسٍ أُديرُها
مصحّة ابدان ونُزْهةُ أعينٍ ... ولهوِ نفوسٍ دائمٍ سرورُها
مقدّسةٌ جاد الربيعُ بلادها ... ففي كلّ ارضٍ روضةٌ وغديرُها
تباشر قطراها واضعفَ حسنها ... بانَّ اميرَ المؤمنين يزورُها

الثالث ان لا يُخرَج فيهِ الى حدود المبالغة والاسهاب كما ينبغي العدول عن وصف دنايا الامور او ما دقَّ وصغُر منها ما لم يتعلّق للكاتب غرضٌ في ذلك

س ما هي اصول الوصف الخاصة

ج ان هذه الاصول تؤخذ من مقام المنشئ وغرضه. فان كان الكاتب شاعراً فله ان يتفنن في اوصافه وينمّقها ببدائع الالفاظ وانيق الاساليب. وان كان خطيباً فليلتجئ في إنذاره وترغيبه الى الاوصاف الجزلة كبيان الكمالات القدسية وغرة الدنيا وصروف الدهر وغوائل الموت وما شاكل ذلك. امّا اذا كان منشئاً او مؤرخاً او راوياً فيمكنه ان يودع روايته ما سهل وعذب من الاوصاف كوصف مدينة او نعت حرب او مدح سلطان او عرض حاجة وما اشبه ذلك

س اذكر شاهداً على هذه الانواع الثلاثة

وصف هجوم الذئاب في جبال اوروبا

إذا ما الجواد جنّ واكفهرا ... وجُرّ من الشتاء الذيل جرا
وحدّ الجوع باترةً ظباءُ ... وراش سهامه يصمي الاغرّا
تألبتِ الذئابُ من الاقاصي ... وقد ابتِ الخلاءَ لها مقرّا
وجاءت من جبالِ الألبِ تعدو ... ومن ابنين تلتقمُ الامرّا
ومن ارجاءِ بيرينيس تسطو ... على ما صادفت قلّا وكثرا
لها ظامِ المنون وجوعُ لحد ... عطاشاً للدماءِ تؤم نحرا
بدتْ منها العظامُ جوًى وجوعاً ... وتطبُ وجوهها لغباً وضرّا
بها هزلٌ بلا جدٍّ وجدٌّ ... اذا هجمت بلا هزل فحذرا
تصبُّ على البلادِ فكلّ حيٍّ ... غنيمتُها وتحصرُ ما اشمخرّا

تضاهي شمألًا مرّت بثلجٍ فتكسحهُ وتعفو منهُ أثرَا
تشبُّ على الجواد فتمتطيهِ وتصرعهُ وتخلي منهُ صَدرَا
وليس الثور مُنقذ نفسهُ من غوائلها ولا يسطيعُ صبرَا
تجفُ الى النحور فكلُّ امٍّ بها ثكلى تنوح سامت عمرَا
فحُسن المرء لا يجديهِ نفعًا اذا حملتْ اليهِ ولا مفرَّا
ولا يُجديهِ إحسانٌ اليها ولو اهدى لها درًّا ودُرَّا
وان قوم حموا عنها حِماهُمْ وضاقت حيلة فيها ومكرَا
تخلّلت القبورَ فبعثرتها ولم تترُك بما ضمّتهُ سُؤرَا
وتفرَح ان بكت امٌّ بنيها لسوءِ نابَ او شرٍّ امرَّا
وانَّ لها غداةَ الحربِ عِرسًا ومماً يُكسَر الجيشانِ جبرا
تروع صفاتها روعًا وسمعًا فكيف وقد بدت للعين جهرًا
فيا بُشرى لقطرٍ عنهُ ناءَت فانَّ عليهِ يهمي الخيرُ قطرًا
وويحٌ للبلادِ ومَن عليها برؤيتها وساءَت مستقرَّا

وصف الدنيا لامير المومنين علي بن ابي طالب

الدنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرارٍ من ورَقها، واياسٍ من ثمرها، واغورار من مائها، قد درست منار الهُدى، وظهرت اعلام الردى، فهي متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، فانظروا اليها نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها، فانها والله عمّا قليل تُزيل الثاوي الساكن، وتفجع المُترَف الآمن، لا يرجع ما تولّى منها فادْبَر، ولا يُدرى ما هو آتٍ منها فيُنتظَر، سرورها مشُوب بالحزَن، وجلَد الرجال فيها الى الضُعف والوَهن، فلا تغرَّنكم كثرة ما يُعجبكم فيها، لقلّة ما يَصحبكم منها

وحشة الاسلام بوفاة السلطان صلاح الدين

وكان يوم وفاة صلاح الدين يومًا لم يُصَب الاسلام والمسلمون بمثلهِ مُنذ فُقِد الخلفاء الراشدون . وغشيَ قلعة دمشق والبلد والدنيا من الوحشة ما لا

يعلمهُ الّا الله تعالى . وتالله لقد كنتُ اسمع من بعض الناس انّهم يتمنّون فداء من يعزُّ عليهم بنفوسهم فكنتُ احمل ذلك على ضرب من التجوُّز والترخُّص الى ذلك اليوم فاني علمتُ من نفسي ومن غيري انهُ لو قُبِل الفداء لفُدي بالنفس . ثم جلس ولدهُ الافضل للعزاء ... وكان يوماً عظيماً قد شَغَل كلَّ انسان ما عندهُ من الحزن والاسف والبكاء والاستغاثة عن ان ينظر الى غيره . وكان اولادهُ يخرجون مستغيثين بين الناس فتكاد النفوس تزهق لهول منظرهم ودام الحال على ذلك الى بعد صلاة الظهرِ ... فأُخرج في تابوتٍ مسجّى بثوبِ فوطٍ فارتفعت الاصوات عند مشاهدتهِ وعظم الضجيج حتى ان العاقل تخيّل ان الدنيا كلها تصيح صوتاً واحدًا وغشي الناس من البكاء والعويل ما شغلهم عن الصلاة وصلّى عليهِ الناس ارسالًا .. ثم رجع الناس الى بيوتهم اقبح رجوع وما يوجد قلب الّا حزيناً ولا عين الّا باكية (سيرة صلاح الدين لابي المظفَّر بن شداد)

س ما احسن طريقة للاجادة في الوصف

ج اولى طريقة لذلك ان ترسم اولاً في بدء وصفك نظراً عاماً فيما تريد وصفهُ كما يفعل المصوّر . ثم تأخذ بايراد مختلف الاجزاء قسماً فقسماً . وذلك إمّا على تتابع ورود هذه الاجزاء كما يفعل من يباشر في وصف حرب فانهُ يبدأ بذكر حالة الفريقَين ثم يأخذ اثر ذلك في وصف الواقعة على حسب ظروفها وترتيب احوالها الطبيعي . وعلى هذا الوجه توصف الاعياد والحفلات والاسفار والعواصف وما شاكلها

واما على تقديم اهمّ الاجزاء او ايثار ما كان يراهُ الكاتب اشدَّ تلاؤماً بغايتهِ وعلى هذا النمط توصف بلدة ما او ابنية جليلة

او منظر انيق وهلمَّ جرًّا

(راجع باب الوصف في كتاب مجاني الادب صفحة ١٨٧ من الجزء الثالث و ٢١٤ من الجزء الرابع و ٢٠٦ من الجزء الخامس و ١٦٢ من الجزء السادس)

س ماذا يُستحبُّ في الاوصاف

ج انمَّا يُستحبُّ فيها اولاً ذكر الانسان لانهُ كما يقول المثل كل طائرٍ يأوي الى شكلهِ . لا سيما اذا اعتبرتَ ان الانسان ملك الطبيعة . فلا يُستحسن وصف بلاط لا يأويهِ ملكهُ

ثانيًا ائتلاف الاوصاف و جمعها تحت حكمٍ واحد وغاية واحدة . كما لو انك وصفت الربيع مثلًا تنوي ان تبيّن في نعوتك محاسن الطبيعة او جودة الخالق او ايضًا الانفعالات الناتجة عنها في النفس

البحث الثاني

في انواع الوصف

س ما هي انواع الوصف

ج اعلم ان الاوصاف مع كثرة اصنافها وسعة مجالها تنحصر في قسمين . هما وصف الاشياء ووصف الاشخاص

س ما هي اخصّ اوصاف الاشياء

ج هي اوصاف الامكنة والحوادث كوصف بلدةٍ او بنايات او روضةٍ او وصف عاصفة او حربٍ

س اورد لنا بعض شواهد في وصف الامكنة

وصف نصيبين لابن جُبير

ان هذه المدينة شهيرة العتاقة والقِدَم ، ظاهرها شباب وباطنها هرَم ، جميلة المنظر ، متوسّطة بين الكبر والصغر ، يمتدّ امامها وخلفها بسيط اخضر مدّ البصر ، قد اجرى الله فيه ، مذانب من الماء تسقيه ، وتطّرد في نواحيه ، وتحفّ بها عن يمين وشمال بساتينُ ملتفّة الاشجار ، يانعة الثمار ، و ينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار ، والحدائق تنتظم بحافتيه ، وتفيء ظلالها الوارفة عليه ، فرحم الله ابا نُوَاس الحسن بن هانئ حيث يقول

طابت نصيبين لي يومًا فطبتُ لها ياليت حظّي من الدنيا نصيبينُ

فخارجها رياضيّ الشمائل ، اندلسيّ الخمائل ، يرفّ غضارةً ونضارة ، ويتألّف عليهِ رونق الحضارة ، وداخلها شعث البادية بادٍ عليهِ ، فلا مطمح للبصر اليهِ ، لا تجد العين فيهِ مسحة مجال . وهذا النهر ينسرب اليها من عين معينة منبعها بجبل قريب منها . تنقسم منها مذانب تخترق بسائطها وعمائرها . ويتخلّل البلد منها جزءٌ فيتفرّق على شوارعه ويلج في بعض دياره ويصل الى جامعها سرب يخترق صحنهُ وينصبّ في صِهريجَيْن احدهما وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقي منهُ ويفضي الى سقايتين حول الجامع . وعلى النهر المذكور جسرٌ معقود من صُمّ الحجارة يتصل بباب المدينة القبلي وفيها مدرستان ومارستان واحد

وصف القسطنطينية

ودهرًا بقسطنطينيّة قد قطعتهُ اذ السعد عبد لي بها وخديمُ
بلاد هي الدنيا اذا ما قطنتها فوجه الاماني مسفر ووسيمُ

وما هي الّا جنّة الخُلد بهجةً وما غيرها الّا لظىً وجحيمُ
فكم في مغانيها قضيت لبانة وزالت عن القلب الكليم هموم
وقرب ابي ايّوب كم روضة اذا حللتَ بها يوماً فلست تريمُ
تقول اذا شاهدت عالي قصورها أهذي جنان زُخرفت ونعيمُ
جرى ماؤُها كالسلسبيل فمثلها اذا ما تذكَّرتَ البقاع عديمُ
كستها الغوادي حلة سندسية واهدى شذاها للنفوس شميمُ
وبالسفح سفح الطوبخانة اربع لها النسر في جوّ السماء نديمُ
تلوح لها الغيدُ الصباح كانما علوًّا واشراقًا تلوح نجومُ
يقابلها ذاك الخليج بصفحة كأنَّ لها متن السماء خديمُ
ترى السفن فيها جاريات كانها جياد فمنها سابق ولطيمُ
وعند الحصارَين المنيعَين جيرةً حديث علاهم في الانام قديمُ
عجبت لايامي بهم كيف لم تدم وهل دام شيء غيرها فتدومُ

راجع ايضاً في مجاني الادب باب اوصاف البلاد صفحة ١٨٨ من الجزء الاول . وعدد ٣٩٥ و ٣٩٦ من الجزء الثاني . وعدد ٣٣٠ و ٣٣٩ من الجزء الثالث . وعدد ٢٨٧ و ٣٠٨ وعدد ٢٠٢ و ٢١١

س اورد بعض شواهد في وصف الحوادث

وصف عاصفة في البحر لابن جُبير

وفي ليلة الثلاثاء الثامن عشر لذي القعدة والخامس عشر من شهر مارس فارقنا بر سردانية وهو برٌّ طويل جرينا بحذائهِ نحو المائتي ميل . وفي ليلة الاربعاء بعدها من اولها عصفت علينا ريح هاج لها البحرُ وجاءَ معها مطر ترسلهُ الرياح بقوَّة كانهُ شآبيب سهام فعظم الخَطب واشتدَّ الكرب وجاءَنا الموج من كل مكان امثال الجبال السائرة فبقينا على تلك الحال الليل كلهُ والياس قد بلغ منا مبلغه . وارتجينا مع الصباح فرجةً تخفّف عنّا بعضَ ما نزل بنا فجاءَ النهار وهو يوم الاربعاء التاسع عشر من ذي قعدة بما هو اشدُّ هولاً واعظم كرباً . وزاد

البحر اهتياجاً وأُزيدت الآفاق سواداً . واستشرَت الريح والمطر عصوفاً حتى لم يثبت معها شراع . فلُجِئَ الى استعمال الشُرُع الصغار فاخذت الريح احدَها ومزَّقتهُ وكسرت الخشبة التي ترتبط الشُرُع فيها وهي المعروفة عندهم بالقَرِيـة . فحينئذ تمكّن اليأسُ من النفـوس وارتفعت ايدي الرُكّاب بالدعاء الى الله عزَّ وجل واقمنا على تلك الحال النهار كلهُ . فلما جنَّ الليل فترَت الحال بعض فتور وسرْنا في هذه الحال كلها بريح الصواري سيراً سريعاً وفي ذلك اليوم حاذينا برَّ جزيرة صقلّية . وبتنا تلك الليلة التي هي ليلـة الخميس التالية لليوم المذكور متردّدين بين الرجاء واليأس . فلما اسفر الصبح نشر الله رحمته واقشعت السحابُ وطاب الهواء واضاءت الشمس واخذ في السكون البحرُ فاستبشر النـاس وعاد الانس وذهب اليأس والحمد لله الذي ارانا عظيم قدرتهِ ، ثم تلافى بجميل رحمته ، ولطيف رافتهِ ، حمداً يكون كفاءً لمنّتهِ ونعمتهِ ، وفي هذا الصباح المذكور ظهر لنا برّ صقلّية وقد اجزنا اكثرهُ ولم يبقَ منه الا الاقلّ . واجمع مَن حضر من رؤساء البحر من الروم وممّن شاهد الاسفـار والاهوال في البحر من المسلمين انهم لم يعاينوا قط مثل هذا الهوْل فيما سلف من اعمارهم والخبَر عن هذه الحال يصغر في خُبرها

وصف الربيع لابن ابي طاهر

الربيع فصلٌ تامّ الجمال ، حسَن الدلال ، عظيم الخطر ، لطيف النظَر ، جميل الذكر ، ذكيّ العطر ، لذيذ النسيم ، طيّب الشميم ، غزير النعيم ، قليل الهموم ، قليل الغموم

طلع الربيـع بغـرّةٍ زهـراء ... تجلى العيونُ بهـا من الاقذاء
وبدت وجوهُ الارض بعد قطوبها ... مفـترّة ببـدائعِ الآلاء
فالارض في حُللٍ وحُليٍ مونق ... في ما حبتـهُ بهِ يدُ الانواء
والروض يضحكُ عن بكى وَسميّـهِ ... بتلألُؤٍ من صنعـة الانـداء
وترى الريـاض كانهنَّ عرائسٌ ... يرفلنَ من صفـراء في حمـراء
اوما رأيت الارض غبراء الربى ... حتى اغتـدَت في بردة خضراء
انَّ الربيـع لَبهجـة الارض التي ... منها تكـون جـواهرُ الاشياء
ولهُ هواءٌ كالهوى من رقّـة ... دقّت عن الاوهـام والاهواء

واذا تنفَّس بالنسيم نسيمهُ كتنفُّس الصبوات في الاحشاء
زمنٌ جديدٌ السرور تجدُّدٌ فيهِ استحلَّت حرمة الصهباء

س ماذا يوصف في الاشخاص

ج يوصف فيها امَّا الصورة وامَّا الاخلاق

س كيف تكون صفة الصورة

ج تكون بوصف الهيئة كالوجه وحسن المنظر والحركات والزيّ كما وصف عبدُ الوحيد ابا يوسف عبد الرحمان في تاريخ الاندلس قال :

كان ابو يوسف صافي السُّمرة جدًا اَعْيَنَ افوهَ شديد الكُحل مستدير اللحية ضخم الاعضاء جهور الصوت جزْل الالفاظ اصدق الناس لهجة واحسنهم حديثًا

ومن ذلك وصف غلام لابي عثمان الخالدي

ما هو عبدٌ ولكنَّهُ وَلدُ خوَّلنيهِ المهيمنُ الصمَدُ
وشدَّ إزري بحُسن خدمتهِ فهو يدي والذراعُ والعضُدُ
صغيرُ سنٍّ كبيرُ منفعةٍ تمازج الضعفُ فيهِ والجلَدُ
في سنّ بدر الدُّجى وصورتهِ فمثلهُ يُصطفى ويُعتقَدُ
معشَّق الطرف كِحلهُ كحَلٌ معطَّلُ الجيد حليهُ الجيَدُ
وغصنُ بانٍ اذا بدا واذا شدا فقمريٌّ بانة غرِدُ
مبارك الوجهِ مُذ حَظيتُ بهِ بالي رخيٌّ وعيشتي رَغَدُ
مُسامري ان دجا الظلامُ فلي منهُ حديثٌ كانهُ الشهَدُ
ظريفُ مدحٍ مليحُ نادرةٍ جوهرُ حُسن شرارهُ يقِدُ
خازنُ ما في داري وحافظهُ فليس شيءٌ لديَّ مُفتقَدُ
ومُنفقٌ مُشفقٌ اذا انا اسرفتُ وبذَّرتُ فهو مقتصدُ
يصون كتبي فكلّها حسَنٌ يطوي ثيابي فكلّها جُدَدُ

وابصر الناس بالطبيخ فكالـ ـمسك القلايا وكالعنبر الثرد
مهفهف كيّس فلا عوج في بعض اخلاقهِ ولا أَوَدُ
ويعرف الشعر مثل معرفتي وهو على ان يزيدَ مجتهد
وكاتب توجد البلاغة في الفاظهِ والصواب والرَّشَدُ
وواجد بي من المحبة والـ ـرأفة اضعاف ما به اجد
اذا تبسّمتُ فهو مبتهج وان تغرمرتُ فهو مرتعدُ
ذا بعض اوصافهِ وقد بقيت له صفات لم يحوِها احدُ

س ما هي صفات الاخلاق (١)

ج هي عبارة عن ذكر ما طُبع عليهِ الانسان من المناقب الحميدة اوما خُصَّ بهِ من السجايا المذمومة كما وصف بعضهم اميراً قال :

كان الامير بسيط الكفّ رحب الصدر مُوَطَّأ الاكناف سهل الخُلق كريم الطباع غيث مغوث وبحر زخور ضحوك السنّ بشير الوجه بادي القبول غير عبوس . يستقبل الوافد بطلاقة ويحييهُ ببُشر ويستدبره بكرم غيثٍ وجميل بشر تبهجهُ طلاقتهُ ويرضيهِ بشرهُ . ضحّاك على مائدتهِ عبد لضيفانهِ بطين من العقل خميص من الجهل راجح الحلم ثاقب الرأي معطاء غير سأَّل كاسٍ من كلّ مكرُمة عارٍ من كل ملامة ان سُئل بذل وان قال فعل

ومن ذلك وصف الخليفة المأمون للاتليدي

فاق المأمون اهل زمانهِ في الادب والبيان ، والفصاحة واللسان ، وكان حافظاً للأقدار ، راوياً للاشعار ، خبيراً بسير الملوك في الايام السالفة ، بصيراً في المبحث عن امورهم في الأيام الانفة ، حاذقاً في التصنيف ، فائقاً في التأليف ، صبيح الوجه مقبول المشاهد حلو الشمائل

١ وكثيراً ما يعبَّر عنها في كتب العرب بالخُلق او الوصف ليس الاَّ

وطالما جمعوا في الاوصاف بين صفة الوجه وصفة الطباع كما وصف الاربلي هارون الرشيد قال :

كان الرشيد ابيض طويلًا سمينًا جميلًا جعدًا ولم يَمُت حتى وخطهُ الشيب وكان بهِ حَول في فرد عين لايبين إلّا لمن تأمّلَهُ وكان كثير العبادة فصيحًا بليغًا اديبًا فَهمهُ فوق فهم العلماء وهو يتواضع لاهل العلم والدين . وكان طيّب النفس فكيهًا يحبُّ المزح وكان مع حُبِّ اللهو كثير البكاء من خشية الله محبًّا للمواعظ ونَقَشَ على خاتمهِ : كن مِنَ الله على حَذَر . وكان طلق الوجه حسن الرأي والتدبير ليّن الجانب يجلس مع الناس على الطعام و يبذل الصِلات ويزور الصالحين

وربّما وصف الكتّاب شخصَين امّا لترجيح احدهما على الآخر امّا للمقابلة بينهما على سبيل المغايرة فمن ذلك وصف شهاب الدين المقدسي في كتاب الروضتين لنور الدين وصلاح الدين قال ما ملخّصهُ :

فلمّا وقفت على ترجمة الملك العادل نور الدين الطربني ما رأيتُ من آثارهِ ، وسَمِعْتُ من اخبارهِ ، مع تأخر زمانهِ ، وتغير خلّانهِ ، ثم وقفت بعد ذلك على سيرة سيّد الملوك بعده الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتأخرين ، كالعُمَرَين في المتقدمين ، فانّ كل ثانٍ من الفريقَين حذا حَذْو من تقدَّمهُ في العدل والجهاد ، واجتهد في اعزاز الدين ايَّ اجتهاد ، وهما ملكا بلدتنا ، وسلطانا خطّتنا .. فللهِ دَرُّهما من ملكَين تعاقبا على حُسْن السيرة ، وجميل السريرة وهما حنفيٌّ وشافعيّ ، شفى الله بهما كُلّ عيّ ، وظهرت بهما من خالقهما العناية فتقاربا حتى في العمر ومدّة الولاية ، وكان نور الدين اسنَّ من صلاح الدين بسنة واحدة وبعض أُخرى وكلاهما لم يستكمل ستين سنة فانظر كيف اتفق انَّ بين وفاتَيهما عشرين سنة و بين مولديهما احدى وعشرين سنة ، وملك نور الدين دمشق سنة تسع واربعين ، وملكها صلاح الدين سنة سبعين فبقيَت دمشق في المملكة الصلاحيّة تسع عشرة سنة . وهذا من عجيب ما اتفق في العُمر ومدّة الولاية ببلدة معيّنة لملكَين متعاقِبَين

مع قرب الشبه بينهما في سيرتهما والفضل للمتقدّم فكانت زيادة مدّة نور الدين كالتنبيه على زيادة فضلهِ، والارشاد الى عظم محلّهِ، فانهُ اصل ذلك الخير كلّهِ مهّد الامور بعدلهِ وجهادهِ، وهيبتهِ في جميع بلادهِ، مع شدّة الفتق، واتساع الخرق، وفتح من البلاد، ما استعين بهِ على مداومة الجهاد، فهان على من بعدهُ على الحقيقة، سلوك تلك الطريقة، ولكن صلاح الدين اكثر جهادًا، واعمّ بلادًا، صبر وصابر، ورابط وثابر، وذخر لهُ من الفتوح انفسه، وهو الذي فتح الارض المقدسة، فرضي الله عنهما فما احقّهما بقول الشاعر :

وألبسَ اللهُ هاتيك العظامَ وإنْ بَلينَ تحتَ الثرى عفوًا وغُفرانا
يُسقَى ثرًى أودعوهُ رحمةً ملأت مثوى قبورهمِ رَوحًا وريحانا

راجع ايضًا وصف الغني والفقير والمقابلة بينهما صفحة ٤٧

وآنات تعمُّ هذه الاوصاف امّةً اوقبيلةً او دولةً اوطائفةً من الناس كما قال بعضهم في وصف التجار :

صحبتُ مع التجار وكان يومًا جعلتُ حضورنا فيهِ وَداعا
فذاك يقولُ كم اطلقتَ بيعًا ووفّيت الذي بعتَ الذِراعا
وهذا قال عندي كل شيءٍ ولكن لا ابيعُ ولا أُباعا
فلا تجعلهمُ ابدًا ندامى فتكسبَ من مكاسبهم صُداعا

وصف الوزير الكامل

ينبغي ان يكون الوزير جامعًا لخصال الخير حسن الخَلق والخُلق يجمع بين البشاشة والوقار والحلم والهيبة والعفّة والنزاهة وعزّة النفس . سديد الآراء حسن العبارة سريع الفهم عالمًا بالامور السياسية والناموسية والضوابط السلطانية والاحوال الديوانية والامور الحربية يجمع ويفرّق ويبعد ويقرّب ويشتّت ويؤلّف . ويضاف الى ذلك ان يكون قد بلغ اشدّهُ وكثرت تجاربهُ وامنت خيانتهُ وتحقّقت امانتهُ . كتومًا للاسرار يسكتهُ الحلم وينطقهُ العلم لهُ حفظ وبلاغة وايجاز في العبارة . حسن التأنّي في مخاطبة الملك لطيف التوصّل الى نقل طباعهِ

من الميل الى الاعتدال . وليكن مشتملًا برداء الصدق والوفاء معروفًا بصفات الخير من نفسهِ متّصفًا متبحرًا في انواع العلوم مالكًا لزمام المنثور والمنظوم جامعًا لشتيت المكرُمات . عارفًا بكتابة الانشاء والترسُّلات . كافيًا في حسن النظر والمباشرات شافيًا في العروض خبيرًا بالحال والمحاسبات ماهرًا في الاستيفاء والمقابلات ، قويًّا في صناعة الحساب والتصرُّفات ، بليغًا في الفصاحة والكلام ، حاذقًا في البراعة والاهتمام ، وفيّ الذمام ، شفوقًا بالاسلام ، ذكيّ الفكرة ، زكيّ الفطرة ، سريعًا جوابهُ ، كثيرًا صوابهُ ، حسنًا خطابهُ ، مفتنًا في الحكم والاستنباطات ، مطيقًا في اعمال المقترحات ، متيقظًا في تدبير الدولة العادلة ، مخلّدًا ذكر السيرة الفاضلة ، جيدًا في علم التواريخ والهندسة محمود العواقب في الاشارات والاقيسة معمّرًا للجهات والاعمال ، مثمرًا لاصناف الاموال ، كتومًا للاسرار ، هادمًا للاوزار ، مجتهدًا في تحصيل الغلال والاموال من جهاتها ، مقتصدًا في وجوه صرفها ونفقاتها ، قد تجلبب في ذلك بجلباب التقوى ، وقدم الله بين يديهِ حتى يقوى ، هذه صفات الوزير الكامل ذي الجلالتين ، والاثير الفاضل في الحالتين

(من كتاب ترتيب الدول للحسن بن عبدالله بن عبّاس)

راجع في هذا المعنى صفة العرب في الجزء الثالث من مجاني الادب عدد ٣٩١ والجزء الخامس عدد ١١٦ . وصفة الكلدان والفرس واليونان والرومان في الجزء الثاني عدد ٤٣٧ و٤٣٨ و٤٤٠ و٤٤١ و٤٤٣ . وصفة الدولة العبّاسية في الجزء الخامس عدد ٣١٢

وقد اردفوا ايضًا بوصف الناس وصف الحيوان وطباعهِ واخلاقهِ كما وصف اخوانُ الصفا الاَسد :

هو اكبر السّباع جُثّةً واعظمها خلقةً واَقواها بنيةً . واشدُّها قوّةً وبطشًا واَعظمها هيبةً واجلالًا . عريض الصدر دقيق الخصر لطيف المؤخر كبير الرأس مدوَّر الوجه واضح الجَبين واسع الشدقَين مفتوح المنخرَين متين الزندَين حادُّ الانياب سُلْبُ المخالب برّاق العينَين جهير الصوت شديد الزئير شجاع القلب هائل المنظر . لا يهاب احدًا ولا يقوم بشدة بأسهِ الجواميسُ والفيَلةُ والتمساحُ ولا

الرجال ذوو الباس الشديد. ولا الفرسان ذوو السلاح الشاكّ المدرعة. وهو شديد العزيمة صارم الراي اذا همّ بامرٍ قام اليهِ بنفسهِ. سخيّ النفس اذا اصطاد فريسة أكل منها وتصدَّق بباقيها. ظلف النفس عن الامور الدنيَّة لا يتعرَّض للنساء والصبيان

صفة النحل

مماً خصَّ الله بهِ النحل وانعم عليها به أن جعل خلقةَ صورتها وهياكلها وجميل اخلاقها وحسن سيرتها وتصاريف امورها عبرةً لاولي الالباب وآية لاولي الابصار وذلك أنَّهُ خلق لها خلقةً لطيفةً وبنيةً نحيفة وصورةً عجيبة بيان ذلك انهُ جعل بنية جسدها ثلاث مفاصل محدودة فجعل وسط جسدها مدمجاً مخروطاً، ورأسها مدوَّرًا مبسوطاً، وركَّب في وسطها اربعة ارجل ويدَين متناسبات المقادير كاضلاع الشكل المسدَّس في الدائرة لتستعين بها على القيام والقعود والوقوع والنهوض. وتقدّر اساس بناء منازلها وبيوتها على اشكالٍ مسدَّساتٍ مكتنفاتٍ كيلا يداخلها الهواء فيضرّ باولادها أو يفسد شرابها الذي هو قوتها وذخائرها. وبهذه الاربعة الارجل واليدَين تجمع من ورق الاشجار والزهر والثمار الرطوبات الدهنية التي تبني بها منازلها وبيوتها. وجعل سبحانهُ وتعالى على كتفها اربعة اجنحة خفيفةً حريريَّة لتسبح في الطيران في جوّ السماء وجعل مؤخّر بدنها مخروط الشكل مجوّفاً مدمجاً مملوًّا هواءً ليكون موازيًا لثقل رأسها في الطيران. وجعل لها حُمَة حادَّة كانها شوكة وجعلها سلاحاً لها لتخوّف بها اعداءها وتزجر بها مَن يتعرَّض لها أو يؤذيها. وفتح لها منخرين وجعلها آلةً لها لتشمّ بها الروائح من الطيبات. وجعل لها فماً مفتوحاً فيهِ قوَّة ذائقة تتعرَّف بها الطعوم الطيبات من المطعومات المأكولات والمشروبات. وجعل لها مشفرَين حادَّين تجمعُ بهما من ثمر الاشجار ومن ورق النبات والازهار وانوار الاشجار رطوبات لطيفة وجعل في جوفها قوَّة جاذبةً وماسكةً وهاضمةً طابخةً مُنْضِجَةً يُصيِّر تلك الرطوبات عَسَلاً حُلْوًا لذيذًا شرابًا صافيًا غذاءً لها ولاولادها وذخرًا وعونًا لشتوتها كما جعل في ضروع الانعام قوَّة هاضمة يُصيِّر الدم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين (اخوان الصفا)

راجع ايضاً وصف الابل في الجزء الاوَّل من مجاني الادب عدد

٣٣٨ والجزء الرابع عدد ١٤٠ . ووصف الفيل عدد ٣٤٣ من الجزء الاوَّل . ووصف الاسد في الجزء الرابع عدد ٣٦٣ . ووصف النحل عدد ١٣٥ منهُ وصفة البيغاء عدد ٣٠١ منهُ . ووصف الفرَس عدد ٣٠٧ منهُ وعدد ٨٦ من الجزء السادس في مُعلَّقة امرئ القيس ويمكنك ان تقابل هذين الوصفين للفرس مع ما وصفهُ بهِ الكتاب الكريم في سفر ايوُّب وهو قولهُ :

أأنت الذي يؤتي الفرَس قوَّةً و يقلّد عُنُقهُ رعداً و يوثبهُ كالجراد . ان نخيرهُ هائل . يخدُّ في الوادي ويمرح نشاطاً ويقتحم للقاء السلاح . يضحك على الذُّعر ولا يرهب ولا ينهزم من السيف . تُصاصِل عليهِ الجعبة وسنان الرُّمح والمزراق . في هيجانهِ وفورتهِ يلتهم الارض ولا يصدّق ان يهتف البوق . اذا نفخ في البوق يقول ها و يستروح القتال عن بعدٍ وصياح القوَّاد والجَلَب

ومن انواع الاوصاف التي اكثر من استعمالها شعراء العرب الزهريَّات وقد مرَّ ذكرها صفحة ١٤ ودأْبهم فيها اوصاف اجناس الازهار وما يلحق بها ممَّا يبهج النظر في الطبيعه ويسرُّ الخاطر كالانهار والاشجار والاثمار وما شا كل ذلك

راجع الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ١٩١ والجزء السادس صفحة ١٨١

ألفَنّ ٱلثَّالِثُ

في المناظرات

س ما هي المُناظرة

ج المناظرة في اللغة المجادلة وعند الاصوليين هي توجُّه خصمَين في النسبة بين الشيئَين اظهاراً للصواب (١)

س ما هي المناظرة البيانية

ج هي عبارة عن تأليف أَنيق يوجّه الكلام لمتخاصِمَين عاقلَين او غير عاقلين يفاخر احدهما الآخر طوراً في المدافعة عن امرٍ ينتصر لهُ واخرى بذكر خواصّ نفسهِ وعيوب خصمهِ

س ما الفائدة من المناظرات البيانية

ج الفائدة منها اولاً ان يبيّن الكاتب اقتدارهُ على التصرُّف في وجوه الكلام . ثانيًا ان يُظهر ما في المتخاصمَين من المحاسن والمساوي مع التفاوت في مراتبهما

س ما هي شروط المناظرة

ج للمناظرة ثلاثة شروط : الاول ان يجمع بين خصمَين متباينَين في صفاتهما بحيث تظهر خواصُّهما بالمقابلة كالشيب

١ مقدّمة ابن خلدون والرشيدية

والشباب والربيع والخريف وما شابه ذلك

الثاني ان يكون في انتصار كل واحد لنفسهِ والحطّ من قدر خصمهِ وتفنيدهِ مقالهِ ادلَّة تميل بالسامع عن خصمهِ اليهِ

الثالث ان تُصاغ المعاني والمراجعات ببعضها صيغةً حسنة وتُرتَّب على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السامع وتنمي رغبتهُ في حلّ المشكِل على قدْر احتدام نار الجدال

س اورد لنا شاهداً عن هذا الفنّ

مناظرة بين الشمع والخمرة

حكى الخلّ الموافق ، والراوي الصادق ، انهُ قال : كنتُ منذ نشأتُ شديد الكلَف بالراح ، زائد الشغَف باللهو والافراح ، أنتدب مجالس الكرام ، واقطع بصحبتهم دياجي الظاهر بالمدام ، فبينما نحن في بعض الليالي ، منتظمون في ناد انتظام اللآلي ، احضرنا ما تتكمَّل المسرَّة باحضارهِ ، من رياحين الروض وازهارهِ ، من آسهِ وجلَّنارهِ ، فجعلَتْ تلك الزهور تضوع ، واشرقت كواكب هاتيك الشموع ، فادَرنا الاقداح ، ودخلنا في الراح ، واهدى لنا المدام انواع سرورهِ ، والقى الشمع علينا رداءَ نورهِ ، فشكرنا مدامة المدام والشمع ، ومنحناهما من المدح بما يطرب السمع ، فاراد كلٌّ منهما التقدُّم على الآخر في ذلك المقام ، وزعم انهُ حقٌّ بالاكرام ، فاشتدَّ بينهما الخصام ، وافضى الكلام الى الكلام ، فقام احدنا بفصيلة ، وقال : ليقل كل منكما ما يوجب تفضيلهُ ، وليقم عليهِ برهانهُ ودليلهُ ؛ فقام المدام على ركبتَيهِ ، وحمد الله واثنى عليهِ ، وقال : الحمد لله الذي اخرجني من سلالة الكروم ، وخصَّني بازالة الهموم ، امَّا بعد فاني احقُّ بالتقدُّم ، واولى بالتفضيل والتكرُّم ، وكفاني فضلًا وتفضيلًا ، ما في مدحي قيل ، ويسقون كاسًا كانَ مزاجها زنجبيلًا ، وليس الشمع مثلي ، ولا

فضله كفضلي ، انا اولى بخدمة الاخوان والرفاق ، واحق بالصلة والذ عند المذاق ، انا جالب الانس والسرور ، ومذهب الهموم من الصدور ، الم الافراح ، واهزم الاتراح ، يبسم حبابي لأحبابي ، واسقي صافي شرابي لشرّابي ، افوق على كل شراب ، واجعل اعمال الهموم كسراب ، واما انت ايها الشمع فضعيف الكون ، مصفر اللون ، لونك حائل ، ودمعك سائل ، تحرق جسمك بنارك ، وتؤذي ندمانك بما طار من شرارك ، فهذه بعض خصالك ، فقصّر في جدالك ، واسمع في شرح حالي وحالك :

ما جرى ياهل ودّي قليلُ زعم الشمع انهُ لي مثيلُ
انا اعلى عند الكرام محلّا وكلامي لديهم مقبولُ
واذا كنتُ بينهم عظّموني ولمثلي لا يُنكرُ التبجيلُ
ويصيرون كلهم طوع امري ويطيعون كل شيء اقولُ
انا القي السرور في كل قلب فتقول الهموم طاب الرحيلُ
انت ياشمع قد علاك صفارٌ من يراه يقول ذاك عليلُ
لك عينٌ مثل الرقيب علينا فهي تكوي بنارها وتسيلُ
ولسانٌ يخشى النديم سطاهُ كل حين يقطّهُ فيطولُ

فلما سمع الشمع كلام المدام ، تهيّأ للخصام ، ونهض من شمعدانهِ على الاقدام ، وجال في المجال ، وابتدر عند ذلك فقال ، الحمد لله منوّر النور ، ومحرّم نشوة الخمور ، الذي اقتضت حكمتهُ تحريك الراح ، وجعل نورهُ كمشكاة فيها مصباح ، اما بعد ايها المدام ، فقد اغلظتَ في الكلام ، ولم تفرق بين الحلال والحرام ، اما لك عين تريك انواري الباهره ، ونجومي الزاهره ، ومحاسني الظاهره ، طالما جمّلتك بحضوري ، واهرت عرائس انسك بنوري ، اين انت عن الشمع المقصور ، واشكالها وبياضها وحسن افعالها التي اذا أوقدت ضمّها نور على نور ، واذا برزت في الظلام مزّقت اديم الديجور ، اما علمت اني شقيق الشراب ، الذي شهد بفضله الخبر واوحى الارباب ، انتحب في خدمة الاحباب ، وافني جسدي في رضى الاصحاب ، وربما عمد اليّ الجاني ، فقطع لساني ، وخفض من شاني ، فصبرت على ما دهاني ، وضاعفتُ احساني ، واجتهدت في انارة مكاني ولو شئتُ لأحرقتهُ بدخاني ، وطعنتهُ بسناني ، واخذت منهُ بثاري ، واعلمتهُ انهُ ما يصطلى بناري ،

واما انت ايها الخمرُ فمحاسنك يسيرة ، ومناحسك كثيرة ، طالما اضللتَ الرفيق عن الطريق ، وحمّلتَ الصديق ما لا يطيق ، وان كنتُ انا جالب الالسن على الشرور تذيع انت الاسرار ، وتهتك الاستـــار ، وتجترىء على الرؤساء الكبار ، وتحلّ فيهم كانك صاحب ثار ، واماً ما عيّرتني بهِ من نحولي واصفراري ، وملازمة دمعي الجاري ، فهذا يوجب قبول اعتذاري ، وعتيد اعذاري ، او ما علمتَ انَّ جريان الدموع ، يدلـــــ على الالتهاب بين الضلوع ، وما احترقتُ الّا لإحراقي ، والترقّي في مقام التراقي ،فافهم سرّي ، واسمع شعري :

ايهـا الخمر قد اطلت الفخـارا ... اَما عقول الصحاة مثل السكارى
قـد سبيتَ العقول منهم فضلُّوا ... واصرُّوا واستكبروا استكبارا
وتعدَّيتَ فـوق طـوْركَ حتى ... قد تعدَّيتَ فوقهُ اطـوارا
اذا مـا كنتُ في المجالس خلتُ ... كرياضٍ قـد اثبتت ازهـارا
او غـوال لبسنَ عقـد حليٍّ ... نظمـوهُ لآلئاً ونضـارا
يستنير الظلام من نور وجهي ... فترى الليل من ضياءي نهارا

فلما انجز الشمع شؤْن الذي انشدهُ ، وفهم غرضهُ ومقصدهُ ، اضطرب واظهـــر زبدهُ ، وخشينا من حصول العربدة ، فنهضتُ من مقـامي ، واحضرت مدامي قدّامي ، وجعلتُ الشمع امامي ، وقلتُ انتما نديمان حسنان مشهوران بالاحسان ، فلا تنغّصا هذا المقام ، ولا تأخذا في نفوسكما من هذا الكلام ، ومـا منكما الّا من لهُ محاسن لا تحصرها الاقلام ، والصلح سيّد الاحكام ، فانشرح الاحباب بذلك الصلح الجميل ، ثم اخذنا بالقال والقيل ، نتجاذب اطراف الاحاديث فللّهِ مـا اطيبها ليلة جديرة بالحمد والفكرة متَّصل باللهو والسرور قد راقت ورقّت وقـد هبَّت عليها نسمـة الزهر والشمع في عسكرٍ واقف . فلما طلع الفجر ولاح الصباح ، رفعنا الشمع والراح ، وعزمت الاصدقاء على الرواح ، فودعتهم متمسكا منهم باذيال الوعد . واتفقا بان تعود وتوجهوا في حذر السلامة ، وهذا خاتمة المقامة

راجع ايضاً في الجزء الرابع من مجاني الادب اشـارات المقدسي صفحة ١١٨ — ١٥٢ وفي الجزء الخامس منـاظرة الازهار صفحة ٩١ ومناظرة فصول العـامّ صفحة ١٠١ ومناظرة البحر والبرّ صفحـة ١٠٧

ومناظرة العرب والعجم صفحة ١٠٨ . وفي الجزء السادس مناظرة بلاد الاندلس صفحة ٦٢ ومناظرتين في السيف والقلم صفحة ٦٦ و٧٩

س كم هي اقسام المناظرة

ج ثلاثة: المقدَّمة والجدال والخاتمة

س ماهي صفات المقدَّمة

ج كثيراً ما تُفتتح المناظرات بالحمدلة ثم يليها المقدّمة وهي تقتضي رونقاً وطلاوة لا يشوبهما الالتباس كي يقف السامع على حالة الخصمَين ومادَّة جدالهما ولك في ذلك مثل في مناظرة الربيع والخريف وقد كنى بالشابّ عن الربيع وبالشيخ عن الخريف :

مقدَّمة مناظرة الربيع والخريف للجاحظ

خرجتُ يوماً وانا في خدمة قوام الملك ونظام الدين ابي يعلي احمد بن طاهر ... متنزّهاً ومتفرّجاً من الحفلة بالوحدة متسلّياً ، ومتشفياً ببرد النسيم عن حرقة كنت بها متصلياً ، ... واذا بروضة دعَتني واشرأبّت بي على عَين تنفجر من محاجر الاحجار كانها سيف الصبح سلَّ من غمد الظلام ولا يطاوعهُ القرار ، ... او كانها النضناض ينساب على الرضراض في الانهار ، فقعدتُ عليهِ وحدي خالياً ، وبالنظر فيهِ سالياً ، فلحقني رفقة من اهل الادب ، خرجوا للطرب ، وفيهم شابٌ كانَّ جملة الجمال منهُ خُلِقت ، وتفاريقها عنهُ سُرِقَت ، يتصرَّف بشمائله في القلوب ، تصرف الهواء بالشمال والجنوب ، اذ طلع علينا شيخ مُتَّزر من ثياب الديباج والخزّ ، مغرق في كسى الحرير مبطَّنة بالقزّ ، مديد القناة كثير الخُطى ، فحين قَرُب منّا ملأ الارواح خفَّة روح وظرفاً ، والانفاس ذكاءً ونشراً وعرفاً ، والقلوب ذكاءً وبشراً وعُرفاً ، والعيون جمالاً وملاحةً وبهجةً ، والمسامع بياناً وفصاحةً ولهجةً ، فقمنا واستقبلناهُ وطرنا اليهِ ، وطرنا حواليهِ ، بقلوبٍ لهيبتهِ خافقة ، ونفوس على شيبتهِ رافقة ، فبرَّنا

وسرّنا ، وحفّنا ورفّنا ، وخصّ كلامنا بعُرفهِ وإحسانه ، وابهج جملتنا بمليح لسنه وفصيح لسانه ، فاقبلنا عليه وتركنا الشاب الذي تملّكنا حسنُه واصبانا ، واقتنصنا طرفهُ وسبانا . واذا للشيخ بهاء وأُبّهه ، ومجالستهُ موقظة للالباب ومُنبّهه ، . . . فاقبل علينا بالوقار والسكينة ، والبلاغة المكينة ، وقال : الان اذ سكنتم اليّ وتمكنتم ، ففيما كنتم ، فقانا لهُ : اعجبنا هذا الماء الصافي عن الكَدَر ، وهذا المكان الخالي من القتَر ، فقال الشيخ : هكذا يكون الخريف يصفو ماؤهُ ، وتصفو نعماؤهُ ، ويرقّ هواؤهُ ، وتخف ارواحهُ ،وترتاح بنعيمهِ المقيم قلوبهُ وارواحهُ ، فانتدب الفتى الطري ، الشاب الاريحي ،الذي تقدّم ذكرهُ وقال في غضب وحرد : يا خرَف ابا الخريف تدلُّ علينا وهو زمانٌ امراضهُ مُزْمنه ، وفصلٌ جماتُهُ موهية موهِنه ، وحين طبعهِ حَيْنٌ وحيّ ، ومَزاجه مُوحش وبيّ ، ووجهه عابس ، وترابه يابس ، وهواؤه كالح ، وماؤهُ بطبخ حرارة الصيف اياه زعاقٌ مالح ، ولم نسيتَ فصل الربيع وفضلهُ وسيماهُ ونشرهُ وطلاقتهُ وبشرهُ ، اذا اقبل يتهلّل ويتبسّم ، ويكاد من الحسن يتكلم ، طري الاحشاء والحواشي ، نديّ الغوادي والغواشي ، لذيذ الابكار سَجْسج الهَواجر طيّب الاصايل فقال الشيخ بركون ، وتؤدة وسكون ، ما اسمك ايها الظريف الطلق الوجه واللسان واليد ، الماضي المضيُ كالسيف في الحدّ ، اللطيف في المنظر والمخبر والمطالع والمقطع . فقال : اسمي الربيع بن الطيب فما اسمك ايها الشيخ الكريم في اخلاقهِ واحلامه ، ... المتجاوز عن زلل كلامه ، ... فقال : اهلًا بك وبقومك ، ومرحبًا بوقتك ويومك اسمي الخريف بن المنعم فما ضجرك مني وانا عن نفسي ناضح ، ببرهاني اللائح الواضح ، فقال الربيع وانا كذلك فاعذرني وقد عرفتَ طبعي في تلوّنهِ وان كان مقبولًا وحالي في تفننه وان كان لذيذًا معسورًا . فقال الخريف : انت يافتى معذور ، بل مشكور ، فلِمَ تفضّل الربيع على الخريف ، يا ربيع الظريف . . . .

س ما هي صفات الجدال

ج ينقسم الجدال الى قسمَين الاول هو استخراج البينات الدامغة الراغمة لمعاطس الخصم . ومصدرها اقوال الحكماء

ونوادر الرواة والبلغاء وابيات الشعراء كما ترى في مفاخرة الهواء للماء

الحمد لله الذي رفع فلَكَ الهواء، على عُنصُر التراب والماء، اما بعد فمن عرفني فقد اكتفى، ومن جهلني فسأبدو له بعد الخفا، انا هو الهواء الذي اؤلف بين السحاب وانقل نسيم الاحباب، واهب تارةً بالرحمة واخرى بالعذاب، وانا الذي سُيّرَ بي الفُلك في البحر كما تسير العيس في البطاح، واطار بي في الجوّ كل ذات جناح، وانا الذي يضطرب مني الماء اضطراب الانابيب في القناة، اذا صفوتُ صفا العالم وكان له نضرة وزهو، واذا تكدَّرت انكدرت النجوم وتكدر الجوّ، لا اتلون مثل الماء، المتلون بلون الاناء، لولاي لما عاش كل ذي نَفَس، ولولاي ما طاب الجوّ من بخار الارض الخارج منها بعد ما احتبَس، ولولاي ما تكلَّم ادمي ولا صوَّت حيوان، ولا غرَّد طائر على غصن بان، ولولاي ما سُمع كتاب ولا حديث، ولا عُرِف طيّب المسموع والمشموم من الخبيث، فكيف يفاخرني الماء الذي شبَّه الله به الدنيا البغيضة التي لا تعدل عنده جناح بعوضة، وانا الذي اطير بلا جناح الى جميع الجهات، وحسب الماء ذمًّا خلوُّه من الحرارة المشتقة منها الحرية، وكون الرطوبة فيه طبيعية غريزية، هذا ما خصَّني الله به من المزايا يعجز عنه فم الدواة ولسان القلم وصدر الرقيم، وفوق كل ذي عِلْم عليم، واما انت فحسبك عيبًا قولُ بعض الادباء: فلانٌ كالقابض على الماء، وبالله قل لي ايُّ فخرٍ لمن يعزّ مفقودًا ويهون موجودًا، ومن اذا طال مكثه، ظهر خبثُه، واذا سكن متنهُ، تحرّك نتنهُ، ومن نبع من الصخور، ومرَّ مذاقهُ في البحور، وشرِق به شاربُهُ، وغرق فيه مجاوره ومصاحبه، وعلت فوقهُ الجيف، وانحطت عندهُ اللآلي في الصدف، وقد بان الصحيحُ من السقيم، والمنتج من العقيم، اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم، ثم انحدر من منبره، ووعينا ما سرده من مفخره، وقال للماء، هات يا ابا الدأما

واما القسم الثاني من الجدال فهو الردّ على حجج المناضل ويقتضي ان يكون ذلك عن سابق خبرة وبصيرة امر مع سلامة

الخطاب من الغلظة والجفاء في المناظرة كما ترى في جواب الماء وردّه على الهواء

فعلا الماء بموجه ، حتى صعد الى ما انحط عنهُ الهواء من أوْجِهِ ، ولولا الارض تملكهُ لسال ، لكنهُ تجلّد واقبل علينا وقال : الحمد لله الذي خلق كل شيء حي ، اما بعد فقد سمعت جَعْجَعَة ووَعْوعةً ، ظننتها صرير باب ، او طنين ذباب ، باطلٌ في صورة الحق ، وسراب اذا تأملتهُ زال وانمحق ، فاسمع ايها الهواء ما اتلوهُ من آيات فخري الشامل ، وما اجلوهُ عليك من عقد فضلي الذي انت منهُ عاطل ، وقل : جاءَ الحق وزهق الباطل

فاقول انا اول مخلوق ولا فخر ، وانا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر وانا الجوهر الشفّاف ، المشبَّه بالسيف اذا سُلّ من الغلاف ، وقد خلق الله فيَّ جميع الجواهر حتى اللآلي والاصداف ، احيي الارض بعد مماتها ، واخرج منها العالم جميع اقواتها ، واكسو عرائس الرياض انوع الحلل ، وانثر عليها لآلئ الوَبل والطَّل . حتى يضرب بها في الحسن المثل كما قيل

ان السماء اذا لم تبكِ مقلتها   لم تضحك الارض عن شيءٍ من الزَّهرِ

وانا الذي اذهب حرارة آب وتموز ، وقد افتاني الافاضل ان من دخل عليَّ من باب المفاخرة انهُ لا يجوز ، فكيف ينكر فضلي من دبّ او درج ، وانا البحر فرعي . وفي الامثال : حدّث عن البحر ولا حرَج ، وما انت ايها الهواء فكم ذهبت فيك نصايح النصاح ، كما قال ابن هرمة : وبعض القول يذهب في الرياح ، ولعمري انهُ لا يفي قبولك بدَبورك ، ولا تقوم جنّتك بسعيرك ، ولطالما اهلكتَ امماً بسُمومك وزمهريرك ، فكم تواتر عنك حديث تشمئزّ منهُ النفس وتمجّهُ الأُذن ، وحسبك من العناد انك تجري بما لا تشتهي السفن . ومن عيوبك انك لا تسكن ولا يقرّ لك قرار ، وقد ضربت العرب بعدم استقامتك الامثال كما نقلهُ عنهم اصحاب القصص فمن ذلك قولهم

ان ابن آوي لشديد المقتنَص   وهو اذا ما صيد ريح في قفَص

(واما قولك) لولاي لما عاش انسان ، ولا بقي على الارض حيوان ، فجوابهُ لو شاءَ الله لعاش العالم بلا هواء ، كما عاش عالم الماء في الماء ، ولكن لا يليق بالعاقل

ان يفتخر بالأعراض ، وما الافتخار بشيءٍ سريع الزّوال ، او بعرَض ليس لطبيعة الشخص عليهِ انجبال

(واما قولك) ان طبيعتي الرطوبة فذلك اعظم فخري ، لان الرُّطوبة مادَّة الحياة التي في الاجسام تسري ، اذ الحرارة بمنزلة النار في الابدان ، والرطوبة لها بمنزلة الادهان ، فاذا خلص الدهن انطفأ السراج ، وزال ما فيهِ من النور الوهّاج ، واما تعييرك لي باني متلوّن فالتلوّن صفة عارف الزمان ، المتخلّق بقول القائل : كل يوم هو في شان ، (واما قولك) ان الله شبَّه بي الدنيا فقد شبَّه الله بك افئدة الكفّار ، وجعل زمهريرك سعيراً في النار ، فانت المذموم مقصوراً او ممدوداً ، ان مددتَّ كنت جباراً عنيداً وان قصرت كنت إلهاً معبوداً ، وانا الذي لا اتغيّر بالمدّ ولا بالجزر ، وكيف يتغيّر من هو مادة البحر ، واما افتخارك برفعة المنازل ، وعدُّك ذلك من اعظم الفضائل ، فضيلة الشخص بالمكان لا بالزمان كما قيل :

وان علاني مَن دوني فلا عجب ... لي اسوة بانحطاط الشمس عن زُحلِ

هذا وانشدك الله اما رأيت ما حباني الله بهِ من عظيم المنّة ، حيث جعلني الله نهرًا من انهار الجنة ، انا ارفع الاحداث ، واطهّر الاخباث ، واجلو النظر ، اما رأيتَ الناس اذا غبتُ عنهم يتضرَّعون الى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء ، ويسألونهُ تعالى ارسالي من قبل السماء ، (واعلم) انني ما نلت هذا المقام الذي ارتفعتُ بهِ على ابناء جنسي ، الا بانحطاطي الذي عيّرتني بهِ وتواضعي وهضم نفسي

تفاخر الزيت على اللحم وردّ اللحم عليهِ

(للاديب نيقولا الترك)

فقال الزيتُ من صلَف وعُجب ... مقالاً ذا افتخار فيهِ اجمع
انا الزيتُ الذي كلٌّ اليهِ ... بمحتاج ووصفي قد تنوَّع
فنوري شاهدٌ في عُظم فضلي ... اذا ما في ظلام الليل لعلع
وفي حلكِ الدجى يغدو نهاراً ... مضيئاً مشرقاً بهجاً مشعشع
يفيضُ ضيائي عن اشراقِ شمسٍ ... منوَّرةٍ وعن صبحٍ تقشَّع
وكم عند النصارى لي مقامٌ ... يجلّ ولي لِوَا فضلٍ مشرَّع
فان هم عتَّقوني زدتُ فضلاً ... وصرتُ بهِ من الإكسير انفع
وكم قوَّمتُ من عرجٍ وكم قد ... اقمتُ مكسَّحاً وشفيتُ اكتع

ومني يكسب الصابون عرفًا ذكيًا يشبه المسك المضوع
به قد تغسل الادران طرًّا عن الابدان والملبوس اجمع
وكم لي من مزيات تناهت فضاق بوصفها الشرح الموسع
فقال اللحم محتدمًا عليه لقد وسعت ذا الشدق المخلع
وقد اكثرت يامهذار هرجًا فعد وانكف عن دعواك واهجع
فشحمي في الليالي عنك يغني ضياه بل وفي الاشراق يسطع
فويحك كيف ما حاولت تردي ودهنك اينما قد حل بقع
واكالك منكر عند الاطبا لانك محرق للكبد تلذع
وفيك كريه لون ذو اخضرار ويعلوه اصفرار قد تفقع
ورب غذاك آل الى جنون لانَّ بخارك المذموم يصدع
وجل الامر انك ذو اذاء مضر موئلم يردي ويصدع
واما ان تسل عني فاني انا اللحم الذي قدري ترفع
ومطبوخي فكيه مستطاب شهي الاكل لذ اكل مبلع
وذاك طعم امراقي شفاء يقوي كل من منه تجرع
وانواع البقول وكل نبت نشا للاكل لي خدم وتبع
لذاك ترى ملوك الارض اضحت لهم في مأكلي ولع ومطمع
وتولفني جميع الارض طرًّا ودوني كلما قررت لكع
فاني حاجة الدنيا وحسبي باني نشأت للجوف المجيع
ولي دسم يذكي كل جنس من الطبخ الذي لي فيه اصبع
فعد يا زيت عما انت فيه ومن هذا الجدال الشاذ دعدع

س كيف تختم المغايرة

ج برفع دعوى الخصمين الى حكم خبير فيفصل الامر امّا بالحكم على احدهما وامّا بالتوفيق بينهما كما فعل صاحب مفاخرة الغربة والاقامة قال:

وبينما هما في الحديث ورد عليهما شيخ كبير، تقضي له الفراسة بانه عارف باحوال

الزمان خبير ، يخطر في كمال الأبهة والعظمة والجلال ، وتلوح على وجهه لوائح الفضل والكمال ، فحيّا بتحيته وسلامه ، وآنس بحديثه وكلامه ، فاستبشرا بحصول المنى والوطر ، بعد ان امعنا فيه النظر ، وطلباه ان يكون في هذا الامر حكماً ، ويمنحها من لطائفه اسراراً وحكماً ، وقالا نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحقّ ، أول منّا رتبة الفضل من تأهّل لها واستحقّ ، وأعلمنا هل الغربة افضل ام الاقامة ، حتى يعرف كل منّا منزلته ومقامه ، فامتنع من ذلك وطلب الاقالة ، فاعادا عليه تلك المقالة ، فقال : ان كان ولا بدّ فتعاليا بنا الى مجلس الائتلاف ، بعد خلع التعصّب والاختلاف ، فبايعاه على الطاعة والقبول ، فيما يقضي به بينهما ويقول ، فحمد الله تعالى واثنى عليه . ثم قال : اما بعد فاني ارى لكل منكما حجّة ، تسلك به الى مغنى الفضل اوضح محجّة ، وان ابيتما الّا التفصيل ، وتعيين احقكما برتبة التفضيل ، فاعلما اولا انه ما مدحت الغربة لذاتها ولا الاقامة ، بل لما ينشأ عنهما على يد مَن حاز الفضل والاستقامة ، وأُلهم بنور التوفيق رشده ، وبلغ في الكمال اشدّه ، مَن رعى الذمام ، وصلة الارحام ، وحفظ الجار ، ونظر في ملكوت السموات والارض بعين التفكر والاعتبار ، فان فتحتما اقفال كنزي ، واستخرجتما اكسير اشارتي ورمزي ، ايقنتما ان الشرّ في الساكن والنازل ، لا في المساكن والمنازل ، ولكن مع هذا فلا ريب ان لله خواصّ في الامكنة ، كما ان له خواصّ في الاشخاص والازمنة ، وبهذا القدر يتميز احدكما على الاخر لا محالة بقدره الجليل ، فاقول اذاً وظنّي فيكما بحمد الله جميل ، اما صاحب الاقامة ، فحالهُ يدل على حسن الاستقامة ، لكونه ارتشف من كأس الرضى والتسليم ، رحيقاً ختامهُ مسكٌ ومزاجهُ من تسنيم ، واما صاحب الغربة ، المتلاشي بين حضور وغيبة ، فمناهل علومه رائقة ، ورياض لطائفه فائقة ، لا يسبقهُ في الفضل سابق ، ولا يلحقهُ في شأوه لاحق ، قد عرف الزمان وبنيه ، وما زال غافلا من العاقل النبيه ، وجمع أشتات الفضائل ، واطّلع على آثار من غبر من الاوائل ، فانّى يُجارى هذا في مضمار فضائله ، ويُمارى فيما تفرّد به من حسن شمائله ، وهو ان رجع الى مقام الوطن ، بعد ان ذاق احوال الغربة في السرّ والعلن ، جَنى منهُ جنى انسه وراحته ، وجلا راحة التهاني براحته ، ثم اخذ يزيل عنهما ما اضرّ بهما من الجفا والبَيْن ، ويوقع بينهما انواع الأُلفة ويصلح ذات البَيْن ، حتى شكر كل منهما معروفهُ وجميلهُ ، ونظر صاحبه بعين الرضى فراى جميع احواله جميلة

ختام مفاخرة الماء والهواء

وعرضتُ على الشيخ مُفاخرة الماء والهواء ، وسألتُهُ فصل الخطاب ، والانعام بالجواب ، فالتفتَ عند ذلك للماء واخيه ، وقال : ان كلًّا منكما محقٌّ فيما يدعيهِ فما اشبهكما في السماء بالفرقدَين ، وفي الارض بالعينَين ، ففضلكما معجز ، لا يكاد يميز احدكما عن اخيهِ مميّز ، وقد نفع الله بكما العالم على تبايُن انواعهِ واشكالهِ ، وقد ورد ان الخلق عيال الله وانَّ احبَّهم اليهِ انفعهم لعيالهِ ، فلا تشتغلا بالمفاخرة عن شكر هذه النعمة ، واعلما ان حب الفخار اهبط ابليس الى حضيض اللعنة ، من اوج شرف الرحمة ، فلا تجعلاه لكما اِماماً ، فمن يفعل ذلك يَلقَ آثاماً ، واعلما ان الفخر في الدنيا بالمال ، وفي الآخرة بالاعمال ، فمن كان عبد الله كان لهُ بهِ الافتخار ، لا من كان عبد النفس او الهوى او الدرهم او الدينار

على ان مرآة الحق ارتني فضيلة تفضل بها ايها الماء ، اخاك الهواء ، وحقَّقت لي بانكما لستما في الفضل سواء ، وهي ان الله خلق ادم من الماء ، وخلق منك ابليس (١) ، فاعترف لاخيك بالفضل عليك ودع زخارف التلبيس ، فأكبرُ من الحق مَن قَبِلهُ ، واصغر من الباطل من عَمِلهُ ، والتذلل للحق اقرب للعزّ من التعزُّز بالباطل ، واعظم الزلات زلة العاقل ، فعند ذلك عدل الهواء عن عِوَجه واعوجاجه ، ومخاصمتهِ وعلاجه ، واقبل يقبّل ذيل الماء ويعتذر اليهِ ، من استطالهِ عليهِ ، واقبل كل منهما على صاحب المنزل يؤدي بالدعاء لهُ حقوقهُ ، حيث سلك بكل منهما مجاز الطريقة والحقيقة

س اي طبقة من الانشاء اولى بالمناظرة البيانيَّة

ج طبقة الانشاء الانيق (راجع صفحة ٧٠)

---

١ وفي سفر التكوين ان الله خلَق الانسان من تراب الارض ونفخ فيهِ نسمة حياة . واما قولهُ انَّ ابليس خُلق من الهواء فلا صحَّة لهُ ايضاً اذ خُلق الملاك قبل ان يُخلَق الهواء فضلًا عن ان ابليس لم يُخلَق في حالة عصيانهِ وانما كان ملاكاً فعصى خالقهُ وقضي عليهِ من ثمَّ بالهلاك

الفن الرابع

في الرواية

س ماهي الرواية

ج الرواية عبارة عن ذكر قولٍ او فعلٍ حدثا او امكن حدوثهما (١)

فقولنا (ذكر قولٍ او فعل) فلأَنَّ الرواية تُورد ما جرى من الاقوال كما تروي ما حدَث من الافعال . واما قولنا (حدَث او امكن حدوثهما) فلكي يشمل التعريف القصص والاحاديث المختلقة التي لا صحة لها في الواقع او انمَّا وقوعها ليس بمستحيل

البحث الاول

في اغراض الرواية وشروطها

س ما الغرَض من الرواية

ج الأَغراض منها كثيرة نخصُّ ما ذكرهُ الحصري (٢) : انها ترتاح اليها الارواح وتطيب لها القلوب وتُشحَذ بها الاذهان وتُطلَق النفس من رباطها وتُعيد بها نشاطها اذا ما انقبضَت

١ قال الشريشي : الرواية هي نَقل الحديث من صاحبهِ الى طالبهِ (اه) . يريد بالحديث الخبَر عن قولٍ او فعل

٢ في مقدَّمة كتاب المُلَح والنوادر

بعد انبساطها

س ما هي احسن رواية

ج احسن رواية ما اتَّصفت باربع خواصّ الايضاح والايجاز والامكان والتلطُّف

س بماذا يقوم ايضاح الرواية

ج انمّا وضوح الرواية قائمٌ : اولاً بتقديم فَرشٍ للحديث وتوطئةٍ للخبَر يقرّب مأخذ الرواية

قال بديع الزمان الهمذاني : وربمّا كان للقصة سبب لا تطيب الاَّ به ومقدَّمات لا تحسن الاَّ معها فعلى المحدّث ان يسوقَها

ثانيًا بمراعاة الترتيب الطبيعيّ وهو مزيل الالتباس والتعقيد مالم يكن غرَضٌ لتجاوز هذا النظام

ثالثًا بالعدول عن كثرة الاستطرادات في ايراد الحديث فانَّ ذلك يذهب برونق الرواية ويصرف العقل عن سياق الحكاية

س كيف تتحلَّى الرواية بالايجاز

ج ان المراد بالايجاز حذف الفضول وحشو الكلام مع انتقاء مهامّ الظروف . ولا بأس بالاطناب اذا ما دعا اليهِ مقتضى الحال . فربَّ رواية وجيزة يستطيلها السامع وأُخرى طويلةٍ

يستقصرها المطالع . وانْ ذلك الّا من براعة الكاتب او القصّاص ينتقيان ما وافق مقصدهما ويُنكّبان عمّا ليس فيهِ كبير امرٍ ويحلّيان روايتهما بما يحبّبها الى القارئ فلا يكاد يشعر بطولها

س ما هو المراد بامكان الرواية

ج يُراد بهِ ترشيح الرواية للقبول في ذهن السامع لا سيما ان اردتَّ ذكر شيء خارق العادة نادر الوجود من غرائب الوقائع . وذلك إمَّا ببيان الظروف الواقعة بها الرواية امَّا بتمهيد آخر للعقل مثلًا بالاستناد الى راوٍ ثقةٍ او بقياس الرواية باشباهها ونحو ذلك ممَّا يزيل الشبهة . وكثيراً ما رأينا من الاحاديث الكاذبة نزَّلها مصنّفها منزلة الحق فلم يكَدْ ينكرها السامع عليهِ . وربمَّا كان الحديث صادقًا فردَّهُ السامع لعدم مراعاة هذه الاصول

ولك في ذلك مثل في اخبار الف ليلة وليلة فانها مع تمويه روايتها يستلذ مطالعها لما يراهُ فيها من التشابه بالحق . راجع في مجاني الادب (صفحة ١٥٢ من الجزء الاول) قسمًا من سفرات السندباد البحري . وحكاية المغفّل والشاطر (صفحة ١١١ منهُ) وصفة غناء ابراهيم بن المهدي (صفحة ١٢٠) لا سيما لمّا اراد وصف اصغاء الوحوش لغنائه قال :

وقد رأيتُ منهُ شيئًا عجيبًا لو حدَّثتُ بهِ ما صُدّق . كان اذا ابتدأ يغنّي اصغت الوحوش ومدّت اعناقها ولم تزل تدنو منهُ حتى تضع رؤوسها على الدكّان الذي كُنّا بهِ . فاذا سكت نفرت عنّا حتى تنتهي الى ابعد غاية يمكنها التباعد فيها عنّا

س ما الحيلة للتلطُّف في الرواية

ج ان اولى طريقة لذلك ان يبلغ الكاتب كُنهَ القلوب ويأْخذ بمجامع اللبّ وذلك اولاً اذا اثار في بدء روايتهِ في نفوس السامعين رَغبة الى استماعهِ وانشأَ في ذهنهم نشوة غرام في احاديثهِ

ثانيًا اذا كان كثير التصرُّف في وجوه الكلام يسبكهُ في احسن القوالب ويدمجهُ باشكال البديع ورائق العبارات ومحاسن المقالات تارةً ينتقل من الاخبار الى الخطاب وأُخرى يطرف السَامع بنكتة مستملحة وطرفة مستظرَفة . وآناتٍ يرقّ التحيُّل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسهِ عن التصريح . واحيانًا يختلب القلوب بتحريك احساساتها وعواطفها كالفرح والحزن والخوف والرجاء

ثالثًا ومن اقوى اسباب الروايات وتحسينها الانتقال فيها من حالٍ الى حالٍ لان النفس قد جُبلت على محبة التحوُّل وطُبعت على ايثار التنقُّل

والامثال لبيان هذه الخواصّ كثيرة

المنصور والاسير الهمذاني

ذكر ابن عيَّاش المنتوف اَنَّ المنصور كان جالسًا في مجلسهِ المبنيّ على باب خُراسان من مدينتهِ التي بناها واضافها الى اسمهِ وسماها بمدينة المنصور مشرفًا على دجلة . اذ جاءَه سهم عابر فسقط بين يديهِ فذُعر المنصور منهُ ذعرًا شديداً ثم اخذهُ

فجعل يقلّبهُ فاذا مكتوبٌ عليهِ بين الريشتين :

اتطمع في الحياة الى التنادي وتحسب انّ ما لك من مَعادِ
ستُسأَلُ عن ذنوبك والخطايا وتُسأَلُ بعد ذاك عن العبادِ

ثم قرأَ عند الريشة الاخرى :

احسنتَ ظنّك بالايام اذ حَسُنَتْ ولم تخفْ سوء ما يأْتي بهِ القدَرُ
وساعدَتْكَ الليالي فاغتررتَ بها وعند صفو الليالي يحدث الكدَرُ

ثم قرأَ عند الريشة الاخرى :

هي المقادير تجري في اعنّتها فاصبر فليس لها صبر على حال
يوماً تريك خسيس القوم ترفعهُ الى السماء ويوماً تخفض العالي

(قال) واذا على جانب السهم مكتوب : همَذان منها رجل مظلوم في حبسك . فبعث من فوره بعدّة من خاصّتهِ ففتشوا الحبوس والمطابق ووجدوا شيخاً في بيت الحبس فيهِ سراج يُسرَج وعلى بابهِ ثوبٌ مسبَل واذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبلة يردّد هذه الآية : وسَيَعلَم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون . فسألوهُ عن بلادهِ فقال : همذان . فحُمل ووُضع بين يدي المنصور فسألهُ عن حاله فاخبرهُ انهُ رجل من ابناء مدينة همذان وارباب نعمها . وانَّ واليك علينا دخل الى بلدنا ولي فيهِ ضيعة تساوي الف الف درهم فاراد اخذها مني فامتنعتُ فكبّلني في الحديد وامر بسوقي اليك على اني رجل قد عصيتُ فطُرحتُ في هذا المكان فقال المنصور: منذ كم لك في الحبس . قال : منذ اربعة اعوام . فامر بفكّ الحديد عنهُ والاحسان اليهِ والاطلاق لهُ وانزاله احسن منزل . ثم ردّهُ اليهِ فقال لهُ : يا شيخ قد ردَدْنا اليك ضيعتك بخراجك ما عشتَ وعشنا واما مدينتك همذان فقد ولَّيناك عليها واما الوالي فقد حكّمناك فيهِ وجعلنا امرهُ اليك . فجزاهُ خيراً ودعا لهُ بالبقاء وقال : يا امير المؤمنين اما الضيعة فقد قبلتها واما الولاية فلا اصلح لها واما واليك فقد عفوتُ عنهُ . فامر لهُ المنصور بمال جزيل وبرّ واسع واستعملهُ وحملهُ الى بلدهِ مكرّماً بعد ان صرف الوالي وعاقبه على ما جنى من انحرافه عن سنّة العدل وواضحة الحق وسأَل الشيخ مكاتبته في مهاتهِ واخبار بلدهِ واعلامه بما يكون من ولاتهِ على الحرب والخراج ثم انشأَ المنصور يقول :

من يصحب الدهر لا يأْمن تصرّفه يوماً فللدهر احلاءٌ وامرارُ

لكلّ شيء وان دامت سلامتهُ اذا انتهى فله لا بد اقصارُ

(مروج الذهب للمسعودي)

وفاء السموأل وهي قصة رواها الاعشى

كن كالسموأل اذ طاف الهُمام به في جحفلٍ كسواد الليل جرّارِ
بالابلق الفرد من تيماءَ منزلهُ حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدّارِ
اذ سامه خُطّتي خسف فقال لهُ مهما تقلهُ فاني سامعٌ جارِ
فقال غدرٌ و ثُكلٌ انت بينهما فاختر فما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكَّ غير طويلٍ ثم قال لهُ اقتل اسيرك اني مانعٌ جاري
انا لهُ خلفٌ ان كنتَ قاتلهُ وان قتلتَ كريمًا غير غوّارِ
مالاً كثيراً وعرضاً غير ذي دنسٍ واخوة مثلهُ ليسوا بأشرارِ
جدّوا على أدبٍ مني بلا ترفٍ ولا اذا شمّرت حربٌ باغمارِ
فسوف يخلفهُ ان كنت قاتلهُ ربٌّ كريمٌ وقومٌ أهل أطهارِ
فقال يقدمهُ اذ قام يقتلهُ أشرف سموأل فانظر للدمِ الجاري
أأقتل ابنك صبراً او تجيءُ بها طوعًا فانكرَ هذا ايَّ انكارِ
فشدَّ اوداجهُ والصدر في مضضٍ عليهِ منطويًا كالدرع بالنارِ
واختار ادراعهُ ان لا يسبَّ بها ولم يكن هذهِ فيها بمختارِ
وقال لا تشتري عاراً بمكرمةٍ واختار مكرمة الدنيا على العارِ
فالصبر منهُ قديمًا شيمة خلق وزندهُ في الوفاء الثاقبُ الواري

راجع باب الحكايات واللطائف والنوادر في مجاني الادب . واننا نخصّ بالذكر منها في الجزء الثاني عدد ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٨٠ وفي الجزء الثالث عدد ٣٠٧ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٥ و ٣١٨ وفي الجزء الرابع عدد ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٧ و ٣١٨

البحث الثاني

في اجزاء الرواية وتركيبها

س كم جزء للرواية

ج للرواية ثلاثة اجزاء صدرها وعُقدتها وختامها

س ما هو موضوع الصدر

ج موضوعهُ التوطئة للواقع بحيث يُفيد الراوي السامعَ عن الاشخاص وطباعهم وعن مكان الواقع وسوابق العمل . وقُصارَى الكلام على الراوي ان ينهج الطريق في الصدر لحسن فهم الواقع . وسيماهُ الايجاز والوضوح والسذاجة

راجع اول حكاية عُمر بن الخطّاب والعجوز الفقيرة (من مجاني الادب الجزء الثالث عدد ٣٠٧)

هذا ما لم يُرِد الكاتب اختلاب العقل والاخذ بمجامع القلب ببداهة مبداه . وذلك كثير عند الشعراء كما فعل الانباري في رثاء الوزير ابي طاهر في مطلع قصيدته (الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ٢٣٧)

علوٌّ في الحياةِ وفي المماةِ لعمرك تلك احدى المعجزاتِ

س ما هي العُقدَة

ج هي القسم الذي على مِحوَرِهِ تدور الرواية وهو المجال

الاوسع بهِ تشتبك الاحوال وتنحلُّ العُقدة وتضطرم في النفس لواعج الشوق للوقوف على عاقبة الامر فتنتقل من الرجاء الى الخوف ومن الفرح الى الحزن . كما يمكن الوقوف على حقيقة ذلك في حكاية رحلة ابن بطوطة الى الصين ومحنتهِ بالاسر (الجزء الاول من مجاني الادب صفحة ١٣٧) وحكاية الفتية اصحاب الكهف (الجزء الثاني منهُ صفحة ٢٣٦) وقصة عصيان ابراهيم بن المهدي (الجزء الرابع صفحة ٢٣٦)

اما شارة هذا القسم فهي الرقة والتفنُّن في وجوه الكلام مع مراعاة نظام الرواية والتدرُّج في سياق الاحاديث كي لا تزال النفوس صابئة الى فضّ المشكل مولعة بمعرفة الختام

س ما هوا الختام

ج هو القسم الاخير من الرواية بهِ تُفك الأربة وتُحل ربا قات الحديث فتنال النفوس بذلك مرامها وتفوز بوطرها . وسمة الختام ان يكون فجائيًّا بيد انهُ يرتبط مع ما قبلهُ ارتباطًا محكمًا و يقتضى لهُ ان يكون وافيًا ترضى بهِ النفوس وترتاحُ اليهِ القلوب

راجع في حسن الختام آخر حكاية الرجُلَين الكريمَين الحاصلَين على الامارة بكرمهما (صفحة ٢٠٣ من الجزء الثالث من مجاني الادب)

وكذلك ختام حكاية الكريم الصافح عن قاتل ابيهِ (صفحة ٢٠٩ منهُ) وحكاية المغيث الرَّجل الخائف على دمهِ والمجازَى على احسانهِ (صفحة ٢٢٠ منهُ)

البحث الثالث

في انواع الرواية

س كم هي انواع الرواية

ج ثلاثة : الرواية الخبريَّة . والرواية الخياليَّة . والرواية القضائيَّة

الرواية الخبريَّة

س ما هي الرواية الخبريَّة

ج هي التي تُورد ذكر واقع جرى وتثبتهُ بلا تعسُّف ولا تطبُّع . ولها تفرُّعات شتَّى منها الحكايات والفكاهات واللطائف والنوادر ومنها الحوادث التاريخيَّة ومنها الاسفار

س بمَ تختلف الفكاهات واللطائف والنوادر

ج ان الفكاهات هي الحكايات الهزليـة والقصص المزاحية . واللطائف هي الحكايات الدَّالَّة على ذكاء وتوقُّد فهم والمُسفرة عن نجابة فاعلها او قائلها . امَّا النوادر فهي

الاحاديث المستغرَبة القليلة الوقوع

راجع في اجزاء مجاني الادب هذه الابواب المختلفة فتستدلّ على وجوه اختلافها

س ماذا يختصّ برواية الحوادث التاريخية

ج ان الروايات التاريخية تلحق بحقيقة الواقع وتهمّ بذكرهِ بطلاوة وسذاجة (وسنذكر امثالاً من ذالك في التاريخ)

س ما ذا يستحسَن في ذكر الاسفار والرِحَل

ج يُستحسَن فيها السهولة والتفنُّن والايجاز مع ذكر غرائب الامور المشاهدة واستثبات الوقائع وتحقيقها

س اورد اسماء من برعوا عند العرب في وصف الاسفار

ج اجدرهم بالذكر ابن بطوطة في كتاب تحفة النظَّار في غرائب الامصار وهو سهل العبارة قريب المأخذ يُوءخذ عليهِ تكرار الاوصاف ذاتها فلا يكاد يفرق وصف بلد عن آخر فيحصل عن اوصافهِ للقلوب ملّة . ومنهم ابن جُبير في كتاب رحلتهِ وهو كتاب موءنس ممتّع فصيح العبارة ذكر فيهِ رحلتهُ من بلاد الاندلس الى المشرق في ايام صلاح الدين . ومنهم عبد اللطيف البغدادي لهُ تصنيف جليل في وصف مصر وعجائبها وابنيتها ونباتها وحيوانها . ومنهم ايضاً المسعودي في

كتاب العجائب إلّا انهُ يذكر مراراً مالم يتحقّق صحتهُ بنفسهِ

الروايه الخياليّة

س ما هي الرواية الخيالية

ج هي ما اوردت ذكر احاديث غريبة فريّة

س ما الفائدة منها

ج فائدتها ترويح البال ونزهة العقل وتفكيه المخيَّلة بيد انها كثيراً ما تمزج السمَّ بالدسم فتفسد الذوق السليم وتلقي الروح في عالم الخيال فتغذيهِ بترَّهات الاحاديث وتصرفهُ عن جادَّة الصدق وسبيل الآداب

س ما هي اشهر الروايات الخيالية عند العرب

ج قد بعُدَ عند العرب صيت كتاب الف ليلة وليلة حتى تأَنَّقت شهرتهُ وانمَّا اصاب هذه السُّمعة لسهولة مأْخذه وطلاوة انشائهِ لولا انهُ قد شحنهُ كاتبهُ بروايات خلاعية تمسُّ الآداب السليمة (١) . ومن روايات العرب اخبار عنترة وهو مصنَّف لا يخلو من بعض الرقَّة والطلاوة فضلاً عن انهُ حماسيّ المشرب كثير الاوصاف للحروب والمآثر يؤْخذ على كاتبهِ الاطالة المفرطة والمبالغة في الاخبار حتى لا تكاد تصدَّق

١ راجع حواشي مجاني الادب صفحة ٣

ووحدة السياق المسئمة المضجرة

راجع الجزء الاول من كتاب نخب الملح من صفحة ١٢ الى ٩٥ .
والجزء الاول من مجاني الادب من صفحة ١٥٢ الى ١٦٦

الرواية القضائيّة

س ما هي الرواية القضائية

ج هي ما روت امراً واقعاً تحت المخاصمة

س على مَ المعوَّل في اصناف هذه الروايات

ج المعوَّل فيها على ايراد الظروف الملائِمة لغاية الخطيب ونبذ ما كان منها مخلاًّ بهذا الغرض

(فائدة) اعلم اننا لم نطل الكلام على ذكر خواصّ الرواية القضائية في هذا الجزء من مؤَلّفنا وسيأتي عليهِ الكلام مسهباً في الجزء الثاني

س ما هو الانشاء الحقيق بالروايات

ج ان انشاء الروايات لمختلف جدًّا لكننا نقول على وجه الاجمال إن الانشاء الساذج أحقّ بالروايات الفكاهية والقصص والنوادر والاسفار . والانشاء الانيق اولى بالروايات الخيالية . وربما كانت الرواية القضائية من النمط العالي من الانشاء وكذلك الروايات الشعريَّة

قصّة ولاية ابن ذي يزن على اليمن لأميّة ابن ابي الصلت

ليطلب الوتر امثال ابن ذي يزن يلجّ في البحر احوالاً واموالا
اتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده النصر الذي قالا
ثمّ انتحى نحو كسرى بعد عاشرة من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببني الاحرار يقدمهم تخالهم فوق متن الارض اجبالا
من مثل كسرى شهنشاه الملوك لهم ميل وهدي يؤمّ الجيش ارسالا
لله درّهم من عصبة خرجوا ما ان رأيت لهم في الناس امثالا
بيض مرازبة غلب اساورة أسد تربّب في الغيضات اشبالا
يرمون عن عتل كانها غبط بزمخر يعجل المرمي اعجالا
لا يضجرون وان حرّت مغامزهم ولا ترى منهم في الطعن ميالا
ارسلت أسداً على سود الكلاب فقد امسى شديدهم في الناس فلّالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً في رأس غمدان داراً منك محلالا
والتطّ بالمسك اذ شالت نعامتهم واسبل اليوم في برديك أسبالا

رواية في ذكر الخروج الى صيد الكراكي لصفيّ الدين الحلّي

وربّ يوم ادكن القتام ممتزج الضياء بالظلام
سرنا به لقنص الآرام والصبح قد طوّح باللثام
حتى اذا آن ظهور الجام والبرّ بالآل كبحر طامي
عنّ لنا سرب من النعام مشرقة الاعناق كالاعلام
فاغرة الافواه للهيام كاينق فرّت من الزمام
وحش على مثنى من الاقدام بالطير تدعى وهي كالانعام
تطير بالارجل في الموامي كانما اعناقها السوامي
اراقم قد قمن للخصام فحين همّ السرب بانهزام
ألجمت القسيّ بالسهام فأرسل النبل كوبل هام
اثبتّ في كلكله سهامي فرقت في اللحم والعظام
فخرّ مصروعاً على الرّغام قد ساقه الخوف الى الحمام

فأعجب الصحبَ بهِ اهتمامي حتى اغتدى كلٌّ من الاقوامِ
يقول لا شُلَّت يمين الرامي

مالك بن طوق عند الرشيد

كان الرشيد انفذ الى مالك بن طوق يطلب منهُ مالًا فتعلَّل ودافَع ومانَع وتحصَّن وجمع الجيوش وطالت الوقائع بينهُ وبين عسكر الرشيد الى ان ظفر بهِ صاحب الرشيد وحملهُ مكبَّلًا. فمكث في السجن عشرة ايام ثم امر باحضارهِ في جمع من الرؤساء وارباب الدولة فقبَّل الارض ولم ينطق. فعجب الرشيد من صمتهِ وغاظهُ ذلك وامر بضرب عنقهِ فبُسط النطع وجُرّد السيف وقُدّم مالك فقال الوزير: يا مالك تكلم فان امير المؤمنين يسمع كلامك. فرفع راسهُ وقال: يا امير المؤمنين أخرستُ عن الكلام دهشةً وقد أدهشت عن السلام والتحيَّة فاما اذا أذِن اميرُ المؤمنين فاني اقول: السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاتهُ الحمد لله الذي خلق الانسان من سُلالة من طين. يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولمّ بك شعث الامة واخمد بك شِهاب الباطل واوضح بك سبيل الحق. ان الذنوب تخرس الالسنة الفصيحة وتصدع الافئدة. وايم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجَّة ولم يبقَ الّا عفوك وانتقامك. ثم انشأ يقول بعد ما التفت يمينًا وشمالًا:

اري الموت بين النطع والسيف كامنًا يُلاحظني من حيثُ ما اتلفَّتُ
واكبرُ ظني انك اليوم قاتلي وايُّ امرئٍ مما قضى الله يُفلتُ
يعزّ على الاوس بن تغلب موقفٌ يُهزّ عليَّ السيفُ فيهِ واسكتُ
وايُّ امرئٍ يُدلي بعُذرٍ وحجَّةٍ وسيفُ المنايا بين عينيهِ مُصلَتُ
وما بيَ من خوف اموتُ وانني لَاعلم انَّ الموت شيءٌ موقَّتُ
ولكنَّ خوفي صبيةً قد تركتهم واكبادهم من حسرة تتفتَّتُ
كاني اراهم حين أُنعى اليهمِ وقد خمَّشوا تلك الوجوهَ وصوَّتوا
فان عِشتُ عاشوا آمنين بغبطةٍ اذودُ الردى عنهم وان متُّ مُوِّتوا
فكم قائلٍ لا يبعد الله دارهُ وآخر جذلان يُسَرُّ ويشمتُ

(قال) فبكى هارون الرشيد وقال: لقد سكتَّ على همة وتكلمت على عِلم وحكمة

وقد عفوت لك عن الصبوة ووهبتُك الصبية فارجع الى وُلدك ولا تعاود. فقال: سمعًا وطاعة وانصرف (١) (فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي)

رواية هزلية لعليّ المغربي

اصغوا أُحدّثكم بما رأيتهُ من عجَبِ فانني سافرتُ في البحرِ لاجل المكسب
فعاندتنا حوتةٌ تروم كسر المركب حتى اذا ما غرِق المركبُ بالتقلُّب
طفوتُ فوق ساجة وذو العُلى يلطف بي ولاح لي جزيرة تلوحُ مثل كوكب
لمَّا وصلتُ ارضَها بعد العنا والتعبِ صعدتُ ارعى في رياض ارضها من عُشُب
اصطادُ من طيورها في برّها بالقصَب آ كلُ من ثمارها ماطعمهُ كالرُّطب
ومشربي من مائها العذب النَّميرِ الطيِّب بينا انا في صعَد من ارضها او صبب
لقيتُ شيخًا جالسًا في ظلّ كرم العنب لوَّح لي بكفّه يعني به تقرّبي
فرحتُ امشي نحوهُ انظرُ ما يريدُ بي فسلَّم الشيخُ سلامَ مؤذن بالرَّحب
وقال لي اجلس بكلام غير لفظ العرَبِ لمَّا هممتُ بالجلوس صار فوق منكبي
مطوّقي منهُ بساقاتٍ بغيرِ رُكب طويلة مثلَ الصواري او حبال القنَب
فقلتُ بالله عليك لا تكن معذّبي فقال لي كيف وطئت ارضي ياغرا غبيّ
اتجهل اني امرؤٌ من ذوي اهلِ الرُّتب انا الذي اسدُ الشَّرى بالحرب لا تقاسِبي
فأنت مَن قلتُ لهُ انا عليُّ المغربي انا امرؤٌ انكرُ ما يعرفُ اهل الادب
ما انا ذو ترفُّض كلاَّ ولا تعصُّب ما قلتُ قطُّ ها انا ولم اقُل كان ابي
ولم ازاحم ابدا على علوّ منصب ولا دخلتُ قطُّ في عُمري بيت الكتُب
ولا عرفتُ النحو غير الجرّ بالمنتصب كلاَّ ولا اجتهدتُ في حفظِ لُغات العربِ
ولا عرفتُ من عروض الشِّعر غير السببِ ولا بحثتُ منهُ في المجتثّ والمقتضب
كلاَّ ولا اشتغلتُ بالنجوم في التطبُّب وليس في المنطقِ والحكمة اضحى أربي
واين مني البحث في البسيطِ والمركَّبِ والسحرُ ما عرفتهُ معرفةَ المجرّب
ولا طمعتُ في المحال قطُّ مثل اشعب كلاَّ ولا مخرقتُ للناس لاجل الطلب
قال اطلُبَنْ مهما ترى قلتُ لهُ تعبتُ بي فقال لا قلتُ أعطِ ما انفق فيه نشبي
فقال خذ ونلتُ ما رمتُ بمين الذهب ثمَّ رجعتُ سالمًا اليكمُ في يثرب

---

١ ولهذه الحادثة رواية اخرى راجع الجزء الثالث من مجاني الادب صفحة ٢٧٩

ألفَنّ ألخَامِسُ

في المقامات

س ما المقامة في اللغة

ج قال المطرّزي : المقامة في اللغة كالمقام اي موضع القيام ثم اتّسعوا فيها واستعملوها استعمال المجلس والمكان . ثم كثُر حتى سمَّوا الجالسين في المقامة مقامةً كما سمَّوهم مجلساً الى ان قيل لِما يُقام بهِ فيها من خُطبة او عظة وما اشبهها مقامةٌ كما يقال لهُ مجلسٌ فيقال : مقامات الخطباء ومجالس القصَّاص (١)

س ما المقامة في الاصطلاح

ج المقامة عبارة عن كتابة حسنة التأْليف انيقة التصنيف تتضمن نُكتة ادبية

س على مَ مدار المقامة

ج ان مدارها على رواية لطيفة ذات احاديث مختلفة تُسند الى بعض الرُّواة ووقائع شتَّى تُعزى الى احد الادباء

---

١ قال الشريشي : المقامة المجلس والحديث يُجتمَع بهِ ويُجلَس لاستماعه فيسمَّى مقامةً ومجلساً لانَّ المستمعين للمحدّث ما بين قائم وجالس ولانَّ المحدّث يقوم ببعضهِ تارةً ويجلس ببعضهِ أُخرى . قال الاعلم : المقامة المجلس يقوم فيهِ الخطيب يحضُّ على فعل الخير

س ما المقصود من المقامة

ج المقصود منها على الغالب جمع دُرَرِ الالفاظ وغُرَرِ البيان وشوارد اللغة ونوادر الكلام من منظوم ومنثور فضلًا عن ذكر الفرائد البديعية والرقائق الادبية كالرسائل المبتكرَة والخُطَب المحبَّرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية (١)

س ما هي خواصّ رواية المقامة

ج انَّما خواصُّها كخواصّ الرواية العاديَّة (راجع صفحة ١٧٠) الاَّ انها تقتضي من صاحبها اعظَم تلطُّف واوسع تفنُّن فيحلّيها ببدائع التراكيب وفرائد الاساليب ويرصّعها بالحِكَم الفائقة والنوادر الرائقة ويؤثر بها كل لفظٍ رقيق مطابق لكل معنى دقيق

(فائدة) اعلم ان المقامات تُعرف بالمكان الذي تجري فيه فيقال المقامة الحلبية او الموصلية بناء على انّ محلّ وقوعها حلب او الموصل. وربَّما نُسبت الى المَرويّ عنهُ فيقال مقامة القرَّاد او الصوفيّ اذا كان ينتسب المَرويّ عنهُ الى احدى هاتين الحالتين. او تنسب ايضًا الى بعض وقائع الرواية فيقال مقامة الميت او الغازي وهلمَّ جرًّا

١ راجع فاتحة مقامات الحريري

س ما هي صفات راوي المقامة

ج يُستحَبُّ فيهِ ان يكون ظريف النفس كثير الاسفار حسن الرواية متفرّغًا لفنون الادب جادًّا في طلب غُرَرهِ كادًّا ذهنهُ في تحصيل دُرَرهِ كالحارث بن همَّام في المقامات الحريريَّة وعيسى بن هشام في المقامات البديعيَّة

س ما هي صفة صاحب النشأَة في المقامات

ج من حقّ صاحب النشأَة وهو المرويُّ عنهُ ان يكون فكِهًا ماضيًا في الامور من أُدباء الشطّار يتنقَّل من بلدةٍ الى اخرى للكِدية ويتقلَّب مع صروف الدهر متنكرًا . يقف تارةً في مواقف التعليم وأُخرى يرقى منبر الخطابة . وطورًا يتعارج او يتعامى وطورًا يتفاقه او يتشاعر الى غير ذلك من احوال الجدّ والهزل ينوي بهِ الاستعطاء واحراز المال كما يفعل ابو زيد في مقامات الحريريّ وابو الفتح الاسكندري في مقامات الهمذاني

س ما هي اقسام المقامة

ج لا تختلف اقسام المقامة عن اقسام الرواية (راجع صفحة ١٧٥) فلها مثل هذه صدرها وعُقدتها وختامها غير ان آخرها يتحلَّى في الغالب بابيات هزليَّة على لسان صاحب النشأة

س ما اليَق نمط من الانشاء بهذا الفنّ

ج لمَّا وُضعت المقامات لمجالس العلماء وخُصَّت بحلَقات البلغاء فالاليَق ان يتحرَّى بها الكاتب النمط العالي من الانشاء

س مَن المبتدع لفنّ المقامات عند العرب ومن الذين فازوا السَبْق فيها

ج انَّ مخترع هذه الطريقة هو بديع الزمان الهمذاني (١) ومقاماتهِ نحو اربعمائة مقامة كلّها انيقة اللفظ قريبة المأْخذ رشيقة السَّجع وصاحبها كثير التفنُّن فيها. امَّا فارس ميدان هذا الفنّ المبرّز فيهِ سابقًا وعلى اقرانهِ فائقًا فهو الحريريّ (٢) فانَّ مقاماتهِ وان تلا فيها تلوَ البديع ابلغ لسانًا واتمّ بيانًا منهُ. ولقد راق مجتلَاها ومجتناها وتناهى في الحسن لفظها ومعناها. ضمَّنها قسمًا كبيرًا من اخبار العرَب وامثالهم وفرائد لغتهم

وقام بعد البديع والحريريّ كثيرون ممن نسجوا المقامات على منوالهما وان لم يبلغوا شأوهما نخصّ بالذِكر: (١) مقامات بدر الدين ابي محمد الرازيّ كتبها سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩) يروي فيها القعقاع بن زنباع. (٢) المقامات الزينية لابن صيقل

١ راجع ترجمتهُ في صفحة ٢٨٣ من الجزء الخامس من مجاني الادب

٢ اطلب ترجمتهُ صفحة ٢٨٤ من الجزء ذاتهِ

الجزريّ المتوفَّى سنة ٧٠١ ه (١٣٠٢) وهي خمسون مقامة كالمقامات الحريريَّة لكنها ليست من تلك الطبقة نسبها الى ابي نصر المصري وعزى روايتها الى القاسم بن جربال الدمشقي . (٣) المقامات السَرَقَسْطية لابن الاشتركوني المتوفَّى سنة ٥٣٨ ه (١١٤٣ م) وهي خمسون مقامة انشأها بقرطبة عند وقوفهِ على ما انشأهُ الحريريّ بالبصرة اتعب فيها خاطرهُ واسهر ناظرهُ ولزم في شعرها ونظمها ما لا يلزم فجاءَت على غاية من الجودة حدَّث فيها المنذر بن حمَّام عن السائب بن تمَّام . (٤) مقامات السيوطي (١) طُبع منها قسمٌ حديثًا في الاستانة وليست هذه المقامات على طريقة ما سواها وانَّما هي بالرسالات اشبه منها بالمقامات . (٥) المقامات الفلسفية لبعض الادباء وضعها سنة ٧٠٦ ه (١٣٠٧ م) في العلوم الطبيعية والرياضية والالهية وضروب من الفنون جعل مصنّفها الراوي لها ابا القاسم النوَّاب والمرويّ عنهُ ابا عبدالله الاوَّاب . (٦) المقامات المسيحية لابن العبَّاس يحيى بن سعيد بن ماري النصراني البصري الطبيب المتوفَّى سنة ٥٨٩ ه (١١٩٣ م) نسج فيها على منوال الحريريّ واجاد فيها

وقد سعى بعض المحدثين من ابناء العصر لاسيما النصارى

١ راجع ترجمة السيوطي صفحة ١٨٠ من الجزء الخامس من مجاني الادب

في نهج هذه الطريقة الوعرة منهم الشاعر الفكه نيقولا الترك له احدى عشرة مقامة كلها انيقة عليها مسحة من الطلاوة والانسجام يروي فيها الحازم عن ابي النوادر . ومنهم الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجيّ انتحى في مقاماته نحو الحريريّ وهي عميمة الفائدة لا حاجة للثناء عليها مع اشتهارها وكثرة تداولها

س اذكر شاهداً عن المقامات القديمة والحديثة

مقامة الحاجّ لبديع الزمان الهمذاني

حدّثنا عيسى بن هشام قال : لمّا قفلتُ من اليمن ، وهممتُ بالوطن ، ضمّ اليّ رفيق رحالَهُ فترافقنا ثلثة ايام حتى جذبني نجد ، والتهمهُ وهد ، فصعدتُ وصوّب ، وشرّقتُ وغرّب ، وندمتُ على مفارقته بعد ان ملكني الجبل وحزنهُ ، وأخذهُ الغور وبطنهُ ، فوالله لقد تركني فراقهُ ، وانا اشتاقهُ ، وغادرني بعدهُ ، اقاسي بُعدَهُ ، وكنت فارقتهُ ذا شارة وجمال ، وهيئة وكمال ، وضرب الدهر بنا ضروبهُ وانا اتمثّلهُ في كل وقت واتذكّرهُ في كل لحمة . ولا اظنّ ان الدهر يُسعدني به ويُسعفني فيه حتى اتيتُ شيراز فبينا انا يوماً في حجرتي اذ دخل كهل قد غبر في وجهه الفقر ، وانتزف ماءهُ الدهر ، واما قناتهُ السقم ، وقلّم اظفارهُ العُدْم ، بوجه اكسف من باله ، وزيّ اوحش من حاله ، ولثة نشفة ، وشفة قشفة ، ورجل وحاة ، ويد محلة ، واثياب قد جرّعها الضرّ ، والعيش المرّ ، وسلّم فازدرتهُ عيني لكني اجبتهُ فقال : اللهمّ اجعلنا خيراً مما يظنّ بنا . فبسطتُ لهُ أسرّة وجهي وفتقتُ لهُ سمعي وقلتُ له : إيه قال : انا رجل أُعرَفُ بابي الفتح الاسكندري . فقلتُ : سقى الله ارضاً انبتت هذا الفضل ، وابا خلف هذا النسل ، فاين تريد . قال : الكعبة . فقلتُ : بخٍ بخٍ فنحن اذا رفاق . فقال : وكيف ذلك وانا مصعّد وانت مصوّب . قلتُ : فكيف تصعد الى الكعبة . قال : أما اني اريد كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجّاج ، ومشعر الكرم ، لا مشعر الحرم ،

وبيت السَّبي ، لا بيت الهَدي ، وقُبلة الصِلات ، لا قُبلة الصَّلاة ، ومُنى الضيف ، لا منى الخَيف ، فعجبتُ من فصاحتهِ في وقاحتهِ ، وفلاحتهِ في استماحتهِ ، فقلتُ لهُ : أنت مع هذا الفضل ، تعرض وجهك لهذا البذل فأنشد :

سا خفْ زمانك جدًّا   انَّ الزمان سخيفْ
دَع الحميَّة نسياً   وعِش بخيرٍ وريفْ

المقامة الديريَّة للاديب نقولا الترك (١)

حدَّث الحازم قال : مَللتُ من الجدار ، ومِلتُ لجوب الديار ، لما سئمتُ من الاضامة ، بطول الإقامة ، وقلتُ : ما بالاستكانة ، غير الاهانة ، ولا بالكسَل ، سوى خَيبة الأَمل ، وما بالتَّواني ، من تبلُّغ الأَماني ، ومن قصَرت همَّتهُ ، نقصت نعمتهُ ، ومن قلَّ سعيهُ ، كثُر نعيهُ ، ومن غزرَت حرَكتهُ ، وفرَت بركتهُ ، فظعنتُ عن الاوطان ، وباينتُ القطَّان ، وطفقتُ اجوبُ في كل ناد ، واطوي كل طودٍ وواد ، حتى بلغَتْ بي همَّة السَيْر ، الى بلدَة تلقَّب بالديْر ، فالفيتها خير منزلة سنيَّة ، ذات معيشة هنيَّة ، فشرعتُ ادورُ في سفحاتها ، واطوف في ساحاتها ، حتى طمح اللحظ الى رامة شهيرة ، محتوية على أرومة كبيرة ، فجدَّيتُ بجواد الجدّ ، واطلقتُ عنان الكدّ ، لاسبُر ما لبقيَّة الانام ، من الازدحام ، فلمَّا ائتلفتُ مألفهم ، ووقفتُ موقفهم ، الفيتُ شخصاً في وسط الجمع ، يسرد ما يلذُّ الى السمع ، ويقصُّ على القوم حُلماً ، ويفيدهم بهِ علماً ، فصغوتُ اليهِ ، وهو يروي عمَّا تجلَّى عليهِ ، من غرائب ما رآهُ في منامهِ ، واضغاث احلامهِ ، فقال : اصغوا يامحافل القوم ، لعجائب ما رأيتهُ في سِنَة النوم ، وهي اني عاينتُ تلالاً تزلزَلت ، وجبالاً تقلقلَت ، وأَهوِتة تعاسفت ، ورياحاً تقاصفت ، وبروقاً تزاحمت ، وصواعقاً تراكمت ، وانهاراً تعاظمَت ، وبحاراً تلاطمت ، فنأت السلامة ، وقامت القيامة ، وغاب وجه الارض ، وغارت الجبال بالطول والعرض ، ولم ادرِ الَّا وانا فوق بحرٍ عجَّاج ، مرتفع بين الاوْج والامواج ، فانحلَّت مني عرى

١ ان المؤلف طلب من الامير بشير داراً يسكنها فنظم لنوال غايته هذه المقامة واشار بها للشيخ بشير جنبلاط ولاولاد الامير بدون افصاح عن اسمائهم . واذ قدَّمها له نال مرغوبه وبنى له الامير داراً وذلك في سنة ١٢١٩

الأَمل ، وايقنتُ فروغ الأَجل ، فبينما وانا على هذه الحال ، عادم النجوى بلا محال ، واذ بشهاب اخرق الجوّ ، وامتدَّ الى البحر ففرق النوّ ، وانقضَّ عليَّ انقضاض العُقاب ، وجذَبني الى اوج السحاب ، فشملني الانذهال ، واعتراني الاختبال ، ثمَّ سكن ارتيابي ، وازال اكتئابي ، فرمقتُ بعيني واذا بنيّر على صورة الاسد ، يَسوُس المعالي بالرأي الاَسدَّ ، بهيّ الاشراق ، رضيّ الاخلاق ، فقلتُ : ومن ذا . فقيل لي : هذا شهاب الآفاق الذي نشلكَ من هــذه النقم ، الى ذروة النعم ، ورأيتُ عن يمينهِ كوكبًا بهيًّا متروسًا على سائر النجوم ، قابضًا على حُسام حسوُم ، وشمتُ من حولهِ نجومًا زهيَّة ، وكواكب مُضيئة ، فقيل انَّ الكل منها منفعة في الاقاليم ، وتأثيرات في التأخير والتقديم ، فمنها من يأثر حكمهُ في المعادن والدُرَر ، ومنها من تأثيرهُ في الارض والحُجَر ، ومنها من ينسب لهُ نموّ الاشجار ، ويمدُّها بالاعمدة الكبار ، ومنها من سعدهُ يساعد على العمار ، وقيام الدثار والدمار ، فقلت : تالله اني لمحتاج لكل هذه المنصوصات ، ولا غنى لي عن هذه الخواصات ، سيما وانا رهينُ القضا ، وليس لي مأوى سوى الفضا ، فعوَّلتُ على اعراض امري ، وايداع سرّي ، وقدَمتُ على ذلك النيّرَ الوضَّاح ، وابديتُ لهُ ما لاقيتُ من اَلم البراح ، وما انا بهِ من البلوى ، بعدم المـأوى ، فاخذ لوحًا من الالواح ، ورقم بهِ باحسن إفصاح ، انني لاوهبنَّك منزلة في منازل القمر ، واحلنَّك محلًّا تستقرُّ به على سائر البشر ، واقرنك نحو قبَّة الفلك ، واملكنَّك بها خير مُمتلك ، واظفرنَّك بخير مسكن ، واشرق مستكنّ ، وسأُوعز الى الكواكب ، بان تحيطك بالمناكب ، فلما استوعبتُ الخطاب ، وتفقَّهت الجـواب ، هزّني الطـرب ، واعتراني العجب ، فاستيقظتُ من اندهاشي ، فوجدتُ ذاتي على فراشي ، فاستعذتُ بربّ الانام ، وقلتُ: اللهمَّ وازرهُ بخير اتمام ، واحسن ختام ، ونهضتُ من رُقادي ، وطفقتُ اجول في القرى والبوادي ، واسوم ذوي الافهام ومفسّري الاحلام ، لعلي احظى بمن عندهُ مفتاح هذه الكنوز ، وكشف هذه الرموز ، فوُصف لي شخصٌ من المقتــدرين ، آخذاً عن ابن سيرين ، مشهوراً بالفقيــه النبيه ، فسعيتُ اليه ، وسررتُ لما رأيتُ عليهِ ، وقلتُ : بادر ايها الفقيه النبيه بافــراج همّي ، وشرح حلمي ، وأحسن التخبير ، وصحح التعبير ، وانا اجيزك جوهرةً مكنونة ، منقودة موزونة ، فاطرق الفقيه برهةً وقال : اما حدوث الزلزال ، وقلقلة الجبال ، وهياج

الرياح ، وقيام الصياح ، ووميض البروق ، ووقوع الصواعق والخفوق ، فهذا دليل ما بلا من البلوى ، لعدم المأوى ، واما ارتفاعك فوق اللجج ، وقطع الآمال من الفرج ، فهذا دليل نهاية النحوس ، واضمحلال البوؤس ، ورؤياك لذاك النيّر الساطع ، ذي السيف القاطع ، هو عبارة عن ذاك الملاذ المفخّم ، والامير المعظّم ، بشير السلام ، وشهاب الانام ، واما ما جئتَ منهُ في المنزلة ، والهيبة الغير المعزلة ، دليل حلولك في قطره الزاهر ، وحماهُ الباهر ، المعروف بدير العزّ المنظوم في سلك عداه المشتهر ، انتظام عقد الدُرَر ، وستُعطى ارضاً خليّة ، وبقعةً عليّة ، بالقرب من قبّة الشربين ، وهذا دليل ما رأيتهُ باليقين ، واما الكوكب القائم عن يمينه ، الصادق في يمينه وتأمينه ، فهذا ما يشير الى ذلك الهمّام ، المعروف بشيخ الانام ، بشير الامان ، وسخيّ البنان ، واما النجوم التي من حوله ، فهم القائلون بقوله ، والعياذة الى تلك الكواكب ، لاحتياطك بالمناكب فهذا برهان جليّ الايضاح ، مبين الافصاح ، عن امداد البعض بالبيض الصحاح ، والبعض بالخشب والالواح ، والبعض بالكلس والحجر ، والبعض بإلقاء النظر ، والبعض بالبلاط ، والبعض بالايفاء من دون اشتراط ، وبهذه الوسيلة الساسانيّة ، تبني لك خير دار سنية ، ثم بعد ان ابان ، وحصحص واكمل التبيان ، واستخلص اطبق صحفهُ ، ومدَّ لي كفّهُ ، وقال : اجزني عمّا اخبرتك ، واوفني حقّ ما بشّرتك ، فقلتُ لهُ : وسرّ من اودعك هذه الاسرار ، واطلعك على حقائق هذه الاخبار ، ان مُذ فُتح على المولى باب الفريض ، ما قرعتْ كفايَ باب الصفر والبيض ، ثم طفقتُ اوليه شكراً ، وانشدهُ شعراً

حيّاك ربّكَ من خبير ماهرٍ في روض فضلٍ بالمناقبِ زاهرِ
فُقتَ الأوائلَ والاواخرَ بالنُهى وسموتَ عنهم بالكمال الفاخرِ
يامن على اهل الحقيقة قد علا عن كلّ نحرير غدا فيها حريّ
ياعالماً فطِناً لبيباً حاذقاً يا كاشفاً عمّن تضمّن خاطري
جوزيت خيراً دائماً عني ولا زلتَ المغيث لكل لهفة حائرٍ
مولاي أغمد سيف لومك لي ولا تُطلِ العتاب عليَّ بل كن عاذري
ياخير اهل الفضل فارحم واغتنم اجري فانّ الله خير مؤاجري
هبها زكاة العلم واعلم انني بكَ خير مدّاح واعظم شاعرِ

فلما رآني الفقيه اطلتُ الخطاب ، وقضيتهُ بدلاً من المال مدحاً واطناب ، هزّ

هامه ، واوشك ان يستلّ حسامه ، ونظر اليّ شزراً ، وقال : ويحك اعضتنا عوض الدراهم شعراً ، ثمّ حوّل وجهه عني ، وابتعد مني ، وطفق يقول ، لعمري انه خطب مهول ، لاننا كشفنا وأبحنا ، وبئس ما ربحنا ، ولقينا المصايد ، فاقتنصنا قصائد ، فتركته على هذا المنوال ، يتقلّب على جمرات الوبال ، وتخايلت عنه وهرولت ، وخاتلته وتحوّلت ، قال الحازم : فلما اكمل الاديب قصته ، وانهى منعته ، انفرط سلك الكوم ، وتفرّق جمع القوم ، فدنوت اليه ، بالتحية عليه ، وامعنت فيه النظر ، وحقّقت فيه البصر ، فرأيته ابا النوادر ، ونزهة المحاضر ، فتلقّاني بوجه البشاشة ، والطف النقاشة ، واطلعني على حقائق اخباره ودقائق اسراره ، وذهب بي الى مأواه ، وجديد مبتناه ، وشرع ينشدني ما نسمه من الابيات ، بمديح آل المروآت ، حيث احلّوه هذه المحلّة ، واصرفوا عن قلبه كل علّة ، وقد كنت اسمعه يتغزّل فيها ، كلما نظر الى الدار وحسن مبانيها ، وهذه هي :

بايجاد الندا وُقيتم ضيما ولقيتم اجر العطاء نعيما
عظّم الله اجركم اذ اغثتم مدنفاً بات بالامان مقيما
هكذا الله في المصاحف اوصى في البرايا وقال قولاً قويما
كل من قد سعى بمأوى غريب نال من ربه ثواباً عظيما

قال الحازم فمكثت عنده مدةً ، وانا التقط الجواهر من فيه ثم افترقت عنه وقلبي مولّعٌ فيه

راجع ايضاً في هذا الباب فصل المقامات في الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ٧٤ . وفي السادس صفحة ١٠٦ . والقسم الاخير من كتاب نخب الملح

الفنّ السّادس

في التاريخ

البحث الاول

في حقيقة التاريخ وشرفه

س ما هو التاريخ

ج التأْريخ لُغةً تعيين الوقت وعرفًا علمٌ يُبحث فيهِ عن احوال الغوابر من الأُمم والسوالف من الايام والطوارئ من الوقائع

س ما موضوع التاريخ

ج موضوعهُ اخبار الماضين من الأَنبياء والملوك والمشاهير والدُوَل من حيث نشأَتها ونموّها وهبوطها

س ما شرَف التاريخ

ج اعلم ان هذا الفنّ من اجلّ العلوم قدراً وارفعها شرَفًا فهو كما قيل تذكرةٌ لما دوَّنهُ الأَوَّلون من العلوم وتبصرةٌ لأُولي الالباب في المستقبل وعُمرٌ آخر للمطالعين قال الشاعر :

ليس بانسانٍ ولا عاقلٍ من لا يعي التاريخَ في صدرهِ
ومن درى اخبار مَن قبلهُ اضاف اعماراً الى عمرهِ

قال آخر :

اذا عرَف الانسان أخبار مَن مضى
توَهمتهُ قد عاش من اوَّل الدهرِ
وتحسبهُ قد عاش آخر دهرهِ
الى الحشرِ ان ابقى الجميل من الذكرِ
فكن عالمًا اخبار مَن عاش وانقضى
وكن ذا نوالٍ واغتنم آخر العمرِ

س ما فائدة التاريخ

ج ان التاريخ لجمُّ الفائدة اذ بهِ يطَّلع العاقل على سِيَر من مضى فيقيس نفسهُ عليهم وينتصح باحوالهم في دينهم ودنياهم . ويكتشف على عورات الكاذبين فيحترز عن سوء اعمالهم ويقف على احوال الصادقين فيأْتسي بهم اذا لحقهُ مُصاب . وقصارَى الكلام يتيسَّر لهُ الانتفاع بما كسبهُ غيرهُ بكل نَصَبٍ وتَعَب

راجع ما قيل في فوائد التاريخ (في الجزء الثالث من مجاني الادب صفحة ٢٠٤ وفي اوَّل الجزء الثالث من نخب الملح)

البحث الثاني

في اركان التاريخ

س كم ركنًا للتاريخ

ج ركنان اصوله وصفات كاتبهِ

س ما هي اصول التاريخ

ج ان اصول التاريخ التي اليها يكون المرجع في تسطيرهِ ثلاثة . الأوَّل تصانيف المعاصرين من نثرٍ ونظم لا سيما اذا عاينوا بانفسهم ما اثبتوهُ في تآليفهم كتاريخ صلَاح الدين لابن شدَّاد والفتح القدسي للعماد الكاتب

الثاني الاحاديث المنقولة بالتقليد ما لم يلفِّقها المحدّثون ويشوّهها الرُّواة بالتمويه والاكاذيب

الثالث الآثار القديمة كالنقود المضروبة والابنية المشيَّدة والاعمدة والرسوم مع ما رقم عليها من الكتابات الى غير ذلك ممَّا يشهد لحقيقة التاريخ شهادةً تنطق بلسان حالها عن صحَّة مضمونها

س ما هي صفات كاتب التاريخ

ج لا يتأَتَّى لصاحب التاريخ ان يُدرك بهِ الوَطر ان لم

يتَّصف بصفتَين هما العلم والامانة . امَّا العلم فلأَنَّ المؤرّخ يحتاج الى مآخذ متعدَّدة ومعارف متنوّعة وحسن نظـر وتثبُّت يفضيان بهِ الى الحق ويُنكّبان بهِ عن المزلاَّت والمغالط كي لا يعتمد على مجرَّد النقل غثًّا او سمينًا (١)

امَّا الامانة فلا مُندَح عنها ليتجرَّد الكاتب عن كل تعصب وينزّه نفسهُ عن كل محـاباة وغرَض في حكاية الوقائع فيتشبَّث بالحق ليس الَّا

البحث الثالث

في تركيب التاريخ وجمع موادّهِ

س ماذا يستلزم فنّ التاريخ

ج التركيب التاريخ وتأْليف اجزائهِ وحُسن سبكها لوازم كثيرة مرجعهـا الى ثلاثة امور الاول اختيار الموادّ الثاني ترتيبها ونظامها الثالث تنميقها

س ما قولك في اختيار الموادّ

ج ينبغي على المؤرّخ اذا تجشَّم كتابة تاريخٍ ما اولاً ان يُطيل النظر في ما جمعهُ من الموادّ فيفرز سمينها من غثّها ويؤثر

١ راجع مقدّمة ابن خلدون

منها ما كان غزير النفع عميم الفائدة منزّهًا للالباب مبيّنًا لاحوال الماضين هاتكًا حجاب امورهم ويعدل عمَّا ليس تحته كبير امرٍ او ما استهجنته الآداب السليمة

ثانيًا ان يبحث حقّ البحث عن اسباب الحوادث وخفيّ بواعثها مع ذكر نتائجها ومغبَّة عواقبها

ثالثًا ان يجمع كل ما همَّ بذكرهِ تحت حكم واحد وضابط منفرد هو الغاية القصوى التي تحرَّاها في بدء سياق تاريخهِ

س كيف يتوخّى الكاتب الترتيب والنظام في سياق تاريخهِ

ج اعلم ان المؤرّخين قد اتّبعوا في ذلك طريقتين احداهما سهلة مطروقة غير انها مبتذلة مُسئمة على انها مولّدة للتشويش واللُبس وهي ان تُذكر السنون سنةً فسنة وتروَى الحوادث منخرطة في سلكها . والطريقـة الاخرى وهي اجدر بترويح الخاطر وتفكيه العقل وهي ان تكون الحوادث مسرودةً آخذةً بعضها برقاب البعض تذكر الحوادث في مرتبتها تامَّة متوفـاةً مصحوبةً باسبابها وظروفها ونتائِجها دفعًا للشبهة وتنشيطًا للعقل . وهذا الاسلوب هو الشائع في زماننا

س كيف تتمّق رواية التاريخ

ج انَّما يبلغ ذلك بالتصرُّف في المعاني والاخذ باطراف الكلام وفنون الانشاء كي يتنبه القارئ من سنَتهِ ويزيد نشاطهُ بالمطالعة . وذلك اذا اعطى الكاتب اجزاء التاريخ حقَّها من حسن البيان وموافقة الاحوال مع مراعاة تفاوت الاغراض فيحلّي روايتهُ حينًا بنُكتة او خطاب وحينًا باوصاف الامكنة او مواطن الوقائع او طباع الاشخاص الذين عليهم يدور محوَر الكلام . وتارةً ببعض التقارير العلمية او الرسالات وما شاكلها وتارةً بابراز حكمهِ فيما رواهُ وسطَّرهُ وهذا تمّ بفلسفة التاريخ

فلسفة التاريخ

لقد اسهب اهل زماننا في البحث عن فلسفة التاريخ وربما خبطوا فيها على غير هدًى فوجب علينا ان نذكر تعريفها واصولها

س ما هي فلسفة التاريخ

ج هي علم بهِ تُردُّ حوادث التاريخ الى اصولٍ كليَّة وتعرض على قواعد عامَّة راسخة فضلًا عن انهُ يبيّن اسبابها وغايتها وتسلسلها ونتائجها

س ما هو المحوَر الذي تدور عليهِ هذه الاصول

ج لاصول فلسفة التاريخ محوَران الدين والعمران او الحكم السياسيّ

انهُ لامرٌ مقرَّر عند جمهور الحكماء ان الله سبحانهُ وتعالى لم يخلق العالم الّا لاجل مجدهِ فيترتب على ذلك ان الطوارئ والحوادث والاحوال البشرية وتقلبات الدوَل وبعثة الانبياء وتملك السلاطين انما تكون كلها بقضاء ارادته وتدبير عنايته الصمدانية. فتارة يظهر فيها قدرتهُ وجلالهُ برَفع من يريد كرامتهُ من حضيض الخمول الى ذرَى المجد وتارة يكشف عن عدالهِ بسلب ما ابتدأ بهِ من الفضل والاحسان الى غير ذلك من المقاصد الجليلة التي تقف عليها العقول النيرة. ومن ثمَّ لا يكفي الكاتب ان يبحث عن اسباب الحوادث القريبة الجزئيّة او نتائجها الدانية بل عليهِ ان يمدَّ بصرهُ الى ما هو اسمى من كل ذلك ويلاحظ من الاحوال البشرية نور الهداية الصمدية واليد القابضة على ازمة الدنيا باسرها

س ما هي التآليف الموضوعة في هذا الصدَد

ج قد اشتهر في هذه المباحث الاثيرة قديمًا القديس اغسطينوس في كتاب مدينة الله واوسابيوس المؤرخ في التوطئة الانجيلية والعلامة بوصويت في تاريخهِ العام المعرَّب حديثاً. وفي مقدَّمة ابن خلدون لمعة عن هذه

الاصول لاتخلو عن دقة فكر واصابة رأي

س اورد لمعة عن الرواية التاريخيّة

ظهور جنكزخان ومحاربتهُ سلطان خُوارَزم

في سنة الف وخمس مائة واربع عشرة للاسكندر (١٢٠٣م) كان ابتداء دولة المغول وذلك ان في هذا الزمان كان المستولي على قبائل الترك المشارقة اوتك خان وهو المسمَّى ملك يوحنا من القبيلة التي يقال لها كريت وهي طائفة تدين بدين النَّصرانية. وكان رجل مويد من غير هذه القبيلة يقال له تَموجين مُلازماً لخدمة اوتك خان من سنّ الطفولية الى ان بلغ حدَّ الرُّجولية وكان ذا بأس في قهر الاعداء فحسدهُ الاقران وسعَوا بهِ الى اوتك خان ولا زالوا يغتابونهُ عنده حتى اتهمه بتغيُّر النية وهمَّ باعتقاله والقبض عليهِ. فانضمَّ اليهِ غلامان من خدم اوتك خان فاعلماهُ القضيَّة وعيّنا لهُ الليلة التي فيها يريد اوتك كبسهُ. وفي الحال امر تَموجين اهلهُ باخلاء البيوت عن الرجّال وتركها على حالها منصوبة وكَمَن هو مع الرجال بالقُرب من البيوت. وفي وقت السحر لمّا هجم اوتك واصحابهُ على بيوت تموجين لقيها خالية من الرجال وكرَّ عليهِ تموجين واصحابهُ من الكمين واوقعوا بهم وناوشوهم القتال. واثخنوا فيهم وهزموهم وحاربوهم مرّتين. حتى قتلوه وابطالهُ وسبوا ذراريه. وفي اثناء هذا الامر ظهر بين المغول امير معتبر كان يسيح في الصحاري والجبال في وسط الشتاء عريان حافياً ويغيب اياماً ثم يأتي ويقول: كلمني الله وقال لي ان الارض باسرها قد أعطيتها لتموجين وولدهِ وسميتهُ جنكزخان. فعرف بهذا الاسم وكان يرجع الى قولهِ ولا يعدل عن رايهِ. ولما علا شان جنكزخان ارسل الرسل الى جميع شعوب الترك فمَن اطاعهُ وتبعهُ سَعد ومن خالفهُ خَذل...

ثمَّ ارسل رسولاً الى السلطان محمَّد يقول لهُ: قد سيّرنا وفداً من غلماننا ليحصلوا من طرائف اطرافكم ونفائسها. فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتأكَّد الوفاق بين الجانبَين. وتحسم موادُّ النفاق من ذات البَين. فلمّا وصل الرسل الى مدينة اترار طمع اميرها غاير خان فيما معهم من الاموال. فطالع السلطان محمَّد

في امرهم وحسُن لهُ ابادتهم واغتنام مالهم فأذن لهُ بذلك فقتلهم طرًّا الّا واحداً منهم فانهُ هرب من السجن . ولمّا رأى ما جرى على اصحابهِ لحق بديار التاتار واعلمهم بالمصيبة فعظُم ذلك عند جنكزخان وتأثَّر منهُ الى غاية وهجر النوم وصار يحادث نفسهُ ويفتكر فيما يفعلهُ . وقيل انهُ صعد الى رأس تلّ عال وكشف رأسهُ وتضرَّع الى الباري تعالى طالبًا نصرهُ على من باداَهُ بالظلم وبقي هناك ثلاثة ايّام بلياليها صائمًا . وفي الليلة الثالثة رأى راهبًا عليهِ السَّواد وبيدهِ عكازة وهو قائم على بابهِ يقول لهُ : لا تخف افعل ما شئت فانك مؤيَّد .فانتبه مذعوراً ذعراً مشوبًا بالفرح وعاد الى منزلهِ وحكى حلمهُ لزوجتهِ وهي ابنة اوتك خان . قالت لهُ : هذا زيّ اسقف كان يتردَّد الى ابي ويدعو لهُ ومجيئهُ اليك دليل انتقال السعادة اليك . فسأل جنكزخان لمن في خدمتهِ من النصارى هل ههُنا احد من الاساقفة : فقيل لهُ عن دنحا الاسقف فلمّا طلبهُ ودخل عليهِ بالبيرون الاسود قال : هذا زيّ من رأيتهُ في منامي لكن شخصهُ ليس ذاك . فقال الاسقف : يكون الخان قد رأى بعض قدّيسينا . ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظنَّ بهم ويكرمهم . وفي سنة ٦١٠ ﻫ (١٢١٤ م) قصد جنكزخان بلاد السلطان محمَّد خوارزمشاه وتولّى على كل بلاده .....

حربهُ لجلال الدين

ولمّا فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خُراسان سمع ان السلطان جلال الدين قد استظهر بالعراق فسار نحوهُ ليلًا ونهاراً بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم اذا نزلوا . فحين وصلوا الى غزنة أُخبروا ان جلال الدين من خمسة عشر يوماً رحل عنها وهو عازم على ان يعبر نهر السّند فلم يستقرَّ جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسهِ بالسير حتى لحقهُ في اطراف السّند فطاف بهِ العسكر من قدَّامهِ ومن خلفهِ وداروا عليهِ دائرةً وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السّند كالوَتر وهو في وسط . وبالغ المغوُلُ في المكاوحة وتقدَّم جنكزخان ان يُقبض حيًّا ووصل جغاتاي واوكتاي ولداهُ ايضًا من جانب خوارزم فلمّا رأى جلال الدين انهُ يوم عمل شهم وضرغم ابطال عاد الى المغوُل وتطلّب اطلابهم وحمل عليهم حملات وشقّ صفوفهم مرَّة بعد مرةٍ وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغوُل

عن رميهِ بالنشَّاب ليحضروهُ غير ماوف بين يدَي جنكزخان امتثالاً لمرسومهِ . فكانوا يتقدمون اليهِ قليلًا قليلًا . فلما عاين تضييق الحلقة عليهِ نزل فودَّع اولادهُ بل اكبادهُ من نسائهِ وخواصهِ باكيًا كئيبًا ثم رَمى عنهُ الجوشن وركب جنيبهُ وهو كالاسد الغيور وهمَّ بالعبور واقحم فرَسهُ النهر فانقحم وعام وخاص الى الساحل. وجنكزخان واصحابهُ ينظرون اليهِ ويتأملونهُ حيارى . ولمَّا شاهد ذلك جنكزخان وضع يدهُ على فمهِ متعجبًا والتفت الى ولَدَيهِ وقال لهما مَن الأبُ مثل هذا الابن ينبغي ان يولد . اذا نجا من هذه الوقعة فوقائع كثيرة تجري على يدَيهِ ومن حطبهِ لا يغفل من يعقل... فلما فاتهم جلال الدين اخذوا امر الخان باحضار حرمهِ واولادهِ وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع لان جلال الدين عندما اراد الخوض في النهر التي جميع ما كان صحبهُ من آنية الذهب والفضة والنقرة فيه امَرَ الغوَّاصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجهُ . وكان هذا الامر من عجائب الانام ودواهي الايَّام في رَجب فقيل في المثل : عِشْ رَجَبًا ترَ عَجَبًا

البحث الرابع

في اقسام التاريخ

س كم قسمًا التاريخ

ج أَلتاريخ بالاجمال قسمان ديني ودنيوي .

فالديني وهو اجلُّ التواريخ نفعًا واعزُّها شأنًا واثبتها موردًا يبحث عن امور الدين الحقيقي منذ الوحي بهِ الى ايامنا وفروعهُ ثلاثة الاول . ما سطر الاخبار الدينية السابقة زمان المسيح وذلك هو تاريخ العهد القديم وركنهُ الاسفار الالهية القديمة . والثاني ما دوَّن اخبار المسيح وسيرة المخلص

وهو تاريخ العهد الجديد ويؤخذ من اخبار العهد الجديد ٠
والثالث ما ذكر الاحوال الدينية بعد المسيح وهـو تاريخ الكنيسة ونشأتها ونموّها وانتصارها على المغتصبين واهل البِدع وذكر مجامعها وسواد احبارها المعظَّمين

اما التاريخ الدنيوي فيتجزّأ ايضًا الى ثلاثة اجزاء باعتبـار زمانهِ : الاوَّل وهو التاريخ القديم يبتدئ بعد الطوفان بقليل وينتهي سنة ٤٧٦ م بانقراض الدولة الرومانيَّة في الغرب ومبحثهُ على احوال الامم القديمة كاليونان والكلدان والفُرْس والعرب ٠
والثاني هو تاريخ القرون المتوسطة يبتدئ سنة ٤٧٦ م وينتهي سنة ١٤٥٣ م بفتح القسطنطينية على يد محمَّد الثاني الغازي ٠
والثالث هو تاريخ القرون المتأخّرة منذ سنة ١٤٥٣ م الى ايَّامنا

وللتاريخ الدنيوي هذا تقسيم آخر باعتبار موضوعهِ فهـو كلّي وعامٌّ وخاصٌّ فالكلّي يشمل اخبـار العـالم اجمع ٠ والعامُّ هو ما يبيّن اخبار بعض الدوَل او الممالك او طائفة من الامم كتاريخ العرَب ٠ والخاصّ هو ما اقتصر على ذكر امرٍ منفرد مثل تاريخ مدينةٍ او بلدةٍ او ترجمة ملكٍ وما شاكل ذلك

البحث الخامس

في انشاء التاريخ وذكر مشاهير ائمتهِ

س اي طبقة من الانشاء احرى بالتاريخ

ج لمَّا كان وَضع التاريخ لاستنارة الذهن وفائدة الاقتداء قد استحسنوا فيهِ الانشاء الساذج مشفوعًا بعذوبة الالفاظ ووضاءَة التعابير مستنكفًا عن وحدة السياق كثير التصرُّف والتفنُّن في رواية الحديث فراراً من الملَّة والضجر . وربَّما ارتقى في بعض امورهِ الى نمط الانشاء الانيق

س ما قولك في كثير من مؤرّخي العرب على وجه الاجمال

ج قال ابن خلدون في مقدَّمتهِ : ان فحول المؤرّخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايَّام وسطَّروها في صفحات الدفاتر لكنهُ . خلطها المتطفّلون بدسائس من الباطل ولفَّقوها بزخرُف الروايات ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا تُرَّهات الاحاديث فتحقُّقهم قليل وطَرْف تنقيحهم في الغالب كليل

س اذكر من اصابوا السبق في ميدان التاريخ عند العرب

ج قال ابن خلدون : ان الذين ذهبوا بفضل الشهرة والإمامة المعتبرة في التاريخ هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل (اه). وانما نخصُّ منهم بالذكر ابن جرير الطبريَّ وابن الاثير في كاملهِ اخذ عنهُ ابو الفداء وابن الوردي . ومنهم ابن خلدون في ديوان العبَر وابو الفرج اسقف ملاطية ولهؤلاء تاريخ يبتدئ منذ بدء العالم وينتهي الى ايامهم . ومن التواريخ الجليلة العامَّة تاريخ الدوَل الاسلاميَّة للفخريّ ونظم الجوهر لابن بطريق وتاريخ ابن العميد واخبار المغرب للمرَّاكشي واخبار تونس لابن دينار وتاريخ مصر للسيوطي وتاريخ القدس لمجير الدين الحنبلي . وامَّا التواريخ الخاصَّة فكثيرة منها كتاب الروضتين وسيرة صلاح الدين لابن شدَّاد وتاريخ تيمورلنك لابن عرَبشاه ووفيات الاعيان لابن خلكان وتاريخ ائمة الاندلس لابن بشكوال . وغيرهم كثيرون يطول بنا ذكرهم كالواقدي والمسعودي وابي المحاسن وفي كلهم مطاعن ومغامز يضيق بنا المقام عن شرحها (١)

١ اطلب تراجم من نوَّهنا بذكرهم آنفًا إمَّا في الجزء الخامس من مجاني الأَدب إمَّا في الحواشي والتعليقات

ألفَنّ ألسَّابع

في المكاتبة

البحث الاول

في تعريف المكاتبة وطريقتها على وجه الاجمال

س ما هي المكاتبة

ج المكاتبة وتعرف ايضًا بالمراسلة هي مخاطبة الغائب بلسان القلم

س ما مكانها من الفائدة

ج ان فائدتها اعمُّ من ان توصف واوسع من ان تحصر من حيث هي ترجمان الجنان ونائب الغائب في قضاء اوطارهِ ورِباط الوَداد مع تباعد البلاد

س ما هى طريقة المكاتبة

ج هي طريقة المخاطبة البليغة مع مُراعاة احوال الكاتب والمكتوب اليهِ وسِنّهما والنسبة بينهما

قال ابراهيم بن محمد الشيبانيّ : اذا احتجتَ الى مخاطبة اعيان الناس او اوساطهم او سوقتهم فخاطب كلًّا على قدر أُبهتهِ وجلالتهِ

وعلوّ ارتفاعهِ وفطنتهِ وانتباههِ . ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهب يجب عليك ان ترعاها في مراسلتك. فلا يُكتب لمن اصيب في مالهِ او عيالهِ كما يكتب لمن فرغ بالهُ ووفر مالهُ . قال آخر : ان بلاغة الرسالة تُستفاد من ملاحظة مقامات الكلام واوقاتهِ ومراعاة احوال المخاطبين بالنسبة الى المتكلم (اه) . وقد حصر ابن قتيبة قوانين الكتابة في قولهِ : لكل مقام مقال (١)

البحث الثاني

في خواصّ المكاتبة

س ما هي خواص المكاتبة

ج للمكاتبة خمس خواص: السذاجة والجلاء والايجاز والمُلاءَمة والطلاوة

فالسذاجة تجعل الكلام فطرياً سليماً من شوائب التكليف منزهاً عن زخرف القول بعيداً عن بهرجة الكلام

قال الشيخ مرعي : ان السلف المتقدمين كانوا لايتحرّون في مكاتباتهم تسجيع الالفاظ ولا تنميقها ... واما المتأَخرون فقد بالغوا في تزويق الالفاظ وتحسينها وتنميق الكلمات وتزيينها ومع ذلك فقالوا : السذاجة وعدم التطويل أَولى

---

١ راجع توطئة الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب

والجلاء يعدل عن الكلام المغلق والتشابيه المستبعدة والتراكيب المشتبهة الى الكلام المهذَّب الصريح

قال الاقدمون : خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولم يملَّ

والايجاز ينقِّح الرسالة عن حشو الكلام وتطويل الجمل فيبرزها وافية الدلالة على المقصود مقتصرة على المحسنات القريبة المنال . هذا ولا يُعدُّ مناقضًا للايجاز مهما استدعاه المقام من البسط في الموضوع امَّا تعزيزاً للمعنى وامَّا حذرًا عن الابهام اودلالةً على عواطف القلب

والملاءمة على ما قال الشيباني تنزّل الالفاظ والمعاني على قدر الكاتب والمكتوب اليهِ فلَا تعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس خسيس الكلام على انها تجعل الرسالة وتعابيرها مستعذَبة الاوضاع حسَنة الارتباط يأخذ بعضها بازمَّةِ بعض

والطلاوة تكسو الكلام رونقًا واشراقًا بجودة العبارة وسلامة المعاني وسلاسة الالفاظ وتجعلهُ بذلك احسن موقعًا عند سامعهِ واحلى مذاقًا فينقاد بها الكاتب الى مراده فيظفر بمبتغاه

البحث الثالث

في ابواب الرسالة

س ما هي ابواب الرسالة

ج جاء في العقد الفريد عن ابرويز : دعائم المقالات اربع إن التُمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها واحد لم تتم وهي : سؤالك الشيء (في رسائل الاستخبار والاستعلام). وامرك بالشي (في رسائل الروساء وكتب المشورة والنصح والملامة والعتاب) . واخبارك عن الشيء (في رسائل الاخبار والاشواق والتهنئة والمعايدات والمقالات العلمية والاجوبة) . وقد قسمها ايضًا بعض الاقدمين باعتبار موضوعها الى ثلاثة اقسام : الاول الرسائل الاهلية والثاني الرسائل المتداولة والثالث الرسائل العلميّة . وهو التقسيم الذي اعتمدناهُ في مقالتنا

النوع الاوَّل

الرسائل الاهليّة

س ما هي الرسائل الاهلية

ج الرسائل الاهلية وتعرف برسائل الاشواق هي ما

دارت بين الإخوان والاقارب واسفرت عن مكنون الوداد وسرائر الفؤاد وا كثرت التعاطي بامور الاصدقاء ومشاركتهم في سائر احوالهم فلا يحول دونها حائل

س بماذا تتفرد هذه الرسائل

ج تتفرَّد بان يُطلق فيها العنان للاقلام على ان كاتبها يتجافى عن الكلفة و يعدل عن الانقباض وقد قيل : الأُنس يذهب المهابة والانقباض يضيع المودة . هذا ولا بدَّ من مراعاة مقتضى الحال والاعتصام بغَرز الفطنة قال ابو الأَسوَد الدؤَلي :

لا ترسلنَّ رسالةً مشهورةً لا تستطيع اذا مضت ادراكها

والى هذا الباب ترجع مكاتيب الاشواق وحسن التواصل والهدايا ورُقَع الدعوات وبعض الرسالات الهزلية

س اذكر لنا بعض شواهد على الرسائل الاهلية

كتب ابو الفضل بن العميد الى بعض اخوانهِ

قد قرُب أَيدك الله محلُّك على تراخيهِ ، وتصاقب مُستقرُّك على تنائيهِ ، لانَّ الشوق يُمثّلك ، والذكر يُخيّلك ، فنحن في الظاهر على افتراق ، وفي الباطن على تلاقٍ ، وفي التسمية متباينون ، وفي المعنى متواصلون ، ولئن تفارقت الاشباح ، لقد تعانقت الارواح

وكتب الصاحبُ بنُ عبَّادٍ الى صديقٍ لهُ

نحن ياسيدي في مجلسٍ غنيٍّ الّا عنك شاكرٍ الّا منك . قد تفتحت فيهِ عيون

النرجس وتورَّدت خدود البنفسج وفاحت مجامر الأترجّ وفتقت فأرات النارنج وانطلقت السُن العيدان وقامت خطباء الاطيار وهبّت رياح الاقداح ونفقت سوق الأُنس وقام منادي الطرب وامتدّ سحاب الندّ . فبحياتي الّا ما حضرت فقد ابت راحُ مجلسنا ان تصفو الآن تتناولها يُمناك واقسم غناؤهُ ان لا يطيب حتى تعيهُ أُذناك فخدود نارنجهِ قد احمرّت خجلًا لإبطائك وعيون نرجسهِ قد حدّقت تأميلًا للقائك

وكتب ايضًا في معناهُ

مجلسنا يا سيدي مفتقر اليك . معوّل في شرفهِ عليك فقد أبت راحتهُ ان تصفو الآن تتناولها يمناك . واقسم غناؤه ان لا يطيب حتّى تعيهُ اذناك . فاما خدود نارنجهِ فقد احمرت خجلًا لابطائك . واما عيون نرجسه فقد حدقت تأميلا القائك . فبحياتي عليك الا ما تعجلت لهذه الاوطار لئلا يخبث من يومي ما طاب ويعود من همّي ما طار

وكتب الامير ابو الفضل الميكاليُ من رسالةٍ

انما اشكو اليك زمانًا سلب، ضعّف ما وهب، وفجع، باكثر مما متع، واوحش فوق ما آنس ، وعنّف في نزع ما ألبس ، فانه لم يذقنا حلاوة الاجتماع حتى جرّعنا مرارة الفراق، ولم يُمتعنا بأُنس الالتقاء حتى غادرنا رهن التلهّف والاشتياق، والحمد لله تعالى على كل حال يسوء ويسرّ، ويحلو ويمرّ، ولا ايأس من روح الله في اباحة صُنعٍ يجعل ربعهُ مُناخي ، ويُقصّر مدّة البعاد والتراخي ، فالاحظ الزمان بعين راضٍ، ويُقبل الي حظي بعد اعراض ، واستأنف بعزّته عيشًا عذب الموارد والمناهل ، مأمون الآفات والغوائل

ولبعض الفضلاء الى اخيهِ يستعطفهُ

أنت سليل أُبوّة، وشقيق اخوّة، اصلها من سرحة، وفروعها من دوحة، فنحن لدة أوان، ونشوان زمان ورضيعا لبان ، ورَكيضا أُمومة، وغصنا جرثومة، ودرجا من وكر، وولِدا في حُجر، فكيف توقظ عين الدهر، وتبسط يد الهجر، وتنبه غافي الرقاد، والحسود

لنا بمرصاد . (وكتب آخر الى صديق يستعطفهُ) أصفيت لك ودي، واكديت لك عقدي، ومنحتك اخائي، ولم امزّق لك صفائي، فقُرب الاخاء بالود انقع للغلّة، وانفع للملّة ، واسكن للروعة، واشفى للوعة، واطفأ للحرقة ، وآنس للفرقة

ومنهُ قول بعض الكتّاب لاخٍ لهُ

انفذ اليّ ابو فلان كتاباً منك فيهِ ذرة من عتاب كان اجلى عندي من تعريسة الفجر والذّ من الزلال العذب ولك العُتبى داعياً مستجاباً لهُ وعتاباً معتذراً اليهِ . ولو شئت مع هذا ان اقول ان العتب عليك اوجب والاعتذار لك الزم لفعلت ولكني اسامحك ولا اشاحّك واسلم اليك ولا ارادّك لان افعالك عندي مرضية وشيمك لديّ مقبولة . ولو ان للحجة موقعها لاعترضتُ عمّا اومأت اليهِ وما عرضتُ عمّا بدأت بهِ وقلتُ: اذا مرضتم اتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذرُ

قال آخر لاخ لهُ

زيّن الله الفتنا بمعاودة صلتك واجتماعنا بترادف زيارتك وايامنا الموحشة لغيبتك برؤيتك توعدتني بالانتقام على اخلالي بمطالعتك

وكتب بعضهم في الاشواق

لولا ان اجود الكلام ما يدلّ قليلهُ على كثيرهِ وتغني جملتهُ عن تفصيلهِ لوسعّت نطاق القول فيما انطوى عليهِ من خلوص المودة وصفاء المحبة فجال مجال الطرْف في ميدانه وتصرّف تصرُّف الروض في افنانه . ولكنّ البلاغة بالايجاز ابلغ منها بالبيان والاطناب

النوع الثاني

الرسائل المتداولة

وهذه الرسائل تتفرع الى ثلاثة اقسام باعتبار مرجع الغرض منها فاما ان تقصد بها امور الكاتب واماّ امور المكتوب اليهِ واماّ اغراض ثالث .

فالضرب الاول يشتمل على الرسائل التجارية والطلب والشكر والاعتذار .

والثاني ينطوي على رسائل النصح والملامة والاخبار والتهنئة والتعزية والاجوبة . والثالث على رسائل الوصاة والشفاعات

الضرب الأوَّل

١ الرسائل التجاريَّة

س ما هي الرسائل التجاريَّة

ج هي التي دار مضمونها على المعاملات العاديَّة والمبايعات وضروب التصرُّف في المال والامتعة

س كيف تُصاغ هذه الرسائل

ج اعلم انها لا تستلزم من دقَّة الفكر وكدّ الخاطر شيئاً فتنفُر عن كل كُلفة وتلطُّف وتقتصر بعد اهداء السلام المألوف بعرض المطلوب باوجز الكلام واوضح الاساليب مع ابداء الثقة بهمَّة المكتوب اليهِ لانجاح مصالح الكاتب

٢ رسائل الطلب

س ما هو الطلب

ج الطلب هو محاولة وجود الشيء وأَخذهِ

س ما هي انهج طريقة للطلب

ج انَّ براعة الطلب تقتضي اولاً استعطاف خاطر

المطلوب منهُ امَّا بذكر نعَم سابقة إمَّا بثناء جميل الى غير ذلك من وجوه التلطُّف

ثانيًا ان يتخلَّص الكاتب برقَّة الى مقصودهِ فيلوّح بالطلب بالفاظ عذبة مهذَّبة (١) قال الشاعر :

والنفس ان دُعيَت بالعنفِ آبيةٌ وهيَ اذا أُمِرَت بالُلطف تأتمرُ

ولا بأس في خلال الطلب بتعظيم الملتمَس منهُ وذكر البواعث الداعية لهُ على التسارُع الى قضاء الحاجة والاعتذار عن تكليف خاطرهِ (٢)

ثالثًا ان يختم كتابهُ بما يشير الى استمرار معرفة الجميل وشكر النعمة . قال عنترة :

والكفر مخبثةٌ لنفسِ المنعمِ

س اذكر لنا بعض رسائل من هذا القبيل

من حسن التلطف في المكاتبة ما ذكرهُ اسمعيل بن ابي شاكر

---

١ راجع خزانة الادب في فصل براعة الطلب . قال الاقدمون . ان طلَبت فاسجح اي تلطّف

٢ قال عليُّ بن جهم :

انَّ بينَ السؤَالِ والاعتذارِ خطَّةً صعبةً على الاحرارِ

وليذكر الطالب ايضًا قول زُهير :

سألنا فأعطيتم وعُدنا وعُدتمُ ومن يُكثر التسآل يومًا سيُحرَمِ

قال : لمّا اصاب اهل مكّة السيل الذي شارف الحجر ومات تحتهُ خلق كثير كتب عبد الله بن الحسن العلويّ وهو والي الحرَمين الى المأمون

يا أمير المؤمنين ان اهل الحرَم وجيران بيتهِ وأُلّاف مسجدهِ وعمرة بلاده قد استجاروا بعزّ معروفك من سيلٍ تراكم جريانهُ في هدم البنيان ، وقتل الرّجال والنسوان ، واجتاح الاصول وجرَف الاثقال حتى ما ترك طارفًا ولا تالدًا للرّاجع اليها في مطعَم ولا ملبَس فقد شغلهم طلب الغذاء ، عن الاستراحة الى البكاء ، على الأُمّهات والاولاد ، والآباء والاجداد ، فأجرهم امير المؤمنين بعطفك عليهم ، واحسانك اليهم ، تجد الله مكافئك عنهم ، ومثيبك عن الشكر منهم ،
(قال فوجّه المأمون اليهم بالاموال الكثيرة)

رسالة ابراهيم بن سبّابة الى يحيي بن خالد البرمكي

للاصيل الجواد ، الواري الزّناد ، الماجد الاجداد ، الوزير الفاضل ، الاشمّ الباذل ، اللباب الحلاحل ، من المستكين المستجير ، البائس الضرير ، فاني احمد الله اليك ذا العزّة القدير ، وليّ الصغير والكبير ، بالرحمة العامّة ، والبركة التامّة ، امّا بعد فاغنم واسلَم ، واعلم ان كنتَ تعلم ، انهُ مَن يَرحم يُرحَم ، ومَن يَحرم يُحرَم ، ومَن يُحسن يَغنم ، ومَن يصنع المعروف لا يعدَم ، وقد سبق اليَّ ، غضبك علي ، واطراقك لي وغفلتك عني بما لا اقوم بهِ ولا اقعُد ، ولا انتبه ولا ارقُد ، فلستُ بذي حياةٍ صحيح ، ولا بميتٍ مستريح ، ففررتُ بعد الله منك اليك ، وتحمّلتُ بك عليك

وكتب معاوية الى عليّ يطلب منهُ ولاية الشام

امّا بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلَغت لم يجنِها بعض على بعض وان كنّا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا ما نرمُّ بهِ ما مضى ونصلح ما بقي . وقد

كنتُ سألتك الشام على ان تلزمني لك طاعةً وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك اليهِ آمس . فانك لا ترجو من البقاء الّا ما ارجو . ولا تخاف من القتال الّا ما اخاف . وقد والله رقّت الاجناد وذهبت الرّجال ونحن بنو عبدِ مناف وليس لبعضنا على بعض فضلٌ يُستذل بهِ عزّ ويسترقّ بهِ حُرّ والسلام

راجع ايضًا الجزء الرابع من مجاني الادب صفحة ٢٦٨

٣ رسائل الشكر

س ما الشكر

ج قال الجرجاني : الشكر عبارة عن معروفٍ يقابل النعمة. وقيل هو الثناء على المحسن بذكر احسانهِ

س ما الذي ينبغي للكاتب مراعاتهُ فِي هذا الباب

ج ينبغي لهُ اولاً ان يعظِم في رسالتهِ قدْر الاحسان

ثانيًا ان يتلطف في بيان شكرهِ بما يقوم بحرمة الصنيعة بحيث يتضح للمُنعم انهُ لم يصطنع الى لئيمٍ . وقد قيل : الشكر نسيم المعروف . قال الشاعر :

يزيد تفضُّلًا وازيدُ شكرًا وذلك دأبهُ ابدًا ودأبي

ولا غرو ان يكون الثناء هذا ملائِمًا لقدْر الاحسان وطبقة المنعم

ثالثًا ان يترجّى للمحسن في آخر كتابهِ مع دوام البقاء

ان لا يزال منهلًا يقصدهُ كل واردٍ ويرتوي من غمـرهِ ذوو الحاجات

راجع امثال هذا الباب في الجزء الثالث من مجاني الادب صفحة ٢٨٧ . والجزء الرابع ٢٧٦ . والجزء الخامس ٢٧٢ . والجزء السادس ٢٧٧

٤ رسائل الاعتذار والتنصُّل

س ما الاعتذار

ج الاعتذار محو أثرِ الذنب (١)

س ماذا يُستصوب في هذه المكاتبة

ج ان اعتذرتَ عن ذنبٍ اقترفتهُ فالأحرى بك اولاً ان تصدّر كتابك بالإقرار بهِ فان ذلك يمهّد الطريق لنوال الصفح عنهُ . قال بعضهم :

أَقرر بذنبك ثم اطلب تجاوُزَنا عنهُ فانَّ جحودَ الذَّنبِ ذنبانِ

ثم اظهر ثانيًا ما لحقَ بك من الكأبة لداعي غمّ المعاتب وأَبِنْ ما كنتَ عليهِ من خلوص النيَّة وصفاء الوداد في عملك الذي لم يصدر الَّا سهواً منك

واخيراً تلطَّف في الوسائل لاسترجاع رِضى المعاتِب بتجديد

١ التعريفات

عواطف الاحترام واستئناف اسباب المودَّة

(فائدة) هذا وربَّما الحقوا برسائل الاعتذار كتب التنصُّل وهي التبرُّؤ مِمَّا نُسب اليك من الذنب ولا تختلف عن الاعتذار في طريقته سوى انك تحاول تبرير نفسك بايضاح حقيقة الامر وتبديد اوهام المكتوب اليهِ برقَّة ورفق

س اذكر بعض امثلة في الاعتذار والتنصُّل

كتب ابن مكرَّم الى بعض الرؤساء

نبَت بي غِرَّة الحداثة فردَّتني اليك التجربة وقادتني الضرورة ثقةً باسراعك اليَّ وان ابطأتُ عنك وقبولك لعذري وان قصَّرت عن واجبك ، وان كانت ذنوبي سدَّت عليَّ مسالك الصفح عني فراجع فيَّ مجدك وسؤددك ، واني لا اعرف موقفاً اذلَّ من موقفي لولا انَّ المخاطبة فيهِ لك ولا خطَّةً ادنى من خطَّتي لولا انها في طلب رِضاك

وكتب ابو بكرٍ الى ابي عليٍّ اليعلمي لما طال عتابهُ وكثرت رقاعهُ اليهِ

لو بغير الماء حلقي شَرِقٌ   كنتُ كالغصَّان بالماء اعتصاري

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء من لا يهتدي الى اوجه الداء ، وكيف يُداري اعداءَهُ مَن لا يعرف الاصدقاء من الاعداء ، وكيف يُعالج علة القرحة العمياء ، ام كيف يسري بلا دليلٍ في الظلماء ، ام كيف يخرج الهارب من بين الارض والسماء ، أَ لكريم ايَّد الله الشيخ اذا قدر ، غفر ، واذا اوثق ، اطلق ، واذا اسر اعتق ، ولقد هربتُ من الشيخ اليهِ وتسلَّحتُ بعفوهِ عليهِ ، والقيتُ ربقة حياتي ومماتي بيدَيهِ ، فليُذِقني حلاوة رضاهُ عني ، كما اذاقني مرارة انتقامهِ مني ، ولتَلُحْ على حالهِ غرَّة عفوهِ ، كما لاحت عليها مواسم غضبهِ وسَطوهِ ، وليعلم ان الحُرَّ كريم الظفر

اذا نال احال، وانَّ الئيمَ لئيمُ الظفر اذا نال استطال، وليغتنم التجاوز عن عثرات الاحرار، ولِيَنتَهِز فرص الاقتدار، وليَحمد الله الذي اقامهُ مقام من يُرتجى ويخشى ..

وكتب ابن الروميّ الى القاسم بن عبيد الله

ترفَّع عن ظلمي ان كنتُ بريئًا، وتفضَّلْ بالعفو ان كنتُ مسيئًا، فوالله اني لأطاب عفو ذنبٍ لم اجنِهِ والتمس الاقالة ممَّا لا اعرفهُ لتزداد تطوُّلاً، وازداد تذلُّلاً، وانا أُعيذ حالي عندك بكرمك من واشٍ يكيدها واحرسُها بوفائك من باغٍ يحاوِل افسادها . واسأل الله تعالى ان يجعل حظّي منك بقدر ودّي لك ومحلّي من رجائك بحيث استحقُّ منك

واعتذر آخر فقال:

لُذتُ بعفوك واستجَرتُ بصفحك فاذقني حلاوة الرضا واجرني من مرارة السخط فيما مضى . (وكتب آخر) لكل ذنب عفو وعقوبة فذنوب الخاصة مستورة، وسيآتهم مغفورة، وذنب مثلي من العامّة لا يغفر، وكسره لا يجبر، وان كان ولا بد من العقوبة فعاقبني باعراض لا يؤدي الى ابعاد، ولا يفضي في الصفح الى ميعاد، لئن تحسنوا وقد اسأنا خير من أن تسيؤا وقد احسنا . فان كان الاحسان منا فما احقكم بمكافأته وان كان منكم فما احقكم باستتمامهِ

اطلب ايضاً في مجاني الادب الجزء الرابع صفحة ٢٧١ . والجزء الخامس ٢٦٧

الضرب الثاني

في الرسائل الراجعة الى غرض المكتوب اليهِ

١ رسائل الاخبار

هذه الرسائل لا تختلف عن الروايات الَّا بصورتها فلها كل خواصها فعليك بالمراجعة (صفحة ١٦٩). بيد انها لمَّا كانت على الغالب بين الاخوان يُستحبُّ فيها الاسترسال ونبذ الكلفة

٢ النصح والمشورة

س باي صورة تورَد هذه الرسالات

ج من عادة الكتَّاب ان يصدّروا هذا النوع من الرسالات بكلام يُجلي عمَّا في نفس المُشير من الخلوص والودّ لمن حاولوا نصحهُ . اللهمَّ إلَّا اذا كان الناصح من ذوي الامر والنهي او من ذوي الرئاسة فيكون لهم في مرتبتهم غنًى عن ذلك . ثمَّ يسبكون ما أتَوا بهِ من ضروب النصح والتوصية باحسن القوالب كي يتلقاها المكتوب اليهِ بوجه القبول والرِضا

س هاتِ بعض شواهد في النصح

من كتاب لعلي الى بعض عمَّالهِ

دَع الاِسراف مُقتصدًا . واذكر في اليوم غدًا . وامسك من المال بقدر

ضرورتك وقدّم الفضل ليوم حاجتك . اترجو ان يُعطيك الله أَجر المتواضعين وانت عندهُ من المتكبرين وتطمع وانت متمرّغ في نعيم تمنعهُ الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدّقين . وانما المرء مجزيٌّ بما اسلف وقادمٌ على ما قدمَ والسلام

من وصيةٍ لهُ وصى بها جيشاً بعثهُ الى العدو

اذا نزلتم بعدوّ او نزل بكم فليكن معسكركم في قبيل الاشراف وسفاح الجبال او أثناء الانهار كيما يكون لكم ردءًا ودونكم مَرَدًّا . ولتكن مقاتلتكم من وجهٍ واحد او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلّا يأتيكم العدوّ من مكان مخافةٍ اوأمن . واعلموا ان مقدّمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم واياكم والتفرُّق فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفّة ولا تذوقوا النوم الّا غرارًا او مضمضة

ومن كتاب لهُ الى معاوية ينصحهُ

اتّقِ الله فيما لديك . وانظر في حقّهِ عليك وارجع الى معرفة ما لا تُعذَر بجهالتهِ فان للطاعة اعلاماً واضحة وسُبلًا نيّرة ومحجّة نهجة وغاية مطلوبة يرِدُها الاكياس ويخالفها الانكاس . مَنْ نكب عنها جارعن الحق وخبط في التيه وغيّر الله نعمته . واحلَّ بهِ نقمته . فنفسكُ نفسك فقد بيّن الله لك سبيلك . وحيث تناهت بك أُمورك فقد اجريت الى غاية خُسْر ومنزلة كُفْر

ومن وصيةٍ لهُ وصى بها شريح بن هانئ لما جعلهُ على مقدمتهِ الى الشام

اتّقِ الله في كل صباح ومساء وخَف على نفسك الدنيا الغَرور ولا تأمنها على حال . واعلم انك ان لم تردَع نفسك عن كثيرٍ مما تُحبّ مخافة مكروههِ سَمت بك الاهواء الى كثيرٍ من الضرر . فكن لنفسك مانعاً رادعاً ولنزوتك عند الحفيظة قامعاً

ولبديع الزمان يحذّر بعض اصدقائهِ من رُجلٍ

اظنُّك ياسيدي لم تسمع بيتَي القائل وهما

اسمع نصيحة ناصحٍ　جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو　نَ من الثقات على ثقه

صدَق الشاعر واجاد. وللثقات، خيانة في بعض الاوقات، هذه العين تُريك السَّراب شرابًا، وهذه الاذن تُسمعك الخطاء صوابًا، فلستَ بمعذورٍ، انْ وثقتَ بمحذورٍ، وهذه حالة الواثق بعينهِ، السامع بأُذنهِ، وأرى فلانًا يكثر غشيانك، وهو الدني دخلتهُ، الردي جملتهُ، السّيء وصلتهُ الخبيث كلمتهُ، وقد قاسمتَهُ ودّك، وجعلتهُ موضع سرّك، فأرني موضع غلطك فيهِ، حتى أُريَك موضع تلافيهِ، أفظاهرهُ غرَّك، ام باطنهُ سرَّك، يامولاي يوردك ثم لا يصدرك، ويوقعك ثم لا يعذرك، فاجتنبهُ، ولا تقربهُ، وان حضر بابك فاكنس جنابك، وان مسَّ ثوبك فاغسل ثيابك، ثم افتتح الصلوات بلعنهِ، واذا استمذتَ بالله من الشيطان فاَعنهِ، والسلام

وكتب اردشير الى بعض عمَّالهِ

بلغني انك توثر اللّين على الغلظة والمودَّة على الهيبة والجبن على الجراءة. فليشتدَّ اوّلك ويلين آخرك. ولا تخلينَّ قلبًا من هيبة ولا تعطلنَّهُ من مودَّة ولا يبعد عليك ما اقول لك فانهما يتجاوران

وكتب سابور الي بعض عمَّالهِ

اذا استكفيتَ رُجلاً فاسنِ رزقهُ، وشُدَّ بصالح الاعوان عضدهُ، واطلق بالتدبير يدهُ، ففي إسناء رزقهِ حسم طمعهِ، وفي تقويتهِ بالاعوان، ثقل وطأته على اهل العدوان، وفي اطلاق يدهِ بالتدبير ما اخافهُ من عواقب الامور. ثمَّ قِفهُ من امرهِ على ما لهُ ندبته ليمتثلهُ امامًا ويحفظهُ كلامًا. فان وقع امرهُ بما قد رَسمت فاليهِ غرَضك فاَوجب زيادتهُ عليك. وان حاد عن امرك علقتَهُ حجَّتك وانطلَقت بالعقوبة عليهِ يدك والسلام

راجع ايضاً الجزء الثالث من مجاني الادب صفحة ٢٨٢ . والجز الرابع صفحة ٢٧٥

٣ رسائل الملامة والعتاب

س ما هي رسائل الملامة والعتاب

ج هي التي تتضمَّن زجراً للمذنب وتقريعًا لهُ عن اتيان سيِّئةٍ او اهمال مفروضٍ عليهِ

س كيف تُرقَم هذه الكتب

ج للملامة خطة صعبة لمن اراد سلوكها فلا بُدَّ من جانب ان يبيّن للملوم وجهَ خطائهِ ويصوّر لعينهِ فظاعة زلَّتهِ . ومن جهة أُخرى يُخاف على العاذل ان يصرم حبائل الودّ والصداقة ان لم يصن قلمهُ عمَّا يستشفُّ بهِ الحموضة والغضب . فمن ثمَّ يترتَّب على الكاتب ان يرقّق التحيُّل لبلوغ الغرَض من ردع الملوم مع صيانة نفسهِ عن الافراط . قال الناشئ وقد احسن :

واذا عتبتَ على أَخٍ في زلَّةٍ ادمجتَ شدَّتهُ لهُ في لينهِ

واحسن منهُ قول ابن الرشيق :

ثمَّ ان كنتَ عاتبًا شبت بالوعـ ـدِ وعيدًا وبالصعوبة لينا

فتركتَ الذي عتبتَ عليهِ حذِرًا آمنًا عزيزًا مهينا

(فائدة) امَّا الرؤَساء والسواد فيقتصرون في الغالب على ذكر

الخطاء مع الانذار وذلك اقرب الى وجه الصواب عندهم قال المتنبي :

لعلّ عتبك محمودٌ عواقبهُ وربّما صحّتِ الاجسام بالعللِ

س اورد لمعة من هذه الرسالات

كتب بعضهم

لو كانت الشكوك تختلجني في صحّة مودّتك وكريم اخائك ودوام عهدك لطال عتبي عليك في تواتر كتبي واحتباس جواباتها عني ، ولكنّ الثقة بما تقدّم عندي تعذرك وتُحسّن ما يقبّحه جفاؤك والله يُديم نعمتهُ لك ولنا بك

ومن كتابٍ لعليّ الى معاوية

وكيف انت صانع اذا تكشّفتْ عنك جلابيبُ ما انتَ فيهِ من دنيا قد تبهّجتَ بزينتها وخدعتَ بلذّتها . دعتْك فاجبتَها وقادتك فاتّبعتها وأمرتك فاطعتَها ، وانهُ يوشك ان يقفك واقف لا ينجيك منهُ مجنّ فاقعس عن هذا الامر وخذ أُهبة الحساب وشمّر لما قد نزل بك ولا تمكّن الغُواة من سمعك والّا تفعل اعلمك ما اغفلتَ من نفسك فانك مترف قد اخذ الشيطان منك ماخذهُ وبلغ فيك امَلَه وجرى منك مجرى الروح والدم

ومتى كنتم يا معاوية ساسةَ الرعيّة وولاة امر الأمّة بغير قدَم سابق ولا شرف باسِق ونعوذ بالله من لزُوم سوابق الشقاء . واحذرك ان تكون مُتمادياً في غرّة الأُمنيّة مختلف العلانية والسريرة

وقد دعوتَ الى الحرب فدَع الناس جانباً واُخرج اليّ واعفُ الفريقَين من القتال ليعلم ايُّنا المرين على قلبهِ والمغطّى على بصرهِ . فانا ابو حسن قاتل جدّك وخالك واخيك شدخاً يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب التى عدوّي

ومن كتاب لهُ الى بعض عمالهِ

امّا بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك غلظةً وقسوةً واحتقاراً

وجفوة ونظرت فلم ارهم اهلًا لان يدنوا لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابًا من اللين تشوبهُ بطرفٍ من الشدة وداول لهم القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاءِ ان شاءَ الله

ومن كتابٍ لهُ الى عثمان بن حنيف الانصاري

اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني ان رجلًا من فِتيـة اهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجِفان . وما ظننتُ انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفوٌّ وغنيّهم مدعوٌّ فانظُر الى ما تقضمـهُ من هذا المَقضَم فما اشتبه عليك علمهُ فالفظهُ وما ايقنتَ بطيب وجوههِ فنَلْ منهُ

ومن كتابٍ لهُ الى المنذر بن الجارود العبدي وهو خان في بعض ما ولّاهُ من اعمالهِ

اما بعد فان صلاح ابيك غرّني وظننتُ انك تتبع هَدْيهُ وتسـلك سبيلهُ فاذا انت فيما رُقّي اليَّ عنك لا تدع لهواك انقيادًا ولا تبقي لآخرتك عتادًا تعمر دنياك بخراب آخرتك . وتصل عشيرتك بقطيعة دينك . ولئن كان ما بلغني عنك حقًّا لَجَمَلُ اهلك وشسع نعالك خيرٌ منك . ومن كان بصفتك فليس بأهل ان يُسدّ بهِ ثغرٌ او ينفذ بهِ امر او يُعلى لهُ قدر ويشرك في امانة او يؤمن على خِيانة فاقبـل اليَّ حين يصل اليك كتابي هذا ان شاءَ الله

وكتب سلطان مصر الى شريف مكّة

بسم الله الرحمن الرحيم الحسنة حسنة وهي من بيت النبوّة احسن ، والسيّئة سيّئة وهي من الدار العلويّة أشيَنُ ، وقد بلغنا عنك ايها السيّد الحسيب ، الجيّـد النسيب ، انك بدلتَ الأَمن بالمخـاوف ، وفعلتَ ما يحمّر الصفـائح ويسوّد الصحائف ، والعجبَ منك انك من بيت الكرَم ، ومخزن الحرَم ، أَويتَ المجرِم ، واستحللتَ المحرم ، ومَن يهن الله فما لهُ من مكرِم ، فان تقفُ آثار جدّك ، والّا غمدنا بك غـرار حدّك ، فاذا خلَع الشتاء جلبـابهُ ، ولبس الرّبيع اثوابهُ ، فلنأتينّهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنّهم منها اذلّةً وهم صاغرون

كتب هشام لاخيهِ وكان عاتبهُ ولامهُ

امّا بعد فقد بلغني استثقالك حياتي واستبطاؤك موتي ولعمري انك بعدي لواهي الجناح اجذم الكفّ وما استوجبتُ منك ما بلغني عنك

٤ رسائل التهانئ

س ماهي رسائل التهانئ

ج هي ما كُتبت عند حصول نعمةٍ او زوال نقمةٍ

س ما رُكن مكاتبات التهانئ

ج ركنها مشاركة المكتوب اليهِ في الفرح الناشئ لهُ عن اصابة خيرٍ او تملّص من شرٍّ

س ما الذي يقتضي تحرّيهِ في هذا الرسالات

ج ليس في مكاتيب التهانئ الّا بسط الكلام في جدارة المُنعَم اليهِ بما حازهُ ووصف ما أعطي من النعَم وما مُنحَ من الحظّ . وكلمَا اتّسع مجال الكلام في ذكر النعمة كان ادلَّ على البلاغة وادعى لسرور المكتوب اليهِ (١)

وقد الحقوا بهذه الرسائل الكتابات التي من دأبها ان تُرسل في الاعياد وفي رؤوس السنة . فالحذَر الحذَر من ايراد هذه التحارير على وجهٍ مبتذَل سوقيّ بل ليكن مشفوعًا بعواطف القلب

١ راجع كتاب صناعة الترسّل

مطوَّقًا بقلادة الحسن والذكاء . وكثيراً ما يفتح داعي الحال بابًا واسعًا ومجالاً رحبًا للاجادة في مثل هذه الكتابات

س اورد في التهانئ بعض شواهد

كتب ابو الفضل بديع الزمان الهمذاني الى طاهر الداوردي يهنئهُ بمولودٍ

حقًا لقد انجز الاقبال وعدهُ ، ووافق الطالع سعدهُ ، وانَّ الشأن لفيما بعدهُ ، وحبَّذا الاصل وفرعهُ ، وبُورك الغيث وصوبهُ ، وأَينع الروض ونورهُ ، وحبَّذا سماءٌ اطلعت فرقدًا ، وغابة ابرزت أَسدًا ، وظهرٌ وافق سَندًا ، وذِكرٌ يبقى ابدًا ، ومجدٌ يسمَّى ولدًا ، وشرفُ لُحمَةٍ وسدًى

وكتب بعضهم يهنئ صديقًا بالقدوم من سفرٍ

أُهنئُ سيِّدي بما يسَّر الله من قدومهِ سالمـًا ، وأَشكر الله على ذلك شكرًا دائمًا ، غيبة المكارم مقرونةٌ بغيبتك ، واوبةُ النعم موصولةٌ باوبتك ، فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة ، باضعاف ما قرن بهِ مسيرك من السلامة

وكتب آخر الى عليل يهنئهُ بشفائهِ

لئن تخلَّفتُ عن عيادتك بالعُذر الواضح من العلَّة ما اغفل قلبي ذكرك ولا لساني فحصًا عن خبرك . ومحبّك يُحبُّ ان تتقسَّم جوارحُهُ وَصَبَك وان زاد في أَلمها أَلَمُك وان تتَّصل بهِ احوالك في السرَّاءِ والضرَّاءِ . ولما بلغني افاقتك كتبتُ مُهنئًا بالعافية مُعفيًا من الجواب الّا بخبر السلامة ان شاءَ الله

وكتب ابن الروميّ الى بعضهم في معناهُ

اذن الله في شفائك وتلقَّى داءَك بدوائك ومَسَح بيد العافية عليك ووجَّهَ وفد السلامة اليك وجعل علّتك ماحيةً لذنوبك مُضاعفةً لتوبتك

وللمعرّي في تهنئةٍ بمولودٍ

قد سُرَّت الجماعة بالمولود القادم أجزل الله حظّهُ من اسمه واعطاهُ الغاية مما كُنّي به وتفاءلت لهُ ضروبًا من الفأل منها انهُ قدِمَ يوم الجُمُعة فدلّ ذلك على اجتماع الشَّمل وهو يوم فرحٍ ونفقة . فبسط الله يدهُ بالنفقات . والجمعة ذات نسك ودين فانّ الله يبلغه مبالغ اهل التقوى بكرَمِهِ . وكان ورودهُ في مقابلة ايّام العجوز وذلك فألٌ بالسلامة واليُمْن . لأنَّ العجوز ارفق بالولد من الشوابّ . وقالوا : ارفق من عجوز بصبيّ . واتّفق مجيئهُ عند افضاء الشتاء وهم يتمنون بالفَصْيَة وهي الخروج من البرد الى الحرّ او من الارض ذات الشجر الى الارض البراح . ومن سعادة القادم الى هذه الدار ان يستقبلهُ الرّبيع ضاحكًا في وجهِهِ محيّيًا لهُ بوروده وزهوره . مهديًا اليه ريّا روضة . فالحمد لله الذي جعل قدومهُ في زمان تجدُ بِهِ المُجدِبَةُ مرعى . وتستنُّ فصالهُ حتى القرعى . وتشبع سارحةٌ من حلّ وبلّ

راجع ايضًا الصفحة ٢٨١ في الجزء الثالث من مجاني الادب . ومن الجزء الرابع الصفحة ٢٧٧ . ومن الخامس الصفحة ٢٧٢ . ومن السادس الصفحة ٢٧٧

٥ رسائل التعازي

س ما التعزية

ج قال صاحب بديع الانشاء : هي التسلية والحثّ على الصبر بوعد الأَجر والدُّعاء للميت

س ما هي اصول مكاتيب التعازي

ج تقتضي هذه المكاتيب رقّةً وتلطّفًا عظيمين لتخفيف وجع

المصاب بالبلية. واما انهج طريقة لذلك فهي ان يذكر الكاتب اوَّلاً ما طرأ على المعزَّى من المحنة او الكآبة

ثمَّ يحاول ثانيًا على مقاسمة المبتلَى في حزنهِ فيبكي لبكائهِ ويمازجهُ في عبرَاتهِ واخيراً ينتقل الى اسباب التسلية التي من شأنها ان تضمّد جروح المعزَّى وتظاهرهُ على محنتهِ

س ما مورد اسباب السلوان

ج انَّ اصفى مواردهِ وارحب طرقهِ الديانة . فانها البلسم الشافي لمثل هذه الادواء . ويضاف اليها اسباب التعازي المأخوذة من اعتبار الدنيا وزوالها وتقلبات الدهر وصروفهِ وانقضاء الأَجل وما رجع الي هذه الابواب

س اذكر لنا بعض امثلة في التعازي

كتب عبدُ الحميد بن يحيَى عن مروان الى هشام يعزّيهِ بامرأةٍ

ان الله تعالى امتع امير المؤمنين من أنسيَّتهِ وقرينتهِ امتاعًا مدة الى اجلٍ مُسمَّى فلما تمت لهُ مواهب الله وعاريتهُ قبض اليهِ العاريّة . ثم اعطى امير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها انفس منها في المنقلب وارجح في الميزان واسنى في العوض فالحمد لله ربّ العالمين وانّا للهِ وانّا اليهِ راجعون

وكتب ايضًا الى اهلهِ وهو مهزوم مع مروان

اما بعد فان الله تعالى جعلَ الدنيا محفوفةً بالكُرهِ والسرور فمَن ساعدهُ الحظّ فيها سكَن اليها، ومَن عضَّتهُ بنابها ذمَّها ساخطًا عليها، وشكاها مستزيدًا لها وقد

كانت اذاقتنا أفاويق استحليناها ثم جمحت بنا نافرةً ورمحتنا موليةً . فملح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الاوطان ، وفرّقتنا عن الاخوان ، والدار نازحةٌ ، والطير بارحةٌ ، وقد كتبتُ والايام تزيدنا منكم بُعدًا ، واليكم وجدًا ، الّا ان تتمّ البليّة الى اقصى مدّتها يكن آخر العهد بكم وبنا . وان يلحقنا ظفرٌ جارحٌ من اظفار من يليكم نرجع اليكم بذلّ الإسار والذلُّ شرُّ جارٍ . نسأل الله الذي يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء ان يهب لنا ولكم أُلفةً جامعةً ، في دارٍ آمنة ، تجمع سلامة الابدان ، والاديان ، فانّهُ ربُّ العالمين ، وارحم الراحمين

مات ولدٌ لعبد الرحمن بن مهدي فكتب اليهِ الشافعي

يا أخي عزّ نفسك بما تُعزّي بهِ غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحهُ من غيرك . واعلم انّ امضّ المصائب فقد سرور وحرمان أجرٍ فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر . فتناول حظّك يا أخي اذا اقرب منك قبل ان تطلبهُ وقد نأى عنك . ألهمكَ الله عند المصائب صبرًا . واحرز لنا ولك بالصبر اجرًا

اني أُعزّيك لا أَني على ثقةٍ   من الحياةِ ولكن سنّة الدينِ
فما المُعزّى بباقٍ بعد ميّتهِ   ولا المعزّي وان عاشا الى حينِ

كتب حمدون بن نهراق الى عاملٍ عُزل عن عملهِ

بلغني اعزّك الله انصرافك عن عملك ورجوعك الى منزلك فسُررتُ بذلك ولم استفظعهُ وأجزع لهُ لعلمي بان قدرك اجلّ واعلى من ان يرفعك عمل تتولّاهُ او يضعك عزلٌ عنهُ . ووالله لو لم تختر الانصراف وتردّ الاعتزال لكان في لطف تدبيرك وثقوب رؤيتك وحسن تأتيك ما تزيل بهِ السبب الداعي الى عزلك والباعث على صرفك . ونحن الى ان نهنّئك بهذه الحال اولى بنا من ان نعزّيك اذا اردتّ الانصراف فأُوتيتهُ وأَحببت الاعتزال فأُعطيتهُ . فبارك الله لك في منقلبك وهنّاك النعم بدوامها ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها

راجع الجزء الثالث من مجاني الادب الصفحة ٢٨٩ . والجزء الرابع

الصفحة ٢٧٨ . والجزء الخامس الصفحة ٢٧٥ . والجزء السادس الصفحة ٢٧٨

٦ الاجوبة

س ما الذي يجب مراعاتهُ في الاجوبة

ج ان الاجوبة كثيرة الشعَب تتفرَّع حسب تفرُّعات اغراض الكتابة فلا يُمكن التفصيل عنها بابًا بابًا . وانَّما نقول على وجه الاجمال ان الجواب يقتضي ان يوافق الخطاب واغراض الرسالة المبعوثة اليك

س اورد بعضًا من هذه الرسائل

لابي بكر الخوارزمي من جواب الى رُجلٍ اعلمهُ بمرضهِ

وقفت على ما شكاهُ سيدي من العلَّة شفاهُ الله تعالى منها وعوَّضهُ الصحة عنها ووددتُ لو قبِلتني العلة فِداءً ، وأمكنني ان أُقرِض سيدي شفاءً ، فكنتُ انقل اليهِ الصحة نقلًا وابذل لهُ ما عندي من العافية بذلًا

جواب المأمون الى عبدالله والي الحرَمين (راجع صفحة ٢١٦)

امَّا بعد فقد وصلتْ شكيَّتك لاهل حرَم الله الى امير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمتهِ ، وانجدهم بسيب نعمتـهِ ، وهو متبِع لما اسلف اليهم ، بما يخلفـهُ عليهم ، عاجلًا ، وآجلًا ، ان أذن الله في تثبيت نيتهِ على عزمه (قيل ان هذا الجواب كان اسرَّ لاهل مكَّة من الاموال التي انفذها المأمون اليهم)

جواب المأمون شريف مكَّة الى سلطان مصر (انظر صفحة ٢٢٦)

بسم الله الرحمن الرحيم إعترَف المملوك بذنبهِ ، ورجع الى دينهِ وربهِ ، وهو

يسال منكم الرضا ، والعفو فيما مضى ، ويلتمس من الاخلاق الطاهرة ، والمكارم الظاهرة ، العفو عن سوء فعله ، وليس من شيمكم ان تكافوه لمثله ، فان انتقمتم افيدكم اقوى ، وان تعفوا أقرب للتقوى ، وفي مقدرتكم ما يكافيه ، وكل إناء ينضح بما فيه

وكتب علي الى معاوية يجاوبه على كتابه في امر توليته الشام

(راجع صفحة ٢١٥)

امّا بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضهم على بعض وانا واياك نلتمس غاية لم نبلغها بعد . فاما طلبك مني الشام فاني لم اكن اعطيك اليوم ما منعته امس . فاما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست بامضى على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام على الدنيا باحرص من اهل العراق على الآخرة . واما قولك انّا بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كأبي طالب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق . وفي ايدينا النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحرّ والسلام

كتاب يزيد الى هشام يتبرأ اليه وجواب هشام له

امّا بعد فان امير المؤمنين متى فرّغ سمعهُ لقول اهل الشنآن واعداء النعم . يوشك ان يقدح ذلك في فساد ذات البين ويقطع الارحام . وامير المؤمنين بفضله وما جعله الله له اهلاً اولى ان يتغمّد ذنوب اهل الذنوب . فاما انا فمعاذ الله ان استثقل حياتك واستبطئ وفاتك . (فكتب اليه هشام) : نحن معترفون ما كان منك ومكذّبون ما بلغنا عنك . فاحفظ وصيّة عبد الملك ايّانا وقوله انافي ترك التباغي والتخاذل وما أمر به وحضّ عليه من صلاح ذات البين واجتماع الاهواء فهو خير لك واملك بك . واني لاكتب اليك وانا اعلم انك كما قال الاول في قوله :

وانّي على اشياء منك تريبني ... قديماً لذو صفحٍ على ذاك مجملُ
ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني ... يمينك فانظر ايّ كفّ تبدلُ
وان انت لم تنصف اخاك وجدتهُ ... على طرف الهجران ان كان يعقلُ

الضرب الثالث

المكاتيب التي مرجعها الى اغراض شخص ثالث

رسائل الوصاة والشفاعة

س ما هي رسائل الوصاة والشفاعة

ج الوصاة هي استمالة ذوي الرُّتب في شأن ثالثٍ ليحسنوا وفادته ويشملوهُ برضاهم او ينعموا عليهِ . امَّا الشفاعة فهي السؤَال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقهِ (١)

س ما هو منهاج هذه الرسالات

ج منهاجها ان تُستهلَّ بذكر العلاقة التي وثَّقت عروقها بينك وبين الشخص الذي تحرَّيتَ وصاتهُ والشفاعة بهِ ثم تذكر جدارة الموصَّى بهِ بان يُصطنع اليهِ او يُتجاوَز عن ذنبهِ بوصف مناقب الاوَّل كالذكاء والامانة وحُسن السلوك وبيان خلوص ودّ الثاني وحُسن نيَّتهِ وتوبتهِ عمَّا فرط منهُ سهواً

واخيراً تُختَم الرسالة بوعد عرفان الجميل والشكر سواءٌ كان ذلك من قِبلك او من قِبل من توخَّيت امرهُ

(١) الجرجاني

س اذكر مثلاً في الوصاة والشفاعات

رسالة القديس بولس الى فيليمون

كتبها اليهِ بولس الرسول من سجنهِ يسألهُ قبول عبدهِ اونيسموس وكان قد ابق اليهِ ويطلب منهُ ان يتلقاهُ بالصفح لاجل قبولهِ الايمان

من بولس اسير يسوع المسيح ومن تيموتاوس الأخ الى فيليمون حبيبنا ومعاوننا والى اَبفية الاخت المحبوبة وأرخبُّس صاحبنا في التجنُّد والى الكنيسة التي في بيتك . النعمة لكم والسلام من الله ابينا والرب يسوع المسيح . اشكر الهي ذاكراً اياك في صلواتي كل حين لسماعي بمحبتك وايمانك من جهة الرَّب يسوع وجميع القديسين لكي تكون شركة ايمانك فعَّالة بمعرفة كل ما هو صالح فينا بيسوع المسيح فان لنا سرورا وعزاءً عظيماً في محبّتك لان احشاء القديسين قد استراحت بك ايها الاخ . فلذلك وان كان لي بالمسيح يسوع ان آمرك بالواجب بجراءةٍ كثيرة قد آثرتُ لاجل المحبَّة ان أسألك سؤال رجلٍ هو بولس الشيخ بل أسير يسوع حالاً . فأسألك من جهة ابني اونيسمُس الذي ولدتهُ في القيود وقد كان حيناً غير نافع لك(١) امَّا الآن فهو نافعٌ لك ولي . وانا رادُّهُ اليك فاقبلهُ قبول احشائي بعينها . وكنتُ اَودُّ ان امسكهُ عندي ليخدمني بدلاً منك في قيود الإنجيل غير اني كرهتُ ان افعل شيئًا دون رايك ليكون احسانك عن اختيار لا كانهُ على سبيل الاضطرار . ولعلهُ فارقك حينًا لتملكهُ مدى الدهر لا كعبد فيما بعد بل كمن هو افضل من عبدٍ كاخٍ محبوبٍ وعلى الخصوص اليَّ فكم بالأحرى اليك في الجسد وفي الرَّب . فان كنتَ قد اتخذتني من شركائك فاقبلهُ قبولك لشخصي . وان كان ظلمك في شيءٍ او كان لك عليهِ دَينٌ فاحسب ذلك عليَّ . انا بولس كتبتُ ذلك بخطّ يدي . انا أَفي . ولستُ بقائل لك انك مديونٌ لي حتى بنفسك ايضًا . نعم يا أخي لتكن لي منك منفعة في الرَّب . أرِح احشائي في المسيح . وانما كتبتُ اليك لثقتي بطاعتك ولعلمي بانك تفعل اكثر مما اقول . اَعدد لي ايضاً

١ في هذا القول اشارة لطيفة الى اسم العبد الموصّى بهِ وكان اسمهُ اونيسموس ومعناها بالروميَّة نافع

منزلا فان لي رجاءً اني سأوهب لكم بصلواتكم . يسلّم عليك ابفراس الأسير معي في المسيح يسوع ومرقُص وأرسترخُس وديماس ولوقا معاونيَّ . نعمة ربّنا يسوع المسيح مع روحكم . آمين

راجع ايضًا في الجزء الثالث من مجاني الادب الصفحة ٢٩٠ . والجزء السادس الصفحة ٢٨٥

النوع الثالث

الرسالات العلمية

س ما هي الرسالات العلمية

ج هي مقالات في المطالب العلميَّة او المسائل الادبية . وانمَّا سُمّيت بالرسالات لان اصحابها يرسلونها الى من اقترحها عليهم

س ما هي صفات هذه الرسالات

ج لمَّا كانت هذه الرسالات تخوض في مباحث العلوم فيقتضي لصاحبها ان يسلك فيها منهاجًا قياسيًّا كما في مقالات الادب وليس لها من المكاتبات العاديَّة شيئًا سوى انهُ يُسلك فيها منهج الاسترسال والمخاطبات

البحث الرابع

في هيئة الرسالات وآدابها

اعلم ان للرسالات مُقتضيات لا يستنكف منها الَّا من سها عن

عادات بلاده وطباع مواطنيه . ومرجعها الى هيئة الرسالة وآدابها نقتصر بلمعة منها (١)

س ما المراد بهيئة الرسالة وآدابها

ج هي الطريقة المأنوسة عند ارباب الادب لحسن افتتاح الرسالة ومقدَّمتها ومقصد المكاتبة وختامها وتوقيعها وتاريخها وعنوانها

س اذكر ما يختصّ بكلٍّ من هذه الاقسام

ج حسن الافتتاح هو ان تصدَّر الكتابة بما فيه تعظيم المكتوب اليه من ذكر القابه ونعوته الملائمة مقامهُ ورتبتهُ واحوالهُ

المقدّمة هي اوَّل الرسالة يبتدأ بها إمَّا بالحمدَلة تبرُّكًا كما جرَت العادة عند الاقدمين . امَّا بالدُّعاء للمكتوب اليه والتماس رضاهُ والشوق اليهِ او تقبيل يدهِ ان كان كبيرًا الى غير ذلك كما شاع في ايَّامنا . ويقتضي في المقدَّمة الايجاز ومراعاة النسبة بين الكاتب والمكتوب اليهِ مع الجدّ في الانتقال الى غرَض الكتاب

مقصد الكتابة هو ما بُنيت عليهِ الرسالة وقد مرَّ الكلام على كل

١ راجع كتاب الشهاب الثاقب من صفحة ١٠ الى ٣٠

غرَض من الاغراض على حدّ هِ فان تبصَّر الكاتب في كل حالة من حالات المكاتبة فانهُ يجد لا محالة الطريق لاصابة المرمى فيها

الختام هو انتهاء الرسالة ومقطعها يلزمهُ ان يتسم بالايجاز وحسن السبك لانهُ آخر ما يبقى في الاسماع

الإمضاء هو ذكر اسم الكاتب مع الايذان بمنزلتهِ من رُتبة المكتوب اليهِ يوُضع في آخر الكتاب . وكان قديمًا يوضع في الصدر

التأريخ هو تعريف الوقت الذي بهِ كتبَت الرسالة يصحبها اسم المكان الذي عنهُ صدرَت وذلك امَّا في اعلى الكتاب إمَّا في اسفلِه على عادة كل بلدةٍ

العنوان ما كتب على ظهر الكتاب ليستدلّ بهِ على المكتوب اليهِ ومكانهِ . فيذكر مع القابهِ ونعوتهِ المنبئة عن حالهِ والدعاء بدوام بقائهِ

(فائدة اعلم اننا قد ضربنا صفحًا عن امور كثيرة ترجع الى آداب الكتابة مثل اختيار القرطاس والحبر وترك هامش في المكتوب الى غير ذلك ممَّا يُوكل الى الذوق ويؤخذ من الاستعمال وعادات الألفة



للجزء الاول من كتاب علم الادب

الباب الاول

في الاحتذاء

س ماهو الاحتذاء

ج هو ان يعمد الكاتب الى اساليب الكتّاب فيقتصُّ اثرها وينسج على منوالها

س هل من فائدة في ذلك

ج قال عبد الرحمان الهمذاني : لا غنًى للكاتب ولا الشاعر المُفلِق ولا الخطيب المِصقَع عن الاقتداء بالاولين والاقتباس من المتقدمين واحتذاء مثال السابقين فيما اخترعوهُ من معانيهم وسلكوهُ من طرقهم . قال ابن خلدون : ان التقليد عريق في الآدميين . قال الشاعر :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ

س كم نوع للاحتذاء

ج للاحتذاء انواع كثيرة منها مقبولة مستحسنة وتعرف

بحسن الاتباع (١) وحسن الاخذ (٢) ومنها مردودة وتعرف بالسرقات (٣) وقبح الاخذ (٤)

س ماهي طرق الاحتذاء الحسن

ج هي التي بها يأتي الكاتب الى معنىً سبقهُ اليهِ غيرهُ فيحسن اتباعهُ بحيث يستحقهُ بوجهٍ من الزيادات التي توجب للمتأخر استحقاق المتقدم (٥) . فتارةً يؤخذ المعنى ويستخرج منهُ ما يشبههُ كقول بعض شعراء الحماسة :

لقد زادني حباً لنفسي انني بغيض الى كل امرىءٍ غير طائلِ

اخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منهُ معنىً آخر شبيههُ فقال :

واذا اتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي باني فاضلُ

وتارةً يؤخذ المعنى دون اللفظ كقول ابن المقفع في الرثاء :

فقد جرَّ نفعاً فقدنا لك اننا أَمنّا على كل الرزايا من الجزَعِ

اخذهُ عن قول بعضهم :

وقد عزّى ربيعةَ انَّ يوماً عليها مثل يومك لا يعودُ

وهذا النوع يُستحسن جدًّا اذا تلطف بسياقهِ الكاتب إما بزيادة على معنى المتقدم إما بايجازهِ او بكسوهِ عبارة احسن من عبارتهِ كقول المتنبي في فاتك :

---

(١) راجع الحموي وصناعة الترسل (٢) راجع كتاب الصناعتين للعسكري (٣) راجع المثل السائر (٤) راجع كتاب الصناعتين (٥) المثل السائر والحموي . قال ابو الرحمان الهمذاني : ان من اخذ معنى عارياً من غيرهِ وكساهُ من عندهِ لفظاً فهو احق ممن اخذهُ منهُ

وقد اطال ثنائي طولُ لابسهِ ان الثناء على التنبال تنبالُ

اخذهُ من قول حسّان بن ثابت :

ما ان مدحتَ محمّدًا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمدِ

وكقول ابي تمام وقد اورد في شطر معنى المتقدم :

افناهمُ الصبر اذ ابقاهمُ الجزعُ

اخذهُ من قول السموءَل :

يقرّب حبُّ المنون آجالنا لنا وتكرههُ آجالهم فتطولُ

وكقول مُسلم بن الوليد وقد زاد على من سبقهُ :

أُحِبُّ الريح ما هبّت شمالًا واحسدها اذا هبت جنوبا

اخذهُ عن بعض شعراء الجاهليّة :

اذا هبّت الارواح من نحو ارضكم وجدتُ لرياها على كبدي بردا

فان مسلمًا زادهُ تقسيمًا حسنًا . ومعناهُ ان الشمال تجيء من ناحية صديقهِ فيحبها والجنوب تهبّ الى الصديق فيحسدها لمباشرتها جسمهُ

وكقول ابي نواس وهو احسن لفظًا وسبكًا من المتقدّم :

اذا نحن اثنينا عليك بصالحٍ فانت كما نثني وفوق الذي نثني

وان جرت الالفاظ يومًا بمدحة لغيرك انسان فانت الذي نعني

اخذهُ من قول الخنساء في اخيها :

وما بلغ المهدون في القول مدحةً وان اطنبوا الّا الذي فيك افضلُ

وطورًا يؤخذ المعنى فيعكس أو ينقل الى معنى مختلف كقول ابي نواس :

ليس على الله بمستنكرٍ ان يجمع العالم في واحدِ

اخذهُ عن قول جرير :

اذا غضبت عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلّهمُ غضابا

وكقول ابي الفتح الموصلي :

لولا الكرام وما سنّوه من كرمٍ لم يدرِ قائل شعر كيف يمتدحُ

اخذهُ بعكسهِ عن قول ابي تمام :

ولولا خلالٌ سنَّها الشعر ما درى   بُناة العلى من اينَ تؤتى المكارمُ

وطوراً يؤخذ المعنى فيكسى عبارةً احسن من عبارة المتقدّم أَو يسبك سبكًا ادق كقول اعرابي :

انَّ الندى حيث ترى الضغاطا

اخذهُ بشَّار وبينهُ وزاد في حسنهِ:

لتسقط الطير حيث ينتثرُ الحبُّ م وتغشى منازلُ الكرماءِ

واخذهُ آخر فقال :

يزدحم الناس على بابهِ   والمشرب العذب كثير الزحام

وكقول بشار :

من راقبَ الناس لم يظفر بحاجتهِ   وفاز بالطيّبات الفاتك اللهجُ

اخذهُ تلميذهُ سلم الخاسر فقال واجاد :

من راقب الناس مات غمًا   وفاز باللذَّة الجسورُ

وآناتٍ يؤخذ المعنى عامًّا فيجعل خاصًّا ويعكس كقول الاخطل :

لا تنهَ عن خلق وتأتي مثلهُ   عارٌ عليك اذا فعلتَ عظيمُ

اخذهُ ابو تمام فقال :

أَأَلوم من بخلت يداهُ واغتدي   للبخل تربًا ساءَ ذاك صنيعًا

وكذلك قول عليّ بن ابي طالب :

لا تكن كمن يعجز عن شكر ما اوتي ويلتمس الزيادة فيما بقي

اخذهُ احمد بن يوسف فكتب :

احق من اثبت لك العذر في حال شغلك من لم يخل ساعة من برك في وقت فراغك

واخذهُ اخذًا ظاهرًا احمد بن صبيح فقال في شكر :

ما تقدَّم من احسان الامير شاغلٌ عن استبطاء ما تأخر منهُ

واخذهُ ايضًا ابو نواس :

لا تسدين اليَّ عارفة   حتى اقوم بشكرِ ما سلفا

س ما الاخذ المذموم

ج قال العسكري : هو ان تعمد الى المعنى فتتناولهُ بلفظهِ كلهِ أو اكثره أو تخرجهُ في معرض مستهجن وفي مخرج قبيح وكسوة مسترذلة كقول ابي تمام وقد سرق المعنى مع قسم من اللفظ :

قد قلّصت شفتاهُ من حفيظتهِ فخيل من شدة التعبيس مبتسما

اخذهُ من قول ديك الجنّ الشاعر :

تلق ليثاً قد قلصت شفتاهُ فيرى ضاحكاً لعبس الصيالِ

وكقول ابي تمام ايضاً ولم يحسن الاخذ :

علّمني جودُك السماح فما ابقيت شيئاً لديك من صلتك

اخذهُ عن قول ابن الخياط وهذا ابلغ واجود :

لمستُ بكفي كفّهُ ابتغي الغنى ولم ادرِ ان الجود من كفهِ يعدي

ومن الاخذ المذموم قول بعضهم :

بانت وصدع القلب كان لها صدْع الزجاجة ليس يتفقُ

اخذه من قول الاعشى بلفظه :

فبانت وفي الصدر صدعٌ لها كصدع الزجاجة لم يلتئمْ

ولا حاجة للاكثار في هذا الباب وانما كفى التنويه بهِ

س ماهي مراتب الاحتذاء

ج اعلم ان للاحتذاء مراتب تفضي بالكاتب الى حسن الانشاء ان ترقّى اليها بالتدريج

اولها ان يأْخذ المعنى وينقلهُ بلفظهِ الى معنىً آخر وهذه ادنى درجة الاحتذاءِ

ثانيها ان يعمد الى المعنى فيحفظهُ بتغيير التركيب واللفظ
ثالثها ان يعمم المعنى الخاص او يخصص المعنى العام
رابعها ان يأْخذ التعبير وينقلهُ الى معانٍ مختلفة
خامساً ان يبسط معنًى موجزًا او يوجز معنًى موسعًا
سادساً ان يزيد في المعاني تحسيناً اما بالعبارة اما بابتداع تكميل لها

الباب الثاني

في العقد والحل (١)

البحث الاول

في العقد

س ما هو العقد

ج هو ان يأخذ الكاتب المنثور من الكلام لحكمة او رواية فيسبكهُ بنظمهِ سبكًا حسنًا امَّا بتحويلهِ الى النظم ليس الَّا امَّا بشرحهِ او ايجازهِ . وكل ذلك حسن . كما فعل ابو تمام وكان سمع قول علي بن ابي طالب للاشعث بن قيس : انك ان صبرت جرى عليك قضاء الله وانت موزور . وانك ان لم تسلُ احتساباً سلوت كما تسلو البهائم وان التسليم والسلوة لحزماء الرجال واماَّ الهلع والجزع فلربَّات الحجال . فنظمهُ الشاعر قائلًا :

وقال عليٌّ في التعازي لاشعث … وخاف عليهِ بعض تلك المآثمِ
اتصبر للبلوى حياءً وحسبة … فتؤْجر ام تسلو سلوَّ البهائمِ

(١) قد لخصنا هذا الفصل عن كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم لضياء الدين بن الاثير

خلقنا رجالًا للتجـلُّد والأسى   وتلك الغواني للبكا والمـآتم

وكقول المتنبي وقد نظمهُ عن قول ارسطاليس : من لم يقدر على الفضائل فلتكن فضائلهُ ترك الرذائل .فقال ابو الطيب :

انَّا لفي زمنٍ ترك القبيح بهِ   من اكثر الناس احسان واجمالُ

وقال ارسطو : اعجز العجز من قدر ان يزيل العجز عن نفسهِ فلم يفعل . فنظمهُ المتنبي :

ولم ارَ في عيوب الناس شيئًا   كنقص القادرين على الكمالِ

واخذهُ عن ارسطو كثير كما بينهُ الحاتمي

وهاك رواية نظمها الاديب المقري :

حكي ان افلاطون كتب الى بقراط قبل ان يتعلم منهُ اني اسألك عن ثلاثة اشياء ان اجبت عنها تتلمذتُ لك . فكتب اليهِ بقراط : سل وبالله التوفيق . فكتب اليهِ :أخبرني مَن أحقُّ الناس بالرحمة ومتى يضيع امر الناس وما تتلقى بهِ النعمة من الله . فكتب اليهِ بقراط : امّا أحق الناس بالرحمة فثلاثة : البر يكون في سلطان فاجر فهو الدهرَ منهُ حزين لِمَا يرى ويسمع . والعاقل في تدبير الجاهل فهو الدهر متعبٌ مغموم . والكريم يحتاج الى اللئيم فهو الدهر خاضع ذليل . وأمّا تضييع امور الناس فاذا كان الرأي عند من لا يُقبَل منهُ . والسلاح عند من لا يستعملهُ والمال عند من لا ينفقهُ . وأمّا ما بهِ تتلقَّى النعمة من الله فبكثرة الشكر ولزوم طاعتهِ واجتناب معصيتهِ . فاقبل اليهِ أفلاطون وصار تلميذًا لهُ الى ان مات (قال المقري : وقد نظمت هذا السؤَال والجواب في قولي :)

سبب تتلمذ افلاطون لبقراط

ارسل افلاطونُ وهو الذي   قِدمًا سما في الناس بالحكمَهْ
لشيخهِ بقراطَ مِن قبل اَن   يكونَ ممَّن قد حوى علمَهْ
ان انت حققّتَ جوابي على   ثلاثة محضتُك الخدمَهْ
وكنتُ تلميذًا مقرًّا بما   تسديهِ من علم ومن حرمَهْ
فقال بيّنها فقال اكشفنْ   عمَّن احق الناس بالرحمَهْ

وعن امور الناس أَوضح متى　　تضيع واستقبا لُنا النعمه
من ربّنا سبحانهِ ما الذي　　بهِ تُلاقى فاشرح القسمه
فقال بقراط احقّ الورى　　برحمةٍ يا موفي الذمّه
ذو العقل في تدبير ذي الجهل لا　　يبرح طول الدهر في غمّه
والبرُّ ان اضحى بسلطان من　　فجورهُ عمّ الورى نقمه
يحزنهُ ما يسمع او يرى　　منهُ لانّ الظلم ذو ظُلمه
كذا كريم النفس ذو حاجةٍ　　الى لئيم ساقط الهمّه
يَغدو ذليلًا خاضعاً خاشعاً　　لهُ وناهيك بذا وَصمه
فاسأل الرحمن سبحانه　　عن الثلاث الحفظ والعصمه
وذي ثلاث ان تكن في الورى　　ضاعت امور الناس في مَهمَه
المالُ في كفّ امرئ ممسك　　لهُ يرى انفاقهُ ثلمه
والرأيُ ان كان لدى من ابوا　　منهُ قبولا وأَبوا حزمه
وذو سلاح ليس مستعملًا　　لهُ ولم يكسب بهِ حشمه
وذي ثلاث غيرها أوضحت　　عما بهِ تستقبل النعمه
تَركُ المعاصي ولزوم التقى　　وكثرة الشكر فصُنْ نظمَه

ولو لا خوف الاطالة لذكرنا من ذلك قسماً اوفر ولكن في الايماء كفاية للاديب

واما الامثلة في التوسيع كقول الفاسي (١) وقد نظم قول بعضهم :

(طالب الادب انفى من طالب الذهب) :

العلم افضل مكتسب　　والعلم احسنهُ الادبْ
فاشدد يديك بحبلهِ　　فلحبلهُ اقوى سببْ
هذا هو الكنز الذي　　يبقى اذا فني الذهبْ

وقال ايضاً وقد نظم قول القائل : (كثرة العتاب تفسد ودّ الاصحاب)

ومن لم يغمّض عينهُ عن صديقهِ　　وعن بعض ما فيهِ يمت وهو عاتبُ

(١) للفاسي كتاب سماهُ تحفة الاديب ونزهة اللبيب نظم فيهِ الاقاويل الشايعة وهو كتاب مفيد . راجع ايضاً في نظم النثر ديوان ابي العتاهيَة فانهُ نقل في شعرهِ كثيراً من اقاويل الحكماء

ومن يتبع جاهدًا كل عثرة   يجدها ولا يسلم لهُ الدهر صاحب

البحث الثاني

في الحلّ

س ما الحلّ

ج الحل عكس العقد وهو ان يَعمد الكاتب الى ما نظمهُ غيرهُ فيرويهِ بالنثر

س الى كم ينقسم حل الشعر

ج ينقسم الى ثلاثة اقسام فالقسم الاول هو ادناه أَن تحل الشعر بلفظهِ

قال ابن الاثير: هذا الحلّ لا فضيلة فيهِ وقد يجيء منهُ ما عليهِ مسحة من جمال وذلك نزر يسير. الّا ان الغالب على ما يحل بلفظهِ ان يأتي غثًا باردًا عليهِ قرَّة البلَل وفترة الحمَل. ومثالهُ كمن هدم بناء ثم اخذ تلك الآلات المهدومة فانشأَ بناء آخر فانه يجيء حينئذٍ مخلوق البناء لا محالة. . . وهذا لا اعده من صناعة حل الشعر في شيء على اني اجيزهُ للمبتدئ فانهُ لا يستطيع الّا ذلك. فامَّا اذا حصل لهُ الادمان وساعدهُ الامكان فاني احظر عليهِ ما اجزتهُ لهُ اوّلًا

ولربما استحسن هذا النوع في حل الابيات المتضمنة مثلًا من الامثال. فالاولى حلهُ بلفظهِ لان الامثال شائعة الفتها الناس وكثيرًا ما يعسر على الكاتب ان يواخيها بلفظٍ آخر كقول البحتري:

نطلب الاكثر في الدنيا وقد تبلغ الحاجة فيها بالاقل

فتقول في نثرها :

نطلب في الدنيا الاكثر وانما الحاجة ربما تبلغ فيها بالاقل

وكقول المتنبي :

لعل عتبك محمود عواقبهُ فربما صحت الاجسام بالعلل

فتقول في حله :

اني ارجو لعتبك محمود العاقبة وربما تصح الاجسام بالعلل

وكذلك لايستحسن تغيير اللفظ في كل بيت تضمن الفاظاً فرائد في محلها لا يسدُّ غيرها مسدها كبعض التشابيه والالفاظ العلمية والاشارات والتلميحات وغير ذلك ممَّا اطال في شرحهِ صاحب الوشي المرقوم

امَّا القسم الثاني فهو حل الشعر ببعض لفظهِ وهذه هي الطريقة الوسطى

قال ابن الاثير : هذا القسم عندي اصعب منالاً من الطريقة العليا التي هي حل الشعر بغير لفظهِ وسبب ذلك انك اذا حللت شعر شاعر مجيد قد نقح الفاظهُ وزيَّنها واجاد في ديباجة سبكها فاذا تصديت لفك نظامهِ فقد الزمت نفسك ان تواخي لفظهُ بمثلهِ في الحسن والجودة وهذا لا يسمو اليهِ الَّا من غذي بلبان الفصاحة مرضعاً وعرف مواضعها فلم يجهل منها موضعاً . واذ لم يأتي بالمماثلة والمواخاة بين لفظهِ ولفظ الشاعر فقد

كف عن عرضهِ لنائله وعرض لحمهُ لآكلهِ وان حل الشعر بغير لفظهِ فقد امن من هذه العورة

س اورد في ذلك بعض امثلة :

رسالة في حل الشعر

فلو كان للشكر شخصٌ يبين اذا ما تأملهُ الناظرُ
لصوَّرتهُ لك حتَّى تراه فتعلم اني امرؤٌ شاكرُ
ولكنهُ ساكنٌ في الضمير يحركهُ الكلم السائرُ

شكري لعالي مجلس مولانا الملك السيد المؤيد ولي النعم خوارزم شاه اطال الله بقاه ، وادام علاه ، ونصر لواءه ، على نعمهِ التي غرَّقتني ، واستعبدتني ، وملأت يدي وقلبي ، شكر الروض للمطر ، والساري للقمر ، بل شكر الظمآن الوارد ، للزلال البارد ، بل شكر الاسير لمُطلقهِ ، والمملوك لمعتقه ، فلو كان للشكر شخصٌ يدركهُ البصر ، ويحصله النظر ، لصورتهُ فاحسنت تصويرهُ ، كما قررتهُ فاحكمت تقريرهُ ، حتى يراهُ مولانا اعزَّ الله نصرهُ بعينهِ العالية ، كما سمعهُ باذنهِ الواعية ، فيعلم اني شاكر لاياديهِ المتصلة كاتصال السعود ، ذاكر لمننهِ المنتظمة كانتظام العقود ، ولئن سكن الشكر سواء نفسي ، وسويداء قلبي ، لقد حركهُ ما يسير من كلامي مسير الامثال ، ويسري في الافاق مسرى الخيال ، وبالله استعين على النهوض ، بالمفروض ، من شكر النعمة ، وبذل الوسع في الخدمة ، انهُ خير معين واقوى ظهير

رسالة اخرى في حل قول الصاحب

اقبل الجو في غلائل نورِ وتهادى بلؤلؤ منثورِ
فكأن السماء ظاهرت الارض وصار النثار من كافورِ

هذا يامولاي ادام الله بقاك يوم اقبل هؤاوه في غلائل النور ، وجاءنا باللؤلؤ المنثور ، حتى كان السماوات ظاهرت الارض ، ونثرت لها الكافور المحض ، فانثر علينا السرور بطلعتك ، واسعدنا بمساعدتك ، على ما ازمعناه من امتطاء مراكب الفرح ، وقدح نار الطرب بالقدَح ، ان شاء الله

القسم الثالث وهي الطبقة العليا هو ان يُحل الشعر بغير لفظهِ

فلا يعلم السامع من أين اخذ الناثر . واكثر ما يُستعمَل في هذا الموضع من الالفاظ انما هي الالفاظ المترادفة كقول ابن الاثير في حل هذين البيتين لابي تمام :

اری فضل مال المرء داءً لعرضهِ   كما ان فضل الزاد داءٌ لجسمهِ

فليس لداء العرض شيءٌ كبذلهِ   وليس لداء الجسم شيءٌ كحسمهِ

الانسان في هيج اخلاط مالهِ كهو في هيج اخلاط جسده ، وكلاهما شيء واحد في تقويم اودهِ ، فهذا يُطَب بتنقيص شيء من دمهِ ، وهذا يطب بتنقيص شيء من درهمهِ ، وقد قيل ان الغنى داء عند بعض الناس ، ولا يسكن من سورتهِ الّا استعمال مسهلات الاكياس ، وهذا فلان قد طغى حيث استغنى ، وامتلأَ عيناً ويداً وبطناً ، فينبغي ان يُعالج بهذا العلاج ، الذي فيهِ اصلاح للمزاج

وقال ايضاً في وصف القلم اخذه عن قول المتنبي :

يمج ظــلاماً في نهار لسانهُ   ويخبر عمن قال ما ليس يسمع

اخرس وهو فصيح الايراد ، واصم وهو يسمع مناجاة الفؤاد ، ومن عجيب شأنه ، انهُ لا ينطلق الّا اذا قطع لسانهُ ، ولا يضحك الّا اذا بكت اجفانهُ

الباب الثالث

في التعريب

س ما هو التعريب

ج التعريب عبارة عن نقل الكلام من لسان الى آخر

س ما هي فوائد التعريب

ج اعلم ان التعريب مطمح لنظر الكتّاب وشغل شاغــل لاهل العلم فضلاً عن انهُ افضل ما يرتاض بهِ المترشح لصناعة الكتابة تشحذ فكرتــهُ وتجوَّد قريحتهُ وتستوفر بضاعتهُ ويتسع

نطاق فهمهِ اذ يقتبس من نور اللغة الاعجمية ثروة تراكيب وصور وكنز تعابير ومعان يأخذ برقابها عند الحاجة

س الى مَ يحتاج المعرب لحسن النقل

ج يحتاج الى امرين : اولاً الى فضل معرفة وثاقب نظر لحسن ادراك متن ما اراد انتساخهُ ونقلهُ من اللسان الاعجمي الى لغتهِ فيستبطن خفي امرهِ وتتضح لهُ طرقهُ ويتمكن من مبهمات الفاظهِ ومشكلات تعابيرهِ وعويص معانيهِ

ثانياً ينبغي لهُ ان يكره نفسهُ ويستكد خاطرهُ على استخراج الموضوع الى العربية بغاية ما امكنهُ من الجودة . ولمَّا كانت اللغة متباينة القرائح يقتضي الناقل لاستيفاء غرضهِ ان يتبصر طوراً بعد طور في المعاني والتعابير الموافقة في العربية لما تحرَّى استخراجهُ اليها مع دفع الالتباس في المعرب وسلامتهِ ممَّا ينكرهُ ذوو الطبع السليم من اهل اللغة حتى اذا وقف عليه العربي لايجد فيه اثرًا للتعريب واذا عرضه الاعجمي على اصلهِ الذي نقل عنه لا يكاد يراهُ شاذًّا عنهُ بشيء

س اي طريقة انتهجها تراجمة العرب في التعريب

ج قال الصفدي : للترجمة في النقل طريقان احدهما (وهو طريق يوحنا بن بطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما) ان ينظر

في كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبهُ . وهذه الطريقة رديئة لوجهين احدهما انه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها . الثاني ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة اخرى دائمًا وايضًا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب (وهو طريق حنين بن اسحاق والجوهري وغيرهما) ان يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنهِ ويعتبر عنها اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها وهذا الطريق اجود (اه)

س اورد ذكر من اجادوا النقل عن اللغات الاعجميَّة

ج اجاد في التعريب عن البهلوية ابن المقفَّع في كليلة ودمنة وتاريخ الفرس . وعن اليونانية ابن رشد والفارابي وثابت بن قرَّة الحرَّاني وحنين بن اسحاق النصراني ولهُ في ذلك السبق على اقرانهِ عرَّب اكثر كتب ارسطاطاليس . وعن السريانية ابو الفرج الملطي وغيرهُ من النصارى السريان . ولبعض المحدثين يدٌ رحبة في التعريب لاسيما عن اللغات الاوربيَّة . وممَّا وقع في زماننا موقع

الاستحسان في ذلك ترجمة الاسفار الالهية آنس ناقلوها من الجمهور ميلاً واقبالاً لصحة نقلها وتهذيب عبارتها

الباب الرابع

النقد البياني

س ما هو النقد

ج النقد لغة هو النظر في الدراهم لتمييز جيدها من فاسدها وفي الاصطلاح هو عبارة عن تفقد التآليف الادبية بالبصيرة لبيان محاسنها وغرائبها وللدلالة على مغالطها وشوائبها

س ما الفائدة من النقد البياني

ج ليس في الوسائل الكتابية والذرائع الارتياضيَّة شيء كالنقد البياني لتذكية العقل وتهذيب النفس واصلاح الذوق. على انهُ محكٌّ خطير لمعرفة بدائع التصانيف من قبائحها . فان كثيرًا من المقالات والقصائد اذا ما أفرغت في كير الفكر وعرضت على مشاعل النظر وأُزيل عنها زخرف قشرتها وبهرجة الفاظها تراها سقيمة المباني غثة المعاني ضعيفة التركيب عدمُها خير من وجودها

ج ما هي خواص النقد البياني

ج للنقد البياني ثلاث خواص . اولًا ان يكون المنتقد خاليًا

عن كل غرض لا يطلب الّا وفاء حق النقد بكشف رموز التصانيف المنتقدة وبيان اسرارها وتمييز الحسنة منها من السيئة مع الاحتراس عن كل تنديدٍ وقدحٍ اللهمّ اذا كان صادرًا عن سابق توهم وهوًى

قال الماوردي : ان الهوى اذا تملك على النفس يخفى عنها القبيح لحسن ظنها وتتصورهُ حسنًا لشدَّة ميلها . وقد قيل : حبك الشيء يعمي الرشد ويصم عن الموعظة . وقال علي : الهوى عمى . وقال عبيد الله بن معاوية :

ولست براءٍ عيب ذي الود كله ... ولا بعض ما فيهِ اذا كنتُ راضيا
فعين الرضى عن كل عيبٍ كليلةٌ ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

ثانيًا ان يسلك في نقدهِ طريقة مهذبة معلومة سهلة المأخذ يتيسر تناولها على المطالع

ثالثًا ان يتحامى الملاحظات العامة التي لا يحلى منها ناظرها بطائل . ولا يكفي لحسن النقد ان يلقي الكاتب اصوات التعجب والانذهال كقوله : ما احسن هذا البيت . ولله درّهُ في قوله : وهذا كلام بديع لم يسبق اليهِ وغير ذلك مما لا يُجنى منهُ كبير فائدة

س على اي وجه ياتي النقد البياني

ج يأتي على وجوه مختلفة فمن المنتقدين من يقتصر على تبيان رسم تآليف المحتكم عليهِ وتركيبهُ واجزاءهُ . ومنهم من

يتوسع بكشف بدائعهِ وهتك ستر معايبهِ . وتارةً يتأنقون في نقدهم فيخرجونهُ مخرج مقالة ادبية لينة الاعطاف بليغة الاطراف جديرة بان تُنظم في سلك الكتابات الادبية . وطوراً يعرضون ما حاولوا بنقدهِ على اشباههِ من التصانيف ويسبرونهُ بمعيار غيرهِ للاستطلاع على مصداق نظمهِ اومحض نثرهِ وتفاوُت طبقاتهِ على طريقة الموازنة والمقابلة

س ما اولى طريقة لحسن النقد

ج لمَّا كانت التصانيف الادبية متألفة من ثلاثة اشياء متباينة هي الايجاد والترتيب والبيان فيقتضي الناقد البصير ان يستقري هذه الوجوه الثلاثة في نقدهِ

١ً الايجاد يبحث عن حسن اختيار المادة وتدوين اقسامها وابتداع معانيها المصورة لها وموافقتها مع الموضوع

٢ً الترتيب وهو ان يتشبث بنظام التأليف الادبي فيبين تلاحم اجزائهِ وارتباط معانيهِ واتفاق الصور والعواطف بالمعاني مع نموها وازديادها في التحسين وافراغها في قالب واحد

٣ً البيان وهو أن يبحث المنتقد: اوَّلاً عن خواص الالفاظ لحسن سبكها وسلاستها أو بعكسهِ على نفورها وعدم قرارها في موضعها وهجنتها وما شاكل ذلك

ثانيًا عن خواص المعاني مفسرًا عن ابتكارها وعذوبتها وتفننها وانسجامها أو بالعكس عن ابتذالها وتراكبها وتداخلها ببعضها وقبح اختيارها الى غير ذلك

ثالثًا عن بسط المادَّة وتوسيعها بضروب البيان المعنوية واللفظية

رابعًا عن طبقة انشاء التأْليف أَمن الساذج هو أَو من الانيق أو من النمط العالي وعن سبب ذلك

خامسًا عن اشكال البديع اللفظي والمعنوي وباقي المحسنات المنمقة للتصانيف الادبية

وهاك بعض امثلة في هذا الفن اوردها صاحب المثل السائر وان لم تكن مستوفية

نقد بيت السموْأَل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيلُ (١)

ان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق من سماحة وشجاعة وعفَّة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه كلها من ضيم النفس لانها تجد بحملها ضيمًا اي مشقة وعناء . ومن المعلوم أن الايجاز بالقصر يكون فيما تضمَّن لفظهُ محتملات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل . ولا اعلم ان شاعرًا قديمًا ولا حديثًا اتى بمثلهِ وقد اخذهُ ابو تمام فاحسن اخذهُ وهو :

وظلمتَ نفسكَ طالبًا انصافها فعجبت من مظلومة لم تَظْلمِ

ففاز في بيتهِ هذا بالمقابلة بين الضدّين في الظلم والانصاف ثم قال : فعجبت

---

(١) راجع هذا البيت مع قصيدته في الجزء الخامس من المجاني صفحة ٢٠٩

من مظلومة لم تظلم وهذا احسن من الاوَّل ومعنى قولهِ (ظلمت نفسك طالبًا انصافها) اي انك اكرهتها على مشاق الامور واذا فعلت ذلك ظلمتها ثم انك مع ظلمك ايَّاها قد انصفتها لانك جلبت اليها اشياء حسنة تكسبها ذكرًا جميلًا ومجدًا مؤثـلًا فانت منصف لها في صورة ظالم . وكذلك قوله فعجبت من مظلومة لم تظلم اي انك ظلمتها وما ظلمتها لان ظلمك ايَّاها أدى الى ما هو جميل حسن

نقد مرثيتين لابي تمام والمتنبي

قال ابو تمام في مرثيةٍ بولدين صغيرين

مَجْدٌ تأوَّب طارقًا حتَّى اذا ... قُلْنا اَقام الدهرَ اَصبح راحلا
نَجْمان شاءَ الله اَن لا يطلعا ... الَّا ارتدادَ الطرف حتى يأفلا
إنَّ الفجيعة بالرياضِ نواضرًا ... لأجلّ منها بالرياضِ ذوابلا
لهفي على تلك الشواهد فيهما ... لو أُمهلت حتَّى تكون نائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما ... حلماً وتلك الاريحيَّة شمائلا
انَّ الهلال اذا رأيت نموَّهُ ... اَيقنت ان سيكون بدرًا كاملا
قُلْ للامير وان لقيت موقرًا ... منهُ بريب الحادثات حلاحلا
ان تُرْزَ في طرفي نهارٍ واحدٍ ... رزءَين هاجا لوعةً وبلابلا
فالثقل ليس مضاعفًا لمطيَّةٍ ... الَّا اذا ما كان وهمًا بازلا
لا غرو انْ فنَّان من عيدانة ... لقيا حمامًا للبرية آكلا
ان الاشاءَ اذا اصاب مشذِّبٌ ... منهُ اَتمهل ذرى وأثّ اسافلا
شمخت خلالك ان يواسيك امرؤٌ ... اَو أن تذكر ناسيًا اَو غافلا
إلَّا المواعظ قادها لك سمحة ... أسجاح لبك سامعًا أو قائلا
هل تكلف الايدي بهزّ مهندٍ ... إلا اذا كان الحُسام العاملا

وقال ابو الطيب في مرثية بطفل صغير :

فان تكُ في قبرٍ فانَّك في الحشا ... وان تك طفلًا فالأسى ليس بالطفلِ
ومثلك لا يُبكى على قدر سنّهِ ... ولكن على قدر الفراسة والأصلِ
اَلستَ من القوم الذي من رماحهم ... نداهم ومن قتلاهم مهجة البخلِ
بمولدهم صمت اللسان كغيره ... ولكنَّ في اعطافهِ منطِق الفصلِ

تُسليهم عليـاؤهم عن مُصابهم ويشغلهم كسب الثناء عن الشغلِ
عزاءَك سيف الدولة المقتدى بهِ فانك نصلٌ والشدائد للنصـلِ
تخون المنايـا عهدهُ في سليـلهِ وتنصرهُ بين الفوارس والرَجْلِ
بنفسي وليدٌ عاد من بعد حمـلهِ الى بطن امٍّ لا تطرّق بالحمـلِ
بدا ولهُ وعد السحـابة بالرَوى وصدَّ وفينا غُلَّة البلد المحلِ
وقد مدَّت الخيل العتاق عيونهـا الى وقت تبديل الركاب من النعلِ
وريع لهُ جيش العدوّ وما مشى وجاشت لهُ الحرب الضروس وماتغلي

فتأمل ايها الناظر الى ما صنع هذان الشاعر ان في هذا المقصد الواحد وكيف هام كل واحد منهما في وادٍ منهُ مع اتفاقهما في بعض معانيهِ. وسأُبيّن ما اتفقا فيهِ وما اختلفا واذكر الفاضل من المفضول فاقول: امَّا الذي اتفقا فيهِ فان ابا تمام قال:

لهفي على تلك الشواهد فيهما لو امهلت حتى تكون شمائلا

واماَّ ابو الطيب فانهُ قال:

بمولدهم صمت اللسان كغيرهِ ولكن في اعطافهِ منطق الفصل

فاتى بالمعنى الذي اتى بهِ ابو تمام وزاد عليهِ بالصناعة اللفظيَّة وهي المطابقة في قولهِ صمت اللسان ومنطق الفصل. وقال ابو تمام:

نجمان شاءَ الله ان لا يطلعـا الاّ ارتداد الطرف حتَّى يأفلا

وقال ابو الطيب:

بدا ولهُ وعد السحابة بالروى وصدّ وفينا غلة البلد المحل

فوافقهُ في المعنى وزاد عليهِ بقولهِ: وصدّ وفينا غلة البلد المحل

لانهُ بين قدر حاجتهم الى وجودهِ وانتفاعهم بحياتهِ. (وامَّا ما اختلفا فيهِ) فان ابا الطيب اشعر فيهِ من ابي تمام ايضاً. وذاك ان معناهُ امتن من معناهُ ومبناهُ احكم من مبناهُ. وربما اكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان وقدمه لا مع فضيلة القول وتقدمه. وابو تمام وان كان اشعر عندي من ابي الطيب فان ابا الطيب اشعر منـهُ في هذا الموضع وبيان ذلك انهُ قد تقدم القول على ما اتفقا فيهِ من المعنى. واما اختلفا فيهِ فان ابا الطيب قال:

عزاءَك سيف الدولة المقتدي بهِ فانك نصل والشدائد للنصل

وهذا البيت بمفردهِ خير من بيتي ابي تمام وهما (ان ترز في الخ)

فان قول ابي الطيب (والشدائد للنصل) اكرم لفظاً ومعنىً من قول ابي تمام ان

الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا . وقوله ايضًا :

تخون المنايا عهده في سليله وتنصره بين الفوارس والرجل

وهذا اشرف من بيتي ابي تمام اللذين هما (لا عرو ان الخ)

وكذلك قال ابو الطيب : (الست من القوم الخ)

وهذان البيتان خير من بيتي ابي تمام اللذين هما : (شحنت خلالك الخ)

نقد قصيدتين للمتنبي والبحتري في وصف الاسد

قال البحتري وقد الم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة في ابياته التي اولها افاطم لو شهدت (١) الخ فقال :

وما تقدم الحسَّاد الّا اصالة لديك وعزمًا اريحيًّا مهذبا
وقد جربوا بالامس منك عزيمة فضلت بها السيف الحسام المجرَّبا
غداة لقيت الليث والليث مخدرٌ يحدّد نابًا باللقاء ومخلبا
اذا شاء غادى عانة او عدا على عقائل سرب او تقنص ربربا
شهدت لقد أنصفته حين ينبري له مصلتًا عضبًا من البيض مقضبا
فلم ارَ ضرغامين اصدق منكما عراكًا اذا الهيَّابة النكس كذَّبا
هزبرًا مشى يبغي هزبرًا واغلبا من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
اذلّ بشغب ثم هالته صولةٌ رآك لها امضى جنانًا واشغبا
فاحجم لمَّا لم يجد فيك مطمعًا واَقدم لمَّا لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه اَن كرَّ نحوك مقبلًا ولم ينجه اَن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدَّت ولا حدُّه نبا

ومما جاء لابي الطيب المتنبي في قصيدته :

أَمُعفّر الليث الهزبر بسوطه لمن اذخرت الصارم المصقولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربًا ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الّا ظنّتا تحت الدجى نار الفريق حلولا

---

(١) راجع هذه القصيدة في الجزء السادس من المجاني صفحة ١٧١

في وحدة الرهبـان الّا انهُ ... لا يعرف التحريم والتحليـلا
يطأ الثرى مـترفقاً من تيهِهِ ... فكأنهُ آسٍ يجس عليـلا
ويرد غفرتـهُ الى يافوخـهِ ... حتى يصير لرأسهِ إكليلا
قصرت مخافتهُ الخطا فكأنما ... ركب الكمي جوادهُ مشكولا
القى فريستـهُ وزمجر دونهـا ... وقربت قربا خالهُ تطفيلا
فتشـابه الخلقان في إقدامـهِ ... وتخالفا في بذلك المأكولا
أسدٌ يرى عضويهِ فيك كليهما ... متناً أزلَ وساعـداً مفتولا
ما زال يجمع نفسهُ في زورهِ ... حتى حسبت العرض منهُ الطولا
وكأنما غرّتهُ عـين فادّنى ... لا يبصر الخطب الجليل جليلا
انف الكريم من الدنيـة تارك ... في عينهِ العدد الكثير قليلا
والعار مضـاض وليس بخائف ... من حتفهِ من خاف مما قيلا
خذلتـهُ قوتهُ وقد كافحتهُ ... فاستنصر التسليم والتجديلا
سمع ابن عمتـهِ به وبحاله ... فنجا يهرول أمس منك مهولا
وامرّ مما فرّ منـهُ فرارهُ ... وكقتله ان لا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجرأة خلّةً ... وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

(وسأحكم) بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتتقيه العصبية أذكرهُ وهو ان معاني ابي الطيب اكثر عدداً وامدُّ مقصداً. ألا يرى ان البحتري قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالاسد مرة وتفضيلهُ عليه اخرى ولم يأت بشيء سوى ذلك. واما ابو الطيب فانهُ اتى بذلك في بيت واحد وهو قوله:

امعفر الليث الهزبر بسوطه ... لمن ادخرت الصارم المصقولا

ثم انهُ تفنن في ذكر الاسد فوصف صورتهُ وهيئتهُ ووصف احوالهُ في انفرادهِ في جنسهِ وفي هيئة مشيهِ واختيالهِ ووصف خلق نجله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضلهُ بالسخاء. ثم انهُ عطف بعد ذلك على ذكرا لانفة والحميَّة التي بعثت الاسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح واخرج ذلك في احسن مخرج وابرزهُ في اشرف معنى. واذا تأمل العارف بهذه الصناعة ابيات الرجلين عرف ببديهة النظر ما اشرت اليه. والبحتريّ وان كان افضل من المتنبي في صوغ الالفاظ وطلاوة

السبك فالمتنبي افضل منهُ في الغوص على المعاني . ومما يدلك على ذلك انهُ لم يعرض لما ذكره في ابياته الرائيَّة لعلمه ان بشرًا قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئًا بقوله فيها . ولفطانة ابي الطيب لم يقع فيما وقع فيه البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنهُ تقصيرًا كثيرًا . ولمّا كان الامر كذلك عدل ابو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما اورد مبرزًا

القسم الثاني

في

العروض والقوافي (*)

الفصل الاول

في

النظم والعروض

س ما النظم

ج النظم لغة جمع اللؤلؤ في السلك وفي الاصطلاح هو تأليف الالفاظ وتركيب الجمل على وفق ترتيب يقتضيهِ العدد (١)

س بماذا يعرف ذلك الترتيب

ج من علم العروض

س ما علم العروض

ج هو صناعة يُعرَف بها صحيح اوزان الشعر العربي

(*) انا قد اكتفينا بهذا القسم من تأليفنا بذكر ما يختص بفنّ العروض واصولهِ وانواعه . امّا الشعر واساليبهُ ومعانيهُ ونقدهُ فسنفرد لهُ قسماً في اخر الجزء الثاني من كتابنا ان شاء الله

---

(١) الجرجاني والتهانوي وكليات ابي البقاء

وفاسدها(١) قال الخزرجي :

وللشعر ميزانٌ يسمى عروضَهُ بِهِ النَّقصُ وَالرُّجحان يدريهما الفتى

س ما موضوع علم العروض

ج موضوعهُ الشعر من حيث صحة وزنهِ وسُقمهِ (٢)

س من واضع العروض

ج واضعهُ على المشهور الخليل بن احمد الفراهيدي في القرن الثاني من الهجرة (٣)

س ما سبب تسمية هذه الصناعة بالعروض

ج انما سمي بالعروض لعراض الشعر عليهِ . وقيل بل لان الخليل وضعهُ في العروض وهي مكّة فدعاهُ بها

الباب الاول
في
اركان علم العروض

س ما هي اركان علم العروض

ج هي اجزاؤهُ او تفاعيلهُ والتفاعيل متحركات وسكنات متتابعة على وضع معروف

---

(١) كل العروضيين (٢) الابياري والكشّاف (٣) قيل ان الخليل اهتدى الى وضع هذا الفن بمعرفة علم الانغام والايقاع لتقاربهما . وقيل انهُ مرَّ يوماً بسوق الصفّارين فسمع دَقدقة مطارقهم على الطسوت فادّاهُ ذلك الى تقطيع ابيات الشعر وفتح عليهِ بعلم العروض . وكانت وفاة الخليل سنة ١٧٤ ه (٧٩١ م)

س مِمّ تتألّف التفاعيل

ج تتألّف من حروف التقطيع . ومن حروف التقطيع تتألف الاسباب والاوتاد والفواصل . ومن هذه الثلاثة تتركّب الاجزاء الصحيحة الثمانية ومن الاجزاء ينظم البيت (١)

س ما هي حروف التقطيع

ج هي عشرة يجمعها قولك : (لمعت سيوفنا)

س ما هو السبب والوتد والفاصلة

ج السبب عبارة عن حرفين . فان كانا متحرّكين فهو السبب الثقيل كقولك : (لكَ بكَ لهُ) . وان كان الاوّل متحركًا والثاني ساكنًا فهو السبب الخفيف كقولك : (فيْ . عنْ)

والوتد عبارة عن ثلاثة حرف . امّا متحركين فساكن وهو الوتد المجموع كقولك : (نعمْ غزا) . امّا متحركين يتوسطهما ساكن كقولك : (قال بعْدُ)

والفاصلة ثلاث أو اربع متحركات يليها ساكن . فان كان الساكن بعد ثلاث متحركات فهي الفاصلة الصغرى كقولك : (جَمَعَتْ . سَكَنُوا) . وان كان بعد اربع متحركات فهي الفاصلة

---

(١) قد اخذ اهل العروض اكثر هذه الاسماء عن الخيمة واقسامها . فان السبب هو الحبل بهِ تربط الخيمة والوتد هو الخشبة بها تُشد الاسباب . والفاصلة الحاجز في الخيمة . وكذلك المصراع هو غلق البيت

الكبرى كقولك : (قَتَلَهُمْ . كَيدُنا)

(فوائد) الاولى ان الاسباب والاوتاد والفواصل قد جُمعت في جملة لسهولة استظهارها وهي قولك : (لَمْ أَرَ عَلَى ظَهْرِ جَبَلٍ سَمَكَةً)

الثانية ان تقطيع الاجزاء في العروض يتبع اللفظ لا الكتابة. وعليه فلا تكون همزة الوصل حرفًا لسقوطها في اللفظ . وعليه ايضًا يُعدّ التنوين حرفًا ساكنًا (جَبَانْ) والشدّة والمدَّة حرفين الخ (أَامِنُ . فَرْرَ)

الثالثة ان الفاصلة الصغرى ليست الّا تركيب سببين ثقيل ثم خفيف (جَمَ عَتْ) . والفاصلة الكبرى هي عبارة عن سببٍ ثقيل مع وتدٍ مجموع (ضَرَبَنَا)

س ما هي التفاعيل التي تتولَّد من ائتلاف الاسباب مع الاوتاد والفواصل

ج ثمانية : فَعُولُنْ . مَفَاعِيلُنْ . مُفَاعَلَتُنْ . فَاعِلَاتُنْ . فَاعِلُنْ . مُتَفَاعِلُنْ . مُسْتَفْعِلُنْ . مَفْعُولَاتُ

(فائدتان) الاولى . اعلم ان هذه التفاعيل يطرأ عليها بعض تغييرات كحذف قسم منها او تسكين متحركٍ الى غير ذلك كما سترى

الثانية انَّ فَاعِلَاتُنْ وَمُسْتَفْعِلُنْ يجوز فيهما ان يردَّا الي اصلين فتقول في فاعلاتن . (فَاعِ لَا تُنْ . او . فَاعِلَا تُنْ) وفي مُسْتَفْعِلُنَ (مُسْ تَفْ عِلُنْ . او . مُسْ تَفْعِ لُنْ) بخلاف الاجزاء التي لا تقطع الّا على نوعٍ واحد فلا يقال مثلاً في : فاعلن (فَاعِ لُنْ)

وهذا الاختلاف لاظهار التغييرات التي تلحق (بفاعِلاتن وَمُس تَفْ عِلُنْ) ولا تلحق (بفاعِ لَا تُن وَمُسْ تَفْعِ لُن)

الباب الثاني
في
البيت واقسامهِ والبحر وتقطيعهِ

س ما هو البيت

ج البيت كلام تام يتألَّف من اجزاء وينتهي بقافية كقول الشاعر:

لا تنفع الصلوات من هو ساحب ذيل الضلالِ وعن هواه ازورْ

س ما هي اقسام البيت

ج للبيت قسمان يعرفان بالشطرَين او المصراعين يُدعى الاوَّل صدرًا والثاني عجزًا كقول الشاعر:

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها (صدر)

فانت بالنفس لا بالجسم إنسـان (عجز)

س ما العروض والضرب

ج العروض اخر جزء من الصدر. والضرب اخر جزء من العجز. كقول بعضهم:

مَنْ ذَا الذي تصفو لهُ اوقاتهُ طرًّا ويبلغ كُلَّ ما يختارهُ

فان العروض (اوقاتهُ) والضرب (يختارهُ)

س ما هو البيت التام. والمجزوء. والمشطور. والمنهوك

ج البيت التام ما استوفى اجزاءهُ. والمجزوءُ ما حذف جزء من احد شطريهِ في آخرهما. والمشطور ما حذف ثاني شطريـهِ

بتمامه. والمنهوك ما حذف ثُلثا شطريهِ

س ما هو البحر وكم هي البحور

ج هو الوزن الخاصّ الذي على مثاله يجري الناظم. والبحور ستة عشر وَضَع اصولَ خمسة عشر منها الخليل وزاد عليها الاخفش بحرًا آخر سماهُ المتدارك. ودونك اسماء البحور: الطويل. المديد. البسيط. الوافر. الكامل. الهزَج. الرجَز. الرمَل. السريع. المنسرح. الخفيف. المضارع. المقتضب. المجتثّ. المتقارب. المتدارك. وقد جمعها بعضهم ببيتين:

طويلٌ يَمُدُّ البَسْط بالوَفْر كاملٌ ويهزِج في رَجْزٍ ويرمــل مُسْرِعَا
فسرّح خفيفًا ضارِعًا تقتضِب لنا مَن اجْتثّ مِن قُرْب لتُدرِكَ طَمعا

س ما التقطيع

ج هو عرض البيت على الاصول ليتميز صحيحها من فاسدها كقول الشاعر (وفي البيت مستفعلن ست مرات):

ان شئت ان تبني بناءً شامخًا يـلزمْ لذا البنيان إسٌّ شامخ

تقطيعهُ:

إنْ شئْتَ أَنْ	تَبْني بنا	ءَنْ شامِخَنْ	يَلْزَمْ لِذَلْ	بُنْيان إِسْ	سُنْ شامِخُو
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

وكقول المتنبي (وفي البيت مُتَفَاعلن ست مرّات):

واذا حصلت من السلاح على البكا فحشاك رعت بهِ وخدّك تَقرَعُ

تقطيعهُ:

وَ اذَا حَصَا	تَ مِنَسْ سِلَا	حِ عَلَلْسُكَا	فَحَشَاكَ رُعْ	عَاتَ بِهِوَخَذْ	دُكَ تَفَرَّعُو
مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ

الباب الثالث

في

التغيير اللاحق بالتفاعيل

س كم هي انواع التغيير اللاحق بالاجزاء

ج هي على نوعين الزحاف والعلّة

البحث الاول

في الزحاف

س ما هو الزحاف

ج هو تغيير يلحق باسباب الاجزاء في حشو البيت غير لازمة لها على الغالب (اي انهُ يقع في سبب بيت ولا يقع في آخر)

س ما هي هذه التغييرات

ج هي ثمانية :

١ الخبن وهو حذف ثاني الجزء ساكناً كحذف السين من (مُستفعِلُنْ) فتصير مُتَفْعِلُنْ وتنقل الى (مَفاعِلُنْ)

٢ الوقص . هو حذف ثاني الجزء متحرّكاً كحذف التاء من (مُتَفاعِلُنْ) فتصير (مَفاعِلُنْ)

٣ الاضمار . هو تسكين ثاني الجزء متحرّكاً كتسكين التاء في (مُتَفاعِلُنْ) فتصير (مُتْفاعِلُنْ) وتنقل الى (مُستَفعِلُنْ)

٤ الطيّ . هو حذف رابع الجزء ساكناً كحذف الفاء من (مُسْتَفْعِلُنْ) فتصير (مُسْتَعِلُنْ) وتنقل الى (مُفْتَعِلُن)

٥ القبض . هو حذف خامس الجزء ساكناً كحذف الياء من (مَفاعِيلُنْ) فتبقى (مَفاعِلُنْ)

٦ العقل . هو حذف خامس الجزء متحرّكاً كحذف اللام من (مُفاعَلَتُنْ) فتصير (مفاعَتُنْ) وتنقل الى (مَفاعِلُنْ)

٧ العصب . هو تسكين خامس الجزء المتحرّك كتسكين اللام من (مُفاعَلَتُنْ) فتصير (مُفاعَلْتُن) وتنقل الى (مَفاعِيلُنْ)

٨ الكفّ . هو حذف الجزء السابع ساكناً كحذف النون من (مَفاعِيلُنْ) فتبقى (مفاعيلُ) وقد جمع الصوري هذا الزحاف (وهو يعرف بالمنفرد) في قوله:

زحافُ الشِعْرِ قَبْضٌ ثُمَّ كَفٌّ بهنَّ الاحرف الأُخرى تُغَصُّ
وَخَبْنٌ ثُمَّ طيٌّ ثُمَّ عَصْبٌ وَعَقْلٌ ثُمَّ إضمارٌ ووَقْصُ

ورُبّما اجتمع زحافان في الجزء الواحد

فيجتمع الخَبْن والطيّ فيسمى ذلك الخبل كحذف السين والفاء من (مُسْتَفْعِلُنْ) فتصير (مُتَعِلُنْ) وتنقل الى (فعِلَتُن)

٢ ويجتمع الاضمار والطيّ فيسمى ذلك الخزل كتسكين التاء وحذف الالف في (مُتَفاعِلُنْ) فيصير (مُتْفَعِلُنْ) وينقل الى (مُفْتَعِلُنْ)

٣ ويجتمع الخبن والكفّ ويُسمى الشكل كحذف الالف والنون من (فاعِلاتُنْ) فتنقل الى (فَعِلاتُ)

٤ ويجتمع العَصْب والكَفّ ويسمى ذلك النَّقْص كتسكين اللام

وحذف النون من (مُفاعَلَتُنْ) فتنقل الى (مُفاعَاتُ) أو (مَفاعِيلُ)

وقد جمع الخليل هذا الزحاف (وهو المعروف بالمزدوج) في بيتين بقوله :

اَلخَبْنُ وَاَلطَّيُّ هو اَلمخبولُ وَاَلضَّمر والطيُّ هو المخزولُ

والعَضبُ والكفُّ هو المنقوصُ وَاَلخَبْنُ والكفُّ هو المشكولُ

أَلبحث الثاني

في العلة

س ما هي العلّة

ج هي تغيير يشترك بين الاوتاد والاسباب لايقع الّا في الاعاريض والضروب لازمًا لها (اي انهُ اذا لحق بعروض او ضرب اول بيات قصيدة وجب استعمالهُ في كل بيات)

س على كم نوع العلة

ج على نوعين احدهما بالزيادة والآخر النقص فامَّا التي هي بالزيادة فثلاث :

١ً الترفيل . وهو زيادة سبب خفيف على وتد مجموع فيقال في مُسْتَفْعِلن مثلًا (مُسْتَفعِلاتُنْ)

٢ً التَّذْييل وهو زيادة حرف ساكن على الوتد المجموع فتقول مثلًا في مُسْتَفْعِلُنْ (مُسْتَفْعِلانْ)

٣ً التسبيغ وهو زيادة حرف ساكن على سبب خفيف فيقال في مُفاعَلَتُنْ مثلًا (مُفاعَلَتانْ)

امَّا التي تكون بالنقص فتسع :

١ً الحذف وهو اسقاط السبب الخفيف كاسقاط (لُنْ) من مَفاعيلُنْ فتصير (مَفاعِي) وتنقل الى (فعُولُنْ)

٢ً القطف وهو اسقاط السبب الخفيف مع اسكان ما قبلهُ كما لو اسكنت (اللام) في مُفاعَلَتُنْ بعد حذف (تُنْ) فتصير (مُفاعَلْ) وتنقَل الى (فَعُولُنْ)

٣ً القصر هو اسقاط ثاني السبب الخفيف مع اسكان اوَّلهِ فتقول في مَفَاعِيلُنْ (مَفَاعيلْ)

٤ً القطع هو حذف آخر الوتد المجموع مع اسكان ثانيهِ فتقول في مُسْتَفْعِلُنْ (مُسْتَفْعِلْ) فتنقل الى (مَفْعُولُنْ)

٥ً التشعيث هو حذف اوَّل أَو ثاني الوتد المجموع فتقول في مُسْتَفْعِلُنْ (مُسْتَفْلُنْ أَو مُسْتَفْعِنْ) وتنقلان الى (مَفْعُولُنْ)

٦ً الحذذ . هو حذف الوتد برمَّتهِ كقولك في مُسْتَفْعِلُنْ (مُسْتَفْ) وتنقل الى (فِعْلُنْ)

٧ً الصلم هو حذف الوتد المفروق من آخر الجزء فتقول في مفعولات (مَفْعُو) فتنقل الى (فِعْلُنْ)

٨ً الكشف هو حذف آخر الوتد المفروق فتقول في مَفْعُولَاتُ (مَفْعُولَا) فتنقل الى (مَفْعُولُنْ)

٩ً الوقف هو تسكين آخر الوتد المفروق فتقول في مَفْعُولَاتُ (مَعُولَاتْ)

وقد يجتمع الحذف والقطع معاً فيسمى ذلك البَتْر فتقول في فَاعِلَاتُنْ (فَاعِلْ) وتنقل الى (فِعْلُنْ)

س ما هي العلل التي تجري مجرى الزحاف

ج هي تغييرات تلحق بالاوتاد لكنها غير لازمة لها اي تقع

في جزء دون آخر بخلاف العلل السابقة . وهي :

١ً الخزْم وهو زيادة على الوزن في بعض البحور وهو غير مأنوس

٢ً الخرم وهو حذف اول الوتد المجموع من اوّل البيت كحذف (الفاء) من فعولن فتصير (عُولُنْ) وتنقل الى (فِعْلُنْ) واذا لم يلحق به غير تغيير يسمى الجزء اثلم

٣ً الثَّرْم هو الخَرْم والقَبْض اي حذف اوّل الوتد المجموع من اوّل البيت مع حذف خامسه الساكن.فتصير فَعُولُنْ (عُولُ) وتنقل الى (فِعْلُ)

٤ً الشَتْر هو مثل الثرم الّا انّهُ في مَفاعيلُنْ فتصير (فَاعِلُنْ)

٥ً الخَرَب هو الخرم والكفّ اي حذف اوّل الوتد المجموع من اوّل البيت وحذف سابعهِ الساكن فتصير مفاعيلن (فاعِيلُ) فتنقل الى (مَفْعولُ)

٦ً العضب هو كالخَرْم فيحذف اوّل الوتد المجموع في اوّل البيت الّا انهُ في مُفَاعَلَتُنْ فتصير (فَاعِلَتُنْ)

٧ً القَصَم هو الخرم والعصب اي حذف اوّل الوتد المجموع في اوّل جزء واسكان الخامس المتحرّك فتصير مُفاعَلَتُنْ (فاعَلْتُنْ) وتنقل الى (مَفْعُولُنْ)

٨ً الجَمَم هو الخرم والعقل اي حذف اوّل الوتد المجموع من اول الجزء وحذف خامسه متحرّكا فتصير مفاعَلَتُنْ (فَاعَتُنْ) وتنقل الى (فَاعِلُنْ)

٩ً العقص وهو الخرم والنقص اي حذف اوّل الوتد المجموع من اوّل الجزء واسكان الخامس وحذف السابع الساكن فتصير مُفاعَلَتُنْ (فَاعَلْتُ) فتنقل الى (مَفْعُولُ)

جدول التغييرات التي تلحق بالاجزاء

فعولن			مفاعيلن			مفاعلتن			فاعلاتن		
تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه	تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه	تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه	تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه
القبض	فعولُ	فعولُ (*)	القبض	مفاعِلن	مفاعلن	العصب	مُفاعلْتن	مفاعيلن	الخبن	فعلاتن	فعلاتن
القصر	فعولْ	فعولْ	الكف	مفاعيلُ	مفاعيلُ	العقل	مُفاعتن	مفاعلن	الكف	فاعلاتُ	فاعلاتُ
والخرم	عولن	فعلن	الحذف	مفاعي	فعولن	النقص	مُفاعلتُ	مفاعيلُ	الشكل	فعلاتُ	فعلات
الثرم	عولُ	فعلُ	الخرم	فاعيلن	مفعولن	القطف	مُفاعل	فعولن	التسبيغ	فاعلاتان	فاعلاتان
الحذف	فعو	فعل	الشتر	فاعلن	فاعلن	العضب	فاعلتن	فاعلتن	الحذف	فاعلن	فاعلن
البتر	فعْ	فل	الخرب	فاعيلُ	مفعولُ	القصم	فاعلْتن	مفعولن	القصر	فاعلات	فاعلان
			القصر	مفاعيل	مفاعيل	الجمم	ماعتن	فاعلن	التشعيث	فعلاتن	مفعولن
						العقص	فاعلتُ	مفعولُ	البتر	فعْلا	فعلن

فاعِ لاتن

الكف فاعِ لا تُ

(*) ربما بقيت التفاعيل على اوزان مأنوسة مستعملة بعد التغييرات فلا تنقل الى غيرها فذكرناها مرتين

تابع جدول التغييرات التى تلحق بالاجزاء

فَاعِلُنْ			مُسْتَفْعِلُنْ			مُتَفاعِلُنْ			مَفْعُولَاتُ		
تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه	تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه	تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه	تغييراته	ما يصير اليه	ما ينقل اليه
اَلْخَبْنُ	فَعِلُنْ	فَعِلُنْ	اَلْخَبْنُ	مُتَفْعِلُنْ	مُفَاعِلُنْ	اَلْوَقْصُ	مُفَاعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ	اَلْخَبْنُ	مَعُولَاتُ	فَعُولَاتُ
اَلْقَطْعُ	فَاعِلْ	فَعْلُنْ	اَلطَّيُّ	مُسْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	الاضمار	مُتْفَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	اَلطَّيُّ	مَفْعُلَاتُ	فَاعِلَاتُ
اَلتَّذْيِيلُ	فَاعِلَانْ	فَاعِلَانْ	اَلْخَبْلُ	مُتَعِلُنْ	فَعِلَتُنْ	اَلْخَزْلُ	مُتْفَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	اَلصَّلْمُ	مَفْعُو	فَعْلُنْ
اَلتَّرْفِيلُ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	اَلتَّذْيِيلُ	مُسْتَفْعِلَانْ	مُسْتَفْعِلَانْ	اَلتَّرْفِيلُ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلَاتُنْ	اَلْكَشْفُ	مَفْعُولَا	مَفْعُولُنْ
اَلتَّشْعِيثُ	فَعْلُنْ	فَعْلُنْ	اَلْقَطْعُ	مُسْتَفْعِلْ	مَفْعُولُنْ	اَلتَّذْيِيلُ	مُتَفَاعِلَانْ	مُتَفَاعِلَانْ	اَلْخَبْلُ	مَعُلَاتُ	فَعِلَاتُ
				مستفع لُنْ		اَلْحَذَذُ	مُتَفَا	فَعِلُنْ	اَلْوَقْفُ	مَفْعُولَاتْ	مَفْعُولَاتْ
			اَلْخَبْنُ	مُتَفْعِ لُنْ	مُتَفْعِ لُنْ	اَلْقَطْعُ	مُتَفَاعِلْ	فَعِلَاتُنْ			
			اَلْكَفُّ	مُسْتَفْعِ لُ	مُسْتَفْعِ لُ						
			اَلشَّكْلُ	مُتَفْعِ لُ	مَفَاعِلُ						
			اَلْقَصْرُ	مُسْتَفْعِ لْ	مَفْعُولُنْ						

الباب الرابع

في

الجوازات الشَّعريَّة

يجوز : ١ً صرف ما لا ينصرف كقول الشاعر وقد صرف (اندلس):

في ارض اندلس تلتذّ نعماء ولا يفارق فيها القلب سرَّاء

٢ً قصر الممدود كقول الحلي وقد قصر (الوفاء):

لا يَحْسُن الحِلْمُ الّا في مواطنهِ ولا يليق الوفا الّا لِمَنْ شكرا

٣ً ابدال همزة القطع وصلًا كقول المتنبي وقد غيَّر همزة (أَنَّ) وصلا :

يرمي بها الجيش لا بُدَّ لهُ ولها من شقهِ ولوانَّ الجيش اجبالُ

٤ً وبالعكس قطع همزة الوصل كقول ابي العتاهية وقد قطع همزة (اَبنِ . الامر من بنى) وهي همزة وصل:

ايها الباني لهدم الليالي إبن ما شِئتَ ستلقى خرابا

٥ً تخفيف المشدَّد وهذا كثر وقوعهُ في القوافي المقيدة المختومة بحرف صحيح ساكن ولا يسوغ في غيرهِ كقول محمَّد بن البشير وخفف شدَّة (تجفّ):

ليَ بستانٌ انيقٌ زاهر غَدِقٌ تربتهُ ليست تجفْ

٦ً وتثقيل المخفف كقول الشاعر وقد شدَّد الميم في (دَمّ):

أَهانَ دَمَّكَ فرغًا بعد عزَّتهِ يا عمرو بغيُك اصرارًا على الحسَدِ

٧ً تسكين المتحرّك وتحريك الساكن كقول المعري وقد اسكن

الجيم من العين (رَجُل) :

وقد يقال عِثار الرِّجْل ان عثرت ولا يقال عثار الرَّجُل ان عـثرا

وهذا كثير في الضمير (هو) كقول الشاعر :

فالدُرُّ وهو اجلُّ شيءٍ يُقتَنَى ما حطَّ قيمتهُ هوانُ الغائصِ

وكقولهِ وقد حرَّك الهاء الساكنة في (الزَهر) :

تبقى صنـائعهم في الارض بعـدهمْ والغيث ان سار ابقى بعدهُ الزَهَرا

وكقول ابن الجوزي وحرَّك لام (حُلْم) :

تبًّا لطالب دنيا لا بقاء لها كأنما هي في تصريفها حُلُمُ

٨ً تنوين العلم المنادى كقول الشاعر وقد نوَّن (مطر) :

سـلام الله يا مطرٌ عليـهِ وليس عليك يا مطرُ السلام

٩ً وقد اشبعوا الحركة حتى يتولَّد منهـا حرف مدّ كقول

امرىء القيس وقد اشبع الكسرة بزيادة ياء في (انجلي) :

ألَا ايُّها الليلُ الطويل ألا انجلي بصبحٍ وما الاصباح منك بامْثلِ

وكقول الخوارزمي وقد أشبع فتحة (أقام) بالالف :

فما انت الَّا البدرُ ان قلَّ ضوْؤهُ اغبَّ وان زاد الضيـاء اقاما

والاشباع كثير في الضمائر كقول الشاعر وقد أَشبع الكاف في (أخاك)

فصيرها (أخاكا) وفي (لهُ) فصيرها (لهو) :

اخاك اخاك إنَّ منْ لا اخا لهُ كساع الى الهيجا بغير سلاحِ

١٠ً ويجوز تحريك ميم الجمع كقول أبي اذنية وقد حرَّك الميم في

(هُمْ) (ومجدهُمْ) :

هُمُ اهـلَةُ غسَّانٍ ومجـدُهُمُ عالٍ فان حاوَلوا ملكاً فلا عجبا

١١ً كسر اخر الكلمة ان كان سـاكنًا كقول عنترة وقد

كسر ميم (أقدم):

ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها قيلُ الفوارس ِويك عنتر اَقْدِمِ

(فائدة) هذا ماجاز للشعراء مطلقاً وأمّا ما ورد في بعض قصائد العرب من منع صرف المنصرف ومدّ المقصور وتذكير المؤنث وتأنيث المذكّر وفكّ الادغام وغير ذلك من المسوّغات الغريبة فهي وردت على سبيل الشواذّ ولا يحقّ للشاعر أن يلتجئَ اليها

الباب الخامس

في

صورة الابحر

س كيف تقسم الابحر الستة عشر

ج الابحر على ثلاثة اقسام ثلاثة منها (الطويل والمديد والبسيط) تعرف بالممتزجة لاختلاط جزء خماسي (كفعولن وفاعلن) مع جزء سباعي (كمستفعلن او متفاعلن) . واحد عشر تسمى سباعية هي: الوافر والكامل والهزج والرجز والرَمَل والسريع والمنسرِح والخفيف والمضارِع والمقتضَب والمجتثّ. وسبب تسميتها بالسباعية لانها مركبة من اجزاء سباعية في اصل وضعها . وبحران يعرفان بالخماسيين هما المتقارب والمتدارك

البحث الاول
في
الابحر الثلاثة الممتزجة

١ً بحر الطويل

س ماهو وزنهُ

ج وزنهُ (فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ) اربع مرات :

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ
فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

(فائدة)ان التنوين لا يقع مطلقاً في اخر البيت واغا تحسب فيها الحركة مُشبعة فتقوم الضمَّة مقام الواو والفتحة مقام الالف والكسرة مقام الياء

س ماهي اعاريضهُ واضربهُ

ج للطويل عروض واحدة مقبوضة (مَفَاعِلُنْ) . لها ثلاثة اضرب : ١ً تامّ (مَفَاعِيلُنْ) . ٢ً مقبوض (مَفَاعِلُنْ) . ٣ً محذوف (مَفَاعِي) فينقل الى (فَعُولُنْ)

(فائدتان) الاولى . قد سبق ان ما يطرأ على العروض من التغييرات يلزم في كل القصيدة . ولكن يجوز في مطلع القصيدة اي اوَّل بيتها ان تبقى عروضهُ تامَّة (مَفَاعِيلُنْ) اذا ما كان الضربُ تاماً . ويسمى ذلك التصريع كقول ابي العتاهية :

نَصَبتِ لنا دون التفكر يا دنيا   امانيَّ يَفنَى العُمرُ من قَبلِ أَنْ تَفنَى

الثانية . اعلم ان الضروب واقعة تحت حكم العروض . فان اخذ الشاعر عروضاً فهو مخيَّر بين ضروبها بشرط ان يلزم الضرب المختار

س ما هي جوازات هذا البحر

ج يجوز في فَعُولُنْ القبض (فَعُولُ) . ما لم تدخل قبل الضرب الثالث المحذوف فانها تلزم القصيدة كلها وذلك مُستحسن . وقد ورد في مفاعيلن (مَفَاعِلُنْ) في بعض القصائد وهو غير مأنوس

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ العروض المقبوضة (مَفَاعِلُنْ) مع الضرب الاول (مَفَاعِيلُنْ)

غِنَى النفس ما يكفيك من سدّ خلّةٍ فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

تقطيعهُ :

غِنَنْنَفْ	سِمَا يَكْفِي	كَمِنْ سَدْ	دِ خَلْلَتِنْ
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ

فَاِنْ زَا	دَ شَيْئَنْ عَا	دَ ذَا كَلْ	غِنَى فَقْرَا
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ

٢ العروض المقبوضة (مَفَاعِلُنْ) مع الضرب الثاني (مَفَاعِلُنْ)

ستبدي لك الايام ما كُنْتَ جاهلًا ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزوّدِ

تقطيعهُ :

سَتُبْدِي	لَكَلْ أَيْيَا	مُمَا كُنْ	تَجَاهِلَنْ
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ

وَيَأْتِي	كَبِلْ اَخْبا	رِ مَنْ لَمْ	تُزَوِّدِي
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ

٣ً العروض المقبوضة (مَفاعِلُنْ) مع الضرب الثالث (فَعُولُنْ)

ولا خير في من لا يُوطِّن نفسهُ على نائبات الدهر حين تنوبُ

تقطيعهُ :

وَلَاخَيْ	رَفِي مَنْ لَا	يُوَطْطِ	نَنَفْسَهُو
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُ	مَفَاعِلُنْ

عَلَى نَا	ئِبَا تِدْدَهْ	رِ حِينَ	تَنُو بُو
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ

٢ً بحر المديد

س ما هو وزنهُ

ج وزنهُ (فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ) اربع مرَّات لكنهُ لا يستعمل الَّا مجزوءًا فيصير:

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

س ما هي عروضهُ وما اضربه

ج للمديد ثلاث اعاريض واربعة اضرب: ١ً العروض الاولى تامة مجزوءَة صحيحة (فَاعِلَاتُنْ). لها ضرب مثلها (فَاعِلَاتُنْ). ٢ً العروض الثانية مجزوءَة محذوفة (فَاعِلُنْ عوض فَاعِلَا). لها ضربان: مقصور (فَاعِلَانْ). ومحذوف مثلها (فَاعِلُنْ). ٣ً والعروض الثالثة مجزوءَة محذوفة مخبونة (فَعِلُنْ). ولها ضَرْبٌ مثلها (فَعِلُنْ)

س ماهي جوازات هذا البحر

ج يجوز في فَاعِلَاتُنْ الخَبْنُ (فَعِلَاتُنْ) حتى في العروض الاولى وضربها . والكفّ (فَعِلَاتُ) بشرط ان لا يلتقيا معًا في الجزء الواحد ويسمى ذلك عند العروضيين المعاقبة . ويجوز في فَاعِلُنْ الخَبْنُ (فَعِلُنْ)

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ً العروض الاولى (فَاعِلَاتُنْ) وضربها (فَاعِلَاتُنْ)

انما الدنيا بلاءٌ وكدٌّ واكتئابٌ قد يسوق اكتئابا

تقطيعهُ :

اِنْنَمَدْدُنْ	يَا بَلَا	ؤُنْ وَكَدْدُنْ	وَكْتِئَابُنْ	قَدْ يَسُو	قُكْتِئَابَا
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٢ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) وضربها الاول (فَاعِلَانْ)

لا يغرّنّ امرءًا عيشُهُ كلُّ عيشٍ صائرٌ للزّوالْ

تقطيعهُ :

لَا يَغُرْرَنْ	نَمْرَءَنْ	عَيْشُهُو	كُلْلُعَيْشِنْ	صَائِرُنْ	لِزْزَوَالْ
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَانْ

٣ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) وضربها الثاني (فَاعِلُنْ)

إعلموا اني لكم حافظٌ شاهدًا ما كنتُ او غائبَا

تقطيعهُ :

اِعْلَمُو اَنْ	نِي لَكُمْ	حَافِظُنْ	شَاهِدَنْ مَا	كُنْتُ اَوْ	غَائِبَا
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٤ العروض الثالثة (فَعِلُنْ) وَضَربُها (فعلُنْ)

للفتى عقــلٌ يعيش بهِ حيث تهدي ساقهُ قدمُهْ

تقطيعهُ :

لِلْفَتَى عَقْ	لُنْ يَعِي	شُبِهِي	حَيْثُ تَهْدِي	سَاقُهُو	قَدَمُهْ
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَعِلُنْ

(فائدة) حكي للعروض الثانية والثالثة ضَربٌ آخر ابتر (فِعْلُنْ) . وهو نادر في كلتيهما

٣ بحر البسيط

س ماهي اجزاء البسيط

ج هي (مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ) اربع مرَّات :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

مُسْتَفْعِلُنْ فَــاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

س ماهي اعاريضهُ واضربهُ

ج لهُ ثلاث اعاريض وستة اضرب : ١ العروض الاولى تامة مخبونة (فَعِلُنْ). ولها ضربان : مخبون مثلها (فَعِلُنْ). ومقطوع (فعْلُنْ) بشرط ان يدخله الردف اي حرف لين قبل رويّه . ٢ العروض الثانيــة مجزوءَة صحيحة (مُسْتَفْعِلُنْ) ولها ثلثة اضرب : مذيَّل (مُسْتَفْعِلَانْ) . وصحيح مثــل العروض (مُسْتَفْعِلُنْ). ومقطوع (مَفْعُولُنْ) . ٣ العروض الثالثة مجزوءَة مقطوعة (مَفْعُولُنْ)

س ماهي جوازات وزحافات بحر البسيط

ج يجوز في (مُسْتَفْعِلُنْ) الخبنُ (مَفَاعِلُنْ) . وذلك حتى في الضرب المذيـل . والطي (مُفْتَعِلُنْ) لكنهُ مقبول في الشطر الاوَّل فقط . ويجوز في (فَاعِلُنْ) الخبن (فَعِلُنْ)

س اذكر تقطيع البسيط

١ً العروض الاولى (فَعِلُنْ) والضرب الاول (فَعِلُنْ)

لا تحقرنَّ صغيرًا في مخاصمةٍ ان البعوضة تدمي مُقلَةَ الاَسدِ

تقطيعهُ :

لَا تَحْقِرَنْ	نَصَغِي	رَنْ فِي مُخَا	صَمَتِنْ
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ
اِنْنَلْبَعُو	ضَتَدْ	مِي مُقْلَتَلْ	اَسَدِي
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

٢ً العروض الاولى (فَعِلُنْ) والضرب الثاني (فِعْلُنْ)

الخير ابقى وان طال الزمان بهِ والشرُّ اخبث ما اوعيتَ من زادِ

تقطيعهُ :

اَلْخَيْرُ اَبْ	قَى وَاِنْ	طَالَزْزَمَا	نُبِهِي
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ
وَشْشَرْرُاَخْ	بَثُمَا	اَوْعَيْتَ مِنْ	زَادِي
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعْلُنْ

(فائدة) انا نكتفي بتقطيع ما تقدَّم ولا حاجة لذكر العروضَين الأُخرَيين لقلَّة استعمالهما

البحث الثاني
في
الابحر السباعيّة

١ً بحر الوافر

س ما هو وزن البحر الوافر

ج وزنهُ (مُفاعلَتُنْ) ست مرات لكنهُ لايستعمل تامًّا بل مقطوفًا فيصير:

مُفاعلَتُنْ مُفاعلَتُنْ فَعُولُنْ مُفاعلَتُنْ مُفاعلَتُنْ فعُولُنْ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للوافر عروضان وثلاثة اضرب : العروض الاولى مقطوفة (مُفاعَلْ او فَعُولُنْ كما مرّ) وضربها مثلها . الثانية مجزوءة صحيحة (مُفاعَلتُنْ) . لها ضربان : ضربٌ مثلها مجزوء (مُفاعَلَتُنْ) . وضرب معصوب (مفاعِيلُنْ)

س ما هي زحافات هذا البحر وجوازاتهُ

ج يجوز على الكثير عصب (مُفاعَلَتُنْ) فتصير (مفاعِيلُنْ) . وعضبها قليلاً فتصير (مُفْتَعِلُنْ) . والعصب يدخل (مُفاعَلَتُنْ) حتى في العروض المجزوءة بشرط ان يدخل في البيت مرّة (مُفاعَلَتُنْ) لئلّا يلتبس مع الهزج

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ً العروض الاولى (فَعُولُنْ) مع ضربها (فَعُولُنْ)

جِرَاحات السِّنان لها ٱلتئامٌ ولا يلتامُ ما جَرح اللسانُ

تقطيعهُ :

جِرَاحَاتُسْ	سِنَا نِلَهَلْ	تِئَامُنْ	وَلَا يَلْتَا	مُمَا جَرَحَلْ	لِسَانُو
مَفَاعِيلُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ

٢ً العروض الثانية المجزوءة (مُفَاعَلَتُنْ) والضرب الاوَّل (مُفَاعَلَتُنْ)

هي الدُّنيا اذا كَمُلَتْ وتمَّ سرورها خذلتْ

تقطيعهُ :

هِيَدْدُنْيَا	اِذَا كَمُلَتْ	وَتَمْ مَسُرُو	رُهَا خَذَلَتْ
مَفَاعِيلُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ

٣ً العروض الثانية المجزوءة (مُفَاعَلَتُنْ) والضرب الثاني (مَفَاعِيلُنْ)

أُعَاتِبُهُ وآمرُهُ فَيُغْضِبُنِي وَيَعْصِينِي

تقطيعهُ :

أُعَاتِبُهُو	وَآمُرُهُو	فَيُغْضِبُنِي	وَيَعْصِينِي
مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مَفَاعِيلُنْ

٢ً بحر الكامل

س ما اجزاء بحر الكامل

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

ج اجزاؤهُ (مُتَفَاعِلُنْ) ست مرَّات :

س كم هي اعاريضهُ واضربهُ

ج اعاريض الكامل ثلاث واضربهُ سبعة : ١ً . العروض

الاولى صحيحة (مُتَفَاعِلُنْ) لها ثلاثة اضرب: الاول صحيح (مُتَفَاعِلُنْ). الثاني مقطوع (مُتَفَاعِلْ). الثالث مضمر (فِعْلُنْ عوض مُتْفَا).
٢ العروض الثانية حذَّاء (فَعِلُنْ عوض مُتَفَا). ولها ضربان: احذّ مثلها (فَعِلُنْ) واحذّ مضمر (فِعْلُنْ). ٣ العروض الثالثة مجزوءة صحيحة (مُتَفَاعِلُنْ). ولها ضربان مرفّل: (مُتَفَاعِلَاتُنْ). ومُذَيَّل (مُتَفَاعِلَانْ)

س ماذا يدخل مُتَفَاعِلُن من الزحاف

ج كثيرًا ما يدخلها الاضمار (مُسْتَفْعِلُنْ عوض مُتَفَاعِلُنْ). ويجوز فيها قليلًا الوقص (مَفَاعِلُنْ) والخزل (مُفْتَعِلُنْ عوض مُتْفَعِلُنْ). امَّا الاضمار فيدخل حتى على الاعاريض والاضرب ومع الترفيل والتذييل

س قطع شواهد هذا البحر

١ العَروض الاولى (مُتَفَاعِلُنْ) وضربها الاوَّل (مُتَفَاعِلُنْ)

انّي لَأَجْبُنُ مِنْ فِراق احبَّتي وتُحِسُّ نفسي بالحِمام فاشجعُ

تقطيعهُ:

اِنْني لَأَجْ	بُنُ مِنْ فِرا	قِ احِبْبَتِي	وتُحِسْسُ نَفْ	سِي بِلْحِما	مِفَاأَشْجَعُو
مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ

٢ العروض الاولى (مُتَفاعِلُنْ) والضرب الثاني (مُتَفاعِلْ)

أمعَ المماتِ يَطيبُ عَيشُكَ يا اخي   هَيهاتَ ليس مع المماتِ يَطيبُ

تقطيعه :

أمعلمما	تيطيبعي	شكيا اخي	هيهاتلي	سمعلمما	نيطيبو	
مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُ	

٣ العروض الاولى (مُتَفاعِلُنْ) مع الضرب الثالث (فِعْلُنْ)

لِمَن الدّيار برأمَتَيْنِ فعاقلِ   درست وغيّر رسمها القَطْرُ

تقطيعه :

لَمَنِدْدِيا	رُبْرأْمَتَيْ	نِفعاقلن	دَرَسَتْ وَغَيْ	يِرَرَسْمهل	قطْرُو
مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	فِعْلُنْ

٤ العروض الثانية (فَعِلُنْ) والضرب الاوّل (فَعِلُنْ)

وحلاوة الدُّنيا لجاهلها   وَمرارة الدنيا لِمَن عقلا

تقطيعه :

وَحلاوَتُدْ	دُنْيا لِجا	هِلِهَا	وَمرارَتُدْ	دُنْيا لِمَنْ	عَقَلا
مُتَفاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

٥ العروض الثانية (فَعِلُنْ) والضرب الثاني (فِعْلُنْ)

فَكَّرتُ في الدنيا وجدّتها   فاذا جميع جديدها يَبلى

فَكْكَرْتُفِدْ	دُنْيا وَجِدْ	دَتَهَا	فإذا جمي	عُجَديدها	يَبْلَى
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	مُتَفاعِلُنْ	فِعْلُنْ

٦ العروض الثالثة (مُتَفاعِلُنْ) والضرب الاوّل (مُتَفاعِلاتُنْ)

وَاذا اسأتَ كَما أَساْ   تُ فأين فضلك والمروءَةْ

تقطيعه :

وَإِذَا ا مَا أَ	تَكَمَا اسَأْ	تُفَاي نَفَضْ	لَكَوَ لْمُرُؤَهْ
مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُتَفَاعِلَاتُنْ

٧ العروض الثالثة (مُتَفَاعِلُنْ) والضرب الثاني (مُتَفَاعِلَانْ)

أَلظلم يَصْرَع أهلهُ والبغي مَصرعهُ وخيم

تقطيعهُ :

اَظْظُلْمُيَصْ	رَعُ اَهْلَهُو	وَلْبَغْيُ مَصْ	رَعُهُو وَخِيمْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُتَفَاعِلَانْ

(فائدة) وكثيرًا ما يأْتي ضرب المجزوء صحيحًا مثل العروض كقول الشَّاعر :

اصبر على كيدِ الحسو دِ فانَّ صبرك قاتلهْ

٣ بحر الهزج

س ما وزن بحر الهزج

ج وزنهُ (مَفَاعِيلُنْ) ست مرَّات لكنهُ لا يستعمل الَّا مجزوءًا فيصير :

مَفاعِيلُنْ مَفاعِيلُنْ مَفاعِيلُنْ مَفاعِيلُنْ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للهزج عروض واحدة (مَفاعِيلُنْ) وضربٌ واحد مثلها

س ماذا يجوز من الزحاف في مَفاعِيلُنْ

ج يدخلها الكفّ (مَفَاعِيلُ) وهو حسن يدخل حتى في العروض . والقبض (مُتَفَاعِلُنْ) وهو مقبول بشرط ان لا يتفق

الزحافان في الجزء الواحد فلا يجوز ان يأتي (مَفَاعِلُ)

س قطع هذا البحر

العروض (مَفَاعِيلُنْ) وضربها (مَفَاعِيلُنْ)

هَزَجْنا في اغانيكم وشاقتنا معانيكم

تقطيعهُ :

هَزَجْنا في	اَغَانيكُمْ	وَشَاقَتْنا	مَعانيكُمْ		
مَفاعِيلُنْ	مَفَاعِيلُنْ	مَفاعِيلُنْ	مَفاعِيلُنْ		

٤ بحر الرجز

س ماهي اجزاء بحر الرجز

ج اجزاؤهُ (مُسْتَفْعِلُنْ) ست مرَّات

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج للرجز عروضان مشهورتان وثلاثة اضرب : ١ العروض الاولى صحيحة (مُسْتَفْعِلُنْ) : لها ضربان: صحيح مثلها (مُسْتَفْعِلُنْ). ومقطوع (مَفْعُولُنْ عوض مُسْتَفْعِلْ) . ٢ العروض الثانية مجزوءة صحيحة (مُسْتَفْعِلُنْ) . لها ضرب مثلها . وحكي لهُ عروضان أُخريان : مشطورة كقول الحريري في اخر مدحه للدينار :

لولا التُّقى لقلت جلَّت قدرتهُ

وعروض منهوكة وكلاهما تقع في آخر القصائد

س ماهي جوازات مُسْتَفْعِلُنْ

ج جوازات بحر الرجز كثيرة وهو اقرب الابحر من النثر فسموهُ لذلك حمار الشعراء . فاجازوا في (مُسْتَفْعِلُنْ) اولاً الخبن (مَفَاعِلُنْ) في حشوه وعروضهِ الثانية والضربَين الاخرين . ثانياً الطي (مُفْتَعِلُنْ) في كل اجزائهِ . ثالثاً الخبل (فَعِلَتُنْ) لكنهُ غير مستحسن

س ماذا يختص بقافية بحر الرجز

ج ان الشعراء اجازوا تغيير قافية كل بيت من ابيات الرجز لكنهُ يعوَّض عن ذلك بالتصريع اي المطابقة بين الشطرين فتكون العروض والضرب تارة صحيحين (مُسْتَفْعِلُنْ) وتارة مخبونَين (مَفَاعِلُنْ) وحينًا مطويَّين (مُفْتَعِلُنْ) وحينًا مخبولين (فَعِلَتُنْ) . وطوراً مقطوعين (مَفْعُولُنْ) بجواز خبن مفعولن فتصير (فَعُولُنْ). وربما جمع الشطران بين الصحيح والخبن او الطي كما ويجمعون بين المقطوع وخبنهِ (مَفْعُولُنْ وفَعُولُنْ)

س اورد تقطيع هذا البحر

١ العروض الاولى (مُسْتَفْعِلُنْ) والضرب الاوّل (مُسْتَفْعِلُنْ)

أَكْرِمْ بِهِ أَصْفَرَ راقت صُفْرَتُهْ   جَوَّابِ آفاقٍ تَرامَتْ سَفْرَتُهْ

تقطيعهُ :

أكْرِمْ بِهِي	اَصْفَرَرَا	قَتْ صُفْرَتُهْ	جَوْوَابُ أَاْ	فَاقِنْ تَرَا	مَتْ سَفْرَتُهْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

۲ العروض الاولى (مُسْتَفْعِلُنْ) والضرب الثاني (مَفْعُولُنْ)

لَاخَيْرَ فِي مَنْ كَفَّ عَنَّا شَرَّهُ   ان كان لَا يُرْجَى لِيَوْمِ الحاجة

تقطيعهُ :

لَا خَيْرَ فِي	مَنْ كَفَفَ عَنْ	نَاشَرْرَهُو
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

اِنْ كَانَ لَا	يُرْجَى لِيَوْ	مِلْحَاجَهْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُولُنْ

۳ العروض الثانية المجزوءة (مُسْتَفْعِلُنْ) وضربها المجزوء مثالها

حسبي بعلمي ان نفع   ما الذلُّ الَّا في الطمع

تقطيعهُ :

حَسْبِي بِعِلْ	مِي اِنْ نَفَعْ	مَذْ ذِلْ لُاِلْ	لَا فِطْطَمَعْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ

س اذكر بعض ابيات مزدوجة وقطعها :

انَّ الفراغ والشَّبابَ والجِدَهْ   مُفْسِدَةٌ للمرءِ اي مُفْسِدهْ
حَسْبُكَ مَّا تبتغيهِ القوتُ   مَا اكثرَ القُوتَ لِمَنْ يموتُ
والفَقْرُ في ما جاوز الكفافا   مَنِ اتّقى الله رجا وَخافا
لكل ما يؤذي وان قلَّ ألَمْ   ما اطول اللَّيْل على مَنْ لم ينمْ

تقطيعهُ :

۱ اِنَلْ فَرَا	غَوَلْ شَبَا	بَوَلْ جِدَهْ	مُفسِدَتُنْ	لِلْمَرْءِ اَيْ	يُمُفْسِدَهْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاعِلُنْ

٢	حَسْبُكُمْ	مَا تَبْتَغي	هِلْقُو تو	مَا اَكْثَرَلْ	قُو تَلْمَنْ	يُؤْ تُو
	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفعِلَنْ	مَفعُولُنْ	مُسْتَفعِلَنْ	مُفْتَعِلَنْ	فَعُولُنْ
٣	وَلْفَقْرُ في	مَاجَاوَزَلْ	كَفَافَا	مَنْتَقِلْ	لَا هَرَجَا	وَخَافَا
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفعِلَنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُولُنْ
٤	لِكُلْ لِمَا	يُؤذِي وَانْ	قَلْ لَأْلَمْ	مَا اَطْوَلَلْ	لَيَاْعَلَى	مَنْ لَمْ يَنَمْ
	مَفَاعِلَنْ	مُسْتَفعِلَنْ	مُفْتَعِلَنْ	مُسْتَفعِلَنْ	مُفْتَعِلَنْ	مُسْتَفعِلَنْ

٥ً بحر الرمل

س ما وزن بحر الرمل

ج وزنهُ (فَاعِلَاتُنْ) ست مرَّات لكنهُ لا يستعمل تامًا فيصير:

فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلَاتُنْ فَاعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ واضربهُ

ج لهُ عروضان وستة اضرب: ١ً العروض الاولى محذوفة (فَاعِلُنْ) . لها ثلثة اضرب: صحيح (فَاعِلَاتُنْ) . ومقصور (فَاعِلَانْ) ومحذوف (فَاعِلُنْ) . ٢ً والعروض الثانية مجزوءة صحيحة (فَاعِلَاتُنْ) . لها ثلاثة اضرب ايضًا : مسبغ (فَاعِلَاتَانْ) . وصحيح (فَاعِلَاتُنْ) . ومحذوف (فَاعِلُنْ)

س ماذا يجوز في فَاعِلَاتُنْ من الزحاف

ج يجوز فيها الخبن (فَعِلَاتُنْ) وهو مستحسن وربما دخل

على كل الاجزاء حتى في (فَاعِلُنْ) . والكف (فَاعِلَاتُ) ولكن لايجوز الجمع بينهما على سبيل المعاقبة

س اذكر تقطيعهُ :

١ً العروض الاولى (فَاعِلُنْ) والضرب الاوّل (فَاعِلَاتُنْ)

انمّا الدُّنيا غرورٌ كلها   مثل لمع الآل في ارض القِفارِ

تقطيعهُ :

ضِل قِفَارِي	أَالفي اَرْ	مِثْلُ لَمْعِلْ	كُلُّهَا	يَاغُرُورُنْ	اِنْنَمَدُنْ
فَاعِلاتُنْ	فاعِلاتُنْ	فاعلاتُنْ	فَاعِلُنْ	فاعِلاتُنْ	فَاعِلاتُنْ

٢ العروض الاولى (فَاعِلُنْ) والضرب الثاني (فَاعِلَانْ)

تنال ذلك بتقطيع البيت السابق مع اسكان الراء في (قِفَارْ)

٣ العروض الاولى (فَاعِلُنْ) والضرب الثالث (فَاعِلُنْ)

لا تقُل اصلي وفصلي دَائبًا   انمّا اصل الفتى ما قد حصلْ

تقطيعهُ :

قَدْ حَصَلْ	أَلْفَتَى مَا	اِنْنَمَا اَصْ	دَائِبَنْ	لِي وَفَصْلِي	لَا تَقُلْ اَصْ
فَاعِلُنْ	فَاعِلاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٤ً العروض الثانية المجزوءة (فَاعِلَاتُنْ) والضرب الاوّل (فَاعِلَاتَانْ)

يا خليليّ اربعا واس م تخبرا رَبعًا بعسفانْ

تقطيعهُ :

عَنْ بِعُسْفَانْ	تَخْبِرَا رَبْ	يَرْبعَا وَسْ	يَا خَلِيلَيْ
فَاعِلَاتَانْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٥ً العروض الثانية المجزوءة (فَاعِلَاتُنْ) والضرب الثاني (فَاعِلَاتُنْ)

كلما ابصرت ربعًا   خاليًا فَاضت دموعي

تقطيعهُ :

كُلْلَمَا اَبْ	صَرْتُ رَبْعَنْ	خَالِيَنْ فَا	ضَتْ دُمُوعِي
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٦ العروض الثانية المجزوءة (فَاعِلَاتُنْ) والضرب الثالث (فَاعِلُنْ)

قلَّ مَنْ ينْقادُ للحق م وَمَنْ يصْغي لهُ

تقطيعهُ :

قَلْلَمَنْ يَنْ	قَادُ لِلْحَق	قو مَنْ يَص	غي لَهُو
فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فعِلَاتُنْ	فاعِلُنْ

٦ بحر السريع

س ماهي اجزاء بحر السريع

ج اجزاؤهُ (مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ) مرَّتين . لكنهُ لا يستعمل تامًّا فيصير على الغالب :

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

س ماهي اعاريضهُ وضروبهُ

ج لهُ عروضان مشهورتان وخمسة ضروب : ١ العروض

الاولى مكشوفة مطويّة (فَاعِلُنْ عوض مَفْعُلا). لها ثلاثة ضروب: موقوف مطوي (فَاعِلَانْ عوض مَفْعُلَاتْ). ومكشوف مطوي مثل العروض (فَاعِلُنْ). واصلم (فِعْلُنْ عوض مَفْعُو). ٢ً العروض الثانية مكشوفة مخبولة (فَعِلُنْ عوض مَعُلا). ولها ضربان الواحد كالعروض (فَعِلُنْ) والثاني اصلم (فِعْلُنْ)

س ماهي الزحافات الداخلة على السريع

ج يُسْتَحْسَن في مُسْتَفْعِلُنْ الخَبن (مَفَاعِلُنْ) وَالطي (مُفْتَعِلُنْ)

س اذكر تقطيع اعاريضه وضروبه

١ً العروض الاولى (فَاعِلُنْ) والضرب الاول (فَاعِلَانْ)

قد يدرك المبطيء من حظهِ والخير قد يسبق جهدَ الحريصْ

تقطيعهُ:

قَدْ يُدْرِكُلْ	مُبْطِئُ مِنْ	حَظْظِهِي	وَلْخَيْرُ قَدْ	يَسْبِقُ جَهْ	دَلْحَرِيصْ
مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلَانْ

٢ً العروض الاولى (فَاعِلُنْ) والضرب الثاني (فَاعِلُنْ)

من رُزِقَ العقل فذو نعمة آثارها واضحة ظاهرةْ

تقطيعهُ:

مَنْ رُزِقَلْ	عَقْلَفَذُو	نِعْمَتُنْ	أَ اَثَارُهَا	وَاضِحَتُنْ	ظَاهِرَهْ
مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٣ً العروض الاولى (فَاعِلُنْ) والضرب الثالث (فِعْلُنْ)

تأنَّ في الشيء اذا رُمتهُ لتدرك الرشد من الغيّ

تقطيعهُ :

تَأَنْنَفِشْ	شَيْءِ إذا	رُمْتَهُو	لِتُدْرِكَل	رُشْدَ مِنَل	غَيْيِي
مَفَاعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَاعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعِلُنْ

٤ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) والضرب الاول (فَعِلُنْ)

سبحان من لا شيء يعدلهُ كم من غنيٍ عيشهُ كدرُ

تقطيعهُ :

سُبْحَانَمَنْ	لَاشَيْءَ يَعْ	دِلُهُو	كَمْ مِنْ غَنِيْ	يِنْ عَيْشُهُو	كَدِرُو
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

٥ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) والضرب الثاني (فَعْلُنْ)

من اصبحت دنياهُ غايتهُ كيف ينال الغاية القصوى

تقطيعهُ :

مَنْ أَصْبَحَتْ	دُنْيَاهُغَا	يَتُهُو	كَيْفَيَنَا	لُلْغَايَتُلْ	قُصْوَى
مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعْلُنْ

٧ً بحر المنسرح

س ما هي اجزاء المنسرح

ج اجزاؤهُ (مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ) مرّتين . ولا يستعمل تامًّا فيصير على الغالب :

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُ مُفْتَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُ مُفْتَعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ وضروبه

ج عروضهُ المشهورة واحدة وهي المطويّة (مُفْتَعِلُنْ) . لها

ضربٌ واحد مثلها

س ماهي التغييرات اللاحقة باجزائهِ

ج قد اجازوا في مُسْتَفْعِلُنْ وَمَفْعُولاتُ الطيّ (مُفْتَعِلُنْ وَفَاعِلاتُ عوض، مُسْتَعِلُنْ وَمَفْعُلاتُ) بل يُستحسن بهما

س قطّع شاهدًا من هذا البحر

لا تسأل المرء عن خلائقهِ   في وجههِ شاهدٌ من الخبرِ

تقطيعهُ :

لا تَسْأَلِلْ	مَرْءَ عَنْخَ	لَائقهِ	في وجْههي	شَاهِدُنْ مِ	نَلْخَبَري
مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُ	مُفْتَعِلُنْ

٨ً بحر الخفيف

س ماهي اجزاءُ بحر الخفيف

ج اجزاؤُهُ (فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ) مرَّتين فيكون :

فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ   فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ

(فائدة) ان تقطيع (مُسْتَفْعِلُنْ) هو على كونهِ مركب من سببين خفيفين يتوسطهما وتد مفروق (مُسْ تَفْعِ لُنْ) وذلك لبيان الزحافات التي تدخل عليهِ وهي مختلفة كما قدَّمنا في ذكر الزحافات الداخلة على (مُسْتَفْعِلُنْ) ذات الوتد المجموع

س ماهي اعاريض بحر الخفيف وضروبهُ

ج لهُ عروضان مشتهرتان وضربان مثلهما : ١ً العروض

الاولى صحيحة (فَاعِلَاتُنْ) لها ضرب مثلها يجوز فيهِ التشعيث فيصير مَفْعُولُنْ (عوض فَعْلَاتُنْ). ٢ً العروض الثانية محذوفة (فَاعِلُنْ) لها ضرب مثلها. ويحكى لهُ عروض ثالثة مجزوءَة وهي نادرة فيصير فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مرّتين

س ماهي زحافات بحر الخفيف

ج يدخل على (فَاعِلَاتُنْ وَمُسْتَفْعِلُنْ) الخَبْنُ وهو مستحسن فيهما يكون دخولهُ حتى على العروضين والضربين فيصيران (فَعِلَاتُنْ وَمَفَاعِلُنْ). ويدخل عليهما الكفّ قليلاً (فَاعِلَاتُ وَمُسْتَفْعِلُ). ولا يجوز وجود الخبن مع الكفّ بل يأتيان بالمعاقبة

س اورد تقطيع هذا البحر

١ العروض الاولى (فاعلاتنْ) وضربها (فاعلاتنْ)

كم كريم ازرى به الدهر يوماً ولئيم تسعى اليه الوفودُ

تقطيعهُ:

كَمْ كَرِيْمِنْ	أَزْرَى بِهِدْ	دَهْرُ يَوْمَنْ		وَلَئِيمِنْ	تَسْعَى إلَيْ	هِلْ وُفُودُو
فَاعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِ لُنْ	فَاعِلَاتُنْ		فَعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ

٢ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) وضربها (فَاعِلُنْ)

ليت شعري ماذا ترى في هوًى قادك عاجلًا الى رمسهِ

تقطيعهُ:

لَيْتَ شِعْرِي	مَاذَا تَرَى	فِي هَوَى		قَادَكَا عَا	جِلَنْ إِلَى	رَمْسِهِي
فَاعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلُنْ		فَاعِلَاتُنْ	مَفَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٩ً بحر المضارع

س ما هي اجزاء المضارع

ج اصلهُ (مَفَاعِيلُنْ فَاعِ لَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ) مرَّتين . لكنهُ لا يستعمل الا مجزوءًا فيصير:

مَفَاعِيلُنْ فَاعِلَاتُنْ مَفَاعِيلُنْ فَاعِلَاتُنْ

(فائدة) انَّ (فَاعِ لَاتُنْ) يتقدَّمها وتدٌ مفروق في هذا البحر لاجل الزحافات

س ما عروض المضارع وضروبهُ

ج للمضارع عروض واحدة (فَاعِلَاتُنْ) لها ضَرْبٌ واحد مثلها. ويجوز الكف في العروض فتصير فَاعِلَاتُ

س ماذا يدخلهُ من الزحاف

ج لا يأْتي (مَفَاعِيلُنْ) في شطريهِ الَّا مقبوضًا (مَفَاعِلُنْ) او مكفوفًا (مَفَاعِيلُ) بشرط ان يتعاقبا

س ما تقطيعه:

وقفنا على الرجال فلم نلقَ مثل زيدِ

تقطيعهُ :

وَقَفْنَاعَ	لَرْ رِجَالِ	فَلَمْ نَلْقَ	مِثْلَ زَيْدِي
مَفَاعِيلُ	فَاعِلَاتُ	مَفَاعِيلُ	فَاعِلَاتُنْ

١٠ بحر المقتضب

س ماهي اجزاء بحر المقتضب

ج اجزاؤُهُ الاصليَّة (فَاعِلاتُ مُستَفعِلُن مُستَفعِلُن) مرَّتين . لكنهُ لا يأْتي الَّا مجزوءًا فيصير:

مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ   مَفعولاتُ مستَفعِلُنْ

س كم لهُ عروضًا و ضربًا

ج للمقتضب عروض واحدة مجزوَّة مطويَّة (مُفتَعِلُنْ عوض مُسْتَفْعِلُنْ) لها ضَرْبٌ واحد مثلها

س ماذا يدخل عليهِ من الزحاف

ج يجب في (مَفْعُولاتُ) او الخَبْنُ او الطيّ بالمراقبة فيصير بالخبن (مَفَاعِيلُ عوض فَعُولاتُ) وبالطي (فَاعِلاتُ) عوض مَفْعُلاتُ)

س قطع هذا البحر

هل لديك من فرجٍ   من سهام غيلتهم

تقطيعهُ

هَلْ لَدَيكَ	مِنْ فَرَجِنْ	مِنْ سِهام	غِيلَتِهِمْ
فَاعِلاتُ	مُفْتَعِلُنْ	فاعلاتُ	مُفْتَعِلُنْ

(فائدة) ان المضارع والمقتضب هما قليلا الاستعمال عند الشعراء

١١ً بحر المجتث

س ما هي اجزاء المجتث

ج اجزاؤُه الاصلية (مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ فاعِلَاتُنْ) مرَّتين ٠ وهذا البحر لا يستعمل الَّا مجزوءًا فيصير:

مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِ لُنْ فَاعِلَاتُنْ

(فائدة) انَّ (مُسْتَفْعِلُنْ) يتوسط اجزاءَهُ وتد مجموع لاجل الزحافات

س ما هي عروضهُ وما ضربهُ

ج عروضهُ مجزوَّة صحيحة (فَاعِلَاتُنْ) ولها ضَرْبٌ مثلها (فَاعِلَاتُنْ) ٠ يجوز فيهما التشعيث فتصيران (مَفْعُولُنْ)

س ما يدخلهُ من الزحاف

ج يستحسن في اجزائهِ كلها الخبن فتصير مُسْتَفْعِ لُنْ (مَفَاعِلُنْ) وَفَاعِلَاتُنْ (فَعِلَاتُنْ) ٠ ويُقبل فيهما الشكل فيصيران (مُسْتَفْعِلُ وَفَاعِلَاتُ) ويجوز ان يجتمع الخبن والشكل معًا

س ما هو تقطيع هذا البحر

طوبى لعبدٍ تقيٍّ لم يألُ في الخير جهدا

تقطيعهُ:

طُوبى لعَبْ	دِنْ تَقِيْيِنْ	لَمْ يَأْلُلْ	خَيْرِ جُهْدَا
مُسْتَفْعِ لُنْ	فَاعِلَاتُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ

البحث الثالث
في
الابحر المنفردة الخماسيَّة

١٥

١ً بحر المتقارب

س. ما هي اجزاء بحر المتقارب

ج اجزاؤهُ (فَعُولُنْ) ثماني مرات اعني:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

س ماهي اعاريضه وضروبهُ

ج للمتقارب عروض واحدة صحيحة (فَعُولُنْ) • لها ثلاثة ضروب: صحيح مثلها (فَعُولُنْ) • مقصور (فَعُولْ) • ومحذوف (فَعَلْ عوض فَعُو) • ومع هذا الضرب الثالث يجوز ان تكون العروض صحيحة او محذوفة في القصيدة ذاتها

س ماذا يدخل على فَعُولُن من الزحافات وشبه الزحافات

ج يدخل على (فَعُولُنْ) القبض في كل الاجزاء فتصير (فَعُولُ) • ويدخلها من شبه الزحاف الثلم فتصير (فَعْلُنْ)

س اذكر تقطيع هذا البحر

١ً العروض الاولى (مَفعُولُنْ) مع الضرب الاوّل (فعُولُنْ)

وكنَّا نعدُّك للنائبات فها نحن نطلب منك الامانا

تقطيعهُ :

وَكُنْنَا	نُعِدْدُ	كَلَنْنَا	ثِبَاتِ	فَهَائِحْ	نُطْطِلُ	بِمُشْكِلْ	أَمَا نَا
فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ

٢ العروض الاولى (فَعُولُنْ) مع الضرب الثاني (فَعُولْ)

تنافس في جمع مالِ حطامٍ وكلٌّ يزولُ وكلٌّ يَبِيدْ

تقطيعهُ :

تُنَاف	سُفِي جَمْ	عِمَالِنْ	حُطَامِنْ	وَكُلْلُنْ	يَزُولُ	وَكُلْلُنْ	يَبِيدْ
فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولْ

٣ العروض الاولى (فَعُولُنْ) مع الضرب الثالث (فَعَلْ)

تلقَّ الامور بصبرٍ جميلٍ وصدرٍ رحيبٍ وخلِّ الحَرَجْ

تقطيعهُ :

تَلَقْقَلْ	أُمُورَ	بِصَبْرِنْ	جَمِيلِنْ	وَصَدْرِنْ	رَحِيبِنْ	وَخَلْلِلْ	حَرَجْ
فَعُولُنْ	فَعُولُ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعُولُنْ	فَعَلْ

(فائدة) وربما أتى هذا البحر مجزوءا محذوفا كقول الشاعر :

ولا تذكر ما مضى عفا الله عمَّا سلَفْ

٢ بحر المتدارك

س ما هي اجزاء بحر المتدارك

ج اجزاؤهُ (فَاعِلُنْ) ثماني مرات اعني :

فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

س ما هي اعاريضهُ وضروبهُ

ج للمتدارك عروضان وضربان : ١ العروض الاولى صحيحة

(فَاعِلُنْ) . لها ضرب مثلها (فَاعِلُنْ) . ٢ً العروض الثانية مجزوّة صحيحة (فَاعِلُنْ) لها ضرب مثلها

س ماذا يدخل هذا البحر من الزحافات

ج كثيرًا ما يدخل على كل اجزاء (فَاعِلُنْ) الخبن فيصير (فَعِلُنْ) ويسمى البحر اذ ذاك الخبب لشبهه بحركة الخيل وركضها. ويدخله ايضًا الاضمار بعد الخبن فيصير (فَعْلُنْ) ويُعرف اذ ذاك بدق الناقوس وقطر الميزاب

س قطع هذا البحر

١ً العروض الاولى (فَاعِلُنْ) وضربها (فَاعِلُنْ)

قِفْ على دارهم وابكِيَنْ بين اطلالها والدِّمَنْ

تقطيعهُ :

قِفْ عَلَى	دارهِمْ	وَابْكِيَنْ	بَيْنَ أَطْ	لالِها	وَدْ دِمَنْ
فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

٢ً العروض الثانية (فَاعِلُنْ) وضربها (فَاعِلُنْ)

لَمْ يدع من مضى للذي قد عبر فضل علم سوى اخذهِ بالاثرْ

تقطيعهُ :

لَمْ يَدَعْ	مَنْ مَضَى	لِلَّذِي	قَدْ عَبَرْ
فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

فَضْلَ عِلْ	مِنْ سِوَى	أَخْذِهِي	بِلْأَثَرْ
فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلُنْ

ملخّص

البحور الستة عشر لصفي الدين الحلي

مع ذكر الاعاريض والضروب المأنوسة

١ً الطويل

طويلٌ لهُ دون البحور فضائلُ فعولُن مفاعيلُن فعولُن مفاعيلُ

عروضهُ مفاعلن . وضروبهُ ثلاثة : مفاعيلن ومفاعِلُن وفَعولُن

٢ً المديد

لمديد الشعر عندي صفاتُ فاعلاتُن فاعلُن فاعلات

لهُ عروضان مأنوستان : ١ً فاعلن . لها ضربان : فاعلانْ وفاعلن . ٢ً فَعِلن . ضرباها : فَعِلُنْ وفعْلُن

٣ً البسيط

انَّ البسيطَ لديهِ يُبسطُ الأَملُ مُستفعلن فاعلن مستفعلن فَعِلُ

لهُ عروضان : ١ً فَعِلُن . لها ضربان : فَعِلُن وفعْلن . ٢ً مجزوَّة مستفعلن . لها ثلاثة ضروب : مستفعلان مستفعلن ومفعولُن

٤ً الوافر

بحور الشعر وافرها جميلُ مُفاعلَتُن مُفاعلَتن فعولُ

لهُ عروضان : ١ً فعولن . ٢ً مجزوَّة مُفاعلتن . يشبهها الضرب

٥ً الكامل

كَمل الجمال من البحور الكاملُ متفاعلن متفاعلن متفاعلُ

لهُ ثلاث اعاريض : ١ متفاعلن . لها ثلاثة ضروب : متفاعلن متَفاعِلْ وفعْلن . ٢ً فعِلُنْ . ضرباها فَعِلن وفعْلن . ٣ . مجزوَّة متفاعلن : ضروبها ثلاثة : متفاعلاتن متفاعلانْ ومتفاعلن

٦ً الهزج

على الاهزاج تسهيلُ مَفاعيلن مفاعيلُ

عروضهُ مجزوَّة مفاعيلن . وضربها مثلها

٧ً الرجز

في ابحر الارجاز بحر يسهلُ مستفعلن مستفعلن مستفعلُ

لهُ عروضان ١ً مستَفعِلن . ضرباها : مستفعلن ومفعولن . ٢ً مجزوَّة مستفعلن . ضربها مثلها

٨ الرمل

رمَل الابحر ترويهِ الثقاتُ   فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتُ

لهُ عروضان : ١ فاعلن : ضروبها ثلاثة : فاعلاتن فاعلان وفاعلن. ٢ مجزوَّة فاعلاتن. لها ثلاثة ضروب : فاعلاتانْ فاعلاتن وفاعلُن

٩ السريع

بحرٌ سريع مالهُ ساحلُ   مستفعلن مستفعلن فاعلُ

لهُ عروضان: ١ فاعِلن ضروبها: فاعلان فاعِلنْ وفعْلنْ. ٢ فعِلُن ضرباها: فَعلنْ وفعْلُن

١٠ المنسرح

منسرح فيهِ يضرب المثلُ   مستفعلن مفعولاتُ مفتعلُن

عروضهُ مفتعِلن . لها ضرب مثلها

١١ الخفيف

يا خفيفاً خفَّت بهِ الحركات   فاعلاتن مستفع لن فاعلاتُ

لهُ عروضان : ١ فاعلاتن ضربها مثلها . ٢ فاعِلُن ضربها مثلها

١٢ المضارع

تُعدُّ المضارعاتُ   مفاعيلُ فاع لاتن

لهُ عروض واحدة مجزوَّة فاعلاتن . لها ضرب واحد مثلها

١٣ المقتضب

اقتضب كما سألوا   فاعلاتُ مفتعلُ

لهُ عروض واحدة مجزوَّة مفتعلن لها . ضرب واحد مثلها

١٤ المجتث

ان جثَّت الحركات   مُستفعلُن فاعلاتُ

لهُ عروض واحدة مجزوَّة فاعلاتن ضربها مثلها

١٥ المتقارب

عن المتقارب قال الخليلُ   فعولن فعولن فعولن فعولُ

لهُ عروضان : ١ فعولن . ضروبها فعولن وفعولْ وفعَل . ٢ مجزوَّة فعَل . ضربها مثلها

١٦ المتدارك ويسمى المحدث

حركات المحدث تنتقلُ   فعلن فعلن فعلن فعلُ

لهُ عروضان : ١ فاعلُن او فعلن ضربها مثلها . ٢ مجزوَّة فاعِلن او فعلُن ضربها مثلها

الباب الخامس

س ماهي القافية

ج القافية في اللغة مؤخر العُنق وفي اصطلاح العروضيين هي آخر البيت سواء كان الكلمة الاخيرة منهُ على زعم الاخفش كلفظة (مَوْعد) في قول زهير :

تَزَوَّد الى يوم الممات فانه ... ولو كرهتهُ النفسُ آخر مَوْعِدِ

او كما قال الخليل من اخر ساكن في البيت الى اقرب ساكن يليهِ مع المتحرك الذي قبله (١) . فعليهِ تكون القافية او كلمة كلفظة (مَوْعد) في بيتِ زهير . فان آخر ساكنها في البيت الياء (موعدي) واقرب ساكن يليهِ المتحرك الواو يسبقها الميم . او اكثر من كلمة مثل (لَمْ ينم) في قول الشاعر :

لكل ما يؤذي وان قلَّ الم ... ما اطول الليل على من لم ينمَ

او ايضاً بعض كلمة مثل (لَا) في قول بعضهم :

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض ... يجد مرًّا بهِ الماءَ الزلالا

س ماهي التقفية

ج هي التوافق على الحرف الاخير . وقد اعتاد الشعراء يدلون عليهِ في اخر الشطر الاول من مطلع قصيدتهم كقول الحلي :

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا ... ولا ينال العلى من قدَّم الحذرَا

---

(١) هذا بناءً على ان اخر القافية المطابقة ينتهي بساكن كما لو انتهى البيت بغرابِ او غرابُ او غرابَ فكأَنَّ هذه الالفاظ ختمت بياء او واو او الف ساكنة

س ماذا تلزم الناظم معرفتهُ في القوافي

ج يلزمهُ ان يعرف لذلك خمسة اشياء بحروف القافية . وحركاتها . وانواعها . وحدودها . وعيوبها

البحث الاول
في
حروف القافية وحركاتها

س كم هي حروف القافية

ج ستة : التأسيس . والدخيل . والردف . والروي . والوصل . والخروج . وهي كلها اذا دخلت اول القصيدة تلزمها كلها وقد جمعها الحلي في قوله :

مجرى القوافي في حروف ستة　　كالشمس تجري في علو بروجها
تأسيسها ودخيلها مع ردفها　　ورويها مع وصلها وخروجها

١ً التأسيس : هو الف هاوية لا يفصلها عن الروي الا حرف واحد متحرك كالف (جاهل) في قول الشاعر :

نظرتُ الى الدنيا بعين مريضةٍ　　وفكرةِ مغرورٍ وتأميل جاهل

واذا كانت الالف في غير كلمة الروي لا تعد تأسيساً كما في قول عنترة ولم يحسب في (القهما) الالف تأسيساً :

ولقد خشيت بان اموت ولم تكن　　للحرب دائرةٌ على ابني ضمضم
الشاتميْ عرضي ولم اشتمهما　　والناذرين اذا لم القهما دمي

٢ً الردف : هو حرف لين ساكن (واو او ياء بعد حركة لم تجانسهما) او حرف مدّ (الف او واو او ياء بعد حركة مجانسة) قبل الروي يتصلان

بهِ . فمثل حرف لين الياء في (عَين) من قول ابي العتاهية :

الدارُ لو كنت تدري يا اخا مرحٍ   دارٌ امامك فيها قرَّة العَـيْن

ومثل حرف المد الياء في (سبيل) من قولهِ :

لا تعمر الدنيا فليس م الى البقاء بها سبيلُ

وربما جمعوا بين الواو والياء في ردف المد (وهذا لا يجوز في ردف اللين) كقول السموءل وجمع بين (فعول وتزيل) :

اذا سيّـد منّا خـلا قام سيدٌ   قؤولٌ لما قال الكرام فعولُ
وما أُخمدت نار لنا دون طارقٍ   ولا ذمّنا في النازلـين نزيلُ

(فائدة) ان شعراء العرب يلـتزمون الردف في الضرب الثالث من الطويل (فعولن) . وفي الضرب المقطوع من البسيط والكامـل (فعلن) . وفي الضرب المقطوع من الرجز (مفعولن)

الوصل : هو حرف مد ينشأُ عن اشباع الحركة في اخر الروي المطلق كقول الشاعر :

واذا المنيَّة انشبَت اظفارها   الفيتَ كل تميمة لا تنفع

فالوصل الواو المولدة عن اشباع الحركة بعد العين في (تنفع) فهي بمنزلة (تنفعو)

وربما كان الوصل اصليًّا كالالف في (عصا) من قولهِ :

والـلوم للحرِّ مقيم رادعٌ   والعبد لا يردعهُ الَّا العصا

وقد اكثروا من زيادة الف الوصل بعد الفعل الماضي او المفعول بهِ كقول الشاعر :

حاسب اخاك على فلسٍ وضنَّ بهِ   وهب لهُ بعدُ ان احببت دينارا

ويحسبون ايضاً كوصل هاء الضمير الساكنة او هاء التأنيث او هاء السكت كقول زهير :

ولو لم يكن في كفّهِ غيرُ نفسهِ ... لجاد بها فليتّقِ اللهَ سائلهْ

وكقول الاخر:

إنما العلم بعيدٌ غورهُ ... فخذوا من كل فنّ أحسنَهْ

٤ً الخروج: هو حرف لين يلي هاء الوصل. كالياء المولدة من اشباع الهاء في مساويهِ (عوض مساويهي) من قول القائل:

لا تحفظنَ على الندمان زلتـهُ ... واقبل لهُ العذر واحلم عن مساويهِ

٥ً الدخيل: هو حرف متحرك فاصل بين التأسيس والروي كالدال في (صادق) من قولهِ:

فلا تقبلنهم ان اتوك بباطلٍ ... ففي الناس كذّابٌ وفي الناس صادقُ

٦ً الرويّ: هو الحرف الذي تبنى عليهِ القصيدة فتنسب اليه فيقال قصيدة لاميّة او ميميّة او نونيّة ان كان حرفها الاخير لاما او ميما او نونا. والروي الدال في (بلدِ) من قول الشاعر:

وفي الشرارة ضعفٌ وهي مؤلمة ... وربما اضرمت نارًا على البلد

• (فائدة) اعلم: ١ً ان الحروف يمكنها ان تكون رويًا الّا الالف والواو والياء الزايدة او المولدة من الاشباع كمصريّ وبيتي وغرابو. (٢ً) هاء التأنيث والاضمار الساكنتين وهاء الوقف نحو (وردهْ وضربهَ ولهْ). (٣ً الف التأنيث المقصورة والتثنية كالف (حسنى وقتلا). (٤ً) واو الضمير وياؤهُ بعد حركة تجانسهما (كاقتلوا واقتلي). وهما تصلحان بعد الفتحة كاخشَي واخشَوا. (٥ً) نون التنوين ونون التوكيد اما الهاء المحركة بعد حرف ساكن (كفتاهُ وعليه). وحرف العلة المتحركة (كظبيُ وعصايَ وعدوِ). والالف المقصورة الاصلية (كرمى

ومعنى) . وكذلك ياء المنقوص (كالقاضي) نادرًا تصلح ان تكون رويًا

اعلم ثانيــاً انهُ لايدخل بعد الرويّ الّا حرف الوصل وها الخروج وهما لايحسبان رويًا

البحث الثاني

حركة القافية

س كم هي حركات القافية

ج ست : الرسّ والاشباع والحذو والتوجيه والمجرى والنفاذ

جمعها الحلي في قولهِ :

ان القوافي عندنا حركاتها ستٌّ على نسقٍ بهنّ يُلاذُ
رسٌّ وإشباعٌ وحذوٌ ثم تو جيهٌ ومجرًى بعدهُ ونفاذُ

١ً الرسّ : حركة ما قبل الف التأسيس كحركة الدال في قولك (جدَاول)

٢ً الاشباع : حركة الدخيل ككسرة الواو في (جداوِل)

٣ً الحذو : حركة ما قبل الردف كحركة الميم في قولك (مَال)

٤ً التوجيه : حركة ما قبل الرويّ المقيد (اي الساكن) كضمة القاف في قولك (لم يَقُلْ)

٥ً المجرى : حركة الرويّ كحركة اللام في قولك (منزِلُ)

٦ً النفاذ : هو حركة هاء الوصل الواقعة بعد الرويّ كفتحة الهاء في قولك (منارهَا)

(فائدة) هذه الحركات انما يجب المحافظة عليها في كل الابيات اذا ما دخلت في البيت الاول وقد استثنوا من ذلك حركة واو الردف

ويائه كما مرّ وكذلك حركة الحذو في الروي المقيَّد فيجوز مثلًا الجمع بين (يَعُدْ وَصَعِدْ وَقَعَدْ)

البحث الثالث
في
انواع القافية وحدودها

س كم نوعًا القافية

ج ان القافية امَّا مطلقة امَّا مقيدة . فالمطلقة ما كان رويُّها متحركًا فتكون : ١ً مؤَسسة (كهيا كلُ) . ٢ً مؤَسسة موصولة بهاء (كصنائعها) . ٣ً مردفة (كعمادُ) . ٤ً مُرْدفة موصولة بهاء (كسوادهِ) . ٥ً مُردفة موصولة بلين (كوِحدانا) . ٦ً مجرَّدة عن الردف والتأسيس (كيمنعُ)

. امَّا المقيدة فتكون : ١ً مجردة عن الردف والتأسيس (كَجَمَعْ) . ٢ً مردفة بالالف (كزحَامْ) او بالواو والياء (كَنُوزْ ونِيرْ) . ٣ً مؤَسسة (كَصَانِعْ)

س كم هي حدود القوافي

ج خمسة باعتبار ما تحرَّك منها بين الساكنين الاخيرين في القافية وهي : المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف جمعها الحلي في قولهِ :

حُصِر القوافي في حدودٍ خمسةٍ   فاحفظه على الترتيب ما انا واصفُ

متكاوِس متراكبٌ متداركٌ متواتر من بعدهِ المترادفُ

١ المتكاوس: هو توالي اربع متحركات بين ساكني القافية كقول الشاعر (والقافية: ضِقَدَمُه)

زلّت بهِ الى الحضيض قَدَمُهُ

٢ المتراكب: هو توالي ثلاث متحركات بين ساكنيها كقول بعضهم (والقافية: فَرَج) :

اذا تضايق امر فانتظر فرجاً فاضيق الامر ادناهُ من الفرجِ

٣ المتدارك: هو توالي حرفين متحركين بين ساكنيها كقول بعضهم (والقافية: بر) :

مِحَن الفتى يخبرن عن فضل الفتى والنار مخبرة بفضل العنبرِ

٤ المتواتر: هو متحرك بين ساكني القافية كالدال في (جودِ) من قولهِ :

يجود بالنفس ان ضنَّ الجواد بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود

٥ المترادف: هو اجتماع ساكني القافية وهو خاص بالقوافي المقيدة كالالف والدال من (جَوادْ) في قول ابن النبيه :

الناس للموت كخيل الطرادْ فالسابق السابق منها الجوادْ

البحث الرابع
في
عيوب القافية

س على كم نوع عيوب القافية

ج عيوب القافية على نوعين احدهما يلاحظ الروي وحركتهُ المجرى . والآخر يلاحظ ما قبل الروي من الحروف والحركات

ويسمى السناد

فالنوع الأوَّل ضروبهُ اربعة الاكفاء والإجازة (وهما يقعان في الروي والاقواء والاصراف)

١ً الاكفاء: هو ان يوتى في البيتين من القصيدة بروي متجانس في المخرج لا في اللفظ (كشارح وشارخ او قارس وقارص)

٢ً الاجازة: هو الجمع بين رويَّين مختلفين في المخرج (كعبيدُ وعريقُ . وشارب وقاتل)

٣ً الاقواء: هو تحريك المجرى بحركتين مختلفتين غير متباعدتين مثل الكسرة والضمة في قولك (فوارسِ ومدارسُ)

٤ً الاصراف: هو الجمع بين حركتين مختلفتين متباعدتين كالفتحة والضمة في قولك (قَدَرُ وعبرا) والفتحة والكسرة في قولك (رداءَ وبناءِ)

وقد الحقوا ايضاً بهذه العيوب الايطاء والتضمين . فالايطاء هو اعادة اللفظة ذاتها بمعناها وانما يجوز اعادتها بمعنى مختلف (كانسان . للرجل ولناظرِ العين). واجازوا اعادة اللفظة ذاتها بمعناها بعد سبعة ابيات

اما التضمين فهو تعلق قافيـة باخرى . فهو مكروه ان كان مما لايتم الكلام بدونهِ . ومقبول اذا كان فيـهِ بعض المعنى لكنهُ يفسَّر بما بعدهُ

في السناد

س ماهو السناد

ج السناد هو النوع الاخر من العيوب الطارئة على القافية

لكن قبل رويها . وضروبه خمسة سناد الردف وسناد التأسيس وسناد الاشباع وسناد الحذو وسناد التوجيه

١ً سناد الردف: وهو ان يكون بيت مردفاً وآخر غير مردف كقول بعضهم :

اذا كنت في حاجة مرسلًا فارسل حكيماً ولا توصهِ
وانْ نابُ امر عليك التوى فشاور لبيباً ولا تعصهِ

ومن ذلك ابيات الكسعي السينيــة (راجع الجزء الخامس من مجاني الادب صفحة ٧٢ عدد ٩٠)

٢ً سناد التأسيس: ان يكون بيت مؤسساً وآخر غير مؤسس مثل (يَتجمَّلُ و يَتحامَل)

٣ً سناد الاشباع: هو اختلاف حركة الدخيل مثل كسرة الهاء وفتحة العين في قولك (مُجاهِد وتباعَد) لكنهم اجازوا الجمع بين الكسرة والضمة

٤ً سناد الحذو: هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المطلق مثل فتحة النون وكسرة الباء في قولك (سنَدو كِبِد) . وقد اجازوا الجمع بين الكسرة والضمة

٥ً سناد التوجيه: هو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد كفتحة اللام وضمتها في قولك (حَلَمْ وحَلُمْ) . وهذا السناد قد اجازوه لكثرة وقوعهِ في اشعار العرب

وقد الحقوا بالسناد التجميع والتحريد فالاول هو الجمع بين عروضين مختلفتين في القصيدة نفسها . والثاني هو الجمع بين ضربين مختلفين فيها

الباب السادس
في
فنون الشعر

س ما هي فنون الشعر

ج فنون الشعر تسعة : الدوبَيت والزجَل والمواليا والتخميس والموشَّح والتشطير والتسميط والتشريع والتفويف ولزوم ما لا يلزم

١ الدُّوبَيت

س ما الدوبَيت

ج الدُّوبَيت (١) ويسميه الشعراء المحدثون بحر السلسلة او الرباعي وزنٌ استخرجهُ المولَّدون على طريقة الفُرس اكثر استعمالهِ في المعاني الرقيقة او في فن الغناء

س ما وزنهُ واعاريضهُ وضروبهُ

ج وزن الدوبَيت (فِعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعُولُن فَعِلُنْ) مرَّتين . له ثلاث اعاريض : ١ فَعِلُنْ . لها ضربان فَعِلُنْ وَفَعِلَانْ . ٢ فِعْلُنْ . ولها ضربان : فِعْلُنْ وَفِعْلَانْ . ٣ فَعُولُنْ مجزوءَة لها ضرب مثلها

ومثال الدوبَيت قول الصلاح الاربلي وكان قد ارسل بهِ الى الملك الكامل من سجنهِ فامر بافراجهِ :

---

(١) الدوبيت لفظة مركبة من لفظتين فارسيَّة (دُو) معناها اثنان وعربيَّة (بَيْت). سمي بذلك لان الفرس ما كانوا ينظمون على هذا الوزن اكثر من بيتين

ما امرُ تجنّيك على الصبّ خَفي   اَفنيت زماني بالأَسى والأَسفِ
ماذا غضبُ بقدرِ ذنبي ولقد   بالغتَ وما اردتَّ الَّا تلفي

٢ً الزجل

س ماهو الزجل ومن واضعه (١)

ج قال ابن خلدون : لمَّا شاع التوشيح في اهل الاندلس واخذ بهِ الجمهور لسلاستهِ وتنميق كلامهِ وتصريع اجزائهِ نسجت العامة من اهل الامصار على منوالهِ ونظموا في طريقتهِ بلغتهم الحضريَّة من غير ان يلتزموا فيهِ اعرابًا فاستحدثوا فنًّا سموهُ بالزجل والتزموا النظم فيهِ على مناحيهم لهذا العهد فجاؤُونا فيهِ بالغرائب واتسع فيهِ للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة . واوَّل من ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قزمان (اه)

س ماهو وزن الزجل

ج لما كان هذا الفن من وضع العامَّة فانهم يتبعون فيهِ النغم دون مراعاة الوزن . وربما نظموا في سائر البحور الستة عشر لكن بلغتهم العامية (ويسمون ذلك الشعر الزجلي)

س اورد مثالًا على الزجل

(١) الزجل هو المعروف بالشام بالمعنَّى ومنهُ نوع يعرف بالقرَّاديات

البرغوث والمصاب بهِ

اعد بيوت مع قصدان اخبركم بما قد كان كل الليل وانا سهران
واصبح جلدي كالجربان

جاني البرغوث وانا نائم وصار على جسمي حائم وقال لي شهر وانا صائم
بحسابي خلص رمضان

قلت يا برغوث لا تجادبني علامك انت مراكبني بالله عليك لا تتعبني
واتركني انا تعبان

قال لي انا ماني بهمك لا اسرّك ولا اضرك عشاي الليل من دمك
والغد يفرجها الرحمان

قلت لهُ انا اراعيك وعند الناس انشد فيك روح لغيري يعشيك
واتركني الليله نعسان

قال ما هو على كيفك ذي الليلهْ انا ضيفك عيب عليك يا حيفك
اكون عندك واروح جوعان

لا تظن اني اهابك فاني ادخل بثيابك واصير السع بجنابك
وعن قتلي تبقى عجزان

قلتْ يا برغوث اسمع مني والليله ارجع عني دعني نائم متهني
يبقى لك عندي احسان

قال لي شوارك مرذولهْ وعندي ما هي مقبولهْ ومواعيدك مجهولهْ
وعمري ما اصدّق انسان

قلتُ يابرغوث يا عقوق يا اسود يامحقوق خدعتك وانت ما لك ذوق
وعجزك عن قريب يبان

قال لي بالنهار تراني حقير وفعلي بالليل فعل كبير انا ما افزع من وزير
ولا من حاكم ولا سلطان

تعيرني بسوادي واليوم انا لك معادي نجيبك انا واولادي
ونفرجيك فعل السودان

قلتُ يابرغوث ماني بهمك ولا اولادك ولا عمك سأتحق ابوك مع امك
وبناتك مع الصبيان

قال اصبر عليَّ حتَّى تنام   اجيك انا واولادي اقوام   وانت لابس ثوب الحام
وعن مسكتي تبقى عجزان
تصير تتحرك وتتقلَّب   والنوم عليك مغلَّب   وفي لحمك انا مكلَّب
واصبغ جلدك والقمصان
قلت لهُ ان كانك عايق   تأتيني وانا فائق   وضوء الشمس يكون شارق
انتظر من هو الغلبان
قال لي بالنهار انا اصوم   واقضيهِ راحهْ مع نوم   عند غياب الشمس انا اقوم
وادور حول السيقان
بالنهار ان صار لي فرصهْ   اعود اقرص لي كم قرصهْ   لكن اخزى من الجرصهْ
فابقى مرتاح غير تعبان
وانت ما فيك تقتلني   انا زي السلطني   ولمَّا يدك تمسكني
اقمز قمز الغزلان
واعرف لمَّا تمسكني   حالًا تصير تفركني   وما تعود تتركني
وفي قتلي تبقى شمتان
لكن باوَّل الليل   اتصيد قوتي مع حيل   واصير اركض مثل الخيل
وصدرك اعملهُ ميدان
قلتُ يا برغوث يا محقور   من جورك انا مقهور   لا بد واعمل لك تنور
واحميهِ بشوك وبلَّان

٣ً الموالیا

س ماهو الموالیا

ج هو فن من فنون الشعر وُضع للغناء . قيل ان اول من تكلم بهذا النوع بعض اتباع البرامكة بعد نكبتهم فكانوا ينوحون عليهم ويكثرون من قولهم : يا موالي . فصار يُعرف بهذا الاسم

س على اي وجه تركيبهُ

ج تركيب الموالي على الغالب من بيتين تختم اشطرهما الاربعة بروي واحد . امَّا وزنهُ على الغالب فمن بحر البسيط لكنهُ كثيرًا ما يسكنون في الحشو اواخر الالفاظ ويدخلون فيهِ من كلام العامة ومثال المواليا قول عبد الغني النابلسي :

يا عارف الله لا تغفل عن الوهَّابْ فانهُ ربك المعطي حضرْ او غابْ
والقلب يقلبْ سريعًا يشبه الدولاب ايَّاك والبرد يدخلْ من شقوق الباب

ومنهُ قول ابن معتوق :

حتّام يا نفس من سكر الهوى تصحين ومسودات الذنوب بتوبتكْ تمحين
كم تغفلين وفي اسراك طلب الحين ما تعملين اذا فاجاكِ هذا الحين

٤ً التخميس

س ما هو التخميس

ج التخميس هو ان يقدم الشاعر على البيت من شعر غيرهِ ثلاثة اشطر على قافية الشطر الاول فتصير خمسة اشطر ولذلك سمي تخميسًا

س اورد مثالًا على التخميس

تخميس ابيات قطري بن الفجاءة المازني لصفي الدين الحلي

ولمَّا مدَّت الاعداء باعًا وراع النفس كرهمُ سراعا
برزتُ وقد حسرتُ لهُ القناعا اقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال ويحك لا تراعي

كما أبتعتِ العلاء بغير سومِ واحللتِ النكال بكل قومِ
ردِي كاس الفناء بغير لومِ فانكِ لو سألت بقاء يومِ

على الاجل الذي لك لم تطاعي

فكم ارغمت انف الضد قسرًا وافنيت العدى قتلًا واسرا
وانت محيطة بالدهر خبرًا فصبرًا في مجال الموت صبرًا
فما نيل الخلود بمستطاع

اذا ما عشت في ذل وعجزٍ فهل للنفس غيري من معزّ
وليس الخوف من اجلٍ بحرز ولا ثوب البقاء بثوب عزٍ
فيطوي عن اخي الخنع اليراع

ولا اعتاض عن رشدٍ بغيّ وثوب العزّ في نشرٍ وطيّ
لقد حتم الفناء لكل شيء سبيل الموت غاية كل حيٍّ
وداعيهِ لاهلِ الارض داعي

فجاهد في العلى يا قلب تكرم ولا تطلب صفاء العيش تحرمْ
فمن يظفر بطيب الذكر يغنم ومن لا يغتبط يهرم ويسأم
وتسلمهُ المنون الى انقطاعِ

أأرغب بعد قومي في نجاةٍ واجزع في الوقائع من مماتٍ
وارضى بالحياة بلا حماةٍ وما للمرء خيرٌ في حياةٍ
اذا ما كان من سقط المتاع

٥ الموشح

س ما الموشح

ج قال ابن خلدون : هو فنٌّ احدثهُ اهل الاندلس (في القرن الثالث من الهجرة) ينظمونهُ اسماطًا اسماطًا واغصانًا اغصانًا ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان واوزانها متتاليًا فيما بعد الى آخر القطعة . واكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة ابيات واغراضهُ مختلفة كما يفعل بالقصائد

قال بعضهم: غالب ما كان فن التوشيح معرب وهو مختلف الاوزان والاوضاع . والسبب في ذلك ان تأليف التوشيح كان لغرض تطبيق الالفاظ على مؤلفات من الاصوات بمقتضى صناعة الموسيقى . فكان اهل تلك الصناعة يؤلفون من الاصوات التي تخرجها الضربات على الاوتار المختلفة . وكان مؤلف التوشيح تابعاً لما تقتضيه تلك الاصوات فتارة توافق الاوزان العربية وتارة تخالفها

س ما هو وزن هذا الفن وكيف تركيبهُ

ج ليس للموشحات وزن خاصّ وانما تأتي من كل البحور . واما تركيبها فعلى هذا المنوال: يتقدمها بيتان هما كاللازمة للموشح يتفقان في الصدر والعجز كقول بعض المغاربة (وهذا من بحر الرمل):

قابل الصبحُ الدُّجى فانهزما ومحا بالسيف أفق الغلس
وجلا الغيم ببرق رقما ثوبَ ديباجٍ بهِ الجوّ كسي

ثم تتبع اللازمةَ ادوارٌ مركبة من خمسة ابيات ثلاثة منها متفقة الصدر والرويّ والاخيران يكون صدرها وعجزها كصدر وعجز اللازمة كقولهِ ايضاً:

دور

نسخ الصبح احاديث الدجى بيدٍ بيضاء في لوح النهارْ
ولكهف المغرب الليلُ التجى حين نادى الفجر في الشرق البدارْ
وجلا الصبح جبيناً ابلجا فاختفى من نورهِ النجم وغارْ
وبكى القُمريّ لما ابتسما عاطرُ الزهر بثغر العسِ
وزها خدُّ الربى فانسجما دمع عين العارضِ المنبجس

دور

للرياضِ اذهب تَرى بُلبُلها يتغنى بين زهرٍ ينجلي
وحدود الروضِ قد كلَّلها دمع طلٍّ لاشتياق البللِ
وقدود البانِ قد قام لها يانع الغصن مقام الأسَلِ
والرُّبي فاحت تحاكي خزَما وعليها من ثياب السندسِ
جيبها زُرِّر بالزهر كما زُرَّ بالفضة ثوب الاطلسِ

(فائدة) وكثيرًا ما تصرَّف الشعراء المحدثون بفن الموشحات فنهجوا لهُ طرقًا مختلفة كقول صفي الدين الحلي في مدح السلطان المؤيد عماد الدين اسماعيل الايوبي (وهو من الوافر) :

عماد الدين مغنى كُل بائسْ ومن تغدو الاسود لهُ فرائسْ
ايا ملكاً حماني من زماني واعطاني اماني والاماني
خفضتَ برفع شأني كل شاني وشيَّدت المعالي والمعاني

دور

ولولا انت يا مُردي الفوارسْ لاضحى العلم بين الناس دارسْ
تجرَّى مَنْ لجودك رام حدًّا ومن بالغيث قاسك قد تعدَّى
وكيف تُقاسُ بالانواء حدًّا وكفُّك للورى ادنى واندى

دور

افضتَ عليَّ للنُّعمى ملابسْ فصار لديَّ رطبًا كل بائسْ
أأزعم انني بالمدح جازي وهل تجزى الحقيقة بالمجازِ
ولكن في ارتجالي وارتجازي اذا قصرت فالله المجازي
فلو نظَّمت من مدحي نفائس فاني من قضاء الحق آئسْ

٦َ التشطير

س ماهو التشطير

ج هو ان يعمد الشاعر الى ابيات لغيرهِ فيضمّ الى كل

شطر منها شطرًا يزيدهُ عليهِ عجزًا لصدرٍ وصدرًا لعجز ومثال التشطير قول عبد الغني النابلسي مصدرًا ومعجزًا هذين البيتين :

رأيتُ خيال الظل اكبر عبرةٍ لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوصٌ وأشباح تمرُّ وتنقضي وتفنى جميعًا والمحرّك باقي

تشطيرها :

رأيت خيال الظل اكبر عبرةٍ يلوح بها معنى الكلام لاحداقي
وفي كل موجود على الحق آية لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوصٌ واشباح تمرّ وتنقضي وليس لها مما قضى الله من واقي
لها حركات ثم يبدو سكونها وتفنى جميعًا والمحرّك باقي

٧ً التسميط

س ما هو التسميط

ج التسميط عند الشعراء المولدين هو ان يقسم الشاعر البيت الى اجزاء عروضية مقفّاة على غير روي القافية كقول امرئ القيس :

وحرب وردتُ . وثغر سددتُ وعلج شددتُ . عليه الحبالا

وكقول عبد الغني النابلسي في المديح :

جزيل السخاء . جميل العطاء جليل العلاء . من النجم اهدى
سريع الجوابِ . رفيع الجَناب وسيع الرحاب . حبا الوفد رفدا

وربما اتى التسميط في بيتين كقول الحريري :

ويحكِ يا نفس احرصي على ارتياد المخلصِ
وطاوعي وأخلصي واستمعي النصح وعي

٨ً التشريع

س ما هو التشريع

ج هو ان يكون للبيت فما فوقهُ قافيتان مع وزنين مختلفين من اوزان العروض بحيث يصحّ المعنى حال انفراد احدهما عن الاخر كقول الحريري (من الكامل :)

يا خاطب الدنيا الدنيَّـة انها شرك الردى . وقرارةُ الاكدارِ
دارٌ متى ما اضحكت في يومها ابكت غدًا . تبًّا لها من دارِ

فاذا حذفت اخرهما يصيران من مجزُوء الكامل :

يا خاطب الدنيا الدنيَّـة انها شرك الردى
دارٌ متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا

وكقول صفي الدين الحلي :

قوم بهم تجلى الكروب ومنهم يرجى الجدا . ان ضنَّت الادواء
فنداؤهم قبل السؤَال وجودهم قبل الندى . وكذلك الكرماء

وهذان البيتان من البحر الكامل ينتقلان الى مجزوءِهِ بحذف اخرهما

٩ً التفويف

س ما هو التفويف

ج هو عبارة عن اتيـان المتكلم بمعاني شتَّى من المديح وما سواهُ في جملة من الكلام منفصـلة عن الاخرى مع تساوي الجمل في الوزن كقول البديع الهمذاني (والشاهد في البيت الثاني) :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبًا لو كان طلق المحيًّا يمطر الذهبـا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت والليث لو لم يصِد والبحر لو عذبا

وكقول علي بن المقرب :

يا ابن الملوك الأُلى شادوا ممالكهم   بسلّة البيض والخطّيّة السُّلُب
ارفعْ وضعْ واعتزم وانفع وضرَّ وصلْ   واقطعْ وقسّم ودُمْ واصفح وجُدْ وهبِ

ومثلهُ قول القائل :

أُسمُ أعلَ ظُلْ سُدْ عِشِ ابقَ أسلمْ مُرِ انْهِ اقلْ
صُلْ أولِ هَبْ أغنِ جُدْ زِدْ صِلْ اعِنْ انِلِ

١٠ لزوم ما لا يلزم

س ما المراد بذلك

ج لزوم ما لا يلزم هو ان يأتي الشاعر بحرف يلتزم بهِ قبل الروي وليس هو بلازمٍ كلزوم الراء في قول صفي الدين الحلي :

يا سادةً مذ سمعت عن بابهم قدمي   زلت وطاقت بي الامصار والطرقُ
ودوحةُ الشعر مذ فارقت مجدكم   قد اصبحت بهجير الهجر تحترقُ
قد حارب الصبر والسلوان بعدكم   قلبي وصالح طرفي الدمع والارقُ

(فائدة) للشعر فنون أُخر ليس تحتها كبير امر سوى صعوبة مسلكها . منها : ١ً العاطل وهو ان يؤتى بالفاظ في الشعر لا نقط لها . ٢ً الحالي وهو عكسهُ . ٣ً الارقط وهو ان يكون حرف منقوط وحرف بلا تنقيط . ٤ً والمؤسس وهو ان تكون جميع نقطهِ تحتيَّة . ٥ً والموصل وهو ما اتصلت حروفهُ ببعضها . ٦ً والمقطوع وهو عكسهُ الى غير ذلك من الفنون التي يستدلّ عليها القارئ

تم بعونه تعالى الجزء الاول

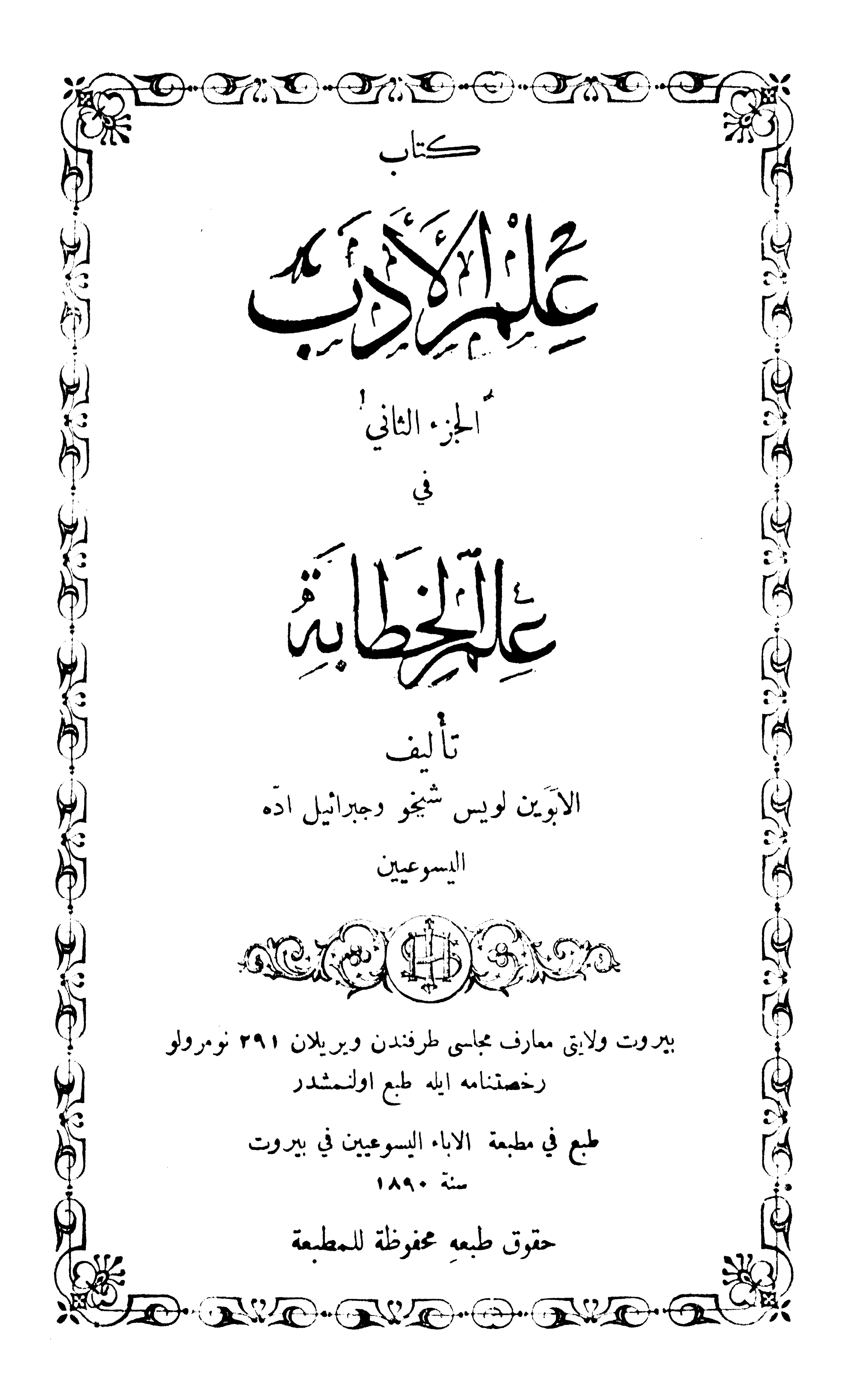
فهرس

للجزء الاول

اعلم اننا قد كنا عولنا في بدء شغلنا على ارداف هذا القسم من تاليفنا بمقالات بعض الكتاب في علم الادب واقسامهِ لكنهُ لمَّا اتسع معنا المجال وخفنا من الخروج عن حدود الايجاز احببنا ان نفرد لهذه المقالات جزءا ثالثًا نجمعهُ ان شاء الله بعد انجاز القسم الثاني

تصحيح بعض اغلاط

صفحة	سطر	غلط	صواب
٥٥	٧	الانشاء ست محاسن	للانشاء سبع محاسن
«	٨	والسهولة والجزالة	والسهولة والاتساق والجزالة
٨٠	«	٠٨	٨٠
١٤٧	٢٢	بقسطنطينيَّة	بقسطينيَّة
١٩٦	١٧	بتأَتَّى	يتأَتَّى
٢١٤	٣	بعد الضرب الاول : اقرا في الرسائل الراجعة الى غرض الكاتب	
٣٢٠	٣	نجبيك	نجيك
٣٢٧	١ و ٢	التضريع	القشريع



كتاب

عِلْمُ الأَدَب

الجزء الثاني

في

عِلْمِ الخَطَابَة

تأليف

الأبوين لويس شيخو وجبرائيل اده

اليسوعيين

بيروت ولايتي معارف مجلسي طرفندن ويريلان ٢٩١ نومرولو
رخصتنامه ايله طبع اولنمشدر

طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٨٩٠

الفصل الاول

في

اصول علم الخطابة

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

كتاب

علم الادب

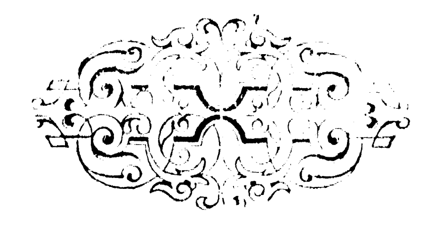
الجزء الثاني

في

علم الخطابة

قال ابن سينا : ان الحكماء قد ادخلوا الخطابة والشعر في اقسام المنطق لان المقصود من المنطق ان يوصّل الى التصديق . فان اوقع التصديق يقينًا فهو البرهان (والبحث عنهُ في القياس والجدل وآداب البحث) . وان اوقعهُ ظنًّا او محمولاً على التصديق فهو الخطابة . امَّا الشعر فلا يوقع تصديقا ولكن لافادة التخييل الجاري مجرى التصديق من حيث انهُ يؤَثر في النفس بسطًا او قبضًا عُدَّ في الموصِل الى التصديق

(فائدة) قول ابن سينا ان الخطابة توقع التصديق ظنًّا فلأنها كثيرًا ما تتعرَّض لترجيح احد امرَين استوَيا ليس لاحدهما مزيَّة على الآخر كتقديم الحرب على السِلْم او السلم على الحرب الى غير ذلك من فنون الكلام كما سترى



أَلقِسمُ ألأوَّلُ

في علم الخطـابة

فصلٌ

في حقيقة علم الخطابة وتقسيمها

س ما هو علم الخَطابة

ج الخَطابة باللغة كالخِطاب وهي الكلام النفسيّ الموجَّه بهِ نحو الغير للافهام (١) وفي اصطلاح الحكماء هي صِناعة تتكلَّف الاقناع الممكن في كل مقولة من المقولات (٢)

فقولهُ: (الخطابة صناعة) فعلى بناء انها مجموع قوانين متعلقة بكيفية العمل. وقولهُ: (تتكلف الاقناع) فلأَن غايتها ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم (٣). وقولهُ: (الاقناع الممكن) فلكون الخطابة تتحرَّى في كل مسألة ما يفيد الاقناع وان لم تتمكن من غايتها على الاطلاق. ومنزلتها في ذلك منزلة باقي الصناعات فان الطب مثلًا لا يشفي في كل طورٍ من اطوارهِ على ان غايتهُ الشفاء. وقولهُ: (في كل مقولة من المقولات) فلأَن الخطابة شاملة لجميع المسائل ولا تقتصر على جنس واحد مثـل باقي الصناعات التي تتكلف التعليم في حيزها الخاص كالهندسة مثلًا تقرّر على طريق القياس ما يختص بتكييف الاجرام وكذلـك الطب يبيّن

١ كليّات ابي البقا ٢ تلخيص خطابة ارسطو لابن الرشيد ٣ ابن خلدون

حقيقة الوسائل النافعة في امر الصحة والعلاج وهلمَّ جرًّا اما الخطابة فتعم كل مبحث وتقنع في الاحوال كلها اجمع (١)

س ما هو موضوع علم الخَطابة

ج ليس للخطابة كما روى ابن رشد نقلًا عن ارسطو موضوعٌ خاصٌّ تبحث عنهُ بمعزلٍ عن غيرهِ • فانها لا تخيم عن النظر في كل العلوم والفنون ولا شيءَ حقيرًا كان او جليلًا معقولًا او محسوسًا اِلَّا ويتطالُّ اليهِ جِيدُ كلامها ويخضع لسلطان لسانها • ومن ثمَّ يترتَّب على الخطيب ان يكون لهُ إلمام بكل صنفٍ من المعارف ويوسع كل يوم نطاق مداركهِ

س ما هي غاية علم الخطابة

ج غاية هذا العلم الاقناع كما سبقت الاشارة اليه • قال ابن الفضل الانطاكي: شأن الخَطابة ان تلتمس اقناع الانسان في ايّ امرٍ كان

س ما هو الاقناع

ج هو ارضاء السامعين بالبرهان •قال بعضهم: الاقناع ان يُحاول الخطيب فيصرف ذهن السامع الى ان يسكن الى ما يُقال ويصيخ لهُ (٢)

١ راجع تعريب كتاب خطابة ارسطو لابن رُشد
٢ كتاب المنفعة لابن الفضل الانطاكي

س باي طريقة يبلغ الخطيب غايتهُ

ج للاقناع طريقتان :

الاولى ملكة البلاغة اي الاقتدار على الكلام في تأدية المراد

الثانية معرفة المقاييس المناسبة في مخاطبات الجمهور كالمخاصمات التي تقع في مجالس الدعاوي او المدح او الذمّ مع الحِيَل النافعة في الاستعطاف والاستمالة والاغراء وتصغير الامر وتعظيمهِ ووجوه المعاذير والمعاتبات ووجوه ترتيب الكلام في كل قصة وخطبة (١) كما سترى

س ما هو شرف صناعة الخَطابة

ج شرفهُ انه يكمِّل الذات البشريَّة لان الخطيب يرشد السامع الى ما يحتاج اليهِ من امور دينهِ ودنياه ويقيم لهُ مراسيم لتقويم عيشهِ والاستعداد الى معادهِ (٢)

س ما هي فوائد علم الخَطابة

ج فوائدها اكثر من ان تُحصى اذ تُعرف بها طُرُق استعطاف الخواطر وتمكّن صاحبها من مقاليد القلوب. وبنبراسها تستضيء موارد الدليل ومصادر البرهان لانفاذ

١ رسالة ابن سينا في تقسيم العلوم ٢ الشفاء لابن سينا

كل امر جميل وادراك كل غاية نافعة . هذا الى وقوف صاحبها على شِعَب السهو والزَلّة لدحض اقاويل الخصم

س ما اصل صناعة الخطابة

ج لمّا جعل الله الانسان ناطقًا دالاً كلامهُ على المعاني الحاصلة في الضمائر . وكانت من ثمَّ الافكار متباينةً سَمَت همّة بعضهم الى اطلاع ما كان احرى بالقَبول فاتعبوا انفسهم في استنباط قواعدَ ثابتٍ ركنها على ذات الطبيعة (١)

س من اوّل مدوّن لهذه الصناعة

ج هو ارسطو الحكيم المشهور . دوَّن قواعد هذه الصناعة في كتاب سمَّاهُ الخطابة ضمَّ بهِ شارد هذا الفنّ وجمع شتاتهُ . وقد عرَّب تأليفهُ ابن رشد وأَخذ عنهُ الفارابيّ وابن سينا وكثيرون غيرهما

س ما هي مرتبتهُ

ج مرتبتهُ ان يؤَخَّر على العلوم اللسانيَّة كاللغة والمعاني والبيان وما شاكل ذلك ليستعين بها ويلتقط من فرائدها في بلوغ غايتهِ

---

١ درر الخصائص للوطواط

س ما هي اركانهُ

ج هي الاركان الاربعة التي سبق الكلام فيها في توطئة علم الادب (راجع الجزء الأوَّل)

س على اي مِحْور تدور صناعة الخطابة

ج تدور على مِحوَرين هما اصول فنّ الخطابة وفنونها

الفصل الاول

في

اصول علم الخطابة

س كم هي اصول علم الخطابة

ج ثلاثة: الأوَّل الايجاد . الثاني التنسيق . الثالث التعبير

قال ابن المعتز والشيباني : ان البلاغة بثلاثة امور : ان تغوص لحظةُ القلب في أَعماق الفكر وتتأَمل لوجوه العواقب وتجمع بين ما غاب وما حضر . ثم يعود القلب على ما أُعمل بهِ الفكر فيحكم سياق المعاني ويحسن تنضيدها . ثم يبديهِ بالفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستكمال محاسنها

قال بعض الحكماء : العلوم الادبيَّة مطالعها من ثلاثة اوجه : قلب مفكّر . ولسان معبّر . وبيان مصوّر

أَلأَصْلُ ٱلأَوَلُ

الايجاد

س ماهو الايجاد

ج الايجاد عبارة عن إعمال الفكر في استنباط المعاني الحقيقة بالاقناع

س من اين تؤْخذ المعاني الحقيقة بالاقناع

ج من ثلاثة مصادر : الادلَّة . والآداب.والاهواء

وذلك ان غاية الخطيب في كلامهِ امّا ان يكشف القناع عن امور مستغلقة ليقرّب فهمها للسامع وهو يقوم بالادلّة . وامّا ان يحاول استعطاف خواطر الجمهور برقّة كلامهِ ودماثة اخلاقهِ ومداراة طباعهم وهذا لا يتمُّ الّا بالآداب . وامّا ان يحرك في قلوبهم الاميال وذلك مَدَارهُ على الاهواء

الباب الاول

في الادلّة

س ما هو الدليل

ج الدليل في اللغة هو المُرْشد وفي اصطلاح الاصوليين

هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيهِ الى مطـلوب خبري ·
والدليل يسمَّى برهانًا ان كان قطعيًّا الزاميــًا وان كان محمولاً
على الظنّ فهو الحجَّة

اعلم ان الخطيب لايتتبَّع في كلامهِ البراهــين القطعية الموجبة للتصديق فقط بل وكثيرًا ما يتوخّى الحجج الشبيهة بالقطعيَّة ايضًا . وذلك في المشكِلات والامور القضائيَّة واثبات الحوادث الجـارية . ودونك شاهدًا عن كليهما :

١ً الدليل القطعي او البرهان عن ابن عبري في عدم وجود الهين

لو كان الهان لامكن ان واحدًا يريد ان تصير البريَّة والآخر لم يشأ ذلك . او كلاهما يتفق في الارادة جميعًا . او تكمل فقط ارادة احدهما خصوصًا ولا تكمـل ارادة الاخر. والقول الاوَّل محال اذ يكون في ارادتهما تضادّ فينفي الواحد ما اثبت الاخر . والثاني ايضًا محال لان ارادة الواحد مقيدة بارادة الاخر. والثـالث باطل ايضًا لان الذي بطلت ارادتهُ ليس هو اله . وامَّا الاخر فيكون هو وحده الهٌ وليس اله سواهُ

٢ً الدليل الظنّي او الحجَّة عن كتاب كليلة ودمنة

اذا تكلّم بالسرّ اثنان فلا بُدَّ من ثالث من جهة الواحد او من جهة الآخر فاذا صار الى الثلاثة فقد شاع وذاع ولا يقدر صاحبهُ على الفداء منهُ بالمال

فالاوَّل هو البرهان لصحَّة مقدماتهِ . والثاني هو الدليل الظنّي لان قولهُ ان السرّ اذا جاوز الاثنين شاع فذلك ليس بدليل قطعي والمحمول على الغالب

س انَّى تؤخذ ادلَّة الخَطابة

ج قال ابن سينا : ان الحجج في الجدل والخطابة تُكتَسب من المواضع (١). ومن طلب الاقناع وهو لا يعلمها فهو كحاطب ليل يسعى على غير هداية لا لبخل من الموجد بل لنقصان في الاستعداد

س ما هي المواضع

ج هي قياسات يتخذ من معدنها الخطيب عُدَّةً لاقناع الجمهور

س كم قسمًا المواضع

ج المواضع قسمان قسم منها ذاتيَّة تُكتَسب ادلَّتها من نفس الموضوع . ومنها عرضيَّة تستفاد من مصادر خارجة عن الموضوع كقول ابن مسكويه في الأُنس والأُلفة وقد جمع بين المصدرَين :

ان العقل الذي في الانسان اذا صفا من كدورتِهِ التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ولم تجذبه انواع الشهوات واصناف محبات الكرامات اشتاق الى شبيهِهِ . وذلك ان الانسان آنس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان في اللغة العربيَّة . وينبغي ان يعلم ان هذا الانس الطبيعي في الانسان هو الذي ينبغي ان نحرص عليهِ ونكتسبه مع ابناء جنسنا حتى لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا فانه مبدأ المحبات كلها . وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل لهم هذا الانس . ولعل الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم او معابدهم وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ليحصل لهم هذا الانس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم

١ هذه اللفظة قد نقلها العرب عن اليونان τοπικη يريدون بها مصادر الادلَّة

تتأكد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم وهذا الاجتماع ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة . والدليل على ان غرض صاحب الشريعة ما ذكرناه انه اوجب على اهل المدينة باسرهم ان يجتمعوا في كل اسبوع يوماً في مسجد يسعهم ليجمع ايضاً شمل اهل المحالّ والسكك في كل اسبوع كما اجتمع شمل اهل الدور والمنازل في كل يوم . ثم اوجبهم ايضاً ان يجتمعوا في السنة مراراً في ايام الاعياد بارزين مصحرين ليسعهم المكان ويتجدد الانس بين كافتهم وتشملهم المحبة الناظمة لهم ويصير حالهم في الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحالي المجتمعين في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجتمعوا بذلك الانس الطبيعي الى الخيرات المشتركة وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم ويغتبطوا بالدين القويم القيم الذي الفهم على تقوى الله وطاعته

فانّهُ بيّن اولاً ببراهين اخذها من نفس المادّة ما يحملُ الانسان على الاستئناس بشبيهه . ثم دعم مقالتهُ بادلّة اخذها من مصادر خارجة عن الموضوع كعوائد الناس والشرائع والسنن

البحث الاوّل

في المواضع الجدليّة الذاتيّة

س كم هي المواضع الجدلية الذاتيّة

ج هي ثمانية تنقسم الى ثلاثة اقسام : ثلاثة منها تبيّن نفس الموضوع هي: الحدّ . والكلّي والجزئي . والجنس والنوع . وموضعان يدلان على ما لهُ نسبة او علاقة مع الموضوع هما : العلّة والمعلول . والظروف . وثلاثة تعرض على الموضوع بالمشابهة هي : المقابلة . والتضادّ . والامثال

١ الحدّ

س ما هو الحدّ

ج فد سبق انَّ الحدّ باللغة نهاية الشيء وفي الاصطلاح هو مُرادِف للمعرِّف وهو مميّز الشيء عن غيرهِ (١)

س كم قِسما الحدّ

ج الحدّ قسمان إمَّا حقيقي وإمَّا رسميّ

س ما هو الحدّ الحقيقي

ج هو عبارة عن تعريف الشيء بمحض ذاتيتهِ اي بجنسهِ وفصلهِ القريبين كتعريف الانسان بالحيوان الناطق (٢)

س ما هو الحدّ الرسميّ

ج هو ما افاد تمييز صُور المفهومات ويُعرف بالقول الشارح كقول بعض القدماء في الانسان :

ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله تعالى ابدعهُ في احسن تقويم وهو اعتداله وتسوية اعضائهِ. لانهُ خلق كل شيء منكبًّا على وجهه وخلق الانسان سويًّا. ولهُ لسان ذلق ينطق بهِ ويد واصابع يقبض بها. فهو اعدل الحيوان مزاجًا واكملهُ افعالًا والطفهُ حسًّا وانفذهُ رأيًا مؤدب بالامر مهذب بالتمييز فهو كالملك المسلط القاهر لسائر الخليقة والآمر لها. وذلك بما وهبه الله من العقل الذي بهِ يتميَّز على كل الحيوان البهيمي. فان الله تعالى كوّنهُ حيًّا عالمًا قادرًا متكلمًا سميعًا بصيرًا مدبرًا حكيمًا وهذه صفات الرب جلّ وعلا. فالانسان هو بالحقيقة ملك العالم ولذلك سماهُ قوم من الاقدمين العالم الاصغر.

١ المولوي ٢ الجرجاني والتهانوي

س كم صورة للحدّ عند الأدباء

ج للحد صُور كثيرة فتارة يعرّف الخطيب المحدودَ بمفاعيلهِ ومعلولاتهِ كقول بعض الاقدمين في حدّ العقل :

العقل وزير يرشد وظهير يسعد . من اطاعهُ نجّاهُ ومن عصاهُ ارداهُ . ان انكسر صاحبهُ جبرهُ وان انصرع انعشهُ . وان ذلّ اعزهُ وان خاف امّنهُ . وان حزن افرحهُ وان تكلّم صدقهُ . وان اقام بين ظهرانَي قوم اغتبطوا بهِ وان غاب عنهم اسفوا عليهِ . وان بسط يدهُ قالوا جواد . وان قبضها قالوا مقتصد

لله درّ العقل من رائدٍ وصاحب في العُسر واليُسْرِ
وحاكمٍ يقضي على غائبٍ قضيّةَ الشاهد للامرِ
ان شاءَ في بعض احوالهِ ان يفصل الخير من الشرِّ
فذو قوى قد خصّهُ ربّهُ بخالص التمييز والطهرِ

وتارةً يبيّنهُ بتعريف اقسامهِ كقول الحسن بن عبدالله في تعريف الشاهين :

الشاهين طائر من الجوارح اجودهُ اسود الظهر غائر العينين حادّ النظر قصير الظهر طويل الخوافي لطيف الذنب دقيقهُ بسيط الكفّ

وآناتٍ يكشفُ عن حقيقة الامر بذكر خواصّهِ كقول ابن عمرو بن الشهيد في البعوضة :

البعوضة مالكة لا حسّ لها سواها . تحقرها عين من رآها . تمشي الى الملك بندبها . وتضرب بحبوحة داره بطبلها . تؤذيهِ باقبالها . وتعرّفهُ باراقة دمهِ ما لها . فتعجز كفهُ وترغم انفهُ وتضرّج خدّهُ وتفري لحمهُ . زجرتها تسليمها . ورمحها خرطومها . تذلّل صعبك ان كنت ذا قوّة وعزمٍ . وتسفك دمك ان كنت ذا حلقة وعسكرٍ ضخم . تنقض العزائم وهي منقوضة . وتعجز القويَّ وهي بعوضة . ليرينا الله عجائب قدرته . وضعفنا عن ضعف خليقته

وطورًا يحدُّ الشيءُ على طريقة السلب والايجاب كقول ابي العتاهية في تعريف الغنيّ :

ان الغنيَّ هو القنوعُ بعينهِ ما ابعد الطمع الحريص من الغنيَ

كقول ابن الوردي :

ليس من يقطع طرقًا بطلًا انمّا من يتّقي الله البطل

وكقول آخر :

وليس اخوك الدائم العهد بالذي يذمك ان ولىَّ ويرضيك مقبلا
ولكن اخوك النائي ما دمت آمنًا وصاحبك الادنى اذا الامر اعفلا

وحينًا يُحدُّ الموضوع بالتشابيه والامثال كقول ابن العربي في الكتاب :

الكتاب بستانٌ يحمل في ردنٍ وروضة تنقل في حجرٍ ينطق عن الموتى ويترجم عن الاحياء هو مسامر مساعد ومحدّث مطاوع ونديم صديق

كتابيَ فيه بستاني وراحي ومنهُ سميرُ نفسي والنديمُ
يُسالمني وكل الناس حربٌ ويُسليني اذا عرَت الهمومُ
ويُحيي لى تصفح صفحتيهِ كرامُ الناس اذ فُقد الكريمُ
اذا اعوجَّ عليَّ طريق امري فلي فيهُ طريق مستقيمُ

٢ الكلّي والجزئي

س ما هو الكلي وما الجزئي

ج الكلي ما جمع في حكمهِ اجزاءً شتّى ينقسم اليها . والجزئي ما انتظم في سلك الكلّي كقول بعضهم :

العلوم اربعة : الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للازمان والبلاغة للسان

س ما هي احكام الكُلّي والجزئي في الخُطب

ج له ثلاثة احكام الاوّل ان تثبت للكلّي ما قررته للجزئي كقول ابي العتاهية في صولة الموت وفتكه بجميع البشر :

ما يدفع الموت ارجاءٌ ولا حرسُ ما يغلبُ الموت لا جنٌّ ولا انسُ
ما ان دعا الموتُ املاكاً ولا سوقاً إلّا ثناهم اليه الصرعُ والخلسُ
للموت ما تلد الاقوام كلهمُ وللبلى كل ما بنوا وما غرسوا

فالحكم الموت اثبتهُ للاجزاء فرداً فرداً ثمَّ للكل في البيت الاخير

الثاني ان تنفي عن الكلّي ما سلبتهُ عن الجزئي كقول شمس المعالي قابوس في الدهر وانكر عنهُ الخير إجمالاً بعد ان استوعب في تفصيل شروره :

الدهر لا يؤمَن يومهُ ويخاف غدهُ فهو يغرُّ ويمرّ ، ويسوءُ من حيث يسرُّ ، ان اضحك ساعة ابكى سنة ، وان اتى بسيئة جعلها سُنَّة ، ومن اراد منهُ غير هذا سيرة ، اراد من الاعمى عيناً بصيرة ، فلا تركن الى الدهر فانَّهُ شرٌّ كلهُ مفصّلهُ ومجملهُ

ومثلهُ قول الرسول في الاستمساك بحبل الله :

من يفصلنا عن محبة الله أَشدة ام ضيق ام جوع ام عُرى ام خَطر ام اضطهاد ام سيف .. فاني لواثق بانهُ لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رئاسات ولا قوات ولا اشياء حاضرة ولا مستقبلة ولا علوّ ولا عمق ولا خلق آخر يقدر ان يفصلنا عن محبة الله

الثالث ان تفصل بين امورٍ فتثبت لاحدها ما نفيتهُ عن الباقي كقول لبيد :

الا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

٣ الجنس والنوع

س ما هو الجنس وما النوع

ج الجنس في اللغة ما يعمُّ كثيرين . وفي الاصطلاح هو المقول

على كثيرين مختلفين بالاحكام . والنوع في اللغة ما دخل في حكم الجنس . وفي الاصطلاح هو المقول على واحد او على كثيرين متفقين بالاحكام (١) . كالفضيلة مثلًا جنس تشمل تحت حكمها انواعًا مثل العدل والقناعة والمروءة الخ

(فائدة) قد سبق ان الخطابة تحاول الاقناع في امرٍ خاصٍّ توسلًا لترويج مقاصدها واجراء لمطالبها فلذلك تستند على مبادئ عامّة تستخرج منها مطاوبها الخاصّ وتبنيهِ عليها بناء الجدران على اساسها والعمد على قواعدها اضرب مثلًا في ذلك

كتب الخوارزمي الى ابي نصر الميكالي يشكرهُ على اصطناعهِ الى بعض اصدقائهِ فانتقل من وصف الإحسان وهو الجنس العام الى وصف الصنيعة وهو الخاص

المحسن الى الناس كلهم حبيب ، ومن القلوب كلها قريب ، يمدحونهُ وان لم يحسن اليهم ، ويشكرونهُ وان لم يفضل عليهم ، كما ان المسيء في النفوس صغير ، وان كثر مالًا وحالًا ، وقبيح وان حسن زينًا وجمالًا ، على هذا أسست الابنية ، وعليهِ وُضعت الفطرة ، وفيهِ اتفقت الخاصّة والعامّة . . . والشيخ على سبيل الكرام نهج ، وعلى منوالهم نسج ، فصنائعهُ في قوالب الحمد والشكر ، وعلى طريق الاجر والذخر ، بلغني ما صنعهُ الشيخ مع فلان فما استكثرتهُ قياسًا على قدرهِ العظيم ، وبرهِ الجسيم

وكقول المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة :

نُعدُّ المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتالِ

فتخلص بهذا الرثاء من وصف فتكات المنون الى الفاجعة بوالدة سيف الدولة

(راجع القصيدة في الجزء السادس من مجاني الادب صفحة ٢٣٤)

١ ابن سينا والمولوي

س كم طريقة لاستعمال الجنس والنوع في الخطابة

ج لذلك طريقتان :

الاولى ان يقرر الخطيب عن النوع ما قرَّرهُ عن الجنس

كقول ابن خلدون في العلوم العقلية بالاجمال وفي المنطق بالتخصيص :

ان العلوم العقلية كثيرة الفوائد بها يقف الانسان على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكرهِ ويقتنص المطالب المجهولة ويستخرج المباحث الشريفة . ومن أَجلّ هذه العلوم واجدرها بالدراية علم المنطق وهو يعصم عن الخطإ ويبين الصحيح من الفاسد في الحدود المعرِّفة للماهيّات والحجج المفيدة للتصديقات . وهو اول العلوم الحكميَّة وفاتحتها وسُمي المعلّم الاوَّل

الطريقة الثانية ان تنفي عن النوع ما تنفيهِ عن الجنس

كقول ابي العتاهية وقد بيَّن كدورة العيش مجملًا ثم مفصلًا :

ما رأيت العيش يصفو لأحد دون كدّ وعناء ونكدْ
ان للموت لسهماً قاتلًا ليس يفدي احدًا منهُ احدْ
قد ارى ان لستُ في الدنيا ولو بقيت لي دائمًا طول الأمدْ
اني منها غدًا مرتحلٌ او اراني راحلًا من بعد غدْ

س في اي قسم من الخطبة يُذكر الجنس والنوع

ج قال ابن سينا : جملة ما يقال في ذلك ان الخطباء قد اعتادوا ان يأتوا في صدر خطبهم بنظر عام في مقصدهم تأسيسًا لما يأتون في خطابهم . لان كل خطاب لأبدَّ لهُ من فَرش يكون لهُ بمنزلة الاساس من البنيان كقول بعض البلغاء في البيان والفصاحة وقد افتتح خطبتهُ بذكر شرفها ومنافعها ثم أخذ

بتحريض الناس عليها :

امّا بعد ان البيان ترجمان اللسان وروض القلوب . وانَّ من عُرف بفصاحة اللسان لحظتهُ العيون بالوقار لانها اقوى دليل على استكمال الذكاء والنُّبل وهي لم تزل تشيّد لاهلها في ربوع المجد فخرًا وترفع لهم في مراتب العلوم ذكرًا . فعليكم بالفصاحة في منطقكم وذكوا بالبيان قلوبكم بهِ تهدون ضالّاً وترشدون غاويًا وتعلّمون جاهلًا . واعلموا انَّ من كان في النطق ابلغ كان بالانسانية اخلق

٤ العلة والمعلول

س ما هي العلة

ج هي ما يحتاج اليهِ الشيء في وجودهِ (١) كالدرس مثلًا بالنسبة الى العلم والشمس بالنسبة الى النور

س كم نوعًا العلة

ج العلة على اربعة انواع : فاعليَّة وغائيَّة وماديَّة وصوريَّة

س ما هي العلة الفاعليَّة

ج هي ما كانت موءثرة في المعلول موجدة لهُ : كالبنَّاء بالنسبة الى الدار فانهُ العلّة الفاعليَّة في وجودها

س ما هي العلة الغائيَّة

ج هي ما كان لاجلها المعلول : كوجه الله في عمل الصدقة والانتصار في إيقاد الحرب

---

١ المولوي والجرجاني

س ما هي العلة المادّيّة

ج هي ما تقومت بها اجزاء المعلول : كالحجارة مثلًا فانها مادّة بناء الدار والجسد مادّة الانسان

س ما هي العلة الصوريّة

ج هي ما توقف عليها اتّصاف مادّة الموجود فتفردهُ عمَّا سواهُ : كنفس الانسان فانها علتهُ الصوريّة لانها تميزهُ عمن سواه

س أَتكون العلل من وسائل الإقناع

ج نعم ان العلل من جملة البراهين المقنعة لان الخطيب اذا ادَّعى شيئًا واثبت لهُ العلل الاربع او بعضها فلا يبقى وجهٌ للإنكار

اورد مثلًا عن كل علة من هذه العلل

١ً العلة الفاعليَّة كقول ابي زكرياء بن عدي في علة اختلاف شهوات الناس :

ان العلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذَّاتهم وعفة بعضهم وفجور بعضهم هو اختلاف احوال القوة الشهوانية . فانها اذا كانت مهذَّبة مؤدبة كان صاحبها عفيفًا ضابطًا لنفسهِ . واذا كانت مهملة مالكة لصاحبها كان فاجرًا شريرًا . واذا كانت متوسطة الحال كانت رتبة صاحبها في العفة كرتبتهِ في التأدب ولهذا وجب الانسان ان يقهر قوتهُ الشهوانيَّة ويهذبها حتى تصير منقادة لهُ ويكون هو مالكها فيستعملها بالتأدب ويكفَّها عمَّا لا حاجة بهِ اليهِ من الشهوات الردية واللذات الفاحشة

٢ً العلة الغائيَّة كقول الشيخ جمال الدين الافغاني في غايات الدهريّين :

هولاء جحَدة الألوهية في أيّ امة و بأيّ لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع اساس قصر السعادة الانسانيَّة . اعاصير افكارهم تُدكدك هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى عَراء الشقاء وتهبط بهِ من عرش المدَنية الانسانية الى ارض الوحشية الحيوانية . . .ذهبوا الى انهُ لا حياة للانسان بعد هذه الحياة وانهُ لايختلف عن النباتات الارضية تنبت في الربيع مثلًا وتيبس في الصيف ثم تعود ترابًا والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظهُ من الشهوات البهيمية . وبهذا الراي الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى انواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرضٍ ويسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع في كل رذيلة واعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشري واعدموها الرغبة في كشف الحقائق وتعرُّف اسرار الطبيعة

٣ً العلة الصوريَّة كقول الشيخ ابن عديَ في قوة الانسان الناطقة المختصة بهِ :

هذه القوة الناطقة هي التي بها يتميز الانسان عن جميع الحيوان وهي التي يكون بها الفكر والذكر والتمييز والعلم والتي بها شرف الانسان وعظمت همتهُ فيعجب بنفسهِ .والتي بها يستحسن المحاسن ويستقبح القبائح وبها يمكنهُ ان يهذب قوتَيهِ الباقيتين اعني الشهوانية والغضبية ويضبطهما ويكفهما . وبها يفتكر في عواقب الامور فيبادر باستدراكها من اوائلها ولهذه القوة فضائل ورذائل . . . اماَّ فضائلها فاكتساب العلوم والاداب وكف صاحبها عن الرذائل والفواحش وقهر القوتين الأُخرَيين وتهذيبها وسياستهُ في معاشهِ ومكاسبهِ وفي مروتهِ وجميلهِ وحثهِ على فعل الخير والتودد والرقة وسلامة النية والحلم والحياء والنسك والعفة وطلب الرئاسة من الوجوه الجميلة

٤ً العلة الماديَّة كقول القزويني في جسم الانسان :

انَّ في بنية الانسان واختلاف اعضائهِ وتركيبها من العجائب ما تحيَّر فيهِ عقول

الاولين والآخرين وقصر عن ادراكها فهم الخلق أجمعين. فلكثرة ما فيها من العجائب قد قيل : ان من عرف نفسهُ فقد عرف ربّهُ. ومعناهُ ان من عرف ما في هذه البنية العجيبة والهيئة البديعة من اتقان صنعتها مع صِغر حجمها والجمع بين الاشياء المتضادَّة كروح سماويّ وبدن عُنصريّ وتأليف بين حارّ وبارد ورطب ويابس . وكيف تتحرك جميع القوى وتعمل كل واحدة فعلها الخاصّ بها . تتحرك من مبدإ واحد نحو غاية واحدة وكيف جُعلت العظام قِواماً للبدن ودعامة لهُ في الحركات. وكيف جُعلت الاعصاب والرباطات تنتهي من بعض العظام الى بعض اترتبطها وتشدَّها . وجُعل الشرايينُ والأوردة جداولَ تحمل الغذاء الى سائر الاعضاء وتدفع الروح الحيواني مع الدم الذي هو مادَّة غذائهِ كالزيت للمصباح الى سائر البدن . ثم كيف ينبسط الغشاء والجلد على سطح الاعضاء ويحويها كاللفائف ويصير لها حافظاً يحفظ جواهرها واشكالها عمَّا يطرأ عليها . عَلِمَ الانسان بذلك ان لها خالقاً قادراً عليها حكيماً وتنبَّهَ في ذاتهِ من آثار قدرة الله تعالى ولطائف حكمتهِ فيعرف النعامهٔ ويدعوهُ ذلك الى الشكر والثناء عليهِ

س ما هو المعلول وما هي مرتبتهُ في الخطابة

ج المعلول ما يشتق عن العلة فاوجبتهُ عقيبها . ومرتبتهُ في الخطابة ان يأتي بعد احدى العلل الاربع كقول ابن الحديّثي في مفاعيل الصوم :

الصوم مفتاح السعادة ، الصوم مصباح العبادة ، الصوم مقداح الزّهادة ، الصوم يُطهّر النفس ، الصوم يزكي الحسّ ، الصوم يطهر القدس ، الصوم يبعد الشرّ ، الصوم ينفي الكبر ، الصوم يحسّن الذِكر ، الصوم يطفئ شهوات الجسد ، الصوم يحلل من الحقد العقَد ، الصوم يدحض الشرّ ويميت الحسَد ، الصوم يعلي الرتبة في ملكوت السماء ، الصوم يُسني المنزلة عند الملوك والعظماء ، الصوم يوجب الزيادة والبركة وفضل النماء ، بالصوم ينال المطلوب والرغبة ، بالصوم تحمل في القلوب الرّهبة ، بالصوم تحاز فوائد القربة ، بالصوم تدرك المطالب المنجحة ، بالصوم تحصل عوائد المساعي المربحة ، الصوم نور التُقى وعمار الزهادة ، بالصوم تبلُغ النفس الإرادة ، الصوم يشحذ الالباب ويثبّت العِلم ، الصوم يزكي القلب ويطهّر الجسم ، الصوم يصفّي الذهن ويزيد الفهم

٥ الظروف

س ما هي الظروف

ج الظروف عند الحكماء والخطابيين عوارضُ محمولة على المقصود خارجة عنه تُطرأ عليهِ وتكيِّفه بكيفيتها

(فائدة) اعلم ان الظروف من اوسع مصادر البرهان في الخطابة عنها ياخذ المتكلم ما يتصرّف بهِ في وجوه الكلام وبها يرقّ التحيُّل لبلوغ غرضهِ من إثبات قضية وبيانها ومغالطة خصمٍ وتصغير جناية وتعظيم مُنكرٍ . وكل ذلك كثير في مخاصمات الدعاوي

س ما هي اخصّ الظروف

ج الظروف كثيرة تعود الى ثلاثة ابواب :

الاوَّل عوارض الزمان والمكان

والثاني صفة احوال النفس كخصالها وخِلالها

والثالث الصورة والهيئة الخارجة كالحسن والقبح والزِيّ والنسبة . وهي محصورة في بيتٍ لبعض الشعراء :

فمَنْ ومَا أَينَ بِماذا ولِما كيفَ متى تأتي بها مستفهما

فان (مَنْ) تدل على الفاعل وما يختصّ بالفاعل كجنسهِ وآدابهِ وأخلاقهِ وسنهِ ووطنه ونسبهِ وسمعته وعقلهِ الخ . (ومَا) يراد بها الفعل او القضية التي عليها بُني الكلام . (وأَين) تدل على مكان الصنيع أَفي

خلوة ام علانًا أَبمعبدٍ ام مجلسٍ . (وبماذا) تدل على الوسائل المتخذة لانفاذ المقصود كالمدَد والاسلحة والعدد والمشورة والإغراء على العمل . (ولِمَ) يراد بها الغاية والدواعي الى العمَل . (وكيف) تبيّن نوع العمَل وسياقهُ وهيئتهُ . (ومتى) تدل على زمان العمَل أنهارًا ام ليلاً الى غير ذلك .

وقد جمع قسمًا كبيرًا منها يحيى بن معاذ في صفة المحب لهُ تعالى :

صاحبُ الحبِّ حزينٌ قلبهُ دائمُ الغصَّةِ مهمومٌ دنفْ
همُّهُ في الله لا في غيرهِ ذاهبُ العقلِ وبالله كلفْ
اشعثُ الرأسِ خميصٌ بطنُهُ اصفر الوجنة والطرْفُ ذرِفْ
دائمُ التّذكارِ من حب الذي حبُّهُ غاية غايات الشرَفْ
فاذا أمعن في الحب لهُ وعلاهُ الشوقُ من داءٍ كُشفْ
باشرَ المحرابَ يشكو بثَّهُ وامام الله مولاهُ وقفْ
قائمًا قدّامه منتصبًا لهجًا يتلو بآيات الصحفْ
راكعًا طورًا وطورًا ساجدًا باكيًا والدمع في الارض يكفْ
ورد الحق على القلب الذي فيهِ حب الله حقًا فعرفْ

(راجع ايضًا مقالة الطرطوشي في كمالاتهِ تعالى في بدء الجزء الثالث من مجاني الادب)

س كم قسمًا الظروف

ج الظروف ثلاثة اقسام : العوارض . والمقدَّمات . والتوالي

س ما هي العوارض وهل تصلح للبرهان

ج العوارض هي الظروف المحدقة بالمقصود الملاصقة لهُ كما سبق . وهي جديرة بالإقناع لانها بصفتها لِلَواحِق المقصود

وقرائنهِ تَكشف عنهُ القناع وتبلغ من ثم كُنه القلوب كقول ابي سفيان بن حَرْب قبل وقعة اليرموك محرضًا العرب :

معاشر الناس انتم العرب الكرام السادة العظام وقد اصبحتم في ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والوطن . فاعلموا انهُ لا ينجيكم منهم اليوم الّا الطعن والضرب تبلغون بذلك أَربكم وتنالون الفوز من ربكم . واعلموا ان الصبر في مواطن البأس مما يفرّج الله بهِ الهمّ وينجّي بهِ من الغمّ فأَصدقوهم القتال. فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم امصارهم وبلادهم واستعبدتم نساءَهم وابناءهم . وان وليتم فليس بين ايديكم الّا مفاوز لا تقطع الّا بالزاد الكثير والماء الغزير وهولاء يرجعون الى دور وقصور . فامتنعوا بسيوفكم وجاهدوا في الله حَقَّ جِهَاده

س ماهي المقدَّمات والتوالي

ج المقدمات ما سبق المقصود وتقدَّمهُ . والتوالي ما تبعهُ ولحق بهِ . ولا بدَّ لكليهما من علاقة مع المقصود كقول ابي الحليم يذكر ما تقدم ميلاد يوحنَّا المعمدان مستنتجًا من ذلك عظم شأْنهِ وجلالتهِ :

فبينما هو مكتّنٌ في رتبة خدمتهِ ، يوم عيد الغفران امام الله على عادتهِ ، وآن لهُ وضع البخور على المباخر ، وقد تجلبب من ملابس الكهنوت بالحلل الفواخر ، ظهر لهُ ملاك الرب مجللًا بالنور ، قائمًا بالمنظر البهي على يمين مذبح البخور ، فاذهل روية زكريًّا رُواوُه ، وانزعجت لرؤية شخصهِ المخوف فكرتهُ وآراوُهُ ، واشتمل الخوف على قلبهِ وتغشَّاه ، ووهت لهيبة منظرهِ الملكي مُنَّتُهُ وقواه ، رأى المذبح القدسيّ مملوًّا بوميض برقهِ ، وهو مقمَّص بالنور من قدميهِ الى فرقهِ . يلمح رونق الملكوت على شخصهِ الوضّي ، وطلاوة مجد اللاهوت تلمع من وجههِ المضيء ، قد خمَّ الوقار على هيئتهِ ، وقدحت الانوار من هيبتهِ ، غشيتهُ المخاوف من منظرهِ العجيب ، تراعدت فرائصهُ من روعة شخصهِ المهيب ، قال في نفسهِ : مَن عساهُ أَن يكون هذا ، وانَى تهجّم على المذبح القدسيّ ولماذا ، وكيف اقدم على دوس هذه الأعتاب ، ولم يخشَ وصمة اللوم وعار العتاب ، فلمَّا رآه الملَك واقفًا على قدم الحيرَة ، قد تلاطمت بهِ امواج الجزَع والغيرَة ، قال لهُ : لا تخشَ يا زكريا ولا تخف ، فانني مهدٍ اليك سنيَّ البشائر

ولطاف التحف، وذاك انّ مسموع دعائك وصلاتك ، قُدّم الى الله على اعضاد برّك وصلاتك ، فانّ الرب بوّأك من رتب الاختصاص منزلة زُلفى ، وخصّك من لطائف الآلاء بالسهم الأوفر والنصيب الأوفى ، وستلد لك زوجتك اليشبع ابنًا ، يكون عظيمًا امام الرب ويدعى بالإيعاز الالهي يوحنًا

وكقولهِ ايضًا في باب التوالي مبينًا حالة الابن الشاذّ بعد ابتعادهِ من بيت ابيهِ :

فلمّا بدَّد مالهُ في الضلة والغواية ، حدثت في بلدتهِ نازلة الغلاء ، وأشفى على التلف من البؤس والأذاء ، فألجأهُ كظّ السّغب وسوء التدبير ، الى استرعاء الخنازير ، ولم يزل يرتع في خرنوب الذنوب . ويكرع من منهل القبائح وماء العيوب ، قد تقلصت عنهُ ذيول الاقبال ، وحالت بينهُ وبين السّعادة مهاول الاوحال

س ما هي طريقة المحاجَّة بالمقدَّمات والتوالي

ج لذلك ثلاث طرائق :

الاولى ان تنكر التالي بعد انكار المقدمة كقولك : لم يمت زيدٌ فاذن لم يسمَّهُ عمروٌ

الثانية ان تقرّر التالي بعد تقرير المقدمة كقولك : ان زيدًا اقترف اثمًا فظيعًا فاذن لأُبدَّ ان يؤخذ بذنبهِ

الثالثة ان تنكر المقدمة بعد انكار التالي نحو : ليس زيدٌ بلصٍّ فاذن لم يختلس مال عمروٍ

٦ المقابلة

س ما هي المقابلة

ج المقابلة عند الحكماء هي امتناع وجود شيئين في

موضوع واحد من جهة واحدة ويسمّى ايضًا التقابل (١) كالجهل والعلم والمحاسن والمعايب

س هل للمقابلة عمل في الاقناع

ج عملها رحب الفناء لان الشيء اذا ما عُرض على نقيضهِ يزيد جلاءً وبيانًا قال الشاعر :

ضِدَّان لمَّا استجمعا حَسنا والضدُّ يُظهر حُسنهُ الضدُّ

اورد شاهدًا في هذا الباب

قال ربيعة الرقيّ يمدح يزيد بن حاتم المهلّبي ويهجو يزيد ابن اسيد السلميّ القيسيّ :

لشتَّان ما بين اليزيدين في الندى يزيـدِ سليمٍ والاغرّ ابن حاتمِ
يزيدُ سليمٍ سالمُ المـال والفتى اخو الازد للاموالِ غير مسالمِ
فهمُّ الفتى الازديِّ اتلاف مالـهِ وهمُّ الفتى القيسيِّ جمعُ الدراهمِ
فلا يحسبِ التمتـامُ اني هجوتهُ ولكنني فضَّلت اهلـ المكارمِ

وكقول ابي العتاهية يهجو يزيد الشيباني ويقابل بينهُ وبين ابيه :

بنى معنٌ ويهدمهُ يزيدُ كذاك الله يفعل ما يريدُ
فمعنٌ كان للحسَّاد غمًّا وهذا قد يُسَرُّ بهِ الحسودُ
يزيد يزيدُ في منعٍ وبُخلٍ وينقصُ في النوالِ ولا يزيدُ

وكقول ابن جوزي في الانذار :

يا مطلق الطرف لقد عقلك ، يا مشغولًا باللهو فلهوك قتلك ، يا بعيد الاماني والموت قائم على ساق ، يا دائم التواني وخيل المنايا عليك بالسبـاق ، يا هذا كم نقرّبك وانت تتباعد ، وكم ننهضك للاعمال وانت تتراقد ، نوقظك فتتناعس ،

---

١ اصطلاحات الفنون

ونجذبك فتتقاعس ، اذا قمت للصلاة فقلبك غائب وجسمك شاهد ، ثم تكثر الذنب والطَّرف ابدًا جامد ، امزحك الهوى ونحن نضرب بحديد بارد

س هل تأْتي المقابلة في غير الاضداد

ج تأْتي المقابلة في الاضداد وغيرها ايضًا . فان الخطيب ربما عرض امرهُ على مثلهِ او على ما هو فوق امرهِ محلاًّ او دونهُ موقعًا لترجيح قضيتهِ وقطع المشاغب . وعليهِ فيثبت او ينكر صحة امرٍ دون الذي حاول باثباتهِ كي يُستَدَلَّ من ثمَّ صدق او كذب ما بُني عليهِ الكلام كقول ابي عبيدة في خطبة لاهل الشام يدعوهم الى فتح بلدتهم

لا يغرنَّكم عظم مدينتكم ، وتشييد بنيانكم ، وكثرة زادكم ، وهول اجسامكم ، فانا نزلنا بلادًا اخصب من بلادكم ، وفتحنا امصارًا ممصَّرة ، ومدائن احرز من مدينتكم ، وخرج علينا اعلاج موفورة اقواتهم ، مدَّرعون متترسون لا يقرُّ لوجوههم قرار ، فصلد نجومهم ، وذهب امامنا ريحهم ، ورددناهم على الاعقاب لا يلوي آخرهم على اولهم

فيكون ملخص قولهِ : لم يثبت أمامنا من كان اقوى منكم فلا مراء انكم تمحونا انتم الاكتاف مع قصر باعكم

ومن هذا الباب قول الرب لتلامذته بعد غسل ارجلهم :

انتم تدعونني معلمًا وربًا وحسنًا تقولون لاني كذلك . فان كنت انا الرب والمعلم قد غسلت ارجلكم فيجب عليكم انتم ان يغسل بعضكم ارجل بعض . . . الحق الحقَّ اقول لكم : ليس عبدٌ اعظم من سيدهِ ولا رسولٌ اعظم من مرسلهِ

وكقول علي ابن ابي طالب في معاملة القريب :

إجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك . فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك

واكره لهُ ما تكرهُ لها . ولا تظلِم كما لا تحب ان تُظلَم . واحسن كما تُحب ان يُحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك . وارضَ من الناس ما ترضاهُ لهم من نفسك . ولا تقُل لهم ما لا تُحبّ ان يقال لك

٧ التشابهُ

س ما هو التشابُه

ج التشابُه في اللغة كالمشابهة وفي عُرْف الخُطباء اتّحاد امرين متباينين بالكيف (١) كالزهرة والشباب مثلًا فانهما مع اختلافهما في الجوهر يتفقان بنفارتهما وسرعة زوالهما

س هل يُتخذ التشابُه للاقناع

ج لا يقنع التشابُه بذاتهِ وانما يمهّد الطريق للاقناع بتجويد المادَّة وتحسينها وعرضها على شبهها كقول بعض الشعراء في الدنيا وشبه لذَّاتها بالحلم :

الا انما الدنيا كاحلامِ نائمٍ ... وما خيرُ عيشٍ لا يكونُ بدائمِ
تأمل اذا ما نلت بالامس لذةً ... فافنيتها هل انتَ الّا كحالمِ

وكقول الحسن بن عبدالله في مصاحبة الملوك :

ان الملك كالجبل الشامخ فيهِ الثمار والانهار والوحش والسباع والاخطار . فالوصول اليهِ صعب لصعوبتهِ والمقام فيهِ خطر كثير المعاطب وخيم العواقب

وكثيرًا ما يأتي التشابُه على طريق المقابلة والطباق كقول سلام بن عبدالله الباهلي في الزهد في الدنيا :

تبًا لطالب دنيا لا بقاءَ لها ... كانَّما هي في تصريفها حُلمُ
صفاؤها كدرٌ سراؤها ضررٌ ... امانها غررٌ انوارها ظُلَمُ

١ شرح المواقف

شبابها هرمٌ راحاتها سقمٌ لذّاتها ندمٌ وجدانها عدَمُ
فخلِّ عنها ولا تركن لزهرتها فانها نِعَمٌ في طيّها نِقَمُ
فاعمل لدار نعيمٍ لانفاد لها ولا يُخافُ بها موتٌ ولاهرمُ

٨ الامثال

س ما هو المثل

ج هو باللغة النظير وفي الاصطلاح هو على ما حدّه المبرّد: القول يشبَّه بهِ حال الثاني بالاول والاصل فيهِ التشبيه

س كم نوع المثل

ج المثل انواعٌ: منها الامثال السائرة وقد مرّ الكلام فيها (راجع صفحة ١٠٠ من الجزء الاول). ومنها ما جاء على السنة الحيوانات (راجع صفحة ١٢٦ من الجزء ذاته. ومنها ما كان على نوع التشابه والحِكم كما قال بعض الحكماء في مودّة الصالحين والاشرار:

المودّة بين الصالحين سريع اتّصالها بطيءٌ انقطاعها. ومثل ذلك مَثَل كوز الذهب فهو بطيءُ الانكسار سريع الاعادة هيّن الاصلاح. والمودّة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيءٌ اتصالها ومثل ذلك مثَل كوز الخزف فهو سريع الانكسار ينكسر من ادنى عيبٍ ولا وَصْل لهُ ابدًا

وكقول هرمس صاحب كتاب زجر النفس في نظام النفس والجسد:

ان عرض الحقّ وقضاء العقل ان تكون الاشياء على ترتيبها الطبيعي فاذ كانت كذلك فما احسنها واجملها واعدلها. وذلك كالصانع الذي ينبغي لهُ ان يكون هو الذي يستعمل الاداة لا الاداة تكون مستعملة لهُ. وكالفارس الذي ينبغي لهُ ان يدبّر الفرس ويجريه ويروضه لا ان يكون الفرس يدبّر الفارس.

وكالسلطان الذي من الواجب ان يكون هو المدبّر للرعيــة والسائس لها لا ان تكون الرعيّة هي تدبره وتسوسه . فاذا جرت هذه الاشياء على كياناتها الطبيعيّة ظهر الحق والعدل الحسنان الجميــلان واذا انعكست بالضد والخلاف ظهر الشرّ والجور القبيحان الرديّان

وفي هذا الباب تدخل تصاوير وهميّــة وافتراضات مختلفة يستنبطها الخطباء توسُّلًا لمطالبهم كقول ابن مقفّع وقد التمس صورةً حسيّة لتبيان قصر الحياة ولذّاتها الزائلة :

التمست للانسان مثلًا فاذا مثلهُ مثل رجل نجا من خوف فيلٍ هائج الى بئر فتدلىّ فيها وتعلّق بغصنين كانا على سمائهــا فوقعت رجلاه على شيء في طي البئر . فاذا حيّات اربع قد اخرجنَ رؤسهنّ من اجحارهنّ . ثم نظر فاذا في قعر البئر تنين فاتح فاه منتظرلهُ ليقع فيأخذهُ . فرفع بصرهُ الى الغصنــين فاذا في اصلهما جرذانِ اسود وابيض وهما يقرضانِ الغصنين دائبين لا يفــتران. فبينا هو في النظر لامره والاهتمام لنفسه اذ ابصر قريبًا منه كوارة فيها نحل عسل فذاق العســل فشغلتهُ حلاوتهُ والهتهُ لذتهُ عن الفكرة في شيء من امره وان يلتمس الخلاص لنفسه . ولم يذكر ان تحت رجليــه حيّات اربع لا يدري متى يقع عليهنّ . ولم يذكر ان الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين. فلم يزل لاهيًا غافلًا مشغولًا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك . فشبّهت البئر بالدنيــا المملوءة آفات وشرورًا ومخافات وعاهات . وشبّهت الحيّات الاربع بالأخلاط الاربعة التي في البدن . فانها متى هاجت اواحدها كانت كحمة الافاعي والسم المميت . وشبه الجرذان الاسود والابيض بالليل والنهار اللذان هما دائبانِ في إفناء الأجل . وشبه التنين بالمصير الذي لا بد منهُ . وشبه العسل بهذه الحلاوة القليلة التي ينال منهــا الانسان فيطعم ويسمع ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسهِ ويلهو عن شأنهِ ويصد عن سبيل قصده

س هل للامثال موقع في الخطابة

ج نعم للامثال حسن الموقع . قال ابن المقفع : اذا جُعل الكلام مثلًا كان اوضح للمنطق وآنق للسمع واوسع لشعوب

الحديث. قال ابراهيم النظام وقد خصَّ بقولهِ الامثال السائرة: في المثَــل اربعة لا تجتمع في غيرهِ من الكلام: ايجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسَن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة. ومن حسَن الشواهد في هذا الباب قول عبد الملك بن مروان وكان حجَّ في بعض الاعوام وامر الناس بالعطــاء فابى اهلُ المدينة قبولَ ما اعطى مستقلين عطاءهُ فرقي المنبر وخطبهم وقال في اثناء ما قال:

يا معشر قريش مثلَنا ومثلكم ما قيل: انَّ اخوين خرجا في الجاهلية مسافرَين فنزلا في ظلّ شجرة تحت صفاً. فلما دنا الرَّواح خرجت اليهما من تحت الصفا حيَّة تحمل ديناراً فالقتهُ اليهما فقالا: ان هذا لمن كنز. فاقاما عليها ثلاثة ايام كل يوم تخرج اليهما بدينار فقال احدهما لصاحبهِ: الى متى ننتظر هذه الحيَّة ألا نقتلهــا فنحفر هذا الكنز فنأخذهُ. فنهاهُ اخوهُ وقال لهُ: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال. فابى عليهِ اخذ فأساً معهُ ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسهــا ولم يقتلها. فثارت الحية فقتلتهُ ورجعت الى جحرها. فقام اخوه فدفنهُ حتى اذا كان من الغد خرجت الحية معصوباً راسها ليس معها شيءٌ فقال لها: ياهذه اني حقًا ما رضيتُ ما اصابك ولقد نهيت اخي عن ذلك فهل لك ان نجعل الله بيننا لا تضرّيني ولا اضرّك وترجعين الى ما كنت عليهِ. قالت الحية: لا. قال: ولِمَ ذلك. قالت: اني لأعلم ان نفسك لا تطيب لي ابدا وانت ترى قبر اخيك ونفسي لا تطيب لك ابدا وانا اذكر هذه الشجّة. وانشدهم شعراً للنابغة:

فقالت ارى قبراً تراهُ مقــابلي وضربة فأس فوق رأسي فاغرَه

فيا معشر قريش وليكم عمَر بن الخطّاب كان فظًّا غليظًا مضيّقًا عليكم فسمعتم لهُ واطعتم. ثم وليكم عثمان فكان سهلًا لينا كريمًا فعدوتم عليه فقتلتموهُ وبعثنــا اليكم مسلماً يوم الحرَّة فقتلتموهُ. فنحن نعلم يامعشر قريش انكم لا تحبّونــنــا ابدا وانتم تذكرون يوم الحرَّة ونحن لا نحبكم ابدًا ونحن نذكر مقتل عثمان (للمسعودي)

هذا المثل قد مرَّ صفحة ١٣١ من الجزء الاول مع بعض اختلاف

في الرواية . وانما اثبتناهُ هنا كي يرى المترشح للخطابة كيف يمكنهُ استعمال الامثال في اثناء خطابهِ لنيل مقصودهِ

البحث الثاني

في المواضع الجدليَّة العرضيَّة

س ما هي المواضع الجدليَّة العرضيَّة

ج قد سبق انها الادلَّة المأخوذة من مصادرَ خارجة عن الموضوع

س انَّى تُستفاد هذه البراهين

ج تُستفاد من التقاليد

س ما هو التقليد

ج هو اتّباع الانسان غيرهُ فيما يقول او يفعل معتقدًا للحقّية من غير نظر الى دليل (١)

س كم صنفًا التقاليد

ج التقاليد صنفان منها إلهية ومنها بشريَّة

س ما التقاليد الالهيَّة

ج هي الكتب المُنزلة والاسفار الموحاة التي يرجع اليها الخطيب لقيام حجتهِ كقول بعض الاقدمين يثبت مجيء المسيح مستندًا

(١) شرح الحسامي

الى نبوءة يعقوب قال :

وقال الله تبارك وتعالى على لسان موسى في التوراة في السفر الأوَّل الذي هو سفر الخليقة ان يعقوب المعروف باسرائيلِ الله لمَّا قربت وفاتهُ دعا اولادهُ كلهم فباركهم واخبرهم بما هو مزمع ان يكون في آخر الزمان واودعهم هذا السرّ . ولم يزل يبارك واحدًا فواحدًا حتى انتهى الى يهوذا الذي من نسلهِ ولدت المغبوطة مريم امّ المسيح مخلص العالم فقال : يهوذا لك تخضع اخوتك يدك على اكتاف اعدائك يسجد لك بنو ابيك . شبلُ ليث يهوذا . من فريسةٍ صعدتَ يابني . جثا وربض كاسد وكلبوءَة من يُنهضهُ . لايزول القضيب من يهوذا والمدبّر من فخذه حتَّى يجيءَ الملك واياه تنتظر الشعوب

فانظر اعزَّك الله في هذا الكلام نظرًا روحانيًا مستقصيًا بعين العدل والانصاف وتفهَّمهُ فانَّ من لم يفهمهُ لم ينتفع بهِ.هل تليق هذه النبوءَة من ذلك الشيخ المبارك اسرائيل الله وصفيّه الَّا على المسيح مخلص العالم لانهُ هو الخارج من يهوذا بانسانيتهِ ولهُ خضع بنو اسرائيل لما دخلوا في دعوته وصارت يد الروم التي هي يده على اكتاف مَن عاداه من بني اسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا بهِ.فقتلهم الروم ومزَّقوهم كل ممزَّق فلا تقوم لهم قائمة ابدًا ولا يزالون اذلَّاءَ الى الانقضاءِ وزوال الدنيا . وهو الذي بُعث من بين الاموات حيًا بعد ثلثة ايام من صَلبه. وهو الذي سجد لهُ بنو اسرائيل حيث راوا الاعاجيب والآيات التي اظهرها بين ايديهم.وهو شبل الليث لانهُ ابن الله القوي العزيز الجبار.لم تزل النبوة تترادف في بني اسرائيل حتى جاءَ المسيح رجاءُ البشر الذي انبأت عنهُ النبوات كلها التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشر بطلوعه . فلما جاءَ المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا و بني اسرائيل فلم يقم فيهم نبي بعد مجيئه. واياه كانت تنتظر الشعوب ولهُ كانت تترجى الامم . وكما انهُ لا معنى لمجيءُ الرسل بعد طلوع الملك عليهم كذلك لا معنى للانبياء بعد ظهور الاله المسيح الذي هو بالحقيقة ملك كما سبقت الانبياء وسمتهُ ملكًا

س ما هي التقاليد البشريَّة

ج هي ما رجع فيها الخطيب تأييدًا لمقصودهِ الى سُنن

المشترعين واقاويل الأئمة المشاهير واحاديث المشايخ وحكم الفلاسفة ومألوف عوائد الامم كقول المسعودي وقد تحرّى وصف حب الوطن :

ان من علامة الرشد ان تكون النفس الى مولدها مشتاقة. والى مسقط الرأس توّاقة . وقد ذكرت العلماء انّ من علامة وفاء المرء ودوام عهدهِ حنينهُ الى اخوانهِ وشوقهُ الى اوطانهِ . وبكاءهُ على ما مضى من زمانهِ . قال ابن الزُّبير : ليس الناس بشيءٍ من اقسامهم اقنع منهم باوطانهم . وقال بعض حكماء العرب: عمَّر الله البلدان بحب الاوطان . وقالت الهند : حرمة بلدك عليك مثل حرمة ابويك لان غذاءك منهما وغذاءهما منها . وقال آخرون : اولى البلدان بلد رضعت ماءهُ وطعمت غذاءهُ . وقال آخر : ميلك الى موضع مولدك من كرم محْتدك . وقال بقراط : يُداوى كل عليل بعقاقير ارضه لان الطبيعة تتطلع بهوائهــا وتنزع الى غذائها . وقال افلاطون : غذاء الطبيعة من انفع ادويتها . وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم ارضهِ كما تثوب الجنة ببلّ القطر . وللنفوس حنين الى الاوطان وان لم يطب ماؤها وهواؤها ولذا يقول بعض الاعراب يصف وطنهُ :

وكنّا ألفناها ولم تكُ مألفـاً وقد يؤلفُ الشيءُ الذي ليسَ بالحَسَنْ
كما تؤلفُ الارضُ التي لم يَطب بها هواءٌ ولا ماءٌ ولكنهــا وَطنْ

س ما هي طريقة السُّنن والشرائع في الخطابة

ج اعلم انَّ السُّنن إمّا ان تكون مؤيدة لمقصود الخطيب او مُباينة لهُ . فان كانت تؤيد مقالهُ فليبيّن ما في الشريعة من الحكمة والسَّداد ويصف سمو عقل من سنّها وما ينجم من حُسن العقبى باتمام الشريعة . وامّا اذا كانت مخالفة لمقصودهِ فليعرضها على معيار غيرها من السنن وليفسّرها تفسيرًا يطابق مقصوده . او ان اقتضى الامر فليبيّن بطلان

الشريعة ومخالفتها لشريعة اخرى ارفع منها طوراً طبعها الله في قلب البشر

س ما هي لواحق المواضع الجدليَّة العرضيَّة

ج اعلم ان الخطيب ربَّما التجأَ لترويج المادة التي تعمَّد بيانها الى الوثائق والشروط والصكوك والاسناد وهذا كثير في الدعاوي . فيترتَّب على الخطيب ان يكون لهُ إلمام بمعرفة اهمّ المواد الشرعيَّة صيانةً للحقوق ودفعاً للالتباس والتحيُّل

البحث الثالث

في عمل المواضع الجدليَّة

س ماهو عَمَل المواضع الجدليَّة

ج المواضع الجدليَّة عَمَل لا يُحصر فانهُ لولاها لطاش سهم الخطيب وحصل في امرٍ معضِل وخاض بحرَ موضوعهِ على غير هداية

س كم هي شروط استعمال المواضع الجدليَّة

ج ثلاثة :

الاوَّل ان يُحسن اختيارها فيتوخَّى احراها باظهار المادَّة

الثاني ان يقوم الاختصارُ في بسطها مقام الإكثار

الثالث ان يوردها على مقتضى حقيّتها ولا ينسب اليها من الصحة ما ليس حقيقاً بها. كما لو اراد تزكية متَّهم فيقول: لا ريب ان هذا الرجل ليس بمذنب . او يقول : من الجائز انهُ غير مذنب . او يقول : لم تثبت الجناية على هذا الرجل . امَّا النتيجة فلا تختلف في هذه المواقع كلها وهي: انهُ لا يقتضي الحكم على المجرم

س ما هي احقُّ البراهين الجدليَّة بالاقناع

ج هي ما كان منها مع صحتها اكشف للمادَّة واقرب الى أفهام الجمهور واحسن وقعاً في النفوس . وعليهِ يلزم العدول عن الادلَّة العويصة المستوجبة تقريراً علمياً لا يتناولهُ عقول القوم بسهولة . ما لم يكن السامعون من ذوي الخواطر الثاقبة او ممَّن يُغنيهم التلويح عن التصريح

الباب الثاني

في الآداب

لمَّا كانت غاية الخطيب ارضاء السامعين لم يكفهِ ان يظهر في

ترويج مقصوده ما عنده من الحجج والادلّة بل يترتّب عليه بعد انكشاف الرّغوة عن الصريح وتأييد مراده بالبراهين المأخوذة من المواضع الجدليّة ان يتوخّى القلوب ويستعطفها اليه . وهذا امر قريب المتناول داني الملتمس اذا ما راعى الخطيب الآداب المرضية التي بها تنقاد له العقول

البحث الاوّل

في حقيقة آداب الخطابة واقسامها

س ما هي آداب الخطابة

ج هي عبارة عن صفاتٍ واخلاق حسنة يتحرّاها الخطيب فيستدني بها قلوب السامعين ويستميلها الى ما يقول

س كم نوعًا آداب الخطابة

ج هذه الآداب على نوعين : فامّا انها تُعتبَر في نفس الخطيب وامّا في نفس السامع

البحث الثاني

في آداب الخطيب

س كم هي آداب الخطيب

ج ثلاثة هي : سداد الراي وصِدق اللهجة والتودُّد

س ماذا يراد بسداد الراي

ج هو عبارة عن استحكام العقل وحصافتهِ في بَيان ما يحاول الخطيب اثباتهُ فلولا ذلك تنكَّب عنهُ السامع استهوانًا بضعف عقلهِ فلا يرضى بمقالهِ (وجاء في الحماسة)

متى ما تقُدْ بالباطل الحق يأبهُ وان قُدتَّ بالحق الرواسيَ تنقدِ

س ما هو صدق اللهجة

ج صدق اللهجة هو عبارة عن امتلاء الصدور ثقــةً بما يلقي الخطيبُ من كلام وينقل من قصة (١) قال ابو العتاهية :

والقول ابلغهُ ما كان اصدقهُ والصدق في موقف مستسهلٍ عالِ

س ما هو التودُّد

ج قال الجرجاني : هو طلب مودّة الاكفاء بما يوجب ذلك. وموجبات المودَّة كثيرة منها : الوقار والتصوُّن ومنها الوفاء والامانة. ومنها النزاهةُ فيبيِّن الخطيب في مقالهِ انهُ خالي الاغراض لا يسعى الّا لخير الجمهور قال مرّار بن سعيد :

اذا شئتَ يومًا ان تسود عشيرةً فبالحلم سُدْ لا بالتسرُّع والشتمِ

(١) تهذيب الاخلاق لابن عدّي

س باي طريقة يظهر الخطيب سداد رأيه

ج ذلك ان يورد وُصلةً الى مرادهِ شواهدَ نيّرة حسنة القبول لدى الجمهور ويعرضها على مسامعهم بعبارة متسقة بحيث يعلم من مفتتح الامر خاتمتهُ ومن بديهتهِ عاقبتهُ كقول عليّ من خطبة :

ايها الناس ان الدنيا تغرّ المؤمّل لها والمخلد اليها. ولا تنفّس بمن نافس فيها وتغلب من غاب عليها . وايمُ الله ما كان قوم قط في غضّ نعمة من عيش فزال عنهم الّا بذنوب اجترحوها . لان الله ليس بظلاّم للعبيد ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق من نيّاتهم ووَلَه من قلوبهم لردّ عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد . واني لأخشى عليكم ان تكونوا في فترة . وقد كانت امور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين ولئن رد عليكم امركم انكم لسعداء . وما عليّ الّا الجهد ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله عمّا سلف

س كيف يتقرَّب الخطيب من عقول السامعين بصدق لهجتهِ

ج الوسيلة لذلك بأن يظهر في خطابهِ ما انطبع عليهِ من الصلاح وسلامة النيَّة وحسن الطويَّة فيردُّ عن المنكر ويدعو الى الفضيلة ويعتزل ما يُلبس الامر ويوقع في الشك قال الشاعر :

الباطل الدهرَ يُلفى لاضياء لهُ والحقّ ابلجُ فيهِ النور يأتلقُ

والمثل في ذلك قول الخوارزمي من كتاب :

تأخر كتابي عنك يا ولدي لاني كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعّب ، وقلب متقلب ، واردت ان اخلي خاطري لجوابك ، وان اقضي بذلك حق كتابك ، فمن صيانة صاحب الكتاب ان لا يتجاوز لهُ في الجواب ، على ان مصون كلامي عند مثلك

غير مبتذل ، ومدخل بري عندك ليس بمستعمل ، ولا لوم على الفقير ، اذا حمل ما عندهُ من اليسير الى المياسير ، وقد بذل جهدهُ ، واتى اقصى ما عندهُ

س كيف يمكن ان يتحبب الخطيب لدى الجمهور

ج ان ارجع طريقة لذلك ان يبيّن للقوم ان قصارى بغيتهِ مصالحهم وانهُ يؤثر امرهم على اغراضهِ الخاصَّة معملًا الفكر في ترويجهِ . وكثيرًا ما يذكر ما سينالونهُ من المنافع ويحرزونهُ لهم من الخير كقول ذي الوزارتين ابن القصيرة على لسان الخليفة الى اهل مكناسة وكانوا خلعوا ربقة الطاعة :

امَّا بعد اصلح الله من اعمالكم ما اختلّ ، واوضح من وجوه صَلاحكم ما اعتلّ ، فقد بلغنا ما انتم بسبيلهِ من التقاطع والتدابُر ، وما ركبتم رؤوسكم فيهِ من التنازع والتهاتُر ، قد استوى في ذلك عالمكم وجاهلكم ، وصار شرعًا سواء فيهِ نبيهكم وخاملكم ، لا تأتمرون رَشدًا ، ولا تطيعون مُرشدًا ، ولا تأتون سددًا ، ولا تنحون مقصدًا ، ولا تفلحون ان لم تنزعوا عن غَوايتكم ابدًا ، فلا يسوغ لنا ان نتركَكم فوْضى وندعكم سدًى ، ولا بدَّ لنا من اخذ قناتكم بثقاف امَّا ان تستقيم او تتشظّى قصَدًا ، فتوبوا من ذنب التباغض بينكم والتبايُن ، واعصوا شياطين التحاقُد والتشاحُن ، وكونوا على الخير اعوانًا ، وفي ذات الله اخوانًا ، ولا تجعلوا للعقوبة عليكم يدًا ولا سلطانًا ، واعلموا ان من نزغ بينكم بشرّ ، او نفث في فتنةٍ بضرّ ، وقام عندنا عليهِ الدليل ، واتَّجه اليهِ السبيل ، اخرجناهُ عنكم ، وابعدناهُ منكم ، فاتقوا الله وكونوا من الصادقين ولا تتولوا عن الموعظة وانتم معرضون ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، وحسبنا هذا وبالله التوفيق

البحث الثالث

في آداب الجمهور واخلاقهم

قد اجمع ائمَّة الكتاب على ان لكل مقامٍ مقالًا فيتأتى على الخطيب إنِ احتاج الى مخاطبة اشراف الناس واوساطهم وسوقتهم ان

يخاطب كُلاًّ على قدرهِ وحظهِ وكذلك عليهِ ان يعطي لكل واحد حقَّهُ من الفهم والذكاء ويوفيهُ نصيبهُ من النباهة وسعة الادب . ثم لِيُراعِ اطوار الاعمار من شابٍ فتيّ السنّ او كهل تامّ القوة او شيخ وقور مهيب . فان لكل سنٍّ خواصَّ واخلاقًا تضطرُّ الخطيب الى التأنق في مقالهِ والتفنن في كلامه . وخلاصة القول انهُ ينبغي على الخطيب ان ينظر في مقتضى احوال السامعين لئلاَّ يجري كما قيل شعاعَ بلاغته في غير مجراهُ وينظم جوهر كلامهِ في غير مسلكه (١)

س صف اخلاق الانسان على اختلاف اطوار العمر

ج قد وصف الامام صالح بن ابي شريف الاندلسي شيئًا من طباع الخلق على اختلاف أسنانهم فقال :

ابن عشرٍ من السنين غلامُ ... فرهٌ زولٌ ثغرهُ بسَّامُ
عَتِلٌ غافلٌ سريع حَراكٍ ... دأبهُ الغيظُ والرضى والخصامُ
وابن عشرين للصبا والتصابي ... ليس يثنيهِ عن هواهُ ملامُ
حُبّ الاكلُ والشرابُ اليه ... وصنوفُ اللذّات وهي حرامُ
يتمنَّى المنى ويطلب مجدًا ... فهو مقدامٌ في الوغى وهمامُ
والثلاثون قوّة وشبابٌ ... وهيام ولوعة وغرامُ
فاذا زاد بعد ذلك عشرًا ... فكمالٌ وشدةٌ وتمامُ
وابن خمسين مرّ عنهُ صباهُ ... فيراهُ كأنهُ أحلامُ

(١) ابراهيم الشيباني

وابن ستين صيّرتهُ الليالي هدفًا للمنون وهي سهامُ
وَلهُ الفضلُ والفخار وشاحٌ وسكونٌ وهيبةٌ واحترامُ
وابن سبعين لا تسانيَ عنهُ فابن سبعين ما عليهِ كلامُ
لا يبالي على اخترام الليالي وهو عنها لاهٍ بهِ استصمامُ
خرقٌ ساهمٌ حريصٌ على الما لِ كثيرُ الإهتار وغدٌ عبامُ
فاذا زاد بعد ذلك عشرًا بلغ الغاية التي لا ترامُ
وابن تسعين عاش ما قد كفاهُ واعترتهُ وساوسٌ وسقامُ
فاذا زاد بعد ذلك عشرًا فهو حي كميت والسلامُ ✻

✻ ولبهاء الدين العامليّ مقالة في اختلاف لذات الخلق :

انظر الى الصبي في اوّل حركتهِ وتمييزهِ فانهُ يظهر فيهِ غريزةٌ بها يستلذ اللعب حتى يكون ذلك عندهُ الذّ من سائر الاشياء . ثم يظهر فيهِ بعد ذلك استلذاذُ اللهو ولبس الثياب الملونة وركوب الدواب الفارهة فيستخف معهُ اللعب بل يستهجنهُ . ثم يظهر فيهِ بعد ذلك لذة الزينة والمنزل والخدم فيحتقر ما سواها لها . ثم يظهر فيهِ بعد ذلك لذة الجاه والرئاسة والتكاثر من المال والتفاخر بالاعوان والأتباع والأولاد وهذا آخر لذات الدنيا

وقد قال الموسويُّ في طباع الشيب :

اعلم ان الشيب يمدح في أُمورٍ ويُذَمُّ في غيرها فيُمدح بان فيهِ الجلالة والوقار والتجارب والحنكة وانهُ يصرف عن الفواحش ويصدّ عن القبائح ويعظ من نزل بهِ فيقلل في الهوى طماحهُ وفي الغيّ جماحهُ. والشيوخ صحة الرواية وكثرة التجارب فيهم انجار الوقار ومناجع الاخبار. ويُذمّ الشيب بانهُ رائد الموت ونذيرهُ وانهُ يوهن القوّة ويضعف المنّة ويطمع في صاحبهِ وربما شكا منهُ لنزولهِ في غير زمانهِ ووفودهِ قبل ابّانهِ وما اشبه ذلك من الخلال المعيبة

س ماهي الطباع الغالبة على الجمهور بحسب قدرهم ومراتبهم

ج قد غلب على (الاعيان الاحرار) أُبَّهة السلطنة وهيبة الامر واباء الطبع وعلوّ الهمَّة وتمام المروَّة على انه يظهر فيهم خُيلاء وعظمة وتفاخر يحبون الإطراء ويأبون قبول التأديب ولا ينقادون الى النصح

وطبع (الاغنياء) اللهمَّ من كان منهم حديثَ عهدٍ بغنًى على التيه والصلَف تبطرهم الكرامة ويطغيهم المال ويشغلهم الحذَر والحرص يتعاظمون على الفقير ويتطاولون على من هو دونهم يتكلفون طباع السادة ولا يقتصدون في الملاذ

امَّا (العلماء) ففيهم كرم الاخلاق وصحَّة الاعراض وقلَّة المطامع في المال يرتاحون الى السمعة الحسنة ويحبون التوقير والتعظيم رُبَّما داخلهم العجب في اوَّل اكتنازهم للعلوم فيهم السلاطة والهذَر

وكذلك طباعٌ لكل طبقة من طبقات الناس على اختلاف مهنهم وصناعاتهم واديانهم واوطانهم لا بدّ للخطيب من مراعاتها

الباب الثالث

في الاهواء

اعلم ان لا مندوحة للخطيب اذا اراد نصرة حقوقهِ وازهاق باطل خصمهِ ان يحرّك في القلوب اميالها ويثير فيها اهواءها . وعليهِ ان يخلص الموضوع من شوائب الالتباس ويعرّف الجمهور مواقع الصواب ويبصرهم مزالق الارتياب . ثم يتودَّد اليهم ويستعطف خواطرهم بحيث يمتزج حبهُ بالنفوس . لكن علاوةً على ذلك ينبغي لهُ ان يتَّصل الى القلوب ويأخذها من حيثُ تميل كي تجعل مقصودَ الخطيب احقَّ ملتمَسها وافضل مأثورها وبذلك قوام الإقناع . وقد جعلنا مدار هذا الباب على الاهواء وكيفية تحريكها

البحث الاوَّل

في حقيقة الاهواء واقسامها

س ما هو الهوى

ج الهوى في اللغة مطلق الشهوة محمودة كانت او مذمومة (١) . وفي الاصطلاح هو عبارة عن شهوات النفس . وهي ميلها الى ما يلائمها واعراضها عمَّا ينافرها (٢) . وقد حدَّها ارسطو في كتاب الخطابة قال : ان الاهواء انفعالات في النفس

(١) مصطلحات الفنون للتهانوي (٢) الفتح المبين في شرح الاربعين

تُثير بها حزنًا ولذَّةً بحيث ان حكمها في الشيء الواحد يختلف عمَّا كان (١)

س ما هي العلة الموجبة للاهواء

ج ان موجبهــا قوَّتان في الانسان تُعرفان بالقوَّة او النفس الشهوانيَّة وبالقوَّة او النفس الغضبيَّة

س كم قسمًا الاهواء

ج الاهواء قسمان منها ما يصــدر عن النفس الشهوانيَّة ومنها ما يصدر عن النفس الغضبيَّة

س ما هي اهواء النفس الشهوانيَّة

ج هي المحبة والبغض. والرغبة والنفور . والفرح والحزن

س ما هي اهواء النفس الغضبيَّة

ج هي الرجاء والقنوط . والشجاعة والجُبن. والغضب والحلم

البحث الثاني

في اهواء النفس الشهوانية

في المحبة والبغض

س ما هي المحبة

ج هي حركة في النفس تدعوها الى طلب الخير للمحبوب

(١) تعريب خطابة ارسطو لابن رشد

والى الاصطناع اليهِ مع نزاهة المصطنع عن الاغراض • وعليهِ تكون شروط المحبة ثلاثة : الأوَّل الارتياح الى خير المحبوب • الثاني السعي اليهِ • الثالث خلوص المودَّة عن شين المنفعة الخاصَّة وحبّ الذات

س كيف تحرّك المحبة في القلوب

ج بطرق مختلفة منها :

اولًا ان يبيّن الخطيب ما ازدان به المحبوب من الاخلاق الكريمة لان القلوب تأْنس الى الطباع الجميلة كقول المتنبي في سيف الدولة :

ضاقَ الزَّمان ووجهُ الأرض عن ملك ملء الزَّمانِ وملء السَّهلِ والجبلِ
ليتَ المدائح تستوفي مناقبهُ فما كليبٌ واهلُ الأعصرِ الأُولِ
خذ ما تراه ودع شيئًا سمعتَ بهِ في طلعة البدر ما يغنيك عن زُحلِ
تُمسي الامانيّ صرعى دون مبلغهِ فما يقول لشيءٍ ليت ذلك لي

ثانيًا ان يذكر جميل فضلهِ وحسن معروفهِ وسابغ نعمهِ كقول ابي تمام في المعتضد بالله :

الى قطب الدنيا الذي لو بفضلهِ مدحت بني الدنيا كفتهم فضائلهْ
من الباسُ والمعروف والجودُ والتُّقى عيالٌ عليهِ رزقهنَّ شمائلهْ
هو البحر من ايّ النَّواحي اتيتهُ فلجّتهُ المعروف والجودُ ساحلهْ
تعوَّد بسطَ الكفِّ حتَّى لو انَّهُ ثناها لقبضٍ لم تُطعهُ انامله
ولو لم يكن في كفّهِ غير نفسهِ لجادَ بها فليتقِ الله سائلهْ

ثالثًا ان يخبر عن صفاء ودّ من يريد ان يجعلهُ الى القلوب

وعظم محبته فان الحبَّ يستدعي الحُبّ كقول ابي الوليد بن الزَّندقة الطرطوشي في برّ الوالدين :

لو كان يدري الابنُ ايَّة غصة — يتجرَّع الأبوانِ عند فراقهِ
امٌّ تهيج بوجدهِ حيرانةٌ — واب يسحُ الدمعُ من آماقهِ
يتجرعان لبَينهِ غُصص الردى — ويبوح ما كتماه من اشواقهِ
لرثى لامٍ سُلَّ من احشائها — وبكى لشيخٍ هامَ في آفاقهِ
ولبدَّل الخلق الابيَّ بعطفهِ — وجزاهما بالَعذبِ من اخلاقهِ

وكقول بعضهم في التواصل :

ان المحب لا يزال يرعى لكم عهدًا ، ويحفظ لكم ولاءً وودًّا ، ويحنُّ الى تلك الذات المحروسة ، والصفات المأنوسة ، التي لا يسكن القلب الَّا اليها ولها ابدًا يتشوف ويتشوق ، وعليها سرمدًا يتلهف ويتحرَّق ، حتى يعيد الزمان العطفَ كاوه المكرر ، ويصفو بذلك شراب وصلهِ المكدَّر ، وليس ذلك بترويق اللسان وصوغه بل قد خالط اللحم والدم والمولى بذلك ادرى واخبر ، وان عهد الوداد بحاله لم يتغير ، وصفو الحب ما عهدتم وحاشا ان يتكدر

س ما هو البغض

ج البغض او الحقد ضدّ الحبّ وهو حركة في النفس تحملها على إضمار الشرّ للجاني اذا لم يتمكن من الانتقام منهُ

س ما هي الدواعي المثيرة البغض في القلوب

ج هي ثلاثة تؤخذ من اضداد دواعي الحب وهي :

اولًا ذكر الاخلاق السيئة المطبوع عليها من تعمدتَّ تشنيع اخلاقهِ كقول الفرزدق في قومٍ :

لا بارك الله في قومٍ ولا شربوا — إلَّا أُجاجًا اتونا من سجستانا
مُنافقين استحلّوا كلَّ فاحشةٍ — كانوا على غير تقوى الله اعوانا

ألم يكن مؤمنٌ فيهم فينذرهم عذاب قومٍ اتوا لله عصيانا

ثانيًا صفة تجبُّرهِ وقسرهِ كقول ابي اذينة يذكر ظلم بني غسَّان ويحرّض الاسود على قتلهم :

هم جردوا السيف فاجعلهم بهِ جُزرًا هم اوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
واذكر بمنجاهم مثوى ابي كرب فيهم وحبس عديٍّ عندهم حِقَبا
وسيف جدك لمَّا ان اضرَّ بهم جاءوا بهِ لك في اسلابهم سلبا
لا عفوَ عن مثلهم في مثل ما طلبوا وان يكن ذاك كان الهلك والعطبا

ثالثًا ذكر ما جُبل الخصم عليهِ من البغض واحتقان الحقد كقول ابي العتاهية في صديق اسمهُ صالح تغيَّر عليهِ :

اراني صالحٌ بغضا فاظهرت لهُ بغضا
ولا والله لا ينقضُ م إلَّا زدتهُ نقضا
وإلَّا زدتهُ مقتًا وإلَّا زدتهُ رفضا
ألا يا مُفسد الودِّ وقد كان لهُ محضا
تغضبتُ من الريح فما اطلب ان ترضى
لئن كن لهُ المانُ م المصفَّى انَّ لي عِرضا

الرغبة والنفور

س ماهي الرغبة

ج الرغبة حركة في النفس تحملها على ارادة لذَّة مأمولة

س كم صنفًا المرغوبات

ج صنفان : منها محسوسة كلذَّات الحواس ومنها معقولة كلذَّة الفضيلة والعلم

س بماذا يتوسل الى اثارة الرغبة في النفوس

ج بتعظيم المرغَّب بهِ وتزيينهِ في عيون السامعين حتى كانهُ يريهم اياه رأيَ العين مع ذكرقرب منالهِ وذكر الفوائد التي تنجم عنهُ كما جاء في سفر الاحبار على لسان الرب :

ان جريتم على رسومي وحفظتم وصاياي وعملتم بها . انزلت غيوثكم في اوانها واخرجتِ الارض غلالها وشجر الحقل يُخرج ثمرهُ . والدِّياس يتصل بالقطاف والقطاف يتصل بالزرع وتأكلون طعامكم شبعاً وتُقيمون آمنين في ارضكم . وأُلقي السلام في الارض فترقدون وليس مزعجٌ وأُزيل الوحوش الضائرة من الارض وسيفٌ لا يمرُّ في ارضكم . وتطلبون اعداءكم فيسقطون امامكم بالسيف . فتطرد الخمسة منكم مئةً والمئة منكم تطرد ربوة وتسقط اعداؤكم امامكم بالسيف . وأُقبل عليكم وانميكم واكثركم وأُثبت عهدي لكم . وتأكلون القديم المعتَّق وتخرجون القديم من امام الجديد . واجعل مسكني فيما بينكم ولا اخذلكم . واسير فيما بينكم واكون لكم الها وانتم تكونون لي شعبا . انا الرب الهكم الذي اخرجكم من ارض المصريين لئلَّا تكونوا عبيدًا لهم وكسر اغلال نيركم وجعلكم تسيرون منتصبين

وقد يُصنع ذلك بطريق المقابلة وهي من اوقع الطرق وافعل الاساليب كتفضيل المرغوبات المعقولة على المحسوسة كما قالت ميسون بنت الجندل لمعاوية وكان نقلها من البدو الى الشام فرغَّبها في الاقامة عندهُ فانشدت :

لَبيتٌ تخفقُ الارواحُ فيهِ احبُّ اليَّ من قصرٍ مُنيفِ
ولُبس عباءةٍ وتقرّ عيني احبُّ اليَّ من لبس الشفوفِ
واكلُ كُسيرةٍ في كِسرِ بيتي احبُّ اليَّ من اكل الرغيفِ
واصوات الرياح بكل فجٍّ احبُّ اليَّ من نقر الدفوفِ
وكلبٌ ينبح الطُرّاقَ دوني احبُّ اليَّ من قطٍّ أَلوفِ

وبكرٌ يتبع الاظعان صعبٌ احبُّ اليَّ من بغل زَفوفِ
وخرق من بني عمّي نحيفٌ احبُّ اليَّ من علج عنيفِ

س ما هو النُّفور

ج النُّفور ويسمَّى الجزع ايضًا هو حزن يصرف الانسان عمَّا هو بصددهِ ويقطعهُ عنه (١)

س كيف يُثار الجزع

ج بعكس ما تُثار بهِ الرغبة اي بان يصوّر لعقول الجمهور وجوه المضارّ الحاصلة عمّا اراد التنفير عنهُ كقولهِ تعالى لشعب اسرائيل وقد اراد ان يصرفهم عن العصيان :

وان لم تسمعوا لي ولم تعملوا بجميع هذه الوصايا . ونبذتم رسومي وعافت انفسكم احكامي فلم تعملوا بجميع وصاياي ونقضتم عهدي . فانا اصنع بكم هذا أُسلط عليكم رعبًا وسلًّا وحمّى تفني العينين وتتلف النفس وتزرعون زرعكم باطلًا فيأ كلهُ اعداوكم . واجعل وجهي ضدكم فتنهزمون من وجوه اعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وتفرّون ولا طالب لكم . ثم ان لم تطيعوني بعد هذا زدتكم تأديبًا على خطاياكم سبعة اضعاف . فأُحطم تشامخ عزكم واجعل سماءَكم كالحديد وارضكم كالنحاس . وتفرغ قواكم عبثًا ولا تخرج ارضكم إتاءَها وشجر الارض لا يخرج ثمرهُ . واطلقت عليكم وحش الصحراء فتثكلكم وتهلك بهائمكم وتقلّلكم فتوحش طرقكم. وان لم تتأدبوا بهذه وجريتم معي بالخلاف . جريت انا ايضًا معكم بالخلاف وضربتكم سبعة اضعافٍ على خطاياكم . فاجلب عليكم سيفًا منتقمًا نقمة العهد فتجتمعون الى مدنكم وابعث الوباء فيما بينكم وتُسلمون الى ايدي العدو . . . وادكّ مشارفكم وأُحطم تماثيل شموسكم والقي جثثكم على جثث اوثانكم وتكرهكم نفسي. واجعل مدنكم قفرًا ومقادسكم موحشة ولا اشتمُّ رائحة رضًى منكم . واترك الارض بلقعًا فيذهل لها اعداؤكم

(١) الشفاء لابن سينا

الذين يسكنوها . وأبددكم فيما بين الامم وأجرّد وراءكم سيفاً فتصير ارضكم خراباً

او بتبيين سوء مخبرهِ ودغل باطنهِ كقول سعيد بن صامت في صديق مماذقٍ :

الا ربَّ من تدعو صديقاً ولو ترى مقالتــهُ بالغيب ساءك ما يفري
مقالتهُ كالشهد ما كان شاهــدًا وبالغيب مأثورٌ على ثغرة النحــرِ
يسرّك باديهِ وتحتَ اديمــهِ نميمة غشّ تبتري عَقَبَ الظَّهرِ
تبين لك العينان ما هو كــاتمٌ من الغلّ والبغضاء والنظر الشَّزْرِ
فرِشْني بخيرٍ طالمــا قد بَريتني وخيرُ الموالي من يريش ولا يَبري

الفرح والحزن

س ما هو الفرح .

ج الفرح لذَّة في القلب لنيل المشتهى (١)

س ما اصدق وسيلة لتحريك شاعرة الفرح في القلوب

ج اصدقها ثلاث :

الاولى صفة الفرح الناشئ عن اصابة الخير المقصود

الثانية ذكر ما لحق الجمهور من المشقة والحزن قبل ادراكهِ هذا الاحسان

الثالثة الاسترسال في ذكر النعمة المستباحة وجميل عُقباها وطيب جناها بعد طويل انتظارها او اليأس من الحصول عليها كقول ابن زمرك يهنئ ابا عبدالله بن نصر بما تسنى لهُ من الظفر :

يهنئْ زمانــك اعيادٌ مجددة من الفتوح مع الايام تغشاهْ

(١) تعريفات الجرجاني

غضبت للدين والدنيا بحقهما | يا حبذا غضب في الله ارضاهُ
فوّقت للغرب سهماً راشهُ قدر | وسدّد الله للاعداء مرماهُ
سهم اصاب وراميه بذي سلم | لقد رمى الغرضَ الاقصى فأصماهُ
من كان بندك يا مولاي يقدمهُ | فليس يخلفهُ فتح ترجّاهُ
من كان جندك جند الله ينصرهُ | أنالهُ الله ما يرجو وسناهُ
ملكت عزّا بهِ خلدت من ملك | للغرب والشرق منهُ ما تمناهُ
وسام اعداؤك الاشقين ما كسبوا | ومن تردّى رداء الغدر ارداهُ

وكقول ابي الحليم يحضّ النصارى على الفرح في صبيحة عيد القيامة :

ايها المؤمنون ان يومكم هذا اشرف الأيام قدرًا ، واعظم الاعياد خطرا ، وانبه الازمان ذكرًا ، واسعد الاوقات فخرًا ، هو اليوم الاعزّ الازهر ، والميقات العظيم الاخطر ، والمقام الشريف الابهر ، والعيد السعيد الاكبر ، يوم الهناء والافراح ، يوم تجديد الجسوم والارواح ، بكر اعياد السيد المسيح في الدار الآخرة ، والمبشّر بالنعيم الابدي واللذات الفاخرة ، يوم قُرّر في القلوب تحقيق القيامة ، وأشعرنا بالخلود السرمدي في دار الاقامة ، يوم تميز على بواقي الايام بشرف الاحديّة ، وثبتت فيه براهين الرجاء بالحياة الابديّة ، هذا اليوم الذي أُنذرت بهِ صوادق المواعيد ، وايقنت القلوب البشريّة بالعالم العتيد ، هذا اليوم الذي بطلت فيهِ الشكوك عن العقائد ، واقتُنصت فيهِ نفائس المغانم واخاير الفوائد ، هذا اليوم الذي فيهِ تجدّدت الجبلة البشريّة ، وقامت الاجساد مع السيد المسيح قيامة سريّة ، اليوم اعتدلت ازمان الفضائل ، وزال عن الاذهان بَرد شتاء الرذائل ، ازهرت اغصان القلوب ، انتثرت اوراق الخطايا والذنوب ، غاض معين الضلال ، فاض ماء الحياة الابديّة من صخرة السعادة والإقبال ، اليوم تبسّمت ثغور الأسرار ، اشرقت شموس الإيقان على صدور الابرار ، نُشر على رؤوس المؤمنين اعلام الخلاص ، بُشّر الجنس الآدميّ بغفران الخطايا والاختصاص ، اليوم انفلق فجر الحقّ ، اشرق صباح الافراح لكل الخلق ، عاد رونق البشريّة ، طلعت اقمار الابتهاج على آفاق البريّة ، اليوم زال ليل الضلال الأغسق ، لاحت غرّة الصباح الأشرق ، انجلت ظلم الشكوك بنور البرهان ، ترشّش على نور القلوب طلّ الرجاء والايمان ، اليوم تعفّت اطلال الاضاليل ، ووهت معالم الأباطيل ، انشقّت عن درّة الحياة صدفة الإنجيل ، ثبتت قيامة الاجساد بأصحّ برهان واصدق دليل

س ما هو الحزن

ج قال الجرجاني : هو عبارة عمّا يُحصل لوقوع مكروهٍ او فوات محبوب في الماضي

س كيف يُثير الخطيب الحزن في النفوس

ج من اقوى مُثيرات الحزن بسط الكلام في هول الخطب وعظمة المحنة . ثم تعديد مزايا المفقود وتبيين جدارتهِ بالجزع والحزن . مع ايراد الخطيب اشد الالفاظ سطوةً على القلب في وصف ما تركت المصيبة في قلبهِ من الأَسى والكآبة فان دموع الخطيب تدعو الى التأسّي بهِ وقد قيل :

اذا اشتبكت دموعٌ في خدودٍ تبيّن من بكى ممن تباكى

س اذكر شاهدًا في هذا الباب

قال الباجي ابو الوليد يرثي ابنهُ محمدًا :

أَمحمد ان كنت بعدك صابرًا صبر السليم لما بهِ لا يسلمُ
فلقد علمتُ بانني بك لاحقٌ من بعد ظني انني متقدم
لله ذكرٌ لا يزال بخاطري متصرّفٌ في صبرهِ متحكم
فاذا نظرت فشخصهُ متخيّلٌ واذا اصخت فصوتهُ متوهَّمُ
وبكلِّ ارضٍ لي من اجلك لوعةٌ وبكلّ قبرٍ وقفةٌ وتلوُّمُ
فاذا دعوتُ سواك حاد عن اسمهِ ودعاءُ باسمك مقولٌ بك مغرمُ
حكم الردى ومناهج قد سنّها لاولي النهى والحزن قبل متمم

وقالت اعرابية في ولدٍ صغيرٍ أُصيبت بهِ :

يا بنيَّ لقد غذوتك رضيعًا ، وفقدتك سريعًا ، وكأنهُ لم يكن بين الحالين مدةٌ

التذّ بعيشك فيها . فاصبحتَ بعد النضارة والغضارة ورونق الحياة والتنسم في طيب روائحها تحت اطباق الثرى جسداً هامدًا ورفاتاً سحيقاً وصعيدًا جرزاً . أي بُني قد سحبت الدنيا عليك اذيال الفناء واسكنتك دار البلى. ورمتني بعدك نكبة الردى . أي بني لقد اسفر لي عن وجه الدنيا صباح داج ظلامهُ . (ثم قالت) : أي ربِّ ومنك العدل ومن خلقك الجور . وهبتهُ لي قرة عين فلم تمتعني بهِ كثيرًا بل سلبتنيهِ وشيكاً . ثمَّ امرتني بالصبر ووعدتني عليهِ الأجر فصدَّقت وعدك ورضيت قضاءك . فرحم الله من ترحَّم على مَن استودعتهُ الرَّدمَ ووسَّدتهُ الثرى . اللهمَّ ارحم غربتهُ وآنس وحشتهُ واستر سوأتهُ يوم تنكشف السوآت

البحث الثالث

في اهواء النفس الغضبية

الرجاء والقنوط

س ما هو الرجاء

ج الرجاء في اللغة الأمل وفي الاصطلاح تعلُّق القلب بحصول محبوب في المستقبل (١)

س ماذا يدعو الى الرجاء في القلوب

ج ينشأ الرجاء في القلوب بطريقتين :

الاولى ان يصف المتكلم عظم الخير المبتغى كي يحبّبهُ الى النفوس

الثانية ان يبيّن ان الامر المقصود ليس هو بعيد المتناوَل عزيز المطلب وانما هو بخلاف ذلك سهل الملتمَس لما في اليد

(١) كليات ابي البقاء والتعريفات

من الوسائل الصادقة المؤدية لإدراكه كما هي الجنود والاقوات الموفورة والعُدَد وسمو الهمَّة والثقة بحول الله وضعف العدوّ الى غير ذلك كما روى المسعودي والطبري عن عليّ بن ابي طالب يوم صفين وهو يحض الانصار على معاوية واصحابهِ :

يا معشر الانصار غمُّوا الاصوات واكملوا اللّامة واستشعروا الخشية وقلقلوا السيوف في الاجفان قبل السلّة والحظوا الشزَر واطعنوا الهبَر وناجوا بالظّبا وصِلوا السيوفَ بالخطاء والنبال بالرماح . ان هؤلاء لن يزالوا عن موقفهم دون طعن يخرج منهُ النسيم وضرب يفلق الهام ويشجّ العظام وتسقط منهُ المعاصم والاكف حتى تُشدخ جباههم بعمد الحديد وتنتثر لِمَمهم على الصدور والاذقان . اين اهل الصبر وطلاب الأجر . طيبوا عن انفسكم انفساً فانكم بعين الله تعالى ومع ابن ابي طالب . عاودوا الكرّ واستقبحوا الفرّ فانهُ عار في الاعقاب ونار يوم الحساب . ودونكم هذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا بثجة فان الشيطان راكب صعدهُ مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدًا حتى ينجلي وجه الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم

وكما جاء في سفر التوراة في تثنية الاشتراع على لسان موسى وقد حاول ان يبيّن لشعب اسرائيل ان شريعة الله ليست بعسرة الخطة ولا وعرة المسالك قال :

ان هذه الوصية التي انا آمرك بها اليوم ليست فوق طاقتك ولا بعيدة منك . لا هي في السماء فتقول من يصعد لنا الى السماء فيتناولها ويسمعنا اياها فنعمل بها . ولا هي في عبر البحر فتقول من يقطع لنا هذا البحر فيتناولها ويسمعنا اياها فنعمل بها . بل الكلمة قريبة منك جدًا في فيك وفي قلبك لتعمل بها . انظر اني قد جعلت اليوم بين يديك الحياة والخير والموت والشر . بما اني آمرك اليوم ان تحب الربَّ الهك وتسير في طرقه وتحفظ وصاياهُ ورسومه واحكامه لتحيا وتكثر ويباركك الرب الهك في الارض التي انت فيها صائر اليها لتمالكها . وان زاغ قلبك ولم تسمع وملت وسجدت لآلهة اخرى وعبدتها . فقد انبأتكم اليوم انكم تهلكون هلاكا ولا تطول

مدتكم في الارض التي انتم عابرون الاردنّ لتدخلوها وتمتلكوها . وقد اشهدت عليكم اليوم السماء والارض باني قد جعلت بين ايديكم الحياة والموت البركة واللعنة فاختر الحياة لكي تحيا انت وذريتك

س ما هو القنوط

ج هو عبارة عن لوعة القلب لقطع الامل عن حصول المرغوب

س متى وكيف يحرك الخطيب القنوط

ج للخطيب أَن يثير القنوط في الجمهور اذا اراد ان يصرفهم عن امرٍ يريدونهُ وذلك بان يصفهُ لهم معجز الدرك يحول دون مرغوبهم مخاطر ومشاقّ لا يقتحمها الّاَ الغبيُّ الجاهل الباحث عن حتفهِ بظلفهِ كما فعل عنترة يوم بارز ابا يقظان بن بسطام الشيباني فقال يتهدده ويبشّره بموت قريب ان طلب مقاتلتهُ :

يا ابا اليقظان اغواك الطمعْ سوف تلقى فارسًا لا يندفعْ
زرتني تطلب مني غفلةً زورة الذئب على الشاة رتعْ
يا ابا اليقظان كم صيدٍ نجا خالي البالِ وصيّادٍ وقعْ
ان تكن تشكو لاوجاع الهوى فانا اشفيك من هذا الوجعْ
بحسامٍ كلما جردتهُ في يميني كيفما مال قطعْ
وانا الاسودُ والعبد الذي يقصد الخيل اذا النقعُ ارتفعْ
نسبتي سيفي ورمحي وهما يؤنساني كلما اشتد الفزعْ
يا بني شيبان عمي ظالمٌ وعليكم ظلمهُ اليوم رجعْ
ساقَ بسطامًا الى مصرعهِ عالقًا منهُ باذيال الطمعْ
وانا اقصدهُ في ارضكم واجازيهِ على ما قد صنعْ

الشجاعة والجبن

س ماهي الشجاعة

ج هي هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يقدم الانسان على ما يجب الإقدام عليه مع التعرض للمكاره الحائلة دون المرغوب

قال ابن عدي والقزويني : ومن اخص سمات الشجاعة الاقدام على الامور التي يحتاج الانسان ان يعرض نفسه لها لدفع المكاره والآلام الواصلة اليهِ مع ثبات الجأش عند المخاوف والاستهانة بالموت وهو بالاشراف والملوك اليق بل لا يستحقون الملك مع عدم هذه الخلة . والشجاعة متوسطة بين الجبن والتهور فيكون كما قال معاوية :

شجاعٌ اذا ما امكنتني فرصة ... وان لم تكن لي فرصة فجبانُ

س ماهي بواعث الشجاعة

ج لا تختلف كثيرًا عن بواعث الرجاء وذلك بان يرغب الخطيب السامعين في حصول المحبوب اللهمَّ اذا كان شريفًا جليلًا ويشهيه الى القلوب ويبعثها على طلبهِ كما قال ابن عمار يغري اهل بلنسية على ابي بكر بن عبد العزيز وبنيه :

بشّر بلنسيةً وكانت جنّة ... ان قد تدلت في سواء النارِ
جاروا بني عبد العزيز فانهم ... جرّوا اليكم اسوأ الاقدار
ثوروا بهم متأولين وقلدوا ... ملكًا يقوم على العدو بثارِ
جاءَ الوزير بها يكشّف ذيلها ... عن سوأة سوأى وعارٍ عار
نكث اليمين وحاد عن سنن العلى ... وقضى على الإقبال بالإدبارِ

آوى لينصرَ من نأى المثوى بهِ ودهاهُ خذلانٌ من الانصارِ
ما كنتمُ الّا كامنة صالحٍ فرميتمُ من طاهرٍ بقُدارِ
هلّا وخصكم باشأم طائرٍ ورمى دياركُم بالأم جارِ
برّ اليمين ولم يعرّض نفسهُ ونفوسكم لمصارع الفجارِ
لا بد من مسح الجبين فانما لطمتهُ عذرًا غير ذات سوارِ

(راجع ايضاً قصيدة الحلي صفحة ٥٩ من الجزء السادس من مجاني الادب)

ومن اقوى اسباب الشجاعة ذكر الامداد العلويّة كما فعل يهوذا المكابي بجيشهِ وكانوا عند رؤيتهم عسكر ملك سورية مقبلًا هتفوا: كيف نطيق قتل مثل هذا الجمع القوي ونحن نفر يسير. فقال يهوذا:

ما اسهلَ ان يُدفع الكثيرون الى ايدي القليلين وسواءٌ عند اله السماء ان يخلّص بالكثيرين و بالقليلين. فانهُ ليس الظفر في الحرب بكثرة الجنود وانما القوة من السماء. اولئك يأتونا بجمعٍ من ذوي الشتائم والنفاق ليبيدونا نحن ونساءنا واولادنا ويسلبونا. واماّ نحن فنحارب عن نفوسنا وسننا. وهو يكسرهم امام وجوهنا فلا تخافوهم

س ما هو الجبن

ج الجبن او الخوف هيئة حاصلة للقوّة الغضبيّة بها يحجم عن مباشرة امرٍ لما يتوهَّم بهِ من المخاوف

س كيف يتمكن الخطيب من القاء الخوف في القلوب

ج بثلاث وسائل:

الاولى ان يُنذر الجمهور بخَطب عظيم وطامّة كبيرة كانتشاب حرب ووقوع مجاعة وحلول أَجلٍ وسوء مطّلعٍ

يوم الدين وغير ذلك من المهاول التي تلقي الذُّعر في القلوب كقول الزمخشري في التحذير من الدنيا :

خفَّ الزاد ، وجفَّ المزاد ، وطال السبيل ، وحار الدليل ، وما يُدريك على مَ تقدم ، اتثبتُ ام تزلُّ بك القدم ، يا جمود العين ، كأنك بغراب البين ، اين ادمعك الذوائب ، وقد شابت منك الذَّوائب ، تعشّشُ أمُّ الرَّدى وتبيض ، حيث تطلع الشعرات البيض ، لم يبقَ الَّا الحمل على الآلةِ الحدباء ، والطرح تحت الرمل والحصباء

وكقول زهير في التحذير من الحرب :

وما الحرب الَّا ما علمتم وذقتمُ … وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً … وتضرَ اذا ضرَّيتموها فتضرَمِ
فتعركُكم عركَ الرحى بثفالها … وتلقحْ كشافًا ثمَّ تنتجْ فتتئمِ
فتنتج لكم غلمان أشأمَ كلهم … كأحمر عادٍ ثمَّ ترضع فتفطمِ
فتغلل لكم ما لا تُغلُّ لاهلها … قرًى بالعراق من قفيزٍ ودرهمِ

الثانية ان يتوعد السامعين بقرب حلول المكروه او سرعة فوات المحبوب فان الشرّ المتوقع حلولهُ ارجف للقلوب كما قال ابو العتاهية :

أنلهو واياما تذهبُ … ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ
عجبتُ لذي لعبٍ قد لهُ … عجبتُ وما لي لا أعجبُ
أيلهو ويلعب مَن نفسهُ … تموت ومنزلهُ يخربُ
نرى كلما ساءنا دائمًا … على كل ما سرّنا يغلبُ
نرى الخلق في طبقات البلى … اذا ما همُ صعّدوا صوّبوا
نرى الليل يطلبنا والنها … رلم ندرِ ايهما اطلبُ
أحاط الجديدان جمعًا بنا … فليس لنا عنهما مهرب
وكلٌّ لهُ مدةٌ تنقضي … وكلٌ لهُ أثرٌ يكتبُ
الى كم تُدافع نحي المشيب م … يا ايها اللاعبُ الاشيبُ

وما زالت تجري بك الحادثا ت تسلمُ منهنَّ او تنكبُ
ستُعطي وتُساب حتَّى تكو ن نفسك آخرَ ما يُسلبُ

الثالثة ان يبيّن الشرّ خصيصًا بالسامع متربّصًا لهُ دون غيرهِ فان النفوس تؤثر خيرها الخاصّ ولا تزعج لما عمَّ من الخطوب كقول ابي الحليم من خطبة يحض بها الخطاة على التوبة :

ايها الخاطئ ايقظ غفلة العقل من رقدة الاهمال ، وتنبَّه لايقاد الأضواء بدهن صوالح الاعمال ، قبل ان تندرج الايام ، وتنقرض الاعوام ، وتقرب مدة الآجال ، وتقصر الألسن عن الأجوبة والسؤال ، حيث يحصد كل امرئٍ ما زرع ، ويجازى من الله على كل ما صنع ، ويقدُم على ما قدَّم ، ويتنهَّد الاثيم ويتندَّم ، يوم اضطراب الشيخ الكبير على ما اسلف ، وانتحاب الكهل الخطير على ما اتلف ، يوم يتطي مخاض الكل صهوة السحاب النّوريّ ، ويدين لجلالهِ كل نجيب وبريّ ، يوم تصر اسنان الطالحين لخوف هول النقم ، وتثلج افئدة الصالحين باشهى سنيّ النعم ، يوم نشوة المؤمنين ، يوم غشوة المجرمين ، يوم خاتمة الازمان ، يوم انقضاء الأوان ، يوم ليس لهُ ثانٍ ، فيانضارة وجوه الابرار فيهِ اذا حلُّوا عراص الملكوت ، ويا خسارة متاجر الاشرار بما تعاينهُ من المخازي والبهوت ، ألا رحم الله امرءًا تجلبب نفائس ملابس الوليمة الآخرة ، وآثر الخيرات الآجلة بما عجّل في الحاضرة

الغضب والحلم

س ما هو الغضب

ج هو حركة في النفس تتوجه الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي والانتقام بعد وقوعها (١)

قال الغزالي : انَّ قوت هذه القوَّة الغضبية وشهوتها الانتقامُ . وفيهِ لذَّتها ولا تسكن الَّا بهِ . ثم ان الناس في هذه القوة على درجات

(١) احياء علوم الدين للغزالي

ثلاث في اول الفطرة في التفريط والافراط والاعتدال . امَّا التفريط فبفقد هذه القوَّة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيهِ : لاحمية له .. واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معها بصيرة . واما الاعتدال فهو ان تنبعث الحمية حيث يجب وتنطفئ حيث يحسن العلم .(١٥) والكلام هنا على هذا الغضب المعتدل

س ماذا يهيج الغضب

ج شيئان :

الأوَّل ذكر الاهانة وتعظيم الأذى وتحريك كامن

الحفائظ كما فعلت عفيرة بنت غفار وكان بنو طسم الحقوا بها الاهانة والشتم :

أيجمل ان يؤتى الى فتياتكم ... وانتم رجال فيكم عدد الرملِ
ايجمل تمشي في الدماء فتاتكم ... صبيحة زُفت في العشاء الى بعلِ
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء لا تغبُّ من الكحلِ
ودونكمُ ثوب العروس فانما ... خُلقتم لاثواب العروس والغسلِ
فلو اننا كنَّا رجالاً وكنتمُ ... نساءً لكنَّا لا نقرُّ على الذلِّ
فموتوا كراماً او أميتوا عدوكم ... وكونوا كنار شبَّ بالحطب الجزلِ
والَّا فخلّوا بطنها وتحملوا ... الى بلد قفر وهزل من الهزلِ
فللموتُ خيرٌ من مقام على أذى ... وللهزل خيرٌ من مقام على ثكلِ
فدبّوا اليهم بالصوارم والقنا ... وكل حسام محدث العهد بالصقلِ
ولا تجزعوا للحرب قومي فانما ... يؤم رجال الرجال على رجلِ
فيهلك فيها كل وغل مواكلٍ ... ويسلمُ فيها ذو الجلادة والفضلِ

الثاني بيان ضرورة التشفي كقول الحلي للسلطان الملك الصالح يحرضهُ على قوم عاثوا في اطراف بلادهِ من قصيدة قالها في يوم عيد النحر:

فياملكاً قد اطمع الناس حلمهُ لكثرة ما تهفو فيعفو ويصفحُ
أَعد غير مأمورٍ على الضدّ كيدهُ واذكِ لهُ النار التي بات يقدحُ
فقد ايقن الاعداء انك راحمٌ فباهوا بافعال الخناء وسجّحوا
اذا ما فعلتَ الخير ضوعف شرهم وكلٌّ اناءٍ بالذي فيهِ ينضحُ
ولو تابعوا قولَ الالهِ وامرهُ لقالوا بانَّ الصلح للخلق اصلحُ
تهنَّ بعيد النحر وانحر بهِ العدى فجودك عيدٌ للورى ليس يبرحُ
وضحِّ بهم لا زالت تنحر مثلهم ومن دون مغناك العقائر تذبحُ

(راجع ايضاً الجزء السادس من مجاني الادب عدد ٣٩و٤٠)

ومن قبيل الغضب المستحسن تحريك عظم الهمة وهو استصغار ما دون النهاية من معالي الامور (١) قال ابو العتاهية:

ولم ارَ في عيوب الناس عيباً كنقصِ القادرين على الكمالِ

ومن محاسن الشواهد في ذلك قول اسماعيل المقري يستنهض همة المتغافلين عن طلب الخلاص:

اترضى من العيش الرغيد وعيشةٍ مع الملإِ الأَعلى بعيش البهيمةِ
فيادرَّةً بين المزابل أُلقيت وجوهرةً بيعت بابخس قيمةِ
افانٍ بباقٍ تشتريهِ سفاهةً وسخطاً برضوانٍ وناراً بجنَّةِ
ولو فعل الاعداء بنفسك بعض ما فعلت لمستهم لها بعض رحمةِ

ومنها الأَنفة والاباء والحميَّة والغيرة اي النفور عمَّا يسومك الخسف ويشين عرضك كقول الحريري:

المنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوبُ الجنازه

(١) تهذيب الاخلاق لابن عديّ

س كيف تُثار الحميَّة والغيرة في القلوب

ج لذلك طرائق : الاولى ان تصف لمن اردتَّ تحريك حميَّتهِ ما حازهُ خصمهُ من العزّ والرفعة على ما فيهِ من اللؤم والاخلاق الذميمة

الثانية ان تقابل مساوئ الخصم بحسَنات من تريد استنهاض همتهِ وكرمَ اخلاقهِ بلؤم اخلاق قرنهِ فيستدل بذلك على انهُ احق بهذا الشرف منهُ

الثالثة ان تبيّن ما سيلحق بصاحبك من العار ان لم يتنبَّه من غفلتهِ وينتزع من يد خصمهِ ما اخذهُ جوراً . كما فعل عليٌّ وقد اراد ان يحمل اهل الكوفة على معاوية واهل الشام :

ايها الشاهدة ابدانهم ، الغائبة عقولهم ، المختلفة اهواؤهم ، المبتلى بهم امراؤهم ، صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونهُ ، وصاحب اهل الشام يعصي الله وهم يطيعونهُ ، لوددتُ حقًّا ان معاوية صرفني بكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ مني عشرة منكم ، واعطاني رجلًا منهم ، يا اهل الكوفة مُنيت بثلاث واثنتين ، صمٌّ ذوو اسماع ، وبكم ذوو كلام ، وعمي ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ، ولا اخوان ثقة عند البلاء ، يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها ، فكلما جمعتْ من جانب تفرّقت من جانب آخر ، وحقًّا لكأني بكم اخال ان لو حمس الوغى وحمي الضراب ، انفرجتم عن بن ابي طالب ، وخلفتموهُ شريدًا طريدًا ، اما والذي نفسي بيدهِ ليظهرنَّ هولاء القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي . ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها . واصبحتُ اخاف ظلم رعيّتي . استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا . واسمعتكم فلم تسمعوا . ودعوتكم سرًا وجهاراً فلم تستجيبوا . ونصحتُ لكم فلم تقبلوا . اشهودٌ كغياب . وعبيد كارباب . اتلو عليكم الحكَم فتنفرون منها . واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون

عنها . واحثكم على جهاد اهل البغي فما آتي على آخر القول حتى اراكم متفرّقين ايادي سبأ ترجعون الى مجالسكم . وتتخادعون عن مواعظكم .

ومما جاء في الحميَّة والأنفة مع ايثار الغضب والبغض ما ذكره المسعودي :

لمَّا قتل عليّ كان في نفس معاوية من يوم صفّين على هاشم بن عتبة وولده اِحن فحُمل اليهِ مقيدًا مغلولًا الى دمشق. فادخل الى معاوية وعنده عمرو بن العاصي فقال معاوية لعمرو بن العاصي : هل تعرف هـذا . قال : لا . قال : هذا الذي يقول ابوهُ يوم صفّين :

اني شريتُ النفس لمَّا اعتلَّا واكثر اللوْمَ وما اقلَّا

اعور يبغي اهلهُ محلَّا قد عالج الحيوة حتى ملَّا

لا بد ان يَفلّ او يُفلَّا اشلّهم بذي الكعوب شلّا

لا خير عندي في كريمٍ ولّى

فقال عمرو متمثلا :

لقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا امير المؤمنين الضبّ المضبّ فاشخب اوداجهُ على اثباجهِ . ولا تردّهُ الى العراق فانهُ لا يصبر عن النفاق وهم اهل غدر وشقاق وحزب ابليس ليوم هيجاء وان لهُ هوًى سيردهُ ورأيًا سيطغيهِ وبطانة ستقويهِ . وجزاء سيئة سيئة مثلها . فقال عبد الله : يا عمرو إن أُقتَل فرجلٌ اسلمهُ قومهُ وادركه يومهُ فألَا كان منك هذا اذ تحيد عن القتال فنحن ندعوك الى النزال وانت تلوذ بسمال النطاف وعقائق الرصاف كالأَمة السوداء والنعجة القوداء لا تدفع يد لامس . فقال عمرو: فحقًا قد وقعت في لهازم شدقم للاقران ذي لُبَدٍ ولا احسبك منفلتًا من مخاليب امير المؤمنين . فقال عبدالله : لحقًّا يا ابن العاصي انك لبطرٌ في الرخاء جبان عند اللقاء . غشوم اذا وليت. هيَّابة اذا لقيت. تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيد بين مجرى السيول . لا يستعجل في المدة . ولا يُرتجى في الشدة . افلا كان هذا منك اذ غمرك اقوام لم يعنفوا صغارًا . ولم يُمزّقوا كبارًا . لهم ايد شداد . والسنة حداد يقوّمون العوج. ويذهبون العرج. يكثّرون القليل. ويشفون العليل. ويعزّون الذليل . فقال عمرو: اما وحقًا لقد رايتُ اباك يومئذ تخفق احشاؤه . وتبقّ امعاؤه . وتضطرب اطلاؤه. كانما انطبق عليهِ صمد . فقال عبدالله : يا عمرو انّا قد بلوناك ومقالتك فوجدنا لسانك كذوبًا غادرًا خلوت باقوام لا يعرفونك وجند لا يسامونك ولو رمت

المنطق في غير اهل الشام لجحظ اليك عقلك ولجلج لسانك ولأضطربت فخذاك اضطراب القعود الذي تحكهُ حملهُ. فقال معاوية: ايها عنكما وامر باطلاق عبدالله. فقال عمرو لمعاوية:

امرتـك امرًا حازمًا فعصيتني　　وكان من التوفيق قتل ابن هاشمِ
اليس ابوهُ يامعاوية الـذي　　اعان علينا يوم حزّ الغلاصمِ
فلم ينثنِ حتى جرَت من دمائنا　　بصفّين امثـال البحور الخضارمِ
وهذا ابنهُ والمرء يشبه شيخـهُ　　ويوشك ان تُقرع بهِ سِنّ نادمِ

فقال عبدالله مجيبًا لهُ:

معاوي ان المرء عمرًا ابت لهُ　　ضغينة صدرٍ غشّها غير نائمِ
يرى لك قتلي يا ابن هند وانما　　يرى ما يرى عمرو ملوك الاعاجمِ
على انهم لا يقتـلون اسيرهم　　اذا منعت عنـهُ عهود المسالمِ
وقد كان منا يوم صفّين نفرةٌ　　عليك جناها هاشمٌ وابن هاشمِ
قضى ما قضى فينا لهُ الله ما قضى　　وما قد مضى الّا كاضغاث حالمِ
وان تعفُ عني تعفُ عن ذي قرابةٍ　　وان ترَ قتلي تستحـلَّ محارمي

فقال معاوية:

ارى العفو عن عُليا قريش وسيلةً　　الى الله في اليوم العصيب القماطرِ
ولست ارى قتلي الغداة ابن هاشمٍ　　بادراك ثاري في لويّ وعامرِ
بل العفو عنهُ بعد ما بان جرمهُ　　وزالت بهِ احدى الجدود العواثرِ
فكان ابوه يوم صفّـين جمرةً　　علينـا فاردتهُ رماح نحـائرِ

وربما اردفوا بهذا الباب المناقشة والحياء . قال ابن عديّ: المناقشة هي منازعة النفس الى التشبُّه بالغير فيما يراه المرء ويرغب فيهِ لنفسهِ . والاجتهاد في الترقّي الى درجة اعلى من درجتهِ . وهذا الخلق محمود اذا كانت المناقشة في الفضـائل والمراتب العاليه . قال عليّ يذكـر الزهاد ويحرض القوم على التأسي بهم:

لقد رايت مَن تقدّمكم فما ارى بينكم احدًا يشبههم . لقـد كانوا يصبحون

شعثاً غبراً . وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم . اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبلّ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب . فالزموا سمتهم ولا تتاخروا عنهم فتهلكوا

وقال ايضاً في خطبةٍ :

تاسّوا بالانبياء الاطهار واقتصّوا بآثارهم . انظروا الى عيسى ابن مريم فلقد كان يتوسّد الحجر ويلبس الخشن وكان إدامهُ الجوع وسراجهُ بالليل القمر وظلالهُ في الشتاء مشارق الارض ومغاربها وفاكهتهُ ما تنبت الارض للبهائم . ولم تكن لهُ زوجة تفتنهُ . ولا مال يحزنهُ . ولا طمع يذلّهُ . دابّتهُ رجلاه . وخادمهُ يداه

امّا الحياء فهو ان يحسن ارتداع النفس عن الامور التي يقبح تعاطيها والاقدام عليها لملاحظتها من ذلك قبح الاحدوثة (١) . والحياء اعمل في قلوب الاشراف منهُ في قلوب غيرهم

قال الشاعر :

اذا قلّ ماء الوجه قلّ حياؤهُ ولا خير في وجه اذا قلّ ماؤهُ
حياؤك فاحفظهُ عليك فانّما يدلّ على فعل الكريم حياؤهُ
اذا حُرم المرء الحياء فانهُ بكلّ قبيحٍ كان منهُ بلاؤهُ

والامثال كثيرة في ذلك منها : ما جاء في ديوان ابي العتاهية عن عبدالله بن معن من جملة ابيات :

ارى قومك ابطالاً وقد اصبحت بطّالا
فصغ ما كنت حلّيت بهِ سيفك خلخالا
وما تصنع بالسيف اذا لم تك قتّالا

(راجع صفحة ٣٣٤و٣٣٥ من ديوانه)

(١) تحديدات ابن سينا

ومن خطب علي التي رواها عنهُ الجاحظ بالاسناد قولهُ لاهل كوفة وكانوا خذلوه في حروبهِ :

ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم . كلامكم يوهي الصمَّ الصلاب . وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم . تقولون في المجالس : كيت وكيت . فاذا جاءَ القتال قلتم : حيدي حيادِ . ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم . اعاليل باضاليل . سأَلتموني التأخير هيهات دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الَّا بالجد . اي دار بعد داركم تمنعون . ام مع ايّ امام بعدي تقاتلون . المغرور والله من غررتموه . ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب . فلا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم فرَّق الله بيني وبينكم . واعقبني بكم من هو خير لي منكم . لوددت ان لي بكل عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم

وللحليّ من ابيات كتب بها الى صديقٍ لهُ وعدهُ بالمساعدة في واقعة فاخلف :

وعدتَ جميلاً واخلفتهُ — وذلك بالحرّ لا يجملُ
وقلت بانَّك لي ناصرٌ — اذا قابلَ الجحفلَ الجحفلُ
وكم قد نصرتكَ في معركٍ — تحطّم فيهِ القنا الذُبلُ
ولستُ امنُّ بفعلي عليكَ — فاعجبُ بالقول او اعجلُ
بذا يتفاوتُ قدرُ الرجالِ — فيعلمُ ايّهم الاكملُ
كما قالهُ الصقرُ في عزَّةٍ — بهِ حين فاخرهُ البلبلُ
وقال اراكَ جليسَ الملوكِ — ومن فوقَ ايديهم تحملُ
وانت كما علموا اخرسٌ — وعن بعض ما قلتهُ تنكلُ
وأُحبَسُ مع انني ناطقٌ — وقدري عندهمُ مُهملُ
فقال صدقتَ ولكنهم — بذاك دروا انيَ الافضلُ
لاني فعلتُ وما قلتُ قطّ — وانتَ تقولُ وما تفعلُ

س ما هو الحلم

ج الحلم الطمأنينة عند سورة الغضب . وقد حدَّهُ ابن

سينا في كتاب علم الاخلاق: الامساك عن المبادرة الى قضاء الغضب فيمن يُجنى عليهِ جناية يصل مكروهها اليهِ. وقد يُسمَّى هذا كرمًا وصفحًا وعفوًا وتجاوزًا واحتمالًا وكظم غيظ

س كيف يخمد الخطيب سورة الغيظ ويدعو الى الحلم والتثبُّت

ج هذه ادعى الوسائل لحسم الغضب وكظم الغيظ (١):

اوَّلها الاقرار بالذنب لانهُ كما قيل : الاعتراف يزول بهِ الاقتراف. والمعترف بالجريرة مستحق للغفيرة. وقال ابن حازم:

اذا ما امرؤٌ من ذنبهِ جاء تائبًا   اليك فلم تغفر له فلك الذنبُ

وهذه طريقةٌ طالما استعملها اهل الجنايات للاستغفار

قال ابو نواس يعتذر الى الفضل من ذنب :

اَقلني قد ندمتُ من الذنوبِ   وبالاقرار عدتُ عن الجحودِ
فاستدعيتُ عفوك من قريبٍ   كما استدعيت سخطكَ من بعيدِ
فان عاقبتني فبسوء فعلي   ولم تظلم عقوبة مستقيدِ
وان تعفو فاحسانٌ جديدٌ   سبقتَ بهِ الى شكرٍ جديدِ

ثانيها الإخبات والخضوع وذلك اذا كان الجاني دون المستعطف رتبةً وقدرًا . او كان ذنبهُ عظيمًا فعليهِ ان يتهضَّم نفسهُ ويستكين لذوي القدرة ذليلًا . كما فعل ابراهيم المهدي عند المأمون بعد عصيانه عليه فانشدهُ :

اَذنبتُ ذنبًا عظيمًا   وانت للعفو اهلُ

(١) ملخص عن كتاب احياء علوم الدين للغزالي

فان عفوتَ فمنٌّ وان جزيتَ فعدلُ

ثالثها ذكر الحلم وفضل كظم الغيظ على التشفي والانتقام كما قيل : ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب . وقال الشاعر :

واصفح اذا اذنب مرءٌ عسى تلقى اذا اذنبت من يصفحُ

رابعها وصف ما يجنيهِ الحلم من الشكر والثناء والاسم المخلّد . قال البحتري :

اذا انت لم تضرب عن الحقد لم تفز بشكر ولم تسعد بتقريظ مادحِ

خامسها حسن تبرّؤ الجاني من ذنبهِ . كما اذا ذكر صفاء مودّتهِ وحسن نيتهِ في صنيعهِ وانهُ لم يأتِ ما اتى الّا سهواً ويدمج كل ذلك في الاسف على تغيظ المعاتب وابداء الرغبة في الرجوع عمّا ساءهُ . وذلك كما كتب ابو المظفر اسامة بن مرشد الى ابيهِ وكان مغتاظاً عليهِ :

وما اشكو تلوّنَ اهل ودّي ولو اجدت شكيّتهم شكوتُ
مللتُ عتابهم ويئستُ منهم فما ارجوهمُ فيمن رجوتُ
اذا ادمت قوارصهم فؤادي كظمتُ على اذاهمُ فانطويتُ
ورحت عليهم طلق المحيّا كاني ما سمعتُ ولا رايتُ
تجنّسوا لي ذنوباً ما جنتها يداي ولا امرتُ ولا نهيتُ
ولا واللّه ما اضمرتُ غدراً كما قد اظهروهُ ولا نويتُ
ويوم الحشر موعدنا وتبدو صحيفة ما جنوهُ وما جنيتُ

سادسها انتهاز الفرص كيوم عيد ومجلس انس مع الاستعانة بمن يُشفّعون . ومن ذلك ما فعلت استير مع احشورش

الملك وابيغال مع داود . ولابي العتاهيـة ابيات ارسلها لموسى الهادي يستعطفهُ وكان الهادي جلس للشعراءِ فلم يجسر ابو العتاهية ان يحضر ناديهُ :

الا شافعٌ عند الخليفـة يشفعُ ... فيـدفعُ عنَّا شرَّ ما نتوقَّعُ
واني على عظم الرجاءِ لخائف ... كأَنَّ على راسي الاسنَّة تشرعُ
يروّعني موسى على غير عثرةٍ ... ومالي ارى موسى من العفو اوسعُ
وما آمنٌ يُمسي ويصبح آمنـاً ... بعفو امير المؤمنين يروَّعُ

فرضي عنهُ وأمر بدخوله واجازهُ

ومن قبيل الحلم الرحمة وهي : رقَّة القلب على من حلَّ بهِ شيء من المكاره

س كيف يتوسَّل الخطيب الى تحريك الرحمة في القلوب

ج بأَن يبسط الكلام في ما لحق المصـاب من البلايا والخطوب مع ذكر الظروف التي تزيدها فجعة وتأْثيراً كمدتها وفظاعتها ذلك اذا كان المبتلَى من الاصحاب والانسباء او سيد قومهِ . ومن جيد ما جاء عن العرب في اثارة الرحمة قول البرَّاق في اخيهِ غرسان لمَّا قتلهُ العجم :

بكيتُ لغرسانٍ وحقَّ لناظري ... بكاءُ قتيلِ الفرس اذ كان نائيا
بكيتُ على واري الزناد فتى الوغى م ... السريع الى الهيجاءِ ان كان عاديا
اذا ما علا نهـداً وعرَّض ذابلاً ... وقحَّم بكريًّا وهزَّ يمانيـا
فاصبحَ مفتالاً بارضٍ قبيحـةٍ ... عليها فتىً كالسيفِ فاتَ المجاريا
وقد اِصبح البرَّاق في دارِ غربةٍ ... وفارق اخوانًا لهُ ومواليـا
حليف نوى طاوي حشًى سافحًا دماً ... يرجع عبراتٍ يهجن البواكيا
فمن مبلغٌ عني كريمة امهِ ... لتندب غرسان وبرَّاق ثانيـا

ثانيًا ان تبيّن انَّ مَن طرأت عليهِ المحن لم يكن ليستحقها وانما تحامل عليهِ دهرهُ ظلمًا . كما جاء في المقامات الحريريَّة على لسان غلام يستعطف سيده ويرجوهُ الَّا يبيعهُ :

لحاك الله هل مثلي يُباع · لكيما تشبعَ الكرشُ الجياعُ
وهل في شرعة الانصاف اني · أُكَلَّفُ خطةً لا تستطاعُ
وان أُبلى بروعٍ بعد روعٍ · ومثلي حين يُبلى لا يُراعُ
اَما جرَّبتني فخبرتَ مني · نصائحَ لم يمازجها خداعُ
وكم ارصدتني شركًا لصيدٍ · فعدتُ وفي حبائلي السِّباعُ
ونُطتَ بي المصاعبَ فاستقادت · مطاوعةً وكان بها امتناعُ
واي كريهةٍ لم أبلِ فيها · وغنمٍ لم يكن لي فيهِ باعُ
وما اَبدت لي الايام جرمًا · فيكشفَ في مصارمتي القناعُ
ولم تعثر بحمد الله مني · على عيبٍ يُكتم او يُذاعُ
فاني ساغ عندك نبذ عهدي · كما نبذت بُرايتها الصنّاعُ
ولِم سمحت قرونك بامتهاني · وان أُشرى كما يُشرى المتاعُ
وهلَّا صنتَ عرضي عنهُ صوني · حديثك يوم جدَّ بنا الوداعُ
وقلتَ لمن يساوم فيَّ هذا · سكابِ فما يعارُ ولا يباعُ
فما انا دون ذاك الطِرف لكن · طباعك فوقها تلك الطباعُ
على اني سانشد عند بيعي · اضاعوني واي فتىً اضاعوا

ثالثًا ان تأتي ببعض آثار تعرضها على مرأى السامعين فتعمل روؤيتها في قلبهم . كما لو اراد حمل القلوب على الاشفاق لفقير ان يظهر اطمارهُ ويري صغارهُ . او لقتيل فيعرض جثمانهُ مضرَّجًا بالدم ومثخنًا بالجراح وهلمَّ جرًّا . وجاء في المقامات البديعية على لسان الاسكندري مستعطيًا :

يا قوم قد اثقل ديني ظهري · وطالبتني طلّتي بالمهرِ

اصبحتُ من بعد غنًى ووفرِ   ساكنَ قفرٍ وحليفَ فقرِ
يا قوم هل بينكم من حرِّ   يعينني على صروف الدهرِ
يا قوم قد عيل لفقري صبري   وانكشفت عني ذيول السترِ
وفضَّ ذا الدهر بايدي البترِ   ما كان لي من فضة وتبرِ
آوي الى بيت كقيد شبرِ   خامل قَدر وصغير قِدرِ
لو ختم الله بخير امري   اعقبني عن عسرٍ بيسرِ
هل من فتى فيكم كريم النجرِ   محتسب فيَّ عظيمَ الاجرِ
ان لم يكن مغتنماً للشكرِ

رابعًا ومن اخص ما يهيج الرحمة في القلوب ان يلوح على وجه الخطيب ويؤخذ من كلامهِ ما عملت في نفسهِ فاجعة المُصاب . قالَ ابو تمَّام :

ومِمَّا كانت الحكماء قالت   لسان المرءِ تبعٌ للفؤادِ

ومن الاقوال الآخذة باعنة القلوب الدالة على اتّصاف قائلها بحسن التأثير ما ورد عن ابي فراس الحمداني وهو في الأسر يذكر امهُ :

لولا العجوز بمنبجٍ   ما خفتُ اسباب المنيَّهْ
ولكان لي عمَّا سألتُ   من الفدى نفسٌ ابيَّهْ
لكن اردتُ مرادها   ولو انجذبت الى الدنيَّهْ
امست بمنبج حرةٌ   بالحزن من بعدي حريَّهْ
فيها التُّقى والدين م   مجموعان في نفسٍ زكيَّهْ
لا زال يطرق منبجاً   في كل غاديةٍ تحيَّهْ
يا امَّتا لا تحزني   وثقي بفضل الله فيَّهْ
يا امَّتا لا تيأسي   لله الطافٌ خفيَّهْ
اوصيك بالصبر الجميل م   فانهُ خير الوصيَّهْ

ولهُ ايضاً كتب بهِ لسيف الدولة وقد بلغهُ علة والدتهِ :

يا حسرةً ما اكاد احملها   اخرها مُزعج واوَّلها

عليلة بالشام مفردة بات بايدي العدى مُعلّلها
تمسك احشاءها على حرقٍ تطفئها والهموم تشعلها
اذا اطمأنت واين لو هدأت عنت لها فكرة تقلقلها
تسأل عنّا الركبان جاهدة بادمع ما تكاد تهملها
يا سيدًا لا يعدُّ مكرمة الّا وفي راحتيهِ اكملها
انت سماءٌ ونحن انجمها انت بلاد ونحن اجبلها
انت سحاب ونحن وابلهُ انت يمين ونحن انملها
باي عذر رددتَّ والهة عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح ردَّ واحدها تنتظر الناس كيف تقفلها
تلك العقود التي عقدتَّ لنا كيف وقد احكمتْ تحللها
ارحامنا منك لا تُقطعها ولم تزل دائبًا توصّلها
سمحتُ مني بمهجة كرمت انت على يأسها موءَملها
ان كنت لم تبذل الفداءَ لها فلم ازل في هواك ابذلها
تلك المودات كيف تهملها تلك المواعيد كيف تُغفلها
اين المعالي التي عُرفتَ بها تقولها دائبًا وتفعلها
يا واسع الدار كيف توسعها ونحن في صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدلهُ ثيابنا الصوف ما نبدّلها
يا راكب الخيل لو بصرت بنا نحمل اقيادنا وننقلها
رايتَ في الضرّ اوجهًا كرمت فارق فيك الجمالَ اجملُها
قد اثر الدهر في محاسنها تعرفها تارة وتجهلها
لا يفتح الناس باب مكرمة صاحبها المستغاث يقفلها
اين يرى دونك الكرام لها وانت قمقامها وأَفضلها
فان سأَلنا سواك عارفة فبعد قطع الرجاءِ نسأَلها
لم يبق في الناس امة عُرفت الا وفضل الامير يشملها
نحن احق الورى برافتهِ فاين عنّا وكيف معدلها
يا منفق المال لا يريد بهِ الا المعالي التي يوءَثّلها
اصبحت تشري مكارما فضُلا فداؤنا ما علمتُ افضلها
لا يقبل الله قبل فرضك ذا نافلة عندهُ تنفّلها

الأَصْلُ الثَّانِي

التنسيق

س ما هو التنسيق

ج التنسيق في اللُّغة التنظيم والترتيب • وفي الاصطلاح هو عبارة عن انتظام معاني الخطابة • وسياق اجزائها • وسرد ادلَّتها على طريقة نظام واحد

س ما المقصود من التنسيق

ج المقصود منهُ ان يُحكَم تركيب الخطبة وارتباطُ اقسامها بحيث تكون ابيَن غرضًا واحسن وقعًا في النفوس

س ما شرف التنسيق

ج ان التنسيق من اعظم اركان البلاغة • وقد حدَّ بعض الاقدمين البلاغة : تصحيح الاقسام • فهي بمنزلة المصافّ في العسكر • فلا نصرة لجيش لم يرعَ حسن النظام • وكذلك لولا ترتيب الخطبة لما اصغى السامع الى كلام الخطيب او ما ادرك الموضوع الَّا بعد الجهد الجهيد فلا يتحرَّك من ثم لمقالهِ مهما كان بليغًا

س كم قسمًا للخطبة

ج قد اختُلف في تقسيم الخطبة • فمنهم من قسمها

الى سبعة اقسام هي : الفاتحة والقضيَّة والتقسيم وايضاح المقصد والاثبات وردّ الخصم والخاتمة . ومنهم من زاد على ذلك ومنهم من نقص . وانما مرجع هذهِ التقاسيم الى ثلاثة اشياء : المقدمة والاثبات والخاتمة

الباب الأوَّل
في المقدمة

س ما هي المقدمة

ج هي فاتحة الكلام ومرجع فحواه

س ماذا تقتضيهِ المقدمة

ج لمَّا كانت المقدمة بمثابة الاساس من البناء والرأس من الاعضاء لزم الخطيب ان يصرف العناية في تطريز بردتها وحياكة لُحمتها

س ما هي اغراض الخطيب في المقدمة

ج للخطيب ثلاثة اغراض في المقدمة

الأوَّل ان يستجلب الخواطر ويؤلف القلوب . وهذا يؤخذ من حسن الافتتاح

الثاني ان يطلع السامعين على ما يريدهُ منهم اجمالًا وذلك يُستفاد من بيان المقصد

الثالث ان يرغّب اليهم الاستماع ويحملهم على الاصغاء والاذعان لما يقول . ومرجعهُ الى تقسيم الخطاب

البحث الاوَّل

حسن الافتتاح

س ما هوالافتتاح

ج هو مطلع الكلام في الخطبة

س ما هي آداب الابتداءات في الخطابة

ج قال ابن الاثير : قد خُص الافتتاح بالاختيار لانَّهُ اوَّل ما يطرق السمع من الكلام (١) . وللابتداء آداب على الخطيب ان لا يتعدَّاها . منها سهولة اللفظ وصحَّة السبك ووضوح المعنى وتجنب الحشو . فان كان كذلك توفَّرت الدواعي على استماعهِ

س كيف اعتاد العرب ان يفتتحوا خطبهم

ج ان خطباء العرب يفتتحون خطبهم بالحمد لله . لان النفوس تتشوق الى الثناء عليهِ تعالى . ثم يردفون بالسلام على انبياء الله واصفيائهِ (٢) . كقول ابن نباتة الخطيب :

الحمد لله فاتح ابواب الرحمة لمن طرقها، وموضح منهاج السعادة لقلوب وفَّقها، وقابل الحمد من السنةٍ انطقها ، وشاكر البذل من يدٍ هو الذي نولها ورزقها ، بالخير يجازي من هاجر الى سعة بابهِ وكرمهِ وحلمهِ ، احمدهُ على ما انعم ،

(١) عن المثل السائر (٢) القلقشندي

واشكرهُ على ما الهم ، واستعينهُ واستغفرهُ وأُومل بهِ واتوكل عليهِ ، واستهدي الله بالهدى ، واعوذ بهِ من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهدي الله فهو المهتدى

س ما براعة الاستهلال

ج هو ان يكون الابتداء لائقًا بالمعنى الوارد اعني ان يأتي الخطيب في صدر الخطبة بما يدل على المقصود منها . فيكون الافتتاح مرتبطًا مع الخطبة ارتباط الرأس بالجسد ومتشققًا كما تتفتح الانوار عن اكمامها . وذلك كقول ابن الحديثي في استهلال خطبة القاها يوم عيد البشارة عن يوحنّا المعمدان قال :

الحمد لله مشرّف مَن يصطفيهِ لطاعتهِ بلطيف حبائهِ ، ومبهج مَن يختاره لخدمتهِ بشريف ارعائهِ ، وملبس من يجتبيهِ لنعمتهِ سرابيل بهائهِ ، ومُحلّي اجياد الواقفين على سرائر حكمتهِ بنفائس نعمائهِ ، الذي ارسل من سرادق الوهيتهِ ملكًا قدسيًّا الى زكريّائهِ ، مبشرًا لهُ يوم عيد الغفران بيوحنّائهِ ، ليمضي امام الرب بأيدهِ العلويّ وروح إيليائهِ ، ليبشّر بالحياة الابدية الساكنين تحت ظلال الموت وأفيائهِ ، نحمدهُ حمد المخاصين في طاعتهِ وحسن ولائهِ ، ونشكرهُ على ما اسدى الينا من جزائل صنائعهِ وآلائهِ

وكقول يشوعياب الدنيسري :

الحمد لله الذي خارت عن اداء مدحهِ فصحاء الالسن وبلغاء الاخبار، وحارت في عظَمتهِ عقول ذوي النقول واولو العقول النضار ، وحامت على ادراكهِ لطائف معارف ذوى النباهة والنظّار، وخامت عن عرفان صفاتهِ دقائق صوادق الافكار، المستتر باظلال اجلال مجدهِ عن ملائح لواح الابصار ، والمنتقب بنقاب اثواب البهاء وحجاب ابواب الوقار ، الذي احَّد ماهيتهُ بانّيتهِ ، وتعالى على ان يكون وجودهُ زائدًا على ماهيتهِ ، لا يُبحث عن وجود ذاتهِ بالهلّية ، ولا يدخل توحيدهُ تحت المقدار والكميّة ، لا يُسأل عن مكانهِ بالاينيّة، ولا عن دهورهِ وآزالهِ بالمتائيّة، ولا تدرك آثار قدرتهِ بالبصائر الفهميّة ، تفرَّد بشرف الابوّة فهو بها علّة العلل،

وتصمَّد بقدس البنوَّة فهو بها موصوف في القِدم والازل ، وتخصَّص بروحهِ القدسيَّة التي لم يخلُ عنها ولم يزل ،صفاتٌ تعالت عن الشّبيه والنظير والمثل ،تأحَّد بذاتهِ البسيطة القدسية ، وتثلَّث باقانيمهِ وصفاتهِ الجوهريَّة ، سبق الموجودات بوجود الوجود ، وجلَّ ببساطتهِ عن المعرّفات من الرسوم والحدود،غاير المبدَعات والمصنوعات بالقدم والازليّة ، وباين المخلوقات والمكونات بتوحيد الذَّات وتثليث الصفات العليَّة ،فسبحانهُ وحدهُ لا شريك لهُ يحاكيهِ في سلطان جلالهِ ، ولا نظير لهُ يضاهيهِ في عز جمالهِ وكمالهِ ، نحمدهُ حمد منصوب لإداء فعل حمد آلائهِ المتتابعة ، ونشكرهُ شكر مديمٍ لشكر منحهِ ونعمائهِ المتهاطلة

(فائدة) اعلم ان براعة الاستهلال من اخص اسباب البلاغة في الخطابة اذ بها يستعطف خواطر المستمعين ويمهد لِقضيَّتهِ الطريق بحيث تقع عندهم بموقع الاستحسان والقبول

س ماذا يُستهجن في افتتاحات الخطب

ج يستهجن فيها : اولًا ان تكون مسهبة مستطيلة فيضجر السامع اطولها

ثانيًا ان تكون مبتذلةً مشاعة بحيث تصلح لكل خطبةٍ . وهذا كثير في دواوين خطباء العرب . ومن ذلك قول البولاقي في بدء خطبة لشعبان :

الحمد لله اللطيف الصنع الجميل العوائد . باسط يد الاحسان والغفران لكل عائد . فما من مخلوقٍ الّا من ثمار احسانهِ اقتطف . ولا رجع اليهِ مذنب الّا وقبلهُ . وغفر لهُ قبيح ما عملهُ . وعليهِ بعواطف احسانهِ عطف

فان هذا وامثالهُ مع انهُ حسن النسج شائع عام يمكن ان تصدَّر بهِ ايّ خطبة كانت

ثالثًا ان لا توافق الموضوع فتكون قلقة غير ملتحمة معهُ

س ما هي موارد الافتتاحات

ج ان للافتتاحات موارد كثيرة هذه اخصها:

اولاً تستهل بحكمةٍ أو مثل أو ببعض اقوال للمتقدمين كما فعل ناتان لما دخل على داود الملك يبكتهُ على خطيئتهِ فانهُ افتتح خطابهُ لهُ بمثل غنيٍ ظالم وفقير مظلوم فكان لخطابهِ حسن وقعٍ وقبول

وجاء ايضًا في قصة جايعاد الملك على لسان وزيرهِ ما نصهُ :

ايها الملك قد تقدم من قول المتقدمين انَّ من صلَّى وصام وقام بحقوق الوالدَين وعدل في حكمهِ لقيَ ربَّهُ وهو راضٍ عنهُ. وقد وليتَ علينا ايها الملك فعدلتَ فكنت في ذلك سعيد الحركات ...

ثانيًا وربما ابتدأ الخطيب بعرض قضيتهِ او ذكر الواقع كما قال الاحنف وكان وفد في اهل البصرة الى عليٍّ يطلبون منهُ ان يحفر لهم نهرًا عذبًا :

يا امير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيدَي الله وقد اتتك وفودُ اهل العراق . وان اخواننا من اهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الامم الخالية والملوك الجبابرة منازل كسرى وقيصر وبني الاصفر فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة في مثل حِوَلاء السَّلَى وحدقة البعير تأتيهم ثمارهم غضةً . وانا نزلنا نشاشة لها طرَف في فلاة وطرَف في ملح اجاج جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة لا يجفّ ترابها ولا ينبت مرعاها تأتينا منافعها في مثل مري النعامة . يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المراة بمثل ذلك ترنّق ولدها ترنُّق العنز تخاف عليهِ العدو والسبع. فالَّا ترفع خسيستنا وتنعش ركيستنا وتجبر فاقتنا وتزيد في عيالنا عيالاً وفي رجالنا رجالاً وتصغر درهمنا وتكبر قفيزنا وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب بهِ الماء هلكنا

ثالثًا وقد يبتدئ الخطيب بذكرِ قول خصمهِ او عرض

القضيَّة المخالفة لما حاول تقريرهُ أو بذكر القضية على الوجه العام قبل ان ينتقل الى تخصيصها . كقول عليّ وقد استهلَّ خطابهُ بنعت الرجل الصالح المتعبد :

انَّ من احبِّ عباد الله اليهِ عبداً اعانهُ الله على نفسهِ فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف . فظهر مصباح الهدى في قلبهِ . وأَعدّ القرى ليومهِ النازل بهِ . فقرَّب على نفسهِ البعيد وهوَّن الشديد . نظر فابصر . وذكر فاستكثر . وارتوى من عذب فرات . سهلت لهُ مواردهُ فشرب نهلًا . وسلك سبيلًا جددًا . قد خلع سرابيل الشهوات . وتخلى من الهموم الَّا همًّا واحدًا انفرد بهِ فخرج من العمى . ومشاركة اهل الهوى . وصار من مفاتيح ابواب الهدى . ومغاليق ابواب الردى . قد ابصر طريقهُ وسلك سبيلهُ . وعرف منارهُ . وقطع غمارهُ . استمسك من العرى بأوثقها . ومن الحبال بامتنها . فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس . قد نصب نفسهُ سبحانه في ارفع الامور من إصدار كل وارد عليهِ وتصيير كل فرع الى اصلهِ

رابعًا وكثيرًا ما تؤْخذ معاني الافتتاحات من احوال الخطيب والسامعين او من ظروف الزمان والمكان . فان ما يأْتي بهِ لسان الحال امتع في النفوس واعطف للخواطر . ومثل ذلك قول الرسول بولس في خطبتهِ امام محفل اريوس باغوس في اثينا :

يا رجال اثينا اني ارى انكم في كل شيء تغلون في العبادة. لاني في مروري ومُعاينتي لمناسككم صادفت مذبحًا مكتوبًا عليهِ : للاله المجهول. فهذا الذي تعبدونهُ وأَنتم تجهلونهُ بهِ انا أُبشركم. ان هذا الاله هو الذي صنع العالم وجميع ما فيهِ لكونهِ رب السماء والارض لا يحل في هيا كل مصنوعة بالايدي. ولا تخدمهُ ايدي البشر كانهُ محتاج الى شيء اذ هو يعطي للجميع حياةً ونفسًا وكل شيء...

ولهُ ايضًا يوم احتجَّ امام اليهود وكانوا قد قبضوا عليهِ ليقتلوهُ :

ايها الرجال اخوةً واباءً اسمعوا احتجاجي الان عندكم. (فلما سمعوهُ يخاطبهم باللغة العبرانية ازدادوا هدوءًا) فقال : اني رجل يهودي ولدتُ في طرسوس

كيليكية لكن ربيتُ في هذه المدينة وتأدَّبت لدى قدمَي جمليئيل على حقيقة الناموس الابدي وكنت غيورًا لله كما انتم جميعكم اليوم . وقد اضطهدتُ هذه الطريقة حتى بالموت مقيدًا ومسلّماً الى السجون رجالًا ونساءً . كما يشهد لي رئيس الكهنة وجميع الشيوخ الذين اخذت منهم رسائل الى الاخوة وانطلقت الى دمشق لآتي بمن هناك الى اورشليم موثّقين ليعاقبوا . . .

س كم نوعًا الافتتاحات

ج اربعة :

الساذج . والجزْل . والبديهي . والملوّح او المعرّض

س ما الافتتاح الساذج

ج هو ما اخذ شرح الموضوع دون تكلُّف . وهو أحرى بالخطب العاديَّة ومحافل الادب ومجالس التشاور والعظات . كقول الذهبيّ الفم في مطلع خطبةٍ مرتَّبة على مثَل قاضي الظلم :

ان سيدنا لهُ المجد لاجل رأفتهِ واشفاقهِ علينا يحثنا على ما فيه خلاصنا فيطلب منّاَ ان نصلي دائمًا ونطلب نعمتهُ طلبًا متواترًا لتكون رحمته لنا واحسانه علينا بطريق الاستحقاق . ويضرب على ذلك لنا الامثال بقاضي الظالم والملتمس الخبز من صديقهِ بالحاحٍ وتكرارٍ وغير ذلك . ويُنهض عزمنا ويضرم نار شوقنا ويبكت نفوسنا المتراخية في حقيقة الطلب . ويقول اذا كان هذا القاضي الظالم الزمني الآخذ بالوجوه المرتشي في الاحكام البعيد عن الخوف من الله وعن الحياء من الناس لما اضجرتهُ بالإلحاح وتكرار الطلب تلك المرأَة الارملة الخالية من الحقوق الموجبة الانتقام من خصمها . قام لها هذا الالحاح مقام الرجال والمال وكانت كانها اجبرت حاكم الارض على الانتقام من غريمها . فكيف لا يعطينا ملك الملوك الحاكم على جميع البرايا جميع مطلوباتنا اذا كنّاَ نسأَلهُ دائمًا باجتهادٍ

وكقول ابي بكر يوم بويع لهُ بالخلافة :

ايها الناس اني قد وليتُ عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فاعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني. أطيعوني ما اطعت الله فيكم فاذا عصيتهُ فلا طاعة لي عليكم . الّا ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق لهُ فاضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منهُ . اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم

س ما الافتتاح الجزْل

ج هو ما كان انيق اللفظ شريف المعنى يزينهُ حسن التعبير ورونقهُ وهو يصلح للظروف الخارقة العادة والمواقع الشريفة اذ يتوقَّع الجمهورُ ما يترجم عن عظائم الامور

كقول ابي بكر يوم موت محمد :

ايها الناس انهُ من كان يعبد محمدًا فان محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت .

وكقول عبد الله بن زبير لمَّا بلغهُ قتل اخيهِ مُصعب فحمد الله وسكت وجعل لونهُ يحمرّ مرَّة ويصفرّ اخرى واشتدَّ عليهِ ذكر مقتل سيد العرب ثم تكلم فقال :

الحمد لله لهُ الخلق والامر والدنيا والآخرة. اللهمَّ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء . وتُعزّ من تشاء . وتذل من تشاء . امَّا بعد فانه لم يعزّهُ الله من كان الباطل معه وان كان معهُ الانام طرًّا ولم يذلّ من كان الحق معهُ وان كان فردًا . ألَا وانَّ خبرًا من العراق اتانا فأحزننا وافرحنا . فأما الذي احزننا فإن لفراق الحميم لوعة يحزننا حميمها. ثم دعوى ذوي الالباب الى الصبر وكريم العزاء . واما الذي فرحنا فان قتل المصعب لهُ شهادة ولنا ذخيرة اسلمهُ النعام المصالم. ألَا وان اهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه . فإن يُقتل فقد قُتل اخوهُ وابوهُ وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين . انَّا والله لا نموت حتفًا ولكن قصفًا بالرماح وموتًا تحت ظلال السيوف ليس كما يموت بنو مروان. ألَا انما الدنيا عارية من الملك

الّا على الذي لا يبيد ذكر هؤلاء ولا يذل سلطانهُ .فان تُقبل الدنيا عليَّ لم آخذها آخذ الأشِر البطر وان تُدبر عني لم ابكِ عليها بكاء الخرِق المهين

س ما هو الافتتاح البديهيّ

ج هو ما اصاب مسامع الحضَّار على غرارة دون توقُّع وابرز عن حميم العواطف ومقامهُ المواقع الباغتة والطوارئ المفجعة

كقول صالح بن عليّ لاهل المدينة . وكانوا قد استصغروا همّتهُ :

يا اعضاد النفاق وعبيد الضلالة اَغركم لين اساسي وطول ايناسي حتى ظنَّ جاهلكم ان ذلك لفلول حدٍّ وفتور جدّ وخور قناة كذبت الظنون انها العترة بعضها من بعض . فاذا قد استوليتم العافية فعندي فطام وفكاك وسيف يقدّ الهام

وكقول الذهبي الفم في استهلال خطبةٍ القاها في قول الانجيل :

انسان غنيّ اخصبت كورتهُ ؛

يا للعجب ان الذين يريدون السفر الى البلاد الغريبة يقطعون علائق الاقامة بها ويكونون دائمًا متأهبين مشمّرين مستعدين للرحيل عازمين على الانتقال الى بلادهم . فتراهم يبيعون الاثقال ويقايضون بالامتعة ويعدُّون الزاد والمهمات اللازمة للسفر . ونحن المؤمنين بالموت والقيامة والحساب والمجازاة نوجد هكذا متعلقين بالاموال منهمكين في جمعها وتكثيرها ومهتمين بتحصيل اللذَّات العالمية. وكيف تقول ياهذا ان القيامة سوف تقوم وان الناس يُحاسبون على اعمالهم وانت مغتبطٌ بمحاسن الحطام الدنيوي متمسكٌ بازمَّة الاباطيل الزائلة متعبدٌ للذَّات الفاسدة والشهوات الخبيثة

س ما الاستهلال الملوِّح او المعرِّض

ج الملوّح في اللغة خلاف المصرِّح وكذلك المعرض وهو في الاصطلاح ما يخرج مخرج الكناية والتلويح يأتي بهِ الخطيب اذا احتاج الى استعطاف خواطر الجمهور النافرة او

كان المقصود عسر الخطة بعيد المتناول كقول الاناء المصطفى لمَّا احتجَّ امام اغريبا الملك وقد عمد الى ملتمسهِ بافتتاح لطيف :

اني احسب نفسي سعيداً ايها الملك اغريبا لاني احتج اليوم امامك عن كل ما يشكوني بهِ اليهود ولاسيما وأنت خبيرٌ بكل ما لليهود من سُنن ومسائل فلهذا اسألك ان تسمع لي بطول الاناة. انَّ سيرتي منذ صباي التي من البدء كانت لي بين امتي باورشليم يعرفها جميع اليهود الذين عرفوني من الاول لو ارادوا أن يشهدوا اني قد عشت فريسيّاً على مذهب ديننا الاقوم . والآن واقف أُحاكم على رجاء الوعد الذي سبق من الله الذي يؤمل اسباطنا الاثنا عشر البلوغ اليهِ متعبدين بالمثابرة ليلًا ونهاراً فبهذا الرجاء شكاني اليهود ايها الملك أفيحسب عندكم غير مصدق أن الله يقيم الاموات...

س اي طبقة من الانشاء اولى بافتتاح الخطب

ج ان الانشاء الساذج هو الخصيص بالافتتاحات وقد قال القدماء : كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر وينمو . وزد على ذلك ان السذاجة في الاستهلال أدعى الى ثقة السامع بالخطيب لاسيما في خطب المحاكمات والتشاور والعظات

وقد استثنوا من ذلك الافتتاحات الجزلة والبديهية فانها تستلزم زخرفة الكلام وبراعة الانشاء

البحث الثاني

في بيان المقصد

س ما هو بيان المقصد

ج هو قسم المقدَّمة فيهِ يظهر الخطيب يبني ما عليهِ كلامهُ

س كم هي الصفات الملائمة لبيان المقصد

ج اربع :

الاولى ان يكون مترتّبًا على قضيَّة واحدة ليس الّا

كما لو اردتَ ان تبني الكلام على العدل فانك تقول : ان احسن الرعايا من كان ملكهم عادلًا وشرُّهم من كان ملكهم جائرًا

الثانية ان يكون واضحًا لأنَّ الغرَض اذا كان بعيد المأْخذ اعتاص على السامع فتبرَّم منهُ . فان جعلت كلامك على حُسن الخلق قلت : مَن ساء خلقهُ تنكَّدت معيشتهُ . او تقول في شرف العقل : خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل

الثالثة ان ينشط السامعين بابتكار صورتهِ ولطيف مخرجهِ قولك في كثرة خطوب الدهر مع مَن قال : الليل والنهار غرسان يثمران للبرّيَّة صنوف البلية . او مع غيرهِ : زوايا الدنيا مشحونة بالرزايا . او مع الشافعي :

محن الزمان كثيرةٌ لا تنقضي وسرورهُ يأْتيك كالأَعيادِ

الرابعة ان تعود اليهِ بقيَّة اقسام الخطبة لانهُ كما قيل : الخروج عمَّا بُني عليهِ الكلام اسهاب

س هل ينبغي اظهار المقصد دائمًا

ج كلَّا فانَّهُ رُبَّما اخفاهُ الخطيب لعلَّةٍ وذلك اذا كان الغرض بيِّنًا جليًّا او اذا كان ثمة سببٌ يدعو للايماء اليهِ لئلا

ينفر السامع من ايراده كما فعل رسول الامم في خطبته الى اهل انطاكية بسيدية فانهُ ادرج المقصود في اثناء خطبته ولم يصرّح بهِ الّا في آخر الكلام فقال :

يا رجال اسرائيل والذين يتقون الله اسمعوا ان اله هذا الشعب اختار آباءنا وعظّم الشعب في غربتهِ في ارض مصر واخرجهم منها بذراع رفيعة واحتمل اخلاقهم مدَّة اربعين سنة في البرية واستأصل سبع امم في ارض كنعان وقسم لهم ارضهم بالقرعة بعد نحو اربع مئة وخمسين سنة وبعد ذلك اعطاهم قضاةً الى صموئيل النبي . وبعده سألوا ملكاً فاعطاهم الله شاول بن قيس رجلًا من سبط بنيامين مدة اربعين سنة ثم عزلهُ ورفع داود ملكاً عليهم الذي شهد لهُ قائلًا : اني وجدت داود بن يسّى رجلًا على حسب قلبي يعمل بمشيئتي كلها ومن نسل هذا اقام الله يسوع لاسرائيل مخلصاً بحسب الوعد. وقد سبق يوحنا فكرز امام مجيئهِ بمعمودية التوبة لجميع شعب اسرائيل ولما بلغ يوحنا قضاء سعيهِ قال: الذي تحسبون انا هو لست انا بهِ ولكن هوذا ياتي بعدي من لا استحق ان احل حذاء رجليهِ. ايها الرجال الاخوة بني ذرّيّة ابرهيم ومن يتقي الله بينكم اليكم ارسلت كلمة هذا الخلاص لان الساكنين في اورشليم ورؤساءهم من حيث انهم لم يعرفوه اتمّوا بالقضاء عليهِ اقوال الانبياء التي تتلى في كل سبتٍ .ومع انهم لم يجدوا عليهِ علّة للموت طلبوا من بيلاطوس أن يُقتل ولما أتوا كل ما كتب عنهُ أنزلوه عن الخشبة وجعلوه في قبر لكن الله أقامهُ من بين الاموات وتراءى اياماً كثيرةً للذين صعدوا معهُ من الجليل الى اورشليم وهم شهوده الان عند الشعب

(فائدة) ولبيان المقصد اسماء غير هذه عند العرب . وربما سموه بالسمة . جاء في شرح التهذيب : السمة هي عنوان الخطاب ليكون عند الناظر اجمال ما يفصلهُ الغرض

البحث الثالث

في تقسيم الخطاب

س ما التقسيم

ج هو في اللغة مصدر قسَّمتُ الشيء اذا جزَّأته. وفي الاصطلاح هو استيفاء المتكلّم اقسام المعنى الذي هو آخذ فيهِ (١) كقول بعض الحكماء:

الدنيا تطلب لثلاثة اشياء للغنى والعزّة والراحة . فمن قنع استغنى ومن زهد فيها عزّ ومن قلَّ سعيهُ استراح

س ما هي فوائد التقسيم في الخطبة

ج للتقسيم فوائد كثيرة منها ما يعود الى نفس الخطيب من حيث انهُ ينكبّ بهِ عن الهذر والشرود عن المقصود وتكرار المعاني. ومنها ما يؤول الى فائدة السامعين لان تفصيل الخطاب يمكّنهم من ادراك الموضوع ويروّح خاطرهم . هذا الى ان التقسيم يفيد الخطبة حُسنًا وايضاحًا

س كم هي صفات التقسيم الحسن

ج اربع

(١) ابن ابي الاصبع

الاولى ان تكون القسمة مستوية شاملة لجميع الانواع لا يخرج عنها جنسٌ من اجناسهِ وعليهِ فقد اخطأَ ابو الفتح البستي بقولهِ:

امور الدنيا تدور على شيئين رفق القلم وخرق السيف

ألا ترى ان امور الدنيا تدور على اشياء كثيرة غير هذه. ومثلهُ قول الببغاء: اشد امور الدنيا واصعبها محاربة العدو وركوب البحر

فان الشدائد في الدنيا اكثر من ان يفي بها احصاء

الثانية ان تكون الاقسام متباينة لا يدخل بعضها في بعض وعليهِ فقد اخطأَ من قسم الحيوان الى ناطق وذي حس فان الناطق هو ايضاً ذو حسّ. وقد ردُّوا على ابن القرّيّة قولهُ في تقسيم الناس

ان الناس ثلاثة عاقل واحمق وفاجر

لان الفاجر يجوز ان يكون عاقلًا او احمق. وكذلك قول يحيى بن خالد في الصديق: الصديق لامرين اما ينفع واما يشفع

فان الشفاعة من المنافع

الثالثة ان تكون واضحة يتلقاها عقل السامع بسهولة لترسخ في ذهنهِ كقول محمد ابن زكريَّا في منافع الطب وقد استوفى:

الطب شيئان حفظ الصحّة ومرمّة العلّة

الرابعة ان تكون موجزة مبتكرة كقول الحسن فانهُ قسم واوجز واصاب:

الناس ثلاثة فرجلٌ رجلٌ. ورجلٌ نصف رجل. ورجلٌ لا رجل. فاما الرجل فذو الرأي والمشورة. واماَّ نصف الرجل فالذي لهُ رأي ولا يشاور واما الذي ليس برجل فالذي لا رأي لهُ ولا يشاور

س اذكر بعض شواهد في حسن التقسيم

قال خوارزم شاهُ مأمون بن مأمون في دواعي المحبة

ثلاثة تورث المحبة : الادب والتواضع والدين

وقال المأمون بن الرشيد :

الاخوان على ثلاث طبقات فطبقة كالغذاء لا يستغنى عنهُ . وطبقة كالدواء يحتاج اليه احياناً . وطبقة كالداء لايحتاج اليهِ ابدًا

وقال عليّ :

ثلاثة هي افضل ما يورث الاباء الابناء : الثناء الحسَن والادب الصالح والاخوان الثقات

وكقول آخر في قصر الزمان :

انما هذه الحياة متاع والسفيهُ الغبيُّ من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

وكقول الخليل بن احمد في العالم والجاهل :

الناس اربعة : رجلٌ يدري ويدري انهُ يدري فذلك عالم فاسألوه. ورجل يدري ولا يدري انهُ يدري فذلك ناسٍ فذكروه . ورجلٌ لايدري ويدري انهُ لايدري فذلك مسترشد فارشدوه . ورجلٌ لا يدري ولا يدري انهُ لا يدري فذلك جاهل فاحذروهُ

ولأبي نصر المقدسي في توابع الموت :

الموت اربعة : الفراق . ثم الشماتة . ثم الذل . ثم الخروج من الدنيا

وليونس النحوي في انواع السكر :

السكر خمسة : سكر الشباب . وسكر الشراب . وسكر المال . وسكر العشق . وسكر الولاية

(وقد نظمهُ شاعر فقال :)

سكرات خمس اذا مُني المرء م بها صار عرضه للزمانِ

سكرة المـال والحداثة والعشق م وسكر الشراب والسلطـانِ

وربما الحقوا ببيان المقصد والتقسيم تعزيزًا لهما ورغبةً في الايضاح ذكر الواقع وذلك اذا كان المقصد مبنيًا على نفس الحادث لا على قضية عقليـة . وتسمى هذه الرواية الروايةَ الخطابية

البحث الرابع

في الرواية الخطابية

س ما الرواية الخطابية

ج الرواية الخطابية ما روت امرًا واقعيًّا على طريقةٍ مناسبة لغاية الخطيب

س ما هي سِمة الرواية الخطابية

ج انما تمتاز الرواية الخطابية عمّا سواها من حيث غايتها ومن حيث وسائلها . فامَّا غرضها فهو ان تمهد الطريق لاقناع الجمهور . واما وسائلها التي تستخدمها لبلوغ غايتهـا فهي الاسترسال في الظروف الملائمة لمقصود الخطيب والإعراض عما سواها . او اذا لم يكن للخطيب منـدوحة عن ذكر ما يخلّ بمقصوده فيتلطف بايراده ويخرجهُ بصورةٍ تلائِم بغيتهُ

س كم نوعًا الرواية الخطابية

ج الرواية الخطابية نوعان إمّا إخبارية و اما قضائية

س ما الرواية الاخبارية

ج الرواية الاخبارية هي ما جيئ فيها بقصص الخبر بلاغًا الى نتائج عملية ووصلةً الى اثبات قضية. ومثل ذلك رواية ابي الحليم في عظته عن توبة المجدلية :

ما قرع اليوم اساعكم من قصّة مريم الخاطئة وشمعون المعتزلي . قد اورده لوقا الرسولي السمائي بالقول الواضح الجلي . انظروا الى الرحمة المسيحية ما اوفرها . والى فرط عنايتهِ بالخاطئين ما أغزرها وأكثرها. قدمت الخاطئة من تيه الضلال . وأرست سفينة رجائها في مينا القدس ومعدن الافضال . مزّقت عنها ملابس الخطيئة والآثام. وألقت عن كاهل قلبها ثقل الذنوب والاجرام. حقّقت العزم على ان تتوب. وان تخرج الى دائرة الطاعات من خطّة المعاصي والذنوب . هجمت على منزل المعتزلي . رأت من خلال ستور الناسوت نور الازليّ. خرّت ساجدةً بين يديهِ كزهرة ذاوية وغصن ذابل . أتت كجريح مضرّج بالدماء قد أنكأت في جسدهِ اللهاذم والذوابل. فلما حدّق اليها استلمحت من اسارير وجههِ آثار الرضاء. وأيقنت من بشرِ محيّاه بحصول الغرَض وقوّة الرجاء . رآها بجلابيب التوبة حاليه. وهمتها عن شهوات الاجساد عاليه . علم انها مثل كرمة كانت تحمل الاشواك والخرنوب . وقد نثرت عن اغصانها اوراق المعاصي وعناقيد الذنوب . رآها كنعجة مضلالة قد خطفها سبع الخطيئة بمخاليبهِ . واخرجها الشيطان عن نهج الهدى وأركبها اوعار اساليبهِ . رقّ لها القلب الشريف . وفاضت منابع الرحمة على العضو الضعيف . أباحها الاقدام على لثم اقدامهِ . وجذبها من اساليب الضلال بكلاليب كلامهِ . قامت على قدم العزم مجدّةً في اجتذاب النعمة . قارعة بطارق التوبة القلبية باب الرحمة . شبّت في قلبها نار الخشوع . وقطرت من غمائم عينيها سحائب الدموع. ايقنت ان ذنوبها مصفوحة . وأبواب الخدور الملكوتية أمامها مفتوحة . غسلت بدموعها رجلين بأقذار الخطيئة لم تدنّسا . وسكبت الدهن الثمين على قدمٍ لم يزل بالقدس مقدسًا نشفت بضفائر شعرها اقدامهُ . عفّرت أوراد الخدود امامه . ايقنت ان الشفاء عنده موجود . كشفت معضل دائها الى ساعور

بيمارستان الوجود. أبرز لها من خزانة الرحمة شراب الغفران . وقال انكِ كنتِ ميتة بالخطية وقد حييتِ الان بالايمان . فلما ان سمع المعتز لي هذا الخطاب . وما ابداه للمرأة الخاطية من حسن الجواب . خامر فكره الشكّ في السيد والارتياب . قال في نفسهِ : لو ان هذا رجلٌ لهُ رتبة النبوة . وهو ممدود من الله بالأيد والقوّة . لقرأ صحيفة قصتها بالفجور من عنوانها . وعلم ان الدانية اليهِ خاطئة وفعل الخطاءِ من شانها . اضلهُ ما رآه من ظواهر الناسوت . لم يعلم انهُ سكينة الاسرار وحجاب اللاهوت . لم يعدهُ المعتز لي لخاص الكل الّا من الطبقه البشرية . ولا علم انهُ أعطي كل سلطان في السماء وهو باري البرية . يا شمعون انت ظننتهُ نبيًا يعلم الاسرار والغيوب . وهذه ايقنت انهُ قادر على غفران الخطايا والذنوب . يا شمعون انتَ خلتَ انهُ شخص مجرَّد عن اللاهوتية انسيّ . وهذه الخاطئة آمنت انهُ الهٌ موشح بالناسوت قدسي . انت احببت قليلًا فاخذت اجرًا يسيرًا . وهذه احبَّتهُ كثيرًا فاخذت من خزائن ملكهِ جزءًا غزيرًا . ثم ضرب لهُ بصاحب الدين المثال . ليرده الى نهج الحقائق من طرق الضلال . واخذ في تبكيتهِ بذلك وقطع الكلام . ثم قال لتلك المرأة : ايمانكِ احياكِ فاذهبي بسلام . فانكفأت وايمانها مشكور . وذنبها باخلاص نيتها معفور ، فانظروا ايها المؤمنون الى هذه القصة بعين الاعتبار ، والحوا فضائل التوبة بمقلة الاستبصار ، انظروا كيف انتقلت هذه السعيدة من حال الى حال ، كيف ارتفعت من حضيض النقائص الى اوج الكمال ، دخلت وهي كغصنٍ زاهر بالرذائل ، خرجت وهي كرمة حاملة لعناقيد الفضائل ، دخلت وهي معدودة من زمرة الشماليين ، خرجت لابسة لحلة الاختصاص وهي من اصحاب اليمين ، دخلت وهي كحدأة تتقضَّض على جيف المعاصي ، خرجت حمامة وديعة قد اودعت في قفص الناموس الاختصاصي ، دخلت وهي مؤهلة بردى الافعال للنار المؤججة ، خرجت وهي من آل الملكوت مستحقة للخيرات البهجة ، ذلك الفم الذي كان مدنسًا بتقبيل الانجاس ، تطهر اليوم بلثمهِ لقدمي قدس الاقداس ، تلك العينان اللتان اعتادتا ان تختلبا القلوب وتوقعا الالباب في اشراك العيوب ، اكتحلتا عند رويتهِ بميل العفاف ، وتبركتا بالنظر الى الاقدام الشراف ، ذانك المنخران اللذان تلذذا بارائيح الطيوب ، استنشقا رائحة الملكوت من علّام العيوب ، تلك الاذنان اللتان تنعَّمتا بنغمات الملاهي . سمعتا صوت الغفران من الفم الالهي

س ما الرواية القضائية

ج هي ما روت امرًا واقعًا تحت المخاصمة . واكثر استعمالها في الدعاوي . وهي تتقدم الخصام وتنزل فيهِ منزلة الاساس من البنيان اذ عليها تتوقف المشاجرة وعلى محورها تدور المقاضاة . كرواية ابي زيد في المقامات الحريرية يتظلم بها من عقوق ابنهِ

فبينما القاضي جالسٌ للاسجال في يوم المحفل والاحتفال ، اذ دخل شيخٌ بالي الرياش ، بادي الارتعاش ، فتبصَّر الحفل تبصر نقَّاد ، ثم زعم ان لهُ خصماً غير منقاد ، فلم يكن الّا كضوء شرارة ، او وحي اشارة ، حتى أُحضر غلام ، كانهُ ضرغام فقال الشيخ ايَّد الله القاضي ، وعصمهُ من التغاضي ، ان ابني هذا كالقلم الردي ، والسيف الصدي ، يجهل اوصاب الانصاف ، ويرضع اخلاف الخلاف ، ان اَقدمت اَحجم ، واذا اَعربت اعجم ، وان اَذكيت اخمد ، ومتى شويت رمَّد ، مع انّي كفلتهُ مذ دبَّ الى ان شبَّ ، وكنت لهُ الطف من ربي وربّ

ومثلها رواية شابيَّن رفعا دعواهما الى علي بن ابي طالب بامر غلام قتل اباهما :

اَقبل شاب من احسن الشباب ، نظيف الاثواب ، يكتنفهُ شابان من احسن الشباب ايضاً ، وقد جذباهُ وسحباه ، واَوقفاه بين يدي امير المؤمنين ولبَّباه ، فلما وقفوا بين يديهِ ، نظر اليهما واليه ، فقالا : يا امير المؤمنين نحن اخوان شقيقان ، جديران باتباع الحق حقيقان ، كان لنا ابٌ شيخٌ كبير ، حسن التدبير ، معظمٌ في قبائله ، منزه عن رذائله ، معروف بفضائله ، ربانا صغارًا ، واولانا مننًا غزارًا ، كما قيل :

لنا ولدٌ لو كان للناس مثلهُ　　　اَبٌ آخرٌ اغناهمُ بالمناقبِ

فخرج اليوم الى حديقة لهُ يتنزه في اشجارها ، ويقتطفُ يانع اثمارها ، فقتلهُ هذا الشاب ، وعدل عن طريق الصواب ، فنسأَلك القصاص عما جناه ، والحكم فيهِ بما امرك الله

الباب الثاني

في الاثبات

س ما الاثبات

ج الاثبات في اللغة التمكين يقال : اثبت الامر اي جعلهُ مكيناً . وهو في الاصطلاح عبارة عن تأييد القضية بالبرهان وهو قطب الخطاب وغاية مقصود السامعين

س كم قسماً الاثبات

ج الاثبات قسمان : قسم ايجابي وهو ما اشتمل على تصديق القضية وتعزيزها بالادلة اللامعة والحجج الراهنة ويسمَّى التبيان . وقسم سلبي يفنِّد بهِ الخطيب حُجج الخصم ويدحض مقالهُ ويسمى التفنيد

البحث الاول

في تبيان القضية

س ما الطريقة لتبيان القضية

ج ان الطريقة لذلك معرفة علم البحث والجدال

س ما هو البحث

ج البحث في اللغة التفحص . وفي اصطلاح اهل النظر يطلق على حمل شيء على اخر وعلى اثبات القضيَّة بالدليل

قال ابن خلدون : لما كان باب المنـاظرة في الردّ والقبول متسعاً وكلُّ واحد من المنـاظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنـانهُ في الاحتجاج ومنهُ ما يكون جواباً ومنهُ ما يكون خطاباً فاحتـاج الأئمة الى ان يضعوا آداباً واحكاماً يقف المتنـاظران عند حدودها في الردّ والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب ومحل اعتراضهِ ومعارضتهِ واين يجب عليهِ السكوت ولخصمهِ الكلام والاستدلال

س على اي شيء يترتب علم البحث في اثبات القضية

ج يترتب على معرفة القياس فبهِ يتوصل الخطيب الى تأييد رأيهِ وتخطئة رأي خصمهِ (١)

س ما هو القياس

ج القياس لغة التقدير والتشبيه . وفي الاصطلاح هو قول مؤلَّف من قضـايا اذا سُلمت لزم عنهـا لذاتها قولٌ آخر (٢)

س ما هي القضية في القياس وممَّ تتركب

ج القضيَّـة قول يصحّ ان يقـال لقائلهِ انه صادق او كاذب. (٣) وهي تتركب من جزئين يسميان طرفيها او حدَّيها

---

(١) راجع آداب البحث للسمرقندي (٢) التهانوي والحاج خليفة
(٣) تعريفات الجرجاني

احدهما وهو المحكوم عليه يسمى موضوعًا وثانيهما وهو المحكوم بهِ يُسمى **محمولًا** كقولك : الله عادل٠ فالله هو الموضوع وعادل هو المحمول

س كم قضية للقياس وما هي

ج لهُ ثلاث قضيا المقدَّمتان : وهما الكبرى والصغرى والنتيجة كقولك : كل انسان حيوان وكل حيوان جسم فكل انسان جسم . فالقضيتان الاوليان هما المقدَّمتان والمطلوب اي النتيجة الحاصلة منهما هي قولك : كل انسان جسم (١)

س ما هي الطريقة لاستنباط القياس

ج ان اردت اثبات قضية ما بالقياس فعليك ان تعرض طرفيها او حدَّيها (اي موضوعها او محمولها) على حدّ آخر يعرف بالحد الاوسط فان ثبتت المقابلة صحّ القياس والَّا فلا

س اورد مثالًا على ذلك

ج اذا قصد الخطيب ان يثبت حدوث العالم مثلًا فيلتجئُ الى قضية اخرى مشهورة يجد فيها حدًّا للقياس وهي كون المتغير حادثًا فيقول : كل متغير حادث والعالم متغير فهو حادث .

(١) شرح الشمسيّة

فالحادث حدّ اكبر والعالم حدّ اصغر والمتغير هو الحدّ الاوسط. سُمي بذلك لتوسطهِ بين طرفي المطلوب (١)

س كم هي القياسات الخطابية

ج هي ستة : القياس التام. والقياس الإضماري. والاستقرائيّ. والقياس التمثيلي. وذو الحدّين. والقياس المركب

١ القياس التامّ

س ما هو القياس التامّ

ج هو ما حوَت كلتا مقدَّمتيهِ الحدّ الاوسط مع احد طرفي النتيجة كقولك : لكل معلول علة والعالم معلول فللعالم علة. فالحدّ الاوسط هو (المعلول) ورد في الكبرى وفي الصغرى. وطرفا المطلوب (اي للعالم علَّة) وردا في المقدمتين كما ترى

س كم نوعًا القياس التامّ

ج القياس التام امَّا منطقيّ ويقال لهُ العقليّ ايضًا وامَّا خطابي. فالمنطقي كما مرَّ. امَّا الخطابي فهو يؤَلف من مقدمات ظنية مقبولة يعرضها الخطيب بصورةٍ حقيقةٍ ببرامهِ

(١) التهانوي

فيكسوها حسناً ومتانةً ويحليها ببديع التشابيه وينمقها بالامثال ويؤيدها بلامع الادلة ويعرضها على اشباهها الى ان يستوفي محاسنها ويتم فائدتها

س اذكر انا مثالاً على القياس الخطابي

ج قال ابن مسكويهِ واراد اثبات ان النفس ليست بجسم ولا بجزء من الجسم ولا بعرَض

انَّا لما وجدنا في الانسان شيئًا ما يضادُّ أفعال الاجسام واجزاء الاجسام بحدّهِ وخواصهِ ولهُ ايضاً افعال تضادُّ افعال الجسم وخواصَّهُ حتى لا يشاركهُ في حال من الاحوال. وكذلك نجدهُ يباين الاعراض ويضادُّها كلها غاية المباينة ثم وجدنا هذه المباينة والمضادة منهُ للاجسام والاعراض انما هي من حيث كانت الاجسام اجساماً والأعراض اعراضاً حكمنا بان هذا الشيء ليس بجسم ولا جزءًا من جسم ولاعرضاً وذلك انهُ لا يستحيل ولا يتغير وايضاً فانهُ يدرك جميع الاشياء بالسوية ولا يلحقهُ فتور ولا كلال ولا نقص. (وبيان ذلك) انَّ كل جسم لهُ صورة ما فانهُ ليس يقبل صورة اخرى من جنس صورتهِ الاولى الَّا بعد مفارقتهِ الصورة الاولى مفارقةً تامة. (مثال ذلك) انَّ الجسم اذا قبل صورةً وشكلًا من الاشكال كالتثليث مثلًا فليس يقبل شكلاً آخر من التربيع والتدوير وغيرهما الَّا بعد ان يفارقهُ الشكل الاول. وكذلك اذا قبل صورة نقش او كتابة اواي شيء كان من الصور فليس يقبل صورة اخرى من ذلك الجنس الَّا بعد زوال الاولى وبطلانها البتة. فان بقي فيهِ شيء من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة الثانيـة على التام بل تختلط بهِ الصورتان فلا يخلص لهُ احداهما على التام. (مثال ذلك) اذا قبـل الشمع صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الَّا بعد ان يزول عنهُ رسم النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة الخاتم وهذا حكم مستقيم مستمر في الاجسام ونحن نجد انفسنا تقبل صور الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التام والكمال من غير مفارقة للاولى ولا معاقبـة ولا زوال رسم بل يبقى الرسم

الاول تاماً كاملًا وتقبل الرسم الثاني ايضاً تاماً كاملًا. ثم لا تزال تقبل صورة بعد صورة أبداً دائماً من غير ان تضعف او تقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما يرد ويطرأ عليها من الصور بل تزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصورة الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص الاجسام ولهذه العلة يزداد الانسان فهماً كلما ارتاض وتخرَّج في العلوم والاداب فليست النفس اذن جسماً. وامَّا انها ليست بعرض فقد تبيَّن مِنْ قبل ان العرَض لا يحمل عرضاً لان العرض في نفسهِ محمول ابداً موجود في غيرهِ لاقوام لهُ بذاتهِ . وهذا الجوهر الذي وصفنا حالهُ (يريد النفس) هو قابل ابداً حامل اتم واكمل من حمل الاجسام للاغراض فاذن النفس ليست عرضاً

س بماذا يختلف القياس المنطقيّ عن القياس الخطابيّ

ج ان الخلاف من وجهين الاوَّل: ان المنطقيّ يتبع اليقينيات امَّا الخطابي فانه يستند الى المقبولات والمظنونات وهي القضايا التي يحكم بها لاعتقاد الناس صحتها ولثبوتها بحكم الظن كقولك: فلان متلطخ بالدم فهو قاتل

والوجه الثاني ان المنطقي لايتصرَّف بالقياس بخلاف الخطيب فانه يتصرَّف في المقدَّمات بالتقديم والتأخير كقول عليّ بن ابي طالب:

إني إمامكم وأسوتكم فسيروا بسيرتي واقتفروا معالي. فانَّ لكل مأموم إماماً يقتدي بهِ ويستضيء بنور علمهِ الا وإنَّ امامكم قد اكتفى من دنياهُ بطمريهِ ومن طعامهِ بقرصيهِ

وكقول صاحب كتاب زجر النفس وقد اراد ان يثبت ان لا لذة في الدنيا:

يانفس ينبغي ان تعلمي وتتيقني ان حدّ اللذة بالحقيقة هو ما لا يُملّ . ومتى طلبَت النفسُ في الكون لذة فقد سمت الى غير موجود وطلبت ما لا يمكن. والدليل البيّن على هذا ان جميع ما تشافههُ النفس في هذه الدنيا مملول والمملول لا ينبغي ان يسمى لذة اذ كان حدّ اللذة ما لا يملّ . او ما تنظرين يانفس الى اكثر اهل الدنيا كيف يبحثون في طلب اللذات ويتوهمون انها موجودة في الدنيا وليس هي موجودة فتبيَّن ان الناس يطلبون في الدنيا ما ليس فيها

٢ القياس الاضماريّ

س ما هو القياس الاضماري

ج هوما أُضمرت احدى مقدمتيهِ . إمَّا الكبرى ويسمَّى قياس الضمير كقولك : العالم متغير فهو حادث . وتمام القياس : كل متغير حادث والعالم متغير فهو حادث

وامَّا الصغرى ويسمَّى قياس الدليل كقولك : ان ما يزيّن العقل شرفٌ للمرء فالعلم اذًا شرفٌ للمرء . فأضربت عن الصغرى . وتتمة القياس بقولك : انَّ ما يزيّن العقل شرف للمرء والعلم يُزيّن العقل فهو اذًا شرفٌ للمرء

(فائدة) ويُسمَّى القياس الإضماريّ اقترانيًّا اذا لم تذكر النتيجة

س هل القياس الاضماري كثير الاستعمال في الخطابة

ج هو كثير الاستعمال على ألسنة الخطباء ولاسيما اذا ارادوا اثبات قضية يُسلِّم الخصم باحدى مقدَّمتيها فانَّهم يعرضون عنها ايثارًا للاختصار . ورُبما اوردوا القياس منحصرًا

بجملة واحدة كقول الشاعر :

احفظ لسانك لا تقولَ فتبتَلى ان البلاء موكّلٌ بالمنطقِ

وكقول الاخر :

صاحبُ الشهوة عبدٌ فاذا خالف الشهوةَ صار الملكا

وهذا كثير في الخطب والكلام العاديّ ان شئتَ تحليلهُ واعادتهُ الى القياس الاصلي تقول في البيت الاوّل : ان كل ما يجرُّ بلاءً يجب ان ليحترس منهُ واللسان يجرُّ البلاء فيقتضي الاحتراس منهُ

٣ الاستقراء

س ما هو الاستقراء

ج الاستقراء باللغة التتبُّع من استقريت الشيء اذا تتبعتهُ. وعند المنطقيين هو الحكم على شيء لوجوده في جزئياتهِ (١) كما اثبت الشيخ جمال الدين الافغاني برسالتهِ التي فيها ردّ لقوال الطبيعيين ان لا قوام للألفة الاجتماعية الّا بالدين. فاستقرى كثيرًا من المالك القديمة وبيّن ان هرمها ناشئ عن ابتعادها من سَنن الدين ومحجة الايمان

س كم قسمًا الاستقراء

ج قال التهانويّ : الاستقراء قسمان : تامٌّ وناقص . فالتامّ

(١) شرح الرازي على شمسية القزويني . والنجاة لابن سينا

ويسمّى القياس المقسم هوان يستدلّ بجميع الجزئيات ويحكم على الكل وهو قليل الاستعمال كما يُقال: كل جسم إمّا حيوان او نبات او جماد وكل واحدٍ منها متحيّز. فينتج ان كل جسم متحيز. وهذا يفيد اليقين

والناقص هوان يستدلّ باكثر الجزئيّات فقط ويحكم على الكل وهو يفيد الظنّ كقول المسعودي في العامّة وقد حاول ان يبيّن ان كل العامة يغلب عليها الهوى في جميع امورها فقال:

انظر هل ترى اذا اعتبرت العامة فنظرت في مجالس العلماء هل تشاهدها الّا مشحونة بالخاصّة من اولي التمييز والمروءة والحجى. وتفقّد العامّة في احتشادها وجموعها فلا تراهمُ الدهر الّا مُرقلين الى قائد دبٍّ وضارب بدفٍّ على سياسة قردٍ او متشوقين الى اللهو واللعب او مختلفين الى متعبّد متنمّس مخرق او مستمعين الى قاصّ كذاب او مجتمعين حول مضروب او وقوفاً عند مصلوب. يسوّدون غير السيّد ويفضّلون غير الفاضل ويقولون بعلم غير العالم. وهم أتباعُ من سبق اليهم من غير تمييز بين الفضل والنقصان ولا معرفة للحق من الباطل. يُنعق بهم فيتّبعون ويُصاح بهم فلا يرتدعون. لا ينكرون منكرًا ولا يعرفون معروفاً ولا يبالون ان يلحقوا البرّ بالفاجر والمؤمن بالكافر. وقد بيّن ذلك عليٌّ وقد سُئل عن العامة فقال: همج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق. واجمعَ الناسُ في تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا انصرفوا لم يُعرفوا

فان هذا لا يفيد اليقين لجواز وجود طائفةٍ من العامّة لم تُستقرأ فلا يتجاوز الحكمُ حدود الاحتمال

٤ القياس التمثيليّ

س ما هو التمثيل

ج التمثيل عند المنطقيين اثبات حكم في جزئيّ لثبوتهِ في جزئيٍّ آخر لمعنىً مشترك بينهما . وقيل ايضًا هو اثبات حكم في أمرٍ لثبوتهِ في آخر لعلة مشتركة بينهما . وقد يسميهِ الفقهاء قياسًا والجزئي الاول فرعًا والجزئي الثاني اصلًا والمشترك علةً وجامعًا كما يقال: العالم مؤلف فهو حادث كالبيت . يعني ان البيت حادث لانهُ مؤلَّف من اجزاء وهذه العلة موجودةٌ في العالم فيكون اذًا العالم حادثًا (١)

ومن الامثال اللطيفة في هذا الباب ما ورد في كتاب زجر النفس فقال :

يا نفس انهُ من اصعب الاشياء واشدها امتناعًا ان تُعمل صنعة الصياغة بأداة الفلاحة او صنعة التجارة بأداة الخياطة ولكل صنعة آداة لن يستوي عملها الّا بها لا بغيرها واذا كان الانسان عارفًا بجميع الصنائع ايضًا مستعملًا جميع أدواتها فقد ينبغي لهُ اذا اراد ان يعمل الخياطة ان يرمي من يدهِ اداة الفلاحة ويأخذ للخياطة اداتها التي تصلح لها. واذا اراد ان يعمل الفلاحة فيرمي من يدهِ آداة الخياطة ليأخذ للفلاحة آداتها التي تصلح لها. وكذلك يا نفس ينبغي لمن اراد ان يدرك العلم وعمل الخير ان يترك من يده اداة الجهل والشرّ وهو حبّ الدنيا والرغبة فيها. فمتى هممتِ يا نفس بطلب العلم والخير فدعي من يدك اداة الشر كما قد تقرّر في علمك ان الصنعة لا تكمل الّا باداتها وخذي للعلم والخير اداتها . فانهُ متى عملتها باداتها انعملا بغير

(١) السيد الجرجاني والسيد المولوي

تعب ولا نصب ومتى كان بيدك اداة الشر واردتِ ان تعملي بها الخير امتنع ذلك عليكِ وصعب كما امتنع على من كان بيدهِ اداة الفلاحة فاراد ان يعمل بها الصياغة فيطال تعبهُ ونصبهُ ولم يتمّ لهُ عملهُ. فتيقني يا نفس هذا المعنى واعلمي ان حب الدنيا والخير لا يجتمعان في قلبٍ فتصوّري يا نفس حقيقة هذا وادركيهِ ببصر عقلك

فانهُ قاس اعمال النفس باعمال اليد وقضى على الاولى ما اثبتهُ للثانية على طريقة التمثيل لعلة موجودة في كليهما . وهي انَّ لكل امرٍ اداةً مختصة بهِ

(راجع ايضاً صفحة ١٧٠ من الجزء الثاني من مجاني الادب وفيها مثَل حسن على التمثيل)

٥ القياس ذو الحدّين

س ما هو القياس ذو الحدّين

ج هو ان تأخذ قضية فتقسمها الى قسمين متباينين لا وسيط بينهما يفند كلاهما قول الخصم ويُسمى ايضاً بذي القرنين لانهُ ينطح الخصم يميناً وشمالاً . كما ذكر ابو جعفر الاسكافيّ لعليّ بن ابي طالب من كتابٍ ارسلهُ الى طلحة والزبير :

قد علمتما انكما ممن ارادني وبايعني . فان كنتما بايعتماني طائعَين فارجعا وتوبا إلى الله من قريب . وإن كنتما بايعتماني كارهَين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية

وكقول طارق وقد اراد حمل جنودهِ على لذريق وبيَّن لهم ان لا نجاة الّا بمقاومة العدوّ

ايها النـاس اين المفرّ البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس لكم والله الّا الصدق والصبر

ومثلهُ قول السيد المسيح للفريسيين اذ سأَلهم عن معمودية يوحنا أَمن السماء هي ام من البشر فافحمهم اذ انهم قالوا في انفسهم ان قلنا من السماء فيقول لنا لِمَ لم تؤمنوا وان قلنا من البشر فنخاف من الجمع لانهم يعدُّون يوحنا كنبيّ ٍ

ومن هذا القبيـل ما قالهُ ابو نواس للامين وكان امر بحبسهِ مُراعاة لخاطر بعض حواشيهِ :

مضت لي شهور قد حُبستُ ثلاثة　　كأنيَ قـد اذنبتُ ما ليس يُغفرُ
فان اكُ لم اذنب ففيما عقوبتي　　وان كنت ذا ذنبٍ فعفوك اكبرُ

س　باي طريقةٍ يُتوصَّل الى حلّ القياس ذي الحدَّين

ج　لحلهِ طريقتان :

الأُولى بان تجد وسيطًا بين طرفَي القياس فتملَّص منهُ

الثانية بان تبيّن ان القسمة ليست مستوية وشاملة لجميع الانواع كما قال ابن الروميّ وفي قسمتهِ خلل لانهُ سها عن ذكر الدين والعلوم والاداب مع جليل نفعها

لم ارَ شيئـاً صادقًا نفعهُ　　للمرء كالدرهم والسيفِ
يقضي لهُ الدرهمُ حاجاتهِ　　والسيف يحميهِ من الحيفِ

(فائدة)　ان القياس ذا الحدَّين رُبَّما يُعدَل عن حلهِ توًّا فيردّ كيدهُ في نحرِ الخصم . والمثل في ذلك ما اوردهُ ابن العبري لارخيلوخس

الخطيب لما وافاه تيسياس فاخذ عنهُ الخطابة على ان يجعل لهُ مالًا معينًا . ثم حاول الغدر بهِ لما اتقن فن الخطابة فقال لمعلمهِ اني اناظرك في الاجرة فان اقنعتك بانني لا ادفعها اليك لم ادفعها اذ قد اقنعتك بذلك . وان لم اقنعك فلستُ اعطيك شيئًا لانني لم اتعلّم منك الخطابة التي هي مفيدة للاقناع . فاجابهُ ارخيلوخس : وانا ايضًا أُناظرك فان أقنعتك بأنَّهُ يجب لي اخذ حقي اخذتهُ اخذ مَنْ اقنع وان لم اقنعك فيجب ايضًا اخذهُ منك اذ قد نشأت تلميذًا يستظهر على معلمهِ

٦ في القياس المركب

س ماهو القياس المركب

ج قال الرازي : هو قياس مركَّب من مقدّمات يُنتج مقدَّمتان منها نتيجة وهي مع المقدمة الاخرى تنتج أُخرى وهلمَّ جرًّا الى ان يحصل المطلوب

س كم نوعًا القياس المركب

ج القياس المركب امَّا موصول وامَّا مفصول . فان صرَّح بنتائج تلك القياسات فهو الموصول لوصل تلك النتائج بالمقدَّمات . كقولنا : كل ج ب . وكل ب د . فكل ج د . ثم كل ج د . وكل د ا . فكل ج ا الخ(١) ونحو كقولك :

البسيط لا جزءَ لهُ . والنفس بسيطة فلا جزءَ لها . ثم ما لا جزء لها لا يمكن

(١) شرح الشمسية ومقالات السيد الجرجاني

تقسيمهُ فلا يمكن تقسيم النفس

وان لم يصرّح بها سمّي مفصولاً لفصل النتائج عن المقدَّمات في الذكر وان كانت مرادة من جهة المعنى كقولنا : وكل ج ب كل ب د وكل د ا وكل ا ه فكل ج ه (١) . ويسمّى هذا القياس القياس المدرَّج ويُعرَّف انهُ عبارة عن سلسلة قضايا مرتبطة باتساق يكون محمول الاولى موضوعاً للثانية ومحمول الثانية موضوعاً للثالثة الى ان يحصل المقصود

كقول علي بن ابي طالب :

ايها النـاس اياكم وتعلّم النجامة فانها تدعو الى الكهانة . والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار وكذلك المنجّم

ومثلهُ قول عمر للاحنف بن قيس :

من كثر ضحكهُ قلّت هيبتـهُ . ومن قلّت هيبتهُ كثر سقطهُ . ومن كثر سقطهُ قلَّ ورعهُ ومن قلَّ ورعهُ ذهب حياؤهُ ومن ذهب حياؤهُ مات قلبهُ

(فائدة) اعلم ان القياس المدرج هو مجموع اقيسةٍ يتسلسلُ بعضها من بعض وبها يعرض عن ذكر الصغريات الّا صغرى القيـاس الاوَّل ويعرض كذلك عن ذكر الاقيسة ما خلا نتيجـة القياس الاخير. وانما يسهل على الحاذق بان يعيد هذه الاقيسة الى اصولها فيفرز غثها من سمينها ويطلع على خللها ان وجد فيها في قول عليّ انفاً اربعة اقيسة هذه صورتها :

(١) النجاة لابن سينا

القياس الاوَّل : النجامة تؤدي الى الكهانة . والكهانة حرام . فالنجامة حرام

القياس الثاني : الكهانة تؤدي الى السحر . والنجامة تؤدي الى الكهانة . فالنجامة تؤدي الى السحر

القياس الثالث : السحر يؤدي الى الكفر . والنجامة تؤدي الى السحر . فالنجامة تؤدي الى الكفر

القياس الرابع : الكفر يؤدي الى النار . والنجامة تؤدي الى الكفر . فالنجامة تؤدي الى النار

لواحق القياس

س ما هي بقية القياسات المستعملة في الخطابة

ج ربَّما التجأَ الخطيب لإِثبات قضيتهِ الى انواع أُخر من القياسات هي لواحق لما تقدَّم ذكرهُ . فمنها القياس الشرطي . ومنها القياس الاستثنائي . ومنها قياس الخلف

س ما هو القياس الشرطيّ

ج هو ما كان مركبًّا من قضيتين احداهما محكوم عليها والاخرى محكوم بها يجمعهما رابط يدلُّ على العلاقة بينهما . كقولك : ان وُجد المعلول فلا بدَّ لهُ من علة . فالمحكوم بهِ قولك : وُجد المعلول والمحكوم عليهِ قولك : لا بدَّ للمعلول من علة .

والرابط انْ الشرطية وفاء الجواب (١)

س متى يصحُّ القياس الشرطيّ

ج للقياس الشرطيّ قـاعدتان الاولى ان المشروط يثبت بايجاب الشرط اي يكون موجبًا ان كان الشرط موجبًا ويكون سلبًا ان كان سلبًا كقولك :

ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود . والحال انَّ الشمس قد طلعت فقد ثبت اذًا طلوع النهار فلمَّا ثبت المقدَّم نتج ايضًا ثبوت التالي

الثانية ان الشرط يكون سلبيًّا اذا كان المشروط منفيًّا كقولك :

لو درست لتعلمت . لكنك لم تتعلم فاذًا لن تدرس

فنفي التالي بعدم تحقُّق الشرط

وكقول ابي العتاهية :

فلو كان هول الموت لا شيء بعده   لهان علينـا الامر واحتقرُ الامر
ولكنهُ حشرٌ ونشرٌ وجنَّةٌ   ونارٌ وما قد يستطيل بهِ الخُبْرُ

س ما هو القياس الاستثنائي

ج القياس الاستثنائي ويُعرَف ايضًا بالتفصيليّ هو مُركَّبٌ من مقدَّمتين احداهما شرطية والاخرى وضعٌ لاحدجزئيهـا او

(١) شرح آداب البحث للسمرقندي

رفعهُ. وعُرّف ايضًا بقولهم: هو ما كان عين النتيجة او نقيضهُ مذكورًا فيهِ بالفعل. وهو لا يصح الَّا بعدم وجود ما يتوسط بين المقدّمتين كقولك:

لا يخلو ان يكون هذا العدد زوجًا او فردًا لكن هذا العــدد زوج فينتج انَّهُ ليس بفرد. او لكنهُ فرد فينتج انَّهُ ليس بزوج

س ما هو قياس الخلف

ج قياس الخلف ويسمَّى ايضًا القياس العطفيّ هو ما كان في مقدَّمتهِ قضيتان منفيتان معطوفتان فيثبت المطلوب بابطال نقيضهِ. كقول الرب: لا يستطيع احد ان يعبد ربَّين الله والمــال. فاذا صدق ان فلانًا يعبد الله فأُبطل نقيضه وهو عبادة المال

وقد جاء لبعض العارفين:

انَّ الدنيا والاخرة عدّوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احبَّ الدنيا وتولَّاها ابغض الآخرة وعاداها

وكقول محمود الورَّاق:

تعصي الالهُ وانت تظهر حُبَّهُ هذا مُحالٌ في القياس بديعُ
لو كان حبُّك صادقًا لاطعتهُ اِنَّ المحبَّ لِمَن يحبُّ مطيعُ



البحث الثاني
في التفنيد

س ما هو التفنيد

ج التفنيد ويُسمَّى ايضًا النَّقض هو في اللُّغة التكذيب والتجهيل . وفي الاصطلاح هو قسم من الخطابة يُخطِّئُ بهِ المتكلّم رأيَ خصمهِ ويردُّ على حُججهِ

س هل يكون للتفنيد وقعٌ في كل اصناف الخطَب

ج كلاَّ فانَّ الاِضراب عن حجج الخصم في بعض المقامات أَولى من نقضها لقلَّة اكتراث السامع لها. هذا الى أَنَّ اعتراضات الخصم رُبمَّا حُلَّت بمجرَّد اثبات الخطيب لقضيَّتهِ فلا تمسُّ اذ ذاك الحاجة لتفنيدها لانَّ الاضداد ملازِمةٌ بعضها فيكون تحقق الشيءِ نفيًا لنقيضهِ

س على كم صنفٍ هي الحَجج المقتضى تفنيدها وفي ايّ قسمٍ من الخطابة تُفنَّد

ج هذه الحجج على ثلاثة اصناف : فمنها ما يسبق اليهِ توهُّم السامع والأَغلب ان يفندها الخطيب في صدر خطابهِ كما لو اراد الخطيب ان يحمل الجند على القتال فانَّ توهُّمَ السامع خوفُ العدوّ ولا ينجع كلامهُ فيهِ ما لم يبطل خوفهُ في بدء خطابهِ

ومنها ما يفترضها الخطيب و يعرضها على نفسهِ فيُحاول إبطالها كتفنيد حجج من يؤجّل التوبة رجاء ان ينيب اليهِ تعالى في ساعة الموت

وهذه الحجج رُبّما وقّع الخطيب إبطالها في آخر خطابهِ كقول رسول الامم في رسالتهِ الى اهل قورنتس فانهُ بعد ان ذكر القيامة والبعث اخذ يرُدُّ على من نكر وقوعهُ فقال :

ولكن يقول قائلٌ كيف يقوم الاموات وبأيّ جسدٍ يبرزون . ياجاهل إنَّ ما تزرعهُ انت لا يَحيا الّا اذا مات . وما تزرعهُ ليس هو ذلك الجسم الذي سوف يكون بل مجرَّدُ حبَّةٍ من الحنطة مثلًا او غيرها من البزور. الّا ان الله يجعل لها جسماً كيف شاء ولكلٍّ من الزروع جسمهُ المختص بهِ . ليس كل جسد جسدًا واحدًا بل للناس جسدٌ وللبهائم جسدٌ آخر وللطيور آخر وللاسماك آخرٌ . ومن الاجساد اجسادٌ سماوية واَجسادٌ اَرضية ولكن مجد السماويات نوعٌ ومجد الارضيات نوعٌ آخر. ومجد الشمس نوعٌ ومجد القمر نوع آخر ومجد النجوم نوع آخر لانَّ نجماً يمتاز عن نجم في المجد هكذا قيامة الاموات . الزرع بفسادٍ والقيامة بغير فساد. الزرع بهوانٍ والقيامة بمجد. الزرع بضعفٍ والقيامة بقوةٍ

ومنها ما يأتي بها الخصم في المقاضاة والمُشارَعة في الدعاوي . وهذه المحاجَّة تُقدَّم او تؤَخر على مقتضى الحال وهي كثيرًا ما تُمازج ادلَّة الخطيب يحلُّها في أثناء كلامهِ كقول بعض النصارى يردُّ على من ادَّعى ان المسيحيين حرَّفوا الكتب المقدسة :

وكأني بك اصلحك الله قد ذكرتَ التحريف في هذا الموضع واحتججتَ علينا باننا حرَّفنا الكلِم عن مواضعهِ و بدلنا الكتاب كأنَّ هذا القول جملتهُ كهفًا لك تستتر بهِ . واني لَأُخبرك خبرًا حقًّا فاسمعهُ مني وعِهِ واقبلهُ. فانَّ قولي ليس قول

باغٍ ولا حاسد ولا مُتعنّت معاند بل انما هو نذرٌ مني لك ونصح اذ كان ديني يوجب عليَّ نصيحة كل احد فانا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهل وصَرعَتِهِ وضَيمِهِ. وما اعلم اني سمعتُ قط بحجة اشد انقطاعاً واوحش انفساخاً من حجتك في باب التحريف والتبديل واني لأعجب منك ومن نظائرك ممن فتَّش كتب مقالات الحق وكان لهُ ذهن صحيح يميز بهِ كيف يجوز مثل هذا عليهِ . وانتَ تعلم اننا نحن واليهود الجاحدين لِما جاء بهِ نورُ العالم وضياء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب وانهُ مُنزَل من عند الله لا تحريف فيهِ ولا تبديل ولم تلحقهُ زيادة ولا نقصان . والّا فنحن ندعوك الى واحدة هي نصَفَة لنا ولك إِئتنا اصلحك الله اَنت ايها المدعي علينا التحريف والتبديل ان كنتَ صادقاً بكتاب غير محرَّف ولا مبدل يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدتِ الاعاجيب للانبياء والحوَاريّين حيث جاؤُنا بصحة هذا الكتاب فقبلنا ذلك منهم وهو في ايدينا وايدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان . إِني لأَعلم انك لا تقدر على ذلك ابدًا. فاذا كنت لا تقدر اَنت ولا غيرك تُلَفِق على ما في ايدينا على الشريطة التي شرطناها وهو ممتنع من امكانك. فمالك والمباهتة التي ليست من عادتك ولا من اخلاقك وتشنّع علينا وتَقول انَّا حرَّفنا الكتاب وبدلنا تنزيل الله وغيّرنا كلامهُ ونحن نتلوهُ حق تلاوتهِ فانصف اصلحك الله واطلب رِضى ربك

ومثلهُ ما اخبر المدائني عن عمرو بن العاص قال : كان عمرو في موسم من مواسم العرب فأَطرى معاوية بن أَبي سفيان وذكر مشاهدهُ بصفين واجتمعت قريش فاقبل عبد الله بن عباس على عمرو فقال :

ياعمرو انك بعتَ دينك من معاوية واعطيتهُ ما بيدك ومنّاك ما بيد غيرك . وكان الذي اخذ منك اكثر من الذي اعطاك والذي اخذتَ منهُ دون الذي اعطيتهُ وكلٌّ راضٍ بما اخذ واعطى. فلما صارت مصر في يدك كدَّرها عليك بالعزل والتنغيص حتى لو كانت نفسك في يدك القيتها . وذكرتَ مشاهدك بصفين فوالله ما ثقلتْ علينا وطأَتك ولقد كشفت فيها عورتك وان كنت فيها لطويل اللسان قصير السنان اخر الخيل اذا اقبلت واولها اذا ادبرت. لك يدان يدٌ لا تبسطها الى خير واخرى لا تقبضها عن شر ولسانٌ غرور ذو وجهين وجه موحش ووجه

موئنس ولعمري ان من باع دينه بدنيا غيره لحريٌّ ان يطول عليها ندمهُ. لك لسان وفيك خطل ولك رأي وفيك نكد ولك قدر وفيك حسد واصغر عيب فيك اعظم عيب في غيرك

فاجابهُ عمرو بن العاص :

والله ما في قريش اثقل عليَّ مسألةً ولا امرُّ جواباً منك ولو استطعتُ ان لا اجيبك لفعلت. غير اني لم ابع ديني من معاوية ولكن بعتُ الله نفسي ولم انسَ نصيبي من الدنيا. واما ما اخذتُ من معاوية واعطيتهُ فانهُ لا تُعلم العوانُ الخمرة. واما ما اتى اليَّ معاوية في مصر فان ذلك لم يغيرني لهُ . واما خفة وطأتي عليكم بصفين فلِمَ استثقلتم حياتي واستبطأتم وفاتي. واما الجبن فقد علمتْ قريش اني اول مَن يبارز وآخرُ من ينازل. واما طول لساني فاني كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان :

لساني طويل فاحترس من شذاتهِ عليك وسيفي من لسانيَ اطولُ

واما وجهايَ ولساناي فاني القى كل ذي قدْر بقدره وارمي كل نابح بحجره . فمن عرف قدره كفاني نفسه ومن جهل قدره كفيتهُ نفسي. ولعمري ما لاحدٍ من قريش مثل قدرك ما خلا معاوية فما ينفعني ذلك عندك (وانشأ عمرو يقول):

بني هاشم مالي اراكم كانكم بيَ اليوم جُهَّالٌ وليس بكم جهلُ
الم تعلموا اني سريعٌ الى الوغا سريعٌ الى الداعي اذا كثر القتلُ
واولَ من يدعو نزالٌ طبيعةٌ جُبلت عليها والطباع هو الجبلُ
واني فصلت الامر بعد اشتباههِ بدومة اذ اَعيا على الحكَم الفصلُ
وانيَ لا اعيا بامرٍ اريده واني اذا عجَّت بكارُكُمُ فحلُ

س من اين توُخذ اساليب المحاجَّة لإِفحام الخصم

ج توُخذ من معرفة المغالطة

س ما هي المغالطة

ج المُغالطة في اللُّغة النسبة الى الغلط . وعند المنطقيين

هي صناعة يعرف بها القياس الفاسد اما من جهة الصورة او من جهة المادة او من جهتهما معاً (١)

قال في شرح المطالع : ان الغرَض من معرفة هذه الصناعة الاحتراز عن الخطإِ وربما يُمتحن بها مَن يُراد امتحانهُ في العلم ليعلَم بهِ كمالَهُ بعدم ذهاب الغلط عليهِ وقصورهُ بذهابهِ عليهِ . وبهذا الاعتبار تسمى قياساً امتحانيًّا . وقد تُستعمَل في تبكيت من يُوهم العوامّ انهُ عالم ليظهر لهم عجزهُ عن الفرق بين الصواب والخطإِ فيصدّون عن الاقتداء بهِ وبهذا الاعتبار تسمى قياساً عناديًّا .

س ماهي مواد المغالطة

ج موادُّ المغالطة المقدّمات الشبيهة بالحق وهي ليست حقاًّ . قال شارح إشراق الحكمة : انَّ اسباب الغلط على كثرتها ترجع الى امرٍ واحد وهو عدم التمييز بين الشيء واشباههِ . ثم انها تنقسم : (الى ما يتعلَّق بالالفاظ) بان تكون مختلفة الدلالة فيقع الاشتباه بين ما هو المراد وبين غيره ويدخل فيهِ الاشتراك والتشابُه والمجاز . والى ما يتعلق (بالمعاني وتأليف القياس) كعدم صحَّة مقدماتهِ اوتكون النتيجة مغايرة لاحدى المقدَّمتين

(١) اصطلاحات الفنون

وكقول علي يردُّ على معاوية وكان نسب اليهِ اشياء :

وزعمتَ اني لكل الخلفاء حسدتُ وعلى كلّهم بغيت . فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكونَ العذر اليك .وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارها

وقلتَ اني كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أُبايع . ولعمر الله لقد اردتَ ان تذمَّ فمدحت وان تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوماً ما لم يكن شاكًّا في دينهِ ولا مرتاباً بيقينهِ. وهذه حجتي الى غيرك قصدُها ولكني أطلقت لك منها بقدرما سنح من ذِكرها

ثم ذكرتَ ما كان من امري وامر عثمان فلك ان تجاب عن هذه لرَحِمك منهُ. فأيُّنا كان أعدى لهُ واهدى الى مَقاتلهِ . أَمَن بذل لهُ نصرتهُ فاستقعدهُ واستكفَّه ام مَن استنصره فتراخى عنهُ وبثَّ المنون اليهِ حتى اتى قدرهُ عليهِ . كلّا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلمَّ الينا ولا يأتون البأس الّا قليلًا

وما كنتُ لِاعتذرَ من اني كنت انقم عليهِ احداثًا فان كانَ الذنب اليهِ ارشادي وهدايتي لهُ فربَّ ملوم لا ذنب لهُ . وقد يستفيد الظنَّة المتنصح وما اردت الّا الاصلاحَ ما استطعتُ . وما توفيقي الّا بالله عليهِ توكلت

س اليس للخطيب وسائل أُخرى لمناقضة الخصم

ج نعم وهي كثيرة منها : اولاً الانكار وذلك بان لا يُسلم بما ادعاهُ الخصم لحجة تلزمهُ كقول ابن خلدون ردًّا على من نسب الى الرشيد معاقرة الخمر :

واما ما تموّه بهِ الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكرهِ بسكر الندمان فحاشا الله ما علمنا عليهِ من سوء . واين هذا من حال الرشيد وقيامهُ بما يجب بمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليهِ من صحابة العلماء والاولياء ومحاورتهِ للفضيل بن عياض وابن السمّاك والعمريّ ومكاتبتهِ سفيان الثاري وبكائهِ من مواعظهم ودعائهِ بمكة في طوافهِ وما كان عليهِ من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح لاوّلِ وقتها

فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من سلفهِ المتحلين للدين وما ربي عليهِ من امثال هذه السير في اهل بيتهِ والتخلُّق بها ان يعاقر الخمر او يجاهر بها . وقد كانت حالة الاشراف من العرب في الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكبير منهم والصغير . والرشيد واباؤُهُ كانوا على ثبج من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم والتخلُّق بالمحامد واوصاف الكمال ونزعات العرب

وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة . واما الخمر الصِرف من العنب فلا سبيل الى اتهامهِ بهِ ولا تقليد الاخبار الواهية فيها . فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرَّماً من اكبر الكبائر عند اهل الملّة . ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاة من خنث السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليهِ من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد . فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى الحظر وعن الحلّية الى الحرمة

ثانياً التذكية . بان يقرَّ الخطيب بصحة الواقع ثم يثبت انهُ ليس بجنايةٍ كقول علي بن جهم لما حبسهُ المتوكل :

قالوا حُبِست فقلتُ ليسَ بضائري ... حبسي وأيّ مهنَّدٍ لا يُغمدُ
أَوَ ما رأيت الليث يألفُ غيلهُ ... كبرًا وأوباشُ السباع تردَّدُ
والشمس لولا انها محجوبة ... عن ناظريك لما اضاء الفرقدُ
والبدر يدركهُ السِرار فتنجلي ... أيامهُ وكأنهُ متجدّدُ
والغيث يحصرهُ الغمام فما يُرى ... الّا وريّقهُ يراع ويرعدُ
والزاعبيَّة لا يقيم كعوبها ... الّا الثقاف وجذوة تتوقدُ
والنار في احجارها مخبوءَةٌ ... لا تصطلي ان لم تُثرها الازندُ
والحبس ما لم تغشهُ لدنية ... شنعاءَ نعم المنزلُ المتودَّدُ
بيتٌ يجدّد للكريم كرامةً ... ويُزار فيهِ ولا يزور ويحمدُ
لو لم يكن في الحبس الّا انهُ ... لا يستذلُّك بالحجاب الاعبُدُ
كم من عليلٍ قد تخطاهُ الردى ... فنجا ومات طبيبهُ والعوَّدُ
يا احمد بن ابي دُؤَاد انما ... تُدعى لكل عظيمة يا احمدُ

ابلغ امير المؤمنين ودونه   خوض الردى ومخاوفٌ لا تنفدُ
ان الذين سعوا اليك بباطلٍ   حسّاد نعمتكَ التي لا تجحدُ
شهدوا وغِبنا عنهمُ فتحكموا   فينا وليس كغائب من يشهدُ
لو يجمع الخصماءَ عندك مجلسٌ   يوماً لبان لكَ الطريقُ الاقصدُ
فبأيِّ جرمٍ أَصبحتْ اعراضنا   نهباً تقسَّمها اللئيم الاوغدُ

وكقول السموءل يردُّ على من عيّرهُ بقلة عدد قومهِ :

تعيّرنا انّا قليلٌ عديدنا   فقلت لها انَّ الكرامُ قليلُ
وما قلَّ مَنْ كانت بقاياهُ مثلنا   شباب تسامى للعُلى وكهولُ
وما ضرنا انّا قليلٌ وجارنا   عزيزٌ وجارُ الاكثرينَ ذليلُ

ثالثاً التنديد. بان يعرّض بمعايب الخصم لنقض شهادتهِ وابطال حجتهِ كما جاء في كتاب اخوان الصفا على لسان الببغاء تردُّ على الإنس وكانوا تفاخروا بملوكهم وسياستهم :

خذ الان ايها الانسي بازاء ما ذكرتَ وافتخرت بهِ واحدًا مذموماً وبدل كل جنس حسنٍ مليح جنساً قبيحاً سمجاً ونحن بمعزِل عنها . وذلك ان منكم الفراعنة والنماردة والجبابرة والكفرة والفجرة والفسقة والمشركين والمنافقين والملحدين والمارقين والناكثين والقاسطين والخوارج وقطّاع الطريق واللصوص والعيَّارين والطرَّارين . ومنكم ايضاً الدجالون والباغون والمرتابون ومنكم ايضاً الغمّازون والكذابون والنباشون . ومنكم ايضاً السفهاء والجهلاء والاغبياء والناقصون وما شاكل هذه الاصناف والاوصاف والطبقات المذمومة اخلاقهم الردية طباعهم القبيحة افعالهم السيئة اعمالهم الجائرة سيرتهم ونحن بمعزِل عنها . ونشارككم في اكثر الخصال المحمودة والاخلاق الجميلة والسُّنن العادلة . وذلك ان اوّل شيء ذكرت وافتخرت بهِ ان منكم الملوك والرؤساء ولكم اعوان وجنود ورعية . او ما علمتَ بان لجماعة النَّحل ولجماعة النمل ولجماعة السباع ولجماعة

الطيور رؤساء وجنودًا واعوانًا ورعية وانَ رؤساءها احسن سياسةً واشدُّ رعاية من ملوك بني ادم لها واشدُّ تحنُّنًا عليها واكثر رافةً وشفقة عليها. بيان ذلك انَّ اكثر ملوك الانس ورؤساءهم لا ينظر في امور رعيتهِ وجنوده واعوانهِ الَّا لجرّ المنفعة لنفسهِ او لدفع المضرّة عنهُ او لاجل من يهواه لشهواتهِ كائنًا من كان من بعيد او قريب. ولا يتفكّر بعد ذلك في احدٍ ولا يهمهُ امرهُ كائنًا من كان قريبًا او بعيدًا. وليس هذا من فعل الملوك العقلاء ولا عمل الرؤساءِ ذوي السياسة الرحماءِ بل من سياسة الملك وشرائطه وخصال الرئاسة ان يكون الملك والرئيس رحيمًا رؤوفًا لرعيتهِ مشفقًا متحنّنًا على جنودهِ واعوانهِ اقتداءً بسنَّة الله الرحمن الرحيم الجواد الكريم الرؤوف الودود لخلقهِ وعبيده كائنًا من كان الذي هو رئيس الرؤوساءِ وملك الملوك . واماَّ اجناس الحيوانات وملوكها ورؤساؤها فهم اكثر اقتداءً بسنَّةِ الله تعالى من رؤساءِ الانس وملوكهم . وذلك ان ملك النحل ينظر في امور رعيتهِ وجنودهِ واعوانهِ ويتفقَّد احوالهم وهكذا يفعل ملك النمل وملك الكراكي في حراستهِ وطيرانهِ وملك القطا في ورودهِ وصدورهِ . هكذا حكمُ سائر الحيوانات التي لها رؤساءُ ومدبرون لا يطلبون من رعاياهم عوضًا ولا جزاءً فيما يسوسهم بهِ ولا يطلبون من اولادهم برّاً ولا صلة رحم ولا مكافاة كما يطلب بنو ادم من اولادهم البر والمكافاة في تربيتهم لهم. ولكنها تربي اولادها تحننًا عليها وشفقةً ورحمةً لها ورافة بها بل كل ذلك اقتداءً بسنَّة الله اذ خلق عبيدهُ وانشاهم وربَّاهم وانعم عليهم واحسن اليهم واعطاهم من غير سؤَال منهم ولم يطلب منهم جزاءً ولا شكرًا . ولو لم يكن من سوءِ طباع الانس وسوءِ اخلاقهم وسيرتهم الجائرة وعادتهم الردية واعمالهم السيئة وافعالهم القبيحة ومذاهبهم الردية الضالّة وكفرانهم النعم لمَا امر الله بقولهِ ان : اشكر لي ولوالديك اليَّ المصير. كما لم يأمر اولادنا اذ ليس فيهم العقوق والكفران . وانما يوجه الامر والنهي والوعد والوعيد عليكم معشر الانس دوننا لانكم عبيد سوءٍ يقع منكم الخلاف والكفر والعصيان وانتم بالعبودية اولى منا ونحن بالحرية اولى منكم فمن اين زعمتم انكم ارباب لنا ونحن عبيد لكم

رابعًا الاستدراك . بان يُقابل اعتراضات الخصم

باعتراضات مثلها توهن قواها كقول النعمان لكسرى وكان كسرى ادّعى ان العرب ليس لهم شيء من خصال الدين والدنيا فيأكل بعضهم بعضاً :

امّا (تحاربهم واكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم) فانما يفعل ذلك من يفعلهُ من الامم اذا آنست من نفسها ضعفاً وتخوَّفت نهوض عدوّها اليها بالزَّحف. وانهُ انما يكون في المملكة العظيمة اهل بيت واحد يُعرَف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم امورهم وينقادون لهم بازمتهم . واما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكاً اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج والوصف بالعسف .

وكقول ابي حمزة الخارجي وبلغهُ ان اهل المدينة يعيبون اصحابهُ لحداثة اسنانهم وخفَّة اخلاقهم فصعد المنبر وعليهِ كساءٌ غليظ وهو متنكِب قوساً عربية فقال :

يا اهل المدينة بلغني انكم تنتقصون اصحابي قلتم : هم شباب احداث واعرابٌ جُفاة . ولولا معرفتي بضعفِ رايكم وقلَّة عقولكم لَاحسنتُ آدابكم . ويحكم يا اهل المدينة وهل كان اصحاب نبيّنا المذكورون في الخير الّا احداثاً شباباً . شباباً والله مكتَهلون في شبابهم غضيضة عن الشر اعينهم ثقيلة عن الباطل اقدامهم

خامساً الترجيح . وهو ان يبين ان ما اقترحهُ المدافَع عنهُ من الحسنات يشفع بما اجترحهُ من السيئات او انَّ ما فيهِ من النقص لا يقاس بما فيهِ من الفضل كقول المسيب القريطيّ :

زعموا انَّني قصيرٌ لعمري ما تُكالُ الرِجالُ بالقُفزانِ
إنَّما المرءُ بِاللِسانِ وبِالقلبِ م وهذا قلبي وهذا لساني

سادساً ردّ الحجة على الخصم . وذلك ان تَعْمد الى حجة

الخصم وتبين انها عليهِ لا لهُ كقول ابن سعيد يردّ على ابن حوقل وكان قد نسب اهل الجزيرة الى صغر الاحلام وضعة النفس :

لم أرَ بُدًّا من إثبات هذا الفصل وان كان على اهل بلدي فيهِ من الظلم والتعصب ما لا يخفى ولسان الحال في الرد انطق من لسان البلاغة . وليتَ شعري إذا سُلب اهل هذه الجزيرة العقول والاراء والهمم والشجاعة . فمن الذين دبّروها بارائهم وعقولهم مع مراصدة اعدائها المجاورين لها من خمسمائة سنة ونيّف ومن الذين حموها ببسالتهم من الامم المتصلة بهم في داخلها وخارجها نحو ثلاثة اشهر على كلمة واحدة في نصرة الصليب. واني لاعجبُ منهُ اذ كان في زمانٍ قد دَلفت فيهِ عبّاد الصليب الى الشام والجزيرة وعاثوا كلَّ العيث في بلاد الاسلام حيث الجمهور والقبّة العظمى حتى انهم دخلوا مدينة حلب وما ادراك وفعلوا فيها ما فعلوا وبلاد الاسلام متصلة بها من كل جهة الى غيرْ ذلك ما هو مسطور في كتب التواريخ ومن اعظم ذلك واشدّهُ انهم كانوا يتغلّبون على الحصن من حصون الاسلام التي يتمكنون بها من بسائط بلادهم فيسبون وياسرون فلا تجتمع همم الملوك المجاورة على حسم الداءِ في ذلك . وقد يستعين بهِ بعضهم على بعض فيتمكن من ذلك الداءُ الذي لا يُطبُّ . وقد كانت جزيرة الاندلس في ذلك الزمان بالضد من البلاد التي ترك وراءَ ظهرهِ وذلك موجود في تاريخ ابن حيّان وغيرهِ

سابعًا التهكم والهزل . بان تبين انَّ ما جاءَ بهِ الخصم من الادلة ليس تحتهُ طائل فلا يستحقُّ جوابًا بل السكوت عنهُ أَولى وفقًا لما قيل :

اذا نطق السفيهُ فلا تُجبهُ فخيرٌ من اجابتهِ السكوتُ

ومن الامثال في هذا الباب قول علي لمعاوية وكان تهدّدهُ بالحرب :

وذكرتَ انهُ ليس لي ولاصحابي الّا السيف . فلقد اضحكتَ بعد استعبار متى الفيتَ بني عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين . فَلَبِّث قليلًا

يلحق الهيجاء حَمل . فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد . وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين لهم بإحسان شديدٍ زحامُهم ساطع قتامهم متسربلين سربال الموت احبُّ اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفتَ مواقع نصالها في اخيك وخالك وجدك واهلك وما هي من الظالمين ببعيد

س ما الذي ينبغي للخطيب ان يحترز منهُ في تفنيد حجج الخصم

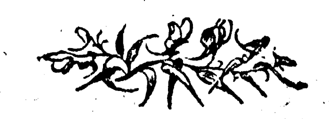
ج ينبغي لهُ ان يصون نفسهُ من اربع خصال :

الاولى . ان لا يؤخذ من ردهِ انهُ غافلٌ عن حجة خصمهِ يجهل قوتها او يتجاهل بذلك

الثانية . الاَّ يكون جوابهُ ملتبسًا ضعيفًا اظهرَ تكلفًا لمناظرة الخصم منهُ لاظهار الصواب وتقرير الحق

الثالثة . الاَّ يشرد عن الموضوع فيتشاغل بحلّ ما لم يكلفهُ الخصمُ حلَّهُ فيكون كالراقم على صفحات الماء

الرابعة . الاَّ ينكب عن محجة الآداب المانوسة ويذهل عن سنن الالفة



الباب الثالث

في الختام

س ما هو الختام

ج هو آخر ما ينتهي الى أُذن السامعين من كلام الخطيب

اعلم ان هذا نوع يشترك فيهِ الخطيب والمنشئ والشاعر . وهو يُسمى ايضاً عند البديعيين حسن الختام وحُسن الانتهاء وحُسن المقطع الَّا انَّا نعتبرهُ هُنا من حيث هو خاتمة الخطبة ليس الَّا .

س ما هو شرف الختام

ج انَّ شرفهُ عالٍ لحسن وقعهِ في النفوسَ اذ هو الباقي في ذهن السامعين وآخِر ما يتردّد صداهُ في قلوبهم وبهِ تتمّ الفائدة . قال الحموي : لا بُدَّ ان يُحسن المتكلم في الختام غاية الاحسان لانهُ آخر ما يبقى في الاسماع ورُبما حُفظ من دون سائر الكلام في غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيرهِ

وقد ضربوا امثالًا كثيرة مستفيضة في ذلك منها ما ورد في سورة الزلزال :

اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض اثقالها . وقال الانسان ما لها . يومئذٍ تحدّث اخبارها بانّ ربّك اوحى لها . يومئذٍ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرَّةٍ خيراً يرهُ ومن يعمل مثقال ذرَّةٍ شرًّا يرهُ

س ما هي غاية الختام

ج فيهِ للخطيب غايتان: الاولى ان يتمَّ اقناعُ السامعين. والثانية ان يهيج بهم الميل الى صنيع ما اذعنوا له

س كم قسماً الختام

ج للختام قسمان يؤخذان من غايتي الخطيب فالأوَّل تلخيص ما جاء بذكرهِ مفصَّلًا في اثناء الخطاب وبهِ يتم اقناع الجمهور. والثاني تحريك العواطف وبهِ نهاية تأثير القلوب

س ماذا يقتضي ان يلاحظهُ الخطيب في تلخيص الخطبة

ج عليهِ ان يكتفي بذكر اهمّ ما جاء بهِ من البينات في خلال الكلام ومن ثمَّ يبرزها على صورة جديدة واسلوب رشيق لئلاَّ تذهب طلاوةُ الكلام كما ختم بهِ الشيخ جمال الدين الافغانيُّ مقالتهُ في مذهب الطبيعيين فقال:

فتبين مما قررناهُ أنّ الدين وإن انحطَّت درجتهُ بين الاَديان ووهى اساسهُ فهو افضل من طريقة الدهريّين وامسُّ بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية واجمل اثرًا في عقد روابط المعاملات. بل في كل شأن يفيد المجتمع الانساني وفي كل ترقٍّ بشري الى اية درجة من درجات السعادة في هذه الحياة الاولى

ولما كان نظام الاكوان قد بُني على اساس الحكمة ونظام العالم الانساني جزء من النظام الكوني ألهم الله نفوس البشر ان تفزع الى مقاومة اولئك المفسدين (الدهريين) في اي زمان ظهروا او مدافعة ما يعرض من شرّهم كما الهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة والنفرة من الاغذية السامّة . وانهض حفّاظ النظام

المدني الحقيقي وهو الدين لبذل الجهد وافراغ الوسع في محو آثارهم واستئصال ما يغرسون في تعاليمهم. لاجرم ان مزاج الانسان الكبير (يعني عموم النوع) بما اودع الله فيهِ من الشعور الفطري وهو اثر الحكمة الالهية يمحو هؤلاء الخوَنة ولا يحتمل وجودهم في باطنهِ فيدفعهم كما تُدفع الفضلات من المعدة اوالذنانة من المنخر او النخامة من الصدر. لهذا تراهم وان حلّوا بعض منازل الارض من زمان بعيد وايَّدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوي الشوكة لاَغراض سافلة اَلّا انهم لم يثبتوا ولم يتم لهم امر بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع والنظام الحقيقي لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قارًّا راسخًا في جميع الاجيال وعلى اي الاحوال

فلم تبق ريبة ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطهُ شيء من اباطيل من يزعمونهُ ولا يعرفونهُ فلا ريب انهُ يكون سببًا في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديهِ في جوادّ الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلابها. بل يُفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة الدارين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. وهذا اخر ما دعت اليهِ الحاجة من المقابلة بين مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام واثر كل من الامرين في بنية الاجتماع الانساني والله اعلم

س كيف يحصل الخطيب على تمة التأثير في قلوب الجمهور

ج انهُ يحصل على ذلك اذا ما افرغ كنانة مجهودهِ في تحريك الاهواء. فيلتجئُ تارة الى التحذير والترهيب واخرى الى الوعد والترغيب. وآناتٍ يحمل السامعين على الرجاء واخرى على الخوف

وخلاصة الكلام عليهِ الَّا يترك بابًا الّا ويقرعهُ ولا مسلكًا

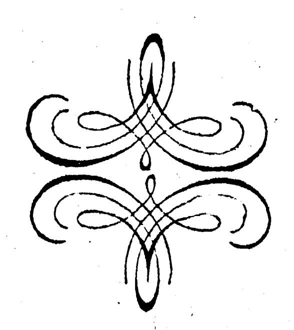
الاَّ وينهجهُ لينصر راية الحق ويكسر شوكة الباطل حتى يفوز بمبتغاه ويحصل على غاية مُناه . مثال ذلك قول ابي الحليم في ختام خطبة القاها يوم عيد القيامة (وهي ليست في مجموع خطبهِ) :

هلمَّ معاشر المؤمنين لنعتدَّ منذ الآن لاوَّل العالم العتيد ، نحلي العقول بمكارم الاخلاق تحلية الاجساد بالجديد ، ونصون عرائس النفوس بسدول اردية التقى وحدوره ، صون خريدة الاحرار باسبال طيالسة الحياء وستوره ، نختم بصدقات الظفر صيامنا . وبصلات البر صلاتنا وقيامنا ، نتحرى لقصد صدق المقال ، وجميل الطريقة في الخليقة والفعال ، نسعى في طلب الحلال سعي الابطال ، ونشرع الى الشريعة التي تؤدي الى الكمال ، حتى اذا ما اتى المخلص غافر الاوزار والاثام ، بسبح مجد لا يطاق ولا يرام ، حين ترتج السماء باصوارها ، وتذعن الخلائق خسيسها وجبارها ، وتدخل الابرار دار المسارّ ، وتلج الاشرار شرار النار ، وحين تطوى السماء كالجلباب وتحشر الاجساد في مطامير التراب ، ويقدم كل على ما قدم من خطاٍ او صواب ، ويتخلد المخلصون في جنات النعيم والمجرمون في اليم العذاب ، نتلقى السيد المسيح المخلص بمصابيح اعمال تضيء بانوارها ، ونضارة امال تشيع بالايمان مقابس اسرارها ، فتسعف النفوس بامالها واوطارها ، وتقر العقول في مقر الحيوة بملكوت السماوات قرارها . جعلكم الله ممن امتطى ركائب السلامة ، وزمت لكم نجائب السعادة الى ديار الاقامة ، ووخدت بهِ مطايا الكمال الى بقاع الكرامة ، وكسبت بدء دنياه ذخائر الاعمال في القيامة ، فلا برحت قلوبكم فرحة بالاعياد ، وعرفكم بركة هذا العيد السعيد الميمون بالرشاد ، واصلح بكم وعليكم كل منا من الاضداد والحساد ، برحمتك يا ارحم الراحمين

وكقول الرندي في رثائهِ للاندلس :

يا غافلًا ولهُ في الدهر موعظةٌ ان كنت في سنةٍ فالدهر يقظانُ
يا راكبين عتاق الخيل ضامرةً كانها في مجال السبق عقبانُ
أعندكم نبأٌ من اهل اندلسٍ فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيثُ بنا المستضعفون وهمْ قتلى واسرى فما يهتز انسانُ

ماذا التقاطعُ في الاسلام بينكمُ وانتمُ يا عباد الله اخوانُ
ألا نفوسٌ ابيّاتٌ لها هِمَمٌ أما على الخير أنصارٌ واعوانُ
بالامس كانوا ملوكًا في منازلهم واليوم هم في بلاد الكُفر عُبدانُ
لِمثل هذا يذوب القلب من كمَدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وايمانُ



الاصل الثالث

في التعبير

بيَّنَّا في الجزء الاوَّل جميع القواعد اللازمة للمنشئ ليحسن التعبير عن المعاني بالطرق المختلفة

ولمَّا كان المنشئ والخطيب بمنزلة واحدة من حيث توجيه الكلام لم تكن للخطيب قواعد خصوصية لتأدية مراده . فلا حاجة لنا اذًا الى تطويل الكلام في هذا الاصل الثالث فنكتفي بما يلي

يتحتَّم على الخطيب ان يراعي :

١ً طبقات السامعين فيسبك كلامهُ على ما يلائم احوالهم فيعدل الى السذاجة مع العامَّة ويتأنَّق في المقال مع الخاصَّة ويلتجئ الى معاريض الكلام مع الشارد النافر عن استماع خطابهِ ويصرّح في المقال مع المسترشد المستهدي ويُسهب في العبارة مع من يؤثر الاكثار ويوجز مع مُحبّ الاقلال

٢ً اصناف الاقوال الخطبيَّة . لان محور كلام الخطيب يختلف باختلاف الموضوع . ألا تراه طورًا يجدّ وطورًا يهزل

وتارةً يزجر وتارة يشكر وحينًا يمدح وحينًا يقدح الى غير ذلك.
وعليهِ فايمًّا جهة ارادها ينبغي عليهِ ان يُبرز كلامهُ فيها بلفظ
يشاكل المعنى وعبارة تليق بالحال

٣ً مقام الخطيب فينظر الى نفسه في كل حال من احواله
من حداثة او كهولة وتحنُّك في امور او غرارة وهلمَّ جرًّا
ويولي كلامَهُ ما يُستَشَفُّ من ورائهِ موقعهُ من هذه الاحوال

الفصل الثاني

في فنّي الخطابة

تأليف

الاب جبرائيل اده اليسوعي

الفصل الثاني

في فنَّي الخطابة

قد تقدَّم ان صناعة الخطابة تدور على محورَيْن هما اصول الخطابة وفنَّاها . اما الاصول فقد مرَّ بيانها . فبقي الآن ان ناتي على الكلام في فنَّي الخطابة

للخطابة فنَّانِ . الاول : الفنّ المدَنيّ وهو مخصوص بالاحوال المدنية على اختلاف اجناسها . والثـاني : الفنّ الدينيّ وهو دائرٌ على كل ما يتعلق بالدين او يرجع اليه من الخطب

الفن الاول

في الخطابة المدنية

س الى كم تنقسم الخطابة

ج اجناس الخطابة ثلاثة كما انَّ اصنـاف السامعين ثلاثة . لان الغاية بالقول انما تتوجَّه نحو السامعين . والسامعون لامحالة إمَّا مقصود اقناعهُ وإما مُناظر وإما حاكم . فاذًا القول الخطبيّ ثلاثة : تثبيتيّ ومشوريّ ومشاجريّ (١)

س الى اي شيء يُنظر في كُلّ من هذه الاجناس الثلاثة

ج في التثبيتيّ يُنظر الى امرين : مدحٍ وذمٍّ . وفي

(١) هذا التقسيم ينطبق ايضاً على الخطابة الدينية كما سترى في بابها

المشوريّ الى امرين ايضًا : اذنٍ ومنعٍ . والى امرين ايضًا في المشاجريّ : شكايةٍ وتنصُّلٍ

س وما الغايات من هذه الاقاويل الثلاثة

ج لهذه الثلاثة الاقاويل ثلاث غايات . فغاية القول التثبيتيّ الفضيلة والرذيلة . وغاية القول المشوريّ النافع والضارّ . واما القول المشاجريّ فغايته العدل والجور

المعنى ان القول التثبيتي يبيّن وجوب التمسك بالفضيلة ولزوم الاعراض عن الرذيلة . وقِس على هذا قولنا : وغاية المشوريّ النافع والضارّ . وقولنا : وغاية المشاجريّ العدل والجور . نريد بذلك ان الغرض من القولين المذكورين بيان ضرورة التعلّق بالنافع والعدل واجتناب الضارّ والجور

س اخبرني عن الزمان الخاصّ بكل من هذه الاقاويل

ج الزمان الحاضر والماضي معًا يختصّان بالقول المُثبت . والمستقبل بالمشير (١) . والماضي بالمشاجري (٢)

(١) لانهُ انما يشير انسان على انسان باشياء معدومة . وقد يَعرِض ان تكون المشورة في الاشياء التي قد كانت لكن من جهة ما يُتوقَّع منها

(٢) لانهُ انما يُتشكّى من الاشياء التي قد وقعت . وان تُشكّي من امور تُتوقَّع من المُشتكى بهِ فانما تلك شكاية على طريق الاشارة بالنافع في ذلك . فمتى كانت الشكوى في شيءٍ واحد لا من اجل غيره فانما تكون ابدًا في الشيء الذي قد وقع (من كتاب تعريب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد) .

الباب الاول

في القول التثبيتي

القول التثبيتي منه مدح ومنه ذم . وغايتهُ الفضيلة والرذيلة وبه تختص الخطبة المدحية والخطبة التأبينية وخطبة التهنئة وخطبة الشكر وما شاكل ذلك مما يلاحظ المدح والذم

البحث الاول

في الخطبة المدحيَّة

س ما الخطبة المدحية

ج هي التي يُثنى فيها على عظيمٍ او صاحب فضل

س ما هي مصادر المدح

ج مصادر المدح الفضيلة لا غير . امّا ما سواها من مثل القوّة والثروة ومآثر الآباء وكَرَم الأُرُومة فلا يُمدَح بهِ الَّا بالتبعيَّة للفضيلة لكونهِ مظهرًا لها

س ما هو المنهاج المتّبع في هذه الخطبة

ج لك في هذه الخطبة منهاجان : علميّ وطبيعيّ

س ما المنهاج العلميّ

ج المنهاج العلميّ ان تُصدّر خطابك بالثناء على بعض

الفضائل او المزايا ثم تتخلَّص الى انهـا حازت كمالها في الممدوح . كما لو أَتيت بالشجاعة والاقتصاد والبلاغة ثم بيَّنتَ انها من صفات عليّ بن ابي طالب جرى مدحك على هذا المنهاج العلميّ

ومن هنا تعلم ان هذا المنهـاج غير مقيَّد بقيد الزمان

س وما المنهاج الطبيعي

ج واما المنهاج الطبيعي فهو ما يُراعى فيـه جانب الخبَر وترتيب الزمان . وعليه فهو ينقسم الى ازمنـة ثلاثة : الزمان الذي يتقدم حياة الممدوح وزمان حيـاته والزمان الذي يلي وفاته

وكان الاقدمون كَلِفين بهذه الطريقـة وهي في الحق قريبة المأْخذ الَّا انها اذا لم يعاونها عقل رصين يُحسِن التصرُّف فيهـا وتركيب متين يخرجها من ابتذالها انحطَّت عن درجة البلاغة وسقطت عن الغرض

١ً في الزمان الذي يتقدم حياة الممدوح

س الى اي شيء يُنظر في هذا الزمان

ج يُنظر فيه الى ثلاثة امور: ١ً كرم المحتِد . ٢ً الوطن .

٣ً ما يضاف الى ذلك من الظروف

فان كان الممدوح شريف العُنصَر يُثْنَ عليهِ بذكر مآثر آبائهِ وتعديد مفاخر اجدادهِ لانَّ تلك المآثر بزورٌ للفضيلة نبتت في تربة النفوس الشريفة . فلو اردت ان تمدح يزيد بن عبد المدَان قُلتَ مثلًا :

ان وقفت لأُثني على كرمهِ الذي لا يباري فيهِ انسان . وامدح سطوتهُ التي لا يختلف عليها اثنان . ادَّاني سياق الكلام . وجرَّتني وحدة النظام . الى ان اذكر مفاخر اجدادهِ العظام . ومآثر سلفائهِ الفخام . هم الذين شيَّدوا الكعبة النجرانيَّة فامَّنوا كل خائف واجاروا كل ملهوف واطعموا كل جائع وقضوا حاجة كل محتاج وفكُّوا الاسرى باموالهم وبذلوا النفوس دون اعراضهم وساقوا كتائبهم الى كلّ معاند وحطموا ديار كلّ مخاصم . وما هو الا سلالة أُولئك القوم الذين رفعوا رايات عزّهم فوق كل راية ... فكفاه فخرًا انهُ وريث مكارمهم ... ومُعمّر ما طُمِس من رسوم عظائمهم .. وما لي اقول ذلك وقد زادهم رُقيًّا الى ذرى المجد والشرف حتَّى اجتمع لديهِ ما نقصهم وتوفَّر لهُ ما فاتهم

وقد يؤخذ المدح من دناءَة الحسب فيُمدح مَن وصل بنفسهِ الى درجة عالية ولو انهُ كان خامل الذكر . كما قال الشاعر :

ليس الفتى مَن يقول كان ابي   ان الفتى مَن يقول ها انا ذا

ومن مواضع المدح الوطن اللهمَّ اذا كان منشأً لقوم مشاهير . فاذا مدحتَ على هذا الاسلوب يوحنا الدمشقي امكنك ان تقول مثلًا :

قد فازت دمشق بالشرف الاثيل . ورُقّيَت الى مقام عالٍ جليلٍ . وجرَّت ذيل افتخارها على البلاد الشامية . وسحبت مطارف العزّ على المدائن الشرقية . ربَت تحت سمائها اعاظم الرجال. وهذَّبت اكابر الابطال . منها ظهر جلَّة العلماء المدقّقين وفيها كان مثوى البررة الصالحين .ومنزل الاتقياء المتورعين . ولم تلبث ان زادت على ما تقدّم من مزاياها مزيَّة واضافت الى ما سلف من مكارمها مكرمة . . . فانبتت في تربتها الصالحة يوحنا هذا الذي يندر ان تاتي لهُ الايام بضريب ...

واما الظروف التي تتقدم ميلاد الممدوح فان لك فيها مجالاً فسيحًا فاذا امكنت الحال تصف مثلًا احوال العصر من جهة الدين والسياسة والعلم وما اشبه ذلك ثم تبيّن ما كان من الملاءمة والمناسبة بين ولادة الممدوح والظروف المذكورة

واذا كان قد جرى شيء من الخوارق والمعجزات فعلى المادح ايضًا ان لا يُغفِل ذكرهُ . مثل ذلك ما حدث للقديس امبروز لمَّا ان وقف النحل على شفتيهِ وهو طفل صغير اشارةً الى ان كلامهُ يكون لطيفًا حلوًا ولا حلاوة العسل . ومثله ما ذُكِر في الكتاب المقدَّس عن ميلاد يوحنا المعمدان

٢ً في زمان حياة الممدوح

س ما هي الاشياء التي يُمدح بها الانسان في حياتهِ

ج هي ثلاثة : الفضائل والعلوم والارتياضات الصناعيَّة

س ما هي أولى الفضائل بالمدح

ج اولاها بالمدح التمسك بجانب تقوى الله ومحبة الوطن والبرّ بالوالدين . من ذلك خطبة ابي حمزة بمكة يمدح بها اصحاب رسول المسلمين من حيث تقواهم وتديّنهم :

يا اهل المدينة قد بلغني مقالتكم في اصحابي وما عبتموه من حداثة اَسنانهم . ويحكم وهل كان اصحاب رسول الله المذكورون في الخير الّا احداثًا شبابًا . . . مكتهلون في شبابهم . غضيضة عن الشر اعينهم . ثقيلة عن الباطل ارجلهم . اَنضاء عبادة . قد نظر الله اليهم في جوف الليل . منحنية اَصلابهم على اجزاء القرآن كلما مرَّ احدهم بآية من ذكر الله شهق خوفًا . كأَنَّ زفير جهنم بين اذنيهِ . قد اَكلت الارض جباههم وركبهم . ووصلوا كلال الليل بكلال النهار . مصفرَّة الوانهم . ناحلة اجسامهم . من طول القيام وكثرة الصيام

ومنها العدل والحلم . كما لو مدحتَ صلاح الدين وقلت مع من قال :

لقد كان عادلاً رؤوفاً رحيماً ناظرًا للضعيف على القوي . وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء . ويفتح الباب للمتحاكمين حتَّى يصل اليهِ كل احد من كبير وصغير وعجوز هرمة وشيخ كبير . وما استغاث اليهِ احد الّا وقف وسمع ظُلامتهُ وكشف قضيَّتهُ واخذ قصَّتهُ

ومنها الكرم والسخاء . قال عمر بن سعيد في سخاء يزيد بن معاوية لما عقد لهُ معاوية البيعة :

فان يزيد بن معاوية املٌ تأْملونهُ واَجلٌ تأمنونهُ . . . وان افتقرتم الى ذات يدٍ اغناكم . . . فهو خلَفُ امير المؤمنين ولا خلف منهُ

ومن الفضائل التي يُمدح بها ان يكون المرءُ عالي الهمة

متوفِّر النخوة شجاعًا مُقدمًا على كبائر الامور وما شاكل ذلك من اصناف المروآت . من ذلك ما جاء في وصف صلاح الدين :

وقد كان صلاح الدين من عظماء الشجعان قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات وكان اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفَّين ويخترق للعساكر من الميمنة الى الميسرة ويرتب الاطلاب ويأمرهم بالتقدُّم والوقوف من مواضع يراها

وقال ابو حمزة في خطبة لهُ مدح بها اصحاب الرسول :

اذا رأوا سهام العدو قد فُوّقت ورماحهم قد أُشرعت وسيوفهم قد انتُضيت وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله . فمضى الشابِ منهم قَدَمًا حتى تختلف رجلاه على عنق فرسهِ وقد رُمّلت محاسن وجهه بالدماء وعُفّر جبينهُ بالثرى واسرع اليهِ سباع الارض وانحطت عليهِ طير السماء. فكم من مُقلة في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله. وكم من كفّ بانت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجودهِ. وكم من خدّ عتيق وجبين رقيق قد فُلِقَ بعمد الحديد. رحمة الله على تلك الابدان وادخل ارواحها في الجنان . . .

س وكيف يُمدح المرء بالعلوم والصنائع

ج بان تذكر ما كان عليه من سَعَة العقل وسرعة الادراك والبراعة في الفنون على اختلاف اجناسها

قال الفتح في الفقيه العالم ابي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي :

ايَّ شرف لاهل الاندلس واي فخر واي بحر بالعلوم يزخر خلّدت منهُ الاندلس : فقيهًا عالمًا اعاد مجاهل اهلها معالِمَ . واقام فيها العلوم اسواقًا نافقة ونشر منها الويةً خافقةً وجلا عن الالباب صدأ الكسل وشحذها شحذ الصوارم والاسل. وتصرَّف في فنون العلوم . . . وسمع بالاندلس وتفقَّه حتَّى صار اعلم من فيها وافقه

س أَيُمدح المرء ايضًا لثروةٍ او لصفة في جسمه

ج نقول ان المدح بالفضائل النفسية اشرف واصحّ . و بعده المدح بالعلوم والصنائع . وان أُضيف الى هذا كله لواحق عرضية او صفات جسمية كالأُبهة و بسطة الخُلق وسعة الدنيا والجمال كان ذلك جيدًا

قال عبَّاس في علي بن ابي طالب :

الّا ان لامير المؤمنين اشباهًا اربعة : الاسد الخادر . والبحر الزاخر . والقمر الباهر . والربيع الفاخر : فاما الاسد الخادر فاشبه منهُ صولتهُ ومضاءهُ . واما البحر الزاخر فاشبه منهُ جودهُ وعطاءه . واما القمر الباهر فاشبه منه نورهُ وضياءه . واما الربيع الفاخر فاشبه منهُ حسنهُ وبهاءهُ

٣ً في الزمان الذي يلي وفاة الممدوح

س اذكر ما يُمدح بهِ المرء في اواخر حياته

ج هو اثنان ١ً ما جرى وقت الموت نفسه . ٢ً ما جرى عقيب الموت

س وما يُلاحَظ وقت الموت

ج يلاحظ في اوان الموت ممَّا يحق به المدح امران : نوعيَّة الموت وسببيتهُ . اما النوعيَّة فكما لو مات وهو يخشى الله ولا يرهب المنيَّة على ما يجدُر بالرجل العاقل الفاضل . واما السببية فكما لو مات مدافعًا عن الوطن او مُجاهدًا في سبيل

الله وكذلك لو عاجلته المنون لأتعابٍ عاناها ومشقات قاساها

س الي اي شيء يُنظر عقيب الموت

ج ١ً الى حفلة المأتم وكآبة الاهل والاحباء

قال ابن الجياد في خطبة لهُ:

ففي كل بيت بكاء وانتحاب ونوح والتزام. وحارت الالباب والعقول. فلا صبر هنالك لقد زلَّت عن الصبر الاقدام. فعمَّ الحزن والاكتئاب وتوارى النور فاظلم الجناب وعاد الاصحاب وكانمَّا دموعهم السحاب

وكذلك لو قلت مع القائل:

خبر عزَّ على النفوس مسمعهُ وأثر في القلوب موقعهُ. خبر كادت لهُ القلوب تطير والعقول تطيش والنفوس تطيح. خبر جرح الصدر واحلّ البكاء وحرم الصبر واطار واقع السكون واثار كامن الوجوم وثقلت وطأتهُ على اجزاء النفس وتأدّت معرَّتهُ الى سرّ القلب. كتبتُ والارض واجفة والشمس كاسفة للرزء العظيم والمصاب الجسيم فى فلك الملك وركن المجد وقريع الشرق والغرب

٢ً الى الذريَّة فيُثنى عليهم ببقائهم خلفًا حسنًا للميت كقولك مثلًا:

اذًا فارقنا مَن كنَّا بهِ نفتخر وبهِ نتعظَّم واليهِ نلجأُ.. مَن كان ذخرًا في المهمَّات وسندًا في البليات... فارقنا ولكن لم يفارقنا كُلُّهُ. خلَّف لنا اعقابًا كُرَماء فيهم نرى مثال فضائلهِ وصورة نجدتهِ ونموذج كرمهِ

تنبيه. ينبغي على المادح ان يسلك طريقة الافصاح والاشادة بذكر الممدوح وان يستعمل في المدح الاشياء التي يكون فيها تعظيم الشيء وتتميمه. وهو ان يخيَّل في الشيء انه بالقوّة اشياء كثيرة. وذلك اذا قيل ان الممدوح هو اوَّل من

فعل هذا او انهُ وحده فعل هذا او انه فعل في زمنٍ يسير ما شأنهُ ان يُفعَل في زمن كثير. او انه فعل فعلًا كبيرًا. وكذلك اذا قيل انه فعل في زمن يعسُر فعلهُ. فان هذه كلها انَّما تفيد عظم الفعل (١)

ممَّا ذكرنا من قوانين المدح تتبيَّن لك ما هي طريقة الذمّ اي انها عكس الأُولى. والاشياء انمَّا تُعرف باضدادها

البحث الثاني

في الخطبة التأبينيَّة

س ما هي الخطبة التأبينية

ج هي خطبة تُعدَّد بها مآثر ميتٍ يومَ مأتمهِ او يومًا آخر. واجزاؤُها ثلاثة. الاول مدح الميت. الثاني تسلية الاهل والاحباء. الثالث حثّ السامعين على ان يأْتمُّوا بفضائل الميت

س كيف تكون المقدمة في هذه الخطبة

ج سبيل المقدمة ان تكون ظاهرة التفجُّع بيِّنة الحسرة مخلوطة بالتلهف والاسف فيستهلّ الخطيب:

---

(١) من كتاب ارسطاطاليس. تعريب ابن رشد

١ً اما بالالتفات او الهتاف . قام عمر بن عثمان فوقف على شفير قبر جعفر فقال :

رحمك الله يا ابن جعفر ان كنتَ لِرَحِمك لَواصلًا ولِأهل الشرّ لَمُبغضًا ولاهل الريبة لَقالِيًا . فرحمك الله يوم كنتَ رجلًا ويوم مُتَّ ويوم تُبعثُ حيًّا

وقيل في دفن الاحنف بن قيس :

لله درّك من مُجَنٍّ في جَنَن ومُدرَج في كفن . نسأل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الرشد دليلك وان يوسّع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك

٢ً واما ببعض اقوالٍ في زوال الدنيا ودوران دوائِرها كما لو قلتَ :

هو الدهرُ لا يُعجَب من طوارقهِ ولا يُنكَر هجوم بوائقهِ . عطاؤُه في ضمان الارتجاع وحباؤُه في قران الانتزاع . ما الدنيا الا دار النقلة وما المقام فيها الا للرحلة

٣ً وربما ابتدأ بوصف ما يراه من الحزن والكآبة في وجوه الحاضرين او بظروف الزمان الحالية . وعلمتَ ان ما ياتي بهِ لسان الحال اجلب للنفوس واعطف للخواطر

س وكيف يتصرَّف الخطيب في الاثبات

ج يذكر الاجزاء الثلاثة اعني مدح الميت وتسلية الاهل وحثّ السامعين . امّا المدح فقد مرَّت عليك قواعدهُ (راجع الخطبة المدحية) . وهاك ما خاطب بهِ لسان الدين تربة السلطان ابي الحسن . قال يمدحهُ :

السلام عليك ايها المولى الهمام الذي اوجبتْ حقَّهُ العلماء الاعلام وخفقت بعزّ نصرهِ الاعلام وتنافست في انفاذ امرهِ ونهيهِ السيوف والاقلام . السلام عليك ايها المولى الذي قسم زمانه بين حكم فصل وامضاء نصل واحراز خصل وعبادة قامت من اليقين على اصل . السلام عليك يامقرّر الصدقات الجارية ومشبع البطون الجائعة وكاسي الظهور العارية وقادح زناد العزائم الوارية ومكتّب الكتائب الغازية في سبيل الله تعالى والسرايا السارية . السلام عليك يا حجّة الصبر والتسليم ومتلقّي امر الله تعالى بالخلق المرضي والأمر السليم ومفوّض الامر في الشدائد الى السميع العليم . كرّم الله تعالى تربتك وقدّسها وطيّب روحك الذكية وآنسها . فلقد كنت للدهر جمالًا وللمستجير مجيرًا وللمظلوم وليًّا ونصيرًا. لقد كنت للمحارب صدرًا وفي المواكب بدرًا وللمواهب بحرًا وعلى العباد والبلاد ظلًّا ظليلًا وسترًا . لقد فرعت اعلام عزّك الثنايا واجزلت همّتك لملوك الارض الهدايا. كانك لم تعرض الجنود ولم تنشر البنود ولم تبسط العدل الممدود . فتوسدتَ الثرى واَطلت الكرى وشربت الكأس التي يشربها الورى واَصبحت ضارع الخدّ كليل الحدّ سالكًا سنن الاب والجدّ لم تجد بعد انصرام اَجلك الا صالح عملك ولا صحبت لقبرك الا رابح تجرك وما اَسلفت من رضاك وصبرك . فنسأل الله تعالى اَن يؤنس اغترابك ويجود بسحاب الرحمة ترابك وينفعك بصدق اليقين ويجعلك من الامة المتّقين ويُعلِي درجتك في عِلّيين ويجعلك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين

وامّا التسلية فمن اقوى اسبابها ان يظهر الخطيب للمُبتَلَى

اولًا انهُ مشاركهُ في حزنه ومشاطرهُ الاسى

ثانيًا ان يصف ما ابقى الفقيد عند الخاصّة والعامّة من حسن الصيت وعَرْف الجميل

قال ابو الفضل الميكالي في ابن عمر المجتري :

فلقد عاش نبيه الذكر جليل القدر عَبِقَ الثناء والنشر. يتجمَّل بهِ اهل

بلدهِ ويتباهى بمكانهِ ذوو مودّتهِ ويفتخر الاثر وحاملوه بتراخي بقائهِ ومدّتهِ حتّى اذا تسنّم ذروة الفضائل والمناقب وظهرت محاسنه كالنجوم الثواقب اختطفتْه يد المقدار ومحت اثرهُ بين الآثار . . فالفضل خاشع الطرف لفقده . والكرم خالي الربع من بعدهِ . والحديث يندب حافظهُ ودارسهُ . وحسن العهد يبكي كافلهُ وحارسه

ثالثًا ان يؤمّل السامعين بوصول الفقيد او بوشك وصولهِ الى محل الرحمة والرضوان

وقف محمد على قبر الحسن وقد اغرورقت عيناه وقال :

رحمك الله يا ابا محمّد فلئِن عزّت حياتك فلقد هدت وفاتك . ولنِعم الروح روحٌ تضمّنه بدنك . ولنِعم الجسد جسدٌ تضمّنه كفنك . ولنعم الكفن كفنٌ تضمنه لحدك . وكيف لا تكون كذلك وانت سليل الهُدَى وخامس اصحاب الكسا . وخلفُ اهل التقى . غذتْكَ اكفّ الحق ورُبّيتَ في حجر الاسلام ورضعتَ ثُديّ الايمان فطبْتَ حيًّا وميتًا . فلئِن كانت الانفس غير طيّبة لفراقك انها غير شاكّة ان قد خِيرَ لك وانك واخاك لسيّدا شباب اهل الجنة . فعليك يا ابا محمّد منا السلام

ثم يذكر ان اهل بيتهِ ورثوا عنهُ تلك الخصال الطيّبة والسجايا المحمودة فهي لا تزال باقية فيهم متوفرة لهم . كما

قال لسان الدين في خطبة لهُ :

وليهنئك اَن صيّر الله تعالى ملكك من بعدك الى نيّر سعدك وبارق رعدك ومنجز وعدك ارضى وُلْدك وريحانة خلدك وشقة نفسك والسرحة المباركة من غرسك ونور شمسك وموصل عملك البر الى رمسك . فقد ظهر عليهِ اثر دعواتك في خلواتك واعقاب صلواتك . فكلمتُكَ والمنّة لله تعالى باقية وحسنتك الى محل القبول راقية يرعى بك الوسيلة ويتمّم مقاصدك الجميلة . اَعانهُ الله تعالى ببركة رضاك على ما قلّدهُ . وعمّر بتقواه يومهُ وغده . وابعد في السعداء امدهُ . واطلق

بالخير يدهُ . وجعل الملائكة انصارهُ والاقدار عددهُ

واذا فرغ من التسلية وجب ان ينتقل الى الجزء الثالث ويُرغّب السامعين في الاقتداء بفضائل الفقيد

س كيف تكون الخاتمة

ج يختم مُبيّنًا ان فضائل المُؤَبَّن تُبقي في القلوب ذكرًا مستمرًّا وذلك حتَّى يحمل السامعين على شدَّة الاسف لفقده وفرط الاسى لخسرانهِ

هذا وانك لتجد في تأبين داود لشاول ويوناتان على قصرهِ وايجازهِ اهمّ ما سلف من قوانين الخطبة التأبينيَّة وهذا هو بنصهِ الشائق :

الظبي يا اسرائيل مجدَّل على روابيك . كيف تصرَّعَت الجبابرة . لا تخبروا في جتّ ولا تبشروا في اسواق اَشقلون لئلَّا تفرح بنات الفلسطينيين وتطرب بنات القُلْف . يا جبال الجلبوع لا يكن فيكنَّ ندًى ولا مطر ولا حقول تَقادِمَ لانهُ هناك طرح مِجَنُّ الجبابرة مجنّ شاول كأنه لم يمسح بدهن . عن دم القتلى وعن شحم الجبابرة قوس يوناتان لم تنكص الى الوراء وسيف شاول لم يرتدّ خائبًا . شاول ويوناتان محبوبانِ شهيَّانِ في حياتهما وفي مماتهما لم يفترقا . اَسرع من النسور واشدّ من الاسود . يا بنات اسرائيل ابكينَ على شاول الذي كان يكسوكنَّ القرمز ترفًا ويُرصّع لباسكنَّ بحليّ الذهب . كيف تصرَّعت الجبابرة في وسط الحرب . يوناتان مجدَّل على روابيكِ . قد ضاق ذرعي عليك يا اخي يوناتان لقد كنتَ شهيًّا اليَّ جدًّا وقد احببتُك حبَّ أمٍّ لابنها الوحيد . كيف تصرَّعت الجبابرة وبادت آلات الحرب

البحث الثالث

في خطبة الشكر

س ما خطبة الشكر

ج هي التي تتضمَّن الثناء على المُحسِن بنشر احسانهِ

س كيف تُصاغ هذه الخطبة

ج يحسن ان يكون الكلام فيها منقسمًا الى ثلاثة اقسام فالاوَّل ان نبيّن ما اصبناهُ من النعمة ومزيد ارتياحنا الى الشكر. والثاني ان نبيّن برقَّة ولطفٍ ان ذكر الاحسان لا ينفكُّ راسخًا في عقولنا كالرسم على الحجر لا يعفو أثرُهُ. والثالث ان نعظِّم قدر الاحسان

فالجزء الاوَّل محلّهُ في المقدمة والجزء الثاني في الاثبات والثالث في الخاتمة

س وكيف يُعظَّم قدر الاحسان

ج من اربعة اوجه. الاوَّل من قدر المُحسِن كما لو كان ملكًا او وزيرًا او عظيمًا من عظماء الدنيا. وذلك لان النعمة انمَّا تعظُم قيمتها بعظم المُنعِم وعلوّ شأنهِ

الثاني من قِبَل المُنعَم عليهِ اي اذا خصَّهُ المُنعِم بالنعمة

دون سابقة فضلٍ منهُ وعلى حين حاجتهِ اليها

الثالث من قِبل النعمة نفسها . اي اذا كانت في ذاتها صالحة . اذا كانت حقيقة بالمُنعَم عليهِ. اذا توجَّه اليها ارتياحهُ . اذا كانت ممَّا يندُر او يعسُر الحصول عليهِ

الرابع من نوعيَّة التفضُّل بالنعمة كما لو جاء بها المُنعِم عن مُجرَّد رضًى وطيبة خاطر من دون ان يسبق لها التماس ومن غير ان تكون على سبيل مكافأة . وان تكون مُعجَّلة لان خير البرّ عاجلهُ

س أَورِدْ مثالاً على خطبة الشكر

ج اليك خطبة منذر بن سعيد وهي خطبة بليغة قام بها بين يدي الخليفة :

فاصغوا اليَّ معشر الملا باسماعكم واَتقنوا عنّي بافئدتكم . ان من الحقّ اَن يقال للمُحِقّ صدقت وللمبطل كذبت . وان الجليل تعالى في سمائهِ وتقدَّس بصفاتهِ واسمائهِ اَمر كليمه موسى ان يذكّر قومه بايام الله جلَّ وعزّ عندهم . واني اذكركم بايام الله عندكم وتلافيهِ لكم بخلافة اَمير المؤمنين التي لمَّت شعثكم وامنت سربكم ورفعت قوَّتكم بعد اَن كنتم قليلًا فكثَّركم ومستضعفين فقوَّاكم ومستذلّين فنصركم . ولّاه الله رعايتكم وأَسند اليهِ امامتكم ايام ضربت الفتنة سرادقها على الافاق واحاطت بكم شعل النفاق حتَّى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير . فاستبدلتم بخلافته من الشدّة بالرخاء وانتقلتم بيمن سياستهِ الى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء . اَنشدكم بالله معاشر الملا اَلم تكن الدماء مسفوكة فحقنها والسُبُل مخوفة فامَّنها والاموال منتهبة فاحرزها وحصَّنها . الم تكن البلاد خرابًا فعمَّرها وثغور المسلمين متهضّمة فحماها

ونصرها . فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافتهِ وتلافيهِ جمع كلمتكم بعد افتراقهـا بامامتهِ حتى اذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم وصرتم يدًا على عدوّكم بعد ان كان بأسكم بينكم . فانشدكم الله ألم تكن خلافتهُ قفل الفتنة بعد انطلاقهـا من عقالها . ألم يتلافَ صلاح الامور بنفسهِ بعد اضطراب احوالها . ولم يَكِل ذلك الى القوّاد والاجناد . حتى باشره بالقوّة والمهجـة او الاولاد . ورفض الدعة وهي محبوبة . وترك الركون الى الراحة وهي مطلوبة بطوية صحيحة وعزيمة صريحة وبصيرة ثابتة نافذة ثاقبـة وريح هابّة غالبة . ونصرة من الله واقعة واجبة . وسلطان قاهر . وجدّ ظاهر . وسيف منصور . تحت عدل مشهور . متحملًا للنصب . مستقلًا لما نالهُ في جانب الله من التعب . حتى لانت الاحوال بعد شدّتها . وانكسرت شوكة الفتنة عند حدّتها . ولم يبق لها غارب الا جبّهُ ولا نجح لاهلها قرن الّا جدّهُ . فاصبحتم بنعمة الله اخوانًا . وبلمّ امير المؤمنين لشعثكم على اعدائـهِ اعوانًا . حتّى لو اثرت لديكم الفتوحات . وفتح الله عليكم بخلافتهِ ابواب الخيرات والبركات . وصارت وفود الروم وافدةً عليـهِ وعليكم . وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليـهِ واليكم . يأتون من كل فجّ عميق . وبلد سحيق . لاخذ حبل بينه وبينكم جملة وتفصيلًا . ليقضي الله امرًا كان مفعولاً . ولن يخلف الله وعدهُ . ولهذا الامر ما بعـده . وتلك اسباب ظاهرة بادية . تدلّ على امور باطنة خافية . دليلهـا قائم . وجفنها غير نائم . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب . ولكل نبإ مستقرّ ولكلّ أجل كتاب . فاحمدوا الله ايها الناس على آلائهِ . واسالوه المزيد من نعمائهِ . فقد اصبحتم بين خلافة امير المؤمنين أيّدهُ الله بالعصمة والسداد . وألهمهُ خالص التوفيق الى سبيل الرشاد . احسن النـاس حالاً . وانعمهم بالاً . وأعزهم قرارًا . وامنعهم دارًا . وأكثفهم جمعًا . واجملهم صنعًا . . .

نقلناها برُمّتها لانهـا مستوفية لجميع شرائط الشكر . الا ترى انهُ بدأ باظهار فرحه بالنعمة وارتيـاحهِ الى الشكر : ثمّ تطرّق الى تعظيم قدر الاحسان من جهة المُنعَم عليهم فبيّن

احوالهم وشدَّة حاجاتهم اليه وما صاروا اليه من بعدهِ . واخذ عقيب ذلك يعظِّم النعمة ببيان قدر المنعِم وما عاناهُ حتى يسَّرها لهم

البحث الرابع

في خطبة التهنئة

س ما هي خطبة التهنئة

ج هي ما تبيّن فيها فرحك للمخاطَب بما اصاب من نعمة ونجح العمل . والطريقة اللازمة المتَّبعة في هذه الخطبة هي : ان تبدي سرورك لِنعمة المُهنَّإِ . ثم تعظم قدر تلك النعمة . ثم تطلق اللسان بالمدح على المُهنَّإِ والدعاء لهُ

فلو شئتَ انشاءَ خطبةٍ تهنّئ بها سلطانًا على ما اظفرَه الله بعدوهِ فأوَّل ما يتحتّم عليك ان تجعل تعابيرك مملوءَة حبورًا على ما اناله . ثم تنتقل الى الجزء الثاني فتدخل في تعظيم الانتصار مبيّنًا من جهة لزوم الحرب ووفرة مخاطرها وصعوبة مباشرتها ومن أُخرى حسن تصرُّف المهنإِ فيها وسرعة دوسهِ لِشوكتها وكثرة عدد العدوّ وشدّة بطشه وقوَّة اسلحته

مثل ذلك ما قالهُ بديع الزمان في تهنئة امير المؤمنين بفتح بهاضية

وسنذكرُ من حديث الهند وبلادها . وغلظ اكبادها . وشدَّة احقادها . وقوَّة اعتقادها . وصدق جلادها وكثرة اجنادها . نُبَذاً ليعلم السامع ايُّ غزوة غزاها الامير السيد . انما بلاد لولم تحيها السحابُ بدرّها . لأهلكتها الشمس بحرّها فهي دولة بين الماء والنار . ونوبةٌ بين الشمس والامطار . تَقدُّمها صعاب الجبال وتحجبها رحاب القفار . ويعصمها ملتفّ الغياض وتحفّها طواغي الانهار . حتى اذا خُرِقت هذه الحُجُب خلص الى عدد الرمال والحصى رجالًا . وشبه الجبال افيالًا وأنزاع المخاض جلادًا . ومسناف الجمال طعانًا واركان الجبال ثباتًا . ثم لا يعرفون غدرًا ولا بياتًا . ولا يخافون موتًا ولا حياةً . ولا يبالون على اي جَنبَيهِ وقع الامر وينامون وتحتهم الجمر . وربما عمد احدهم لغير ضرورة داعية ولا حميَّة باعثة فاتخذ لراسهِ من الطين اكليلًا . ثم قوَّر قحفهُ فحشاهُ فتيلًا . ثم اضرم في الفتيل نارًا ولم يتأوَّه والنار تحطمهُ عضوًا فعضوًا وتأكلهُ جزءًا فجزءًا . فاما محرق نفسهِ ومغرقها وآكل لحمهِ . ومفصل عظمهِ . والرامي بها من شاهق . فاكثر من ان يُعدّ . واقلهم من يموت حتف انفهِ فاذا مات هذه الميتة احدهم سُبَّ بها اعقابهُ . وعظم عندهم عقابهُ . بلادٌ هذه حالها . وفيلة تلك اهوالها . وجبالٌ في السماء قلالها . وفلاة يلمع آلها . وغياض ضيّق مجالها . وانهارٌ كثيرة اوحالها . وطريق طويل مطالها . ثم الهند ورجالها . والهندوانيّة واستعمالها . زحم الامير السيد ادام الله ظلهُ هذه الاهوال بمنكبهِ محتسبًا نفسهُ معتمدًا نصر الله وعونهُ فركض اليهم بعون من الله لا يخذل ومددٍ من التوفيق لا يفتر وقلب من الاهوال لا يجبن وحثّ على المطلوب لا يقصر وسيف على الضريبة لا ينكل : فسهّل الله له الصعبَ . وكشف بهِ الخطب . ورجع ثانيًا من عنانهِ بالاسارى تنظمهم الاغلال . والسبايا تنقلهم الجمال . والفيلة كانها الجبال . والاموال ولا الرمال . فتحٌ ذخرهُ الله عن الملوك السالفة الخالية . الجبابرة العاتية . حتى وسمهُ بناره وجعلهُ بعض آثاره

واما الخاتمة فلا بد ان تملأها دعاءً للمنتصر سائلاً الله

ان يؤيّد شوكته ويُظفر جنوده ويمتّعه بالغلبة على عدوّه

والطف خاتمة من هذا القبيل خاتمة خطبة لابي الحليم

اللهمَّ زِدْ سيدنا ومولانا امير المؤمنين نصرًا واعتزازًا . وأدم ايام دولتهِ التي اضحَت على ثوب الزمان طرازًا . واجعل العزّ والاقتدار باطناب سرادقهِ محتفًّا . والنصر والاقبال على ذوائب اعلامهِ منشورًا وملتفًّا . ومطالع السعد مشرقة الاضواء على مواكبهِ . وبنود الظفر خافقةً على جنودهِ وكتائبهِ . ونسائم النصر والاجلال هابّةً على انصارهِ واوليائهِ . وسمائم القهر والاذلال لافحةً لوجوه اضدادهِ واعدائهِ . حتى تمتدّ اظلال دولتهِ على المغارب والمشارق . ويُذعن لعزّتهِ بالسطوة والعلاء كُلُّ ضدّ مُباين وعدوٍّ مارق . برحمتك يارحيم الراحمين . آمين .

في خُطب أُخر للقول التثبيتي

س اذكر الخطب التي ترجع الى القول التثبيتي

ج ترجع الى القول التثبيتي الخطبة التي تلقى في قدوم كبير او ذهابهِ . والخطب المعروفة عندنا بالتقاريظ . والخطب التي تُتلى في المحافل الادبيّة عند ادخال عضوٍ جديد فهذه كلّها تدور امّا على المدح وامّا على الشكر واما على تهنئةٍ ولذا مرجعها الى القول التثبيتي

س وايّ طبقة من الانشاء يستخدمها الخطيب في القول المُثبت

ج لمَّا كان الغرض من هذه الاقوال جميعها استرضاء السامع واستجلاب سروره تعيّن ان يكون انشاؤها من الطبقة المتوسّطة الانيقة الممسوحة بمسحة الطلاوة والرونق مع تجنُّب التعابير الضخمة والاساليب الجافية

الباب الثاني

في القول المشوريّ

القول المشوريّ منه اذنٌ ومنه منعٌ. وذلك ان كلّ من يُشير فانمَّا يشير ابدًا بقولٍ هو اذنٌ او منع

وغايته النافع والضارّ. فان الذي يشير فانمَّا يأذن في النافع او في الذي هو انفع ويمنع من الضارّ او من الذي هو اضرّ

س وما مادّة القول المشوريّ

ج مادّتهُ كلّ شيءٍ يأتي عن الاختيـار والارادة. فامَّا الاشياء التي كونها او لا كونهـا من الاضطرار فليس يجري عليها مشورة. ولا ايضًا المشورة تكون في جميع الخيرات الممكنة في الطبيعة بل في الخيرات التي يتعلَّق بنا امكانها او لا امكانها

س ما هي الخُطَب المُختصَّة بالقول المشوريّ

ج هي خطبة الاشارة بعمل الشيء او تركهِ. وخطبة الحثّ على عمل الشيء او تركهِ. وخطبة التحريض على عمل الشيء او تركهِ. وخطبة التوصية. وخطبة الطلب

في خطبة الاشارة بعمل الشيء أو تركهِ

س كيف تُصاغ هذه الخطبة

ج ان الذي يُشير بعمل الشيء فيأذن فيهِ او بتركهِ فيمنع عنهُ يحتاج الى ادلّة يدفع بها السامعين الى الاقبال على ما يُرغّبهم فيهِ والاعراض عمّا ينفّرهم عنهُ . والادلّة في الاشارة بعمل الشيء هي : كون الشيء صالحًا وكون الشيء نافعًا وكونهُ ضروريًّا وكونه سهلًا وكونه لذيذًا

والادلّة في الاشارة بترك الشيء هي اضداد الخمسة المذكورة

س ما المراد بكون الشيء صالحًا

ج هو ان يكون الشيء محبوبًا ممدّحًا لذاته مُختارًا من اجل نفسهِ مع قطع النظر عن منفعته

وعلى هذا النحو خطب يهوذا جيشهُ قال :

تنطّقوا وكونوا ذوي بأس وتأهّبوا للغد لمقابلة هذه الامم المجتمعة علينا لتُبيدنا نحن واقداسنا . فانهُ خير لنا ان نموت في القتال ولا نُعاين الشرّ في قومنا واقداسنا . وكما تكون مشيئتهُ في السماء فليصنعْ بنا

س وما المُراد بالنافع

ج هو كل ما يُرغَب فيهِ لخيرٍ يطلب منه سواء كان نفعهُ مقرونًا بالصلاح ام غير مقرون مثال الاول : الشرف والمجد

والفضيلة . ومثال الثاني : صحة البدن ورغد العيش والأمن من حوادث الدهر

خطب طارق المسلمين وحثهم على الجهاد قال :

واعلموا انكم ان صبرتم على الاشقّ قليلًا استمتعتم بالارفهِ الالذّ طويلًا. وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة . وقد انتخبكم الوليد ابن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عربانًا .. ليكون مغنمها خالصة لكم من دونهِ ومن دون المؤمنين سواكم . . . .

وهاك ايضًا من باب النافع خطبة منذر بن سعيد يحثّ قومهُ على التزام الطاعة لخليفتهم :

فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لامامكم والتزام الطاعة لخليفتكم فانْ من نزع يدًا من الطاعة وسعى في تفريق الجماعة ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين. وقد علمتم ان في التعلّق بعصمتها والتمسُّك بعروتها حفظ الاموال وحقن الدماء وصلاح الخاصة والدهماء وان بقوام الطاعة تُقام الحدود وتُوفى العهود وبها وصلت الارحام ووضّحت الاحكام وبها سدّ الله الخلل وأَمَّن السُّبُلَ ووطأ الاكناف ورفع الاختلاف وبها طاب لكم القرار واطمأنَّت بكم الدار . فاعتصموا بما امركم الله بالاعتصام بهِ

س وماذا تفهم بالضروريّ

ج هو ما لا يُسلم بدونهِ شرف الانسان حتَّى ولا حياتهُ. وفي هذا الدليل من القوَّة ما لا يُخفى . لان الخطيب قد لا يتَّصل الى ما يُحبّ من السامعين بطريقتي الصالح والنافع . فلا بُدَّ لهُ حينئذٍ من الاستعانة بالدليل من الضروري .

لما بلغ طارقًا دنوّ رُدريق قام في اصحابهِ فحمد الله واثنى عليهِ بما هو اهلهُ ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم ثم قال :

ايها الناس اين المفرُّ . البحر من ورائكم والعدوّ امامكم وليس لكم والله الّا الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيَع من الايتام في مأدُبة اللئام . وقد استقبلكم عدوّكم بجيشهِ . واسلحتُهُ واقواتُهُ مَوفُورَةٌ وانتم لا وَزَرَ لكم الّا سيوفكم ولا اقوات الّا ما تستخلصونهُ من ايدي عدوكم . وإن امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرًا ذهب ريحكم وتعوّضت القلوب من رُعبها عنكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية . فقد ألقت بهِ اليكم مدينتُهُ الحصينة وان انتهاز الفرصة فيهِ لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . واني لم أُحذّركم امرًا انا عنهُ بنجوةٍ ولا حملتكم على خطّة أرخص متاع فيها النفوس . أَبدأُ بنفسي . . . . .

س وما المراد بالسهل

ج هو كل ما حصَّلتَهُ بغير عناء معدود ووصلتَ اليهِ بزمن يسير . فان تحصيل الشيء بدون تعب والوصول اليه باقرب وقت كلاهما من اهمّ بواعث الاقناع في ما يُشار به :

فلما راوا الجيش مقبلًا الى لقائهم قالوا ليهوذا كيف نطيق قتال مثل هذا الجمع القوي ونحن نفرٌ يسير وقد استرخينا اليوم من الصوم . فقال :

ما أسهل ان يُدفَع الكثيرون الى ايدي القليلين وسواءٌ عند إله السماء ان يخلّص بالكثيرين وبالقليلين . فانهُ ليس الظَّفر في الحرب بكثرة الجنود وانما القوّة من السماء . اولئك يأتوننا بجمع من ذوي الشتائم والنفاق ليبيدونا نحن ونساءنا واولادنا ويسلبونا . واما نحن فنحارب عن نفوسنا وسُننا . وهو يكسرهم امام وجوهنا فلا تخافوهم

س وما مُرادُك باللذيذ

ج اللذيذ كل ما يشتمل على اللذة الصالحة إما في النفس او في الجسد

فلو ان قوماً اجمعوا على مُباشرة الحرب وعمدتَ الى ترغيبهم في السلم ببيان ما ينجم عنها من طمأنينة البال وسعة الصدر ولذة العيش : قلت مثلاً :

حقًا قضيتُ العجب مما انطوى عليهِ عزمكم . . . تريدون خوض غمَرات الحرب وما ادراكم ما الحرب وما وراءها . . . فان كنتم نسيتم ما في السلم من اللذائذ فها انا اذكركم بهِ لا بل بهِ يذكركم الاهل والاقارب . . . قل ايها الوالد ألديكَ شيءٌ امرّ . . . ألفوادك أثلج من ان تنظر اولادك اشبه بحلقة من حواليكَ يُذيقونكَ حلاوة العيش ويُلذّذونك بأُنس محضرهم . . . فاذا ما نادى منادي الحرب فكل ما تذوقهُ من لذة في ايام طمأنينتك هذه تصبح منهُ مستلبًا . . . . .

الا افيدوني ايها السامعون . الان ثغور الراحة باسمة لكم ووجوه الرغد متهللة وكواكب التوفيق بادية في سمائكم . . . . شملكم مجتمع وأُنسكم متوفر وارزاقكم مصونة . . . وانتم في رياض السلامة تجرّون مطارف العزّ في بحبوحة الراحة . فيالله أَيبقى لكم شيءٌ من هذه اللذائذ اذا ما شمّرت الحرب عن ساقها . . .

وعلى هذا الاسلوب قُلْ في تحبيب الدرس لمن يكون قد غلب عليهِ الكسل :

ارى احوالك قد انقلبت وبدّلتَ الاجتهاد بالتهاون . . . قُلْ لي بعيشك هل تُحسّ اليوم بلذّة الامس . . . كُنتَ بالامس ايّام اجتهادك تغذّي عقلك من ثمر شجرة الاداب وتسقيهِ من صافي زلال العلوم والمعارف . . . . كُنتَ قُرَّة عين أُمّك وفرجاً لكربة ابيك . كُنتَ في لسان اقرانك مُمدّحًا . وفي افواه

الطلبة مثلًا سائرًا . . . . . كُلّ ذلك لذائذ ما فوقها للطالب العاقل لذائذ . . . عجبًا كيف استبدلتَها بهذه المكروهات وما اكره الكسل . . . . . .

ومن هذا الباب كلام ايّوب البارّ لمّا تذكر نعمة عيشهِ في ما مضى عليهِ قال :

مَن لي بمثل الشهور السالفة ومثل الايّام التي كان الله فيها حافظي . يُوقِد مصباحَهُ على رأسي فأسلك الظلمة في نورهِ . على ما كنت ايّام عنفواني والله مجالسي في خبآئي . والقدير لم يزل معي وصبيتي يحيطون بي . اَغسلُ قدميَّ باللّبن والصخر يُفيض لي انهارًا من الزّيت . أَخرجُ الى باب المدينة واتّخذُ في الساحة مجلسي . يراني الشبّان فيتوارونَ والشيوخ يقفون منتصبين . والامرآء يمسكون عن الكلام ويجعلون ايديهم على افواههم . يتخافت منطق العظماء وتلصق اَلسنتهم باحناكهم . اذا سمعت بي اذنٌ غبطتني واذا راَتني عين شهدت لي . لأني كنت أُنجي البائس المستغيث واليتيم الذي لا معين لهُ . فتحلُّ عليَّ بركة الهالك واَجعلُ قلب الارملة متهلّلًا . لبستُ العدل فكان كسآئي وما بَرِح قضآئي حلّتي وتاجي . كنتُ عينًا للاعمى ورجلًا للاعرج . وكنتُ اَبًا للمساكين . اَستقصي دعوى مَن لم اَعرفهُ . وأُحطّم اَنياب الظالم وانزع فريستهُ من بين اسنانهِ . وكنت اقول اني سأموت في كِنّي وكالرمل ازداد ايّامًا . وعروقي منبسطة على المياه والنّدى يبيت على اغصاني وقد تجدَّد مجدي لديَّ وازدادت قوسي قوّةً في يدي . يستمعون لي منتظرين وينصتون لمشورتي . وعلى كلامي لا يزيدون واقوالي تقطر عليهم كالنّدى . ينتظرونني كالغيث ويفتحون افواههم كأنّي وليُّ المطر . ابتسّم اليهم فلا يصدّقون ولا يطّرحون نور وجهي . اختار طريقهم فاجلس في الصدر واَحلُّ محلَّ الملك من الجيش والمعزّي من النائحين .

امّا الان فقد ضحك مني من يصغرني في الايّام من كنت آنف اَن اَجعل آباءَهم مع كلاب غنمي . . . .

هذا في الاشارة بعمل الشيء

ومن الاشارة بترك الشيء ما قالهُ تلامذة بيدبا يصدّونهُ عن

ملاقاة دبشليم الملك . قالوا باجمعهم :

ايُّها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل اَنت المقدَّم فينا والفاضل علينا وما عسى ان يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك غير اَننا نعلم ان السّباحة في الماء مع التمساح تغريرٌ والذنب فيهِ لمن دخل عليهِ في موضعهِ . والذي يستخرج السمَّ من ناب الحيَّة فيبتلعهُ فليس الذنب للحيَّة . ومن دخل على الأَسد في غابتهِ لم يأْمن وثبته . وهذا الملك لم تُفزِعه النوائب ولم تؤَدّبهُ التجارب . ولسنا نؤمن عليك وعلى انفسنا سطوتهُ . وانَّا نخاف عليكَ من سورتهِ ومبادرتهِ بسوءٍ إذا لقيتهُ بغير ما يحبُّ

ومن ذلك ايضًا ما قال يحيي للهادي وكان قد عزم الهادي على ان يخلع اخاهُ هرون من الخلافة ويُبايع لابنهِ جعفر . فصدّهُ عن ذلك يحيي قال :

يا أمير المؤمنين : اِنْ فعلتَ حملتَ الناس على نكث الايمان ونقض العهود . وتجرَّأَ الناس على مثل ذلك . ولو تركتَ اَخاك هرون على ولاية العهد ثم بايعت لجعفرٍ بعدهُ كان ذلك اَوكد في بيعتهِ .... ولو حدث بك حادث الموت وقد خلعت اخاك و بايعت لابنك جعفرٍ وهو صغيرٌ دون البلوغ أَفترى كانت خلافتهُ تصحُّ . وكان مشائخ بني هاشم يرضون ذلك ويسلّمون الخلافة اليهِ . فدعْ هذا الأَمر حتَّى تأْتيهُ عفوًا . ولو لم يكن المهديُّ بايع لهرون لَوَجب اَن تبايع أَنت لهُ لئلَّا تخرج الخلافة من بني ابيكَ .

وقال يهوذا لاخوتهِ :

ما الفائدة من ان نقتل اَخانا ونخفي دمهُ . تعالوا نبيعهُ للاسماعيليين ولا تكن ايدينا عليهِ لانهُ اخونا ولحمنا .....

وقال الفضل ابن العباس (في مشاورة المهدي لاهل بيتهِ في حرب خراسان) يصدّ المهدي عن محاربة خرسان:

ايها المهدي اِنَّ وليّ الامور وسائس الحروب ربَّما نحّى جنودهُ وفرّق اموالهُ

في غير ما ضيّق امر حربهِ ولا ضغطة حال اضطرّتهُ فيقعُد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديمًا منها فاقدًا لها لا يثق بقوّة . ولا يصول بعدّة ولا يفزعُ الى ثقة. فالراي لك ايها المهديّ وفّقك الله ان تعفيَ خزائنك من الانفاق للاموال وجنودك من مكابدة الاسفار ومقارعة الخطار وتغرير القتال . ولا تسرع للقوم في الاجابة الى ما يطلبون والعطاء لما يسألون فيفسد عليك ادبهم وتجرّئ من رعيّتك غيرهم . ولكن اعزّهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعْهم باللّين وخاتلْهم بالرفق . وابرقْ لهم بالقول وارعد نحوهم بالفعل . وابعث البعوث وجنّد الجنود وكتّب الكتائب واعقد الالوية وانصب الرّايات . واظهرْ انك موجّه اليهم الجيوش مع احنق قوّادك عليهم واسوئهم اثرًا فيهم . ثم ادسس الرُّسل وابثث الكتب وضعْ بعضهم على طمع من وعدك وبعضًا على خوفٍ من وعيدك . واوقدْ بذلك وأشباههِ نيران التحاسد فيهم واغرسْ اشجار التنافس بينهم . حتى تملأ القلوب من الوحْشة وتنطوي الصدور على البغضة ويدخل كلًّا من كلّ الحذرُ والهيبة . فان مرام الظفر بالغيلة . والقتال بالحيلة . والمناهبة بالكتب والمكايدة بالرُّسل . والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب القويّ الموقع من النفوس المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبنيّ على اللّين الذي يستعمل القلوب ويسترقُّ العقول والاراء ويستميل الاهواء ويستدعي المواتاة انفذُ من القتال بظُبات السيوف واسنّة الرماح . كما انّ الوالي الذي يستنزل طاعة رعيّتهِ بالحيل ويفرّق كلمة عدوه بالمكايدة احكم عملًا والطف منظرًا واحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك الّا بالقتال والاتلاف للاموال والتغرير والخطار . وليعلم المهدي انهُ ان وجّه لقتالهم رجلًا لم يسر لقتالهم الّا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتُقدِم على اسفار ضيّقة واموال متفرّقة وقوّاد غششة ان ائتمنهم استنفدوا مالهُ وان استنصحهم كانوا عليهِ لا لهُ

البحث الثاني

في خطبة الحث على عمل الشيء او تركهِ

س ما الفرق بين الاشارة بالعمل والحثّ على العمل

ج توجيه الكلام الى العقل ليقنع هو الاشارة . وتوجيه الكلام الى القلب ليَميل هو الحثّ . اذاً الاشارة تقتضي الاستعانة بالادلّة كما علمتَ والحثّ يقتضي الاستعانة بتحريك الاهواء

س أيٌّ هي الاهواء التي يحرّكها الخطيب في الحثّ على عمل الشيء

ج على الخطيب ان يُثير

١ً الرجاء

٢ً المحبة والشوق

٣ً المجاراة . وذلك بان يصف لِمن يحثّهُ ما حاز غيرهُ من العزّ والرفعة ليحملهُ على مباراتهِ في ذلك السبيل

وعليه ايضاً ان يبسط الكلام بمدح فضائل من يحثّهم . فان المدح في مثل هذه الخُطَب من اقوى الاسباب التي تُعين الخطيب على الوصول الى غرضهِ من المحثوث

دونك ما قالتهُ ام المكابيين تحثّ ولدها على الموت بشريعة الله

وتُثير فيهِ المحبة والرجاء والمجاراة :

يا بُنيَّ ارحمني انا التي حَمَلتُكَ في جوفها تسعة اشهر وارضعتك ثلاث سنين وعالتكَ وبلَّغتكَ الى هذه السنّ وربَّتكَ . انظر يا ولدي الى السماء والارض واذا رأيت كل ما فيهما فاعلم ان الله صنع الجميع من العدَم وكذلك وُجِد جنس البشر . فلا تخف من هذا الجلَّاد لكن كُن مستأهلاً لاخوتك واقبل الموت لأتلقَّاك مع اخوتك بالرحمة

وهاك مثالًا اخر على تحريك المجاراة – وقاربت ايام مَتتيا ان يموت فقال لبنيهِ :

لقد اشتدَّ التجبُّر والعقاب وزمان الانقلاب ووغر الحنق . فالان ايُّها البنون غاروا للشريعة وابذلوا نفوسكم دون عهد آبائنا . أُذكروا اعمال ابائنا التي صنعوها في اجيالهم فتنالوا مجدًا عظيماً واسماً مخلَّدًا . الم يكن ابراهيم في التجربة وُجِد موءمناً فحُسِب لهُ ذلك برًّا . ويوسف في اوان ضيقهِ حفظ الوصيَّة فصار سيِّدًا على مصر . . .

وممَّا قال يهوذا لِمَن معهُ من الرجال يلقي فيهم حسن الثقة بالله :

لا تخافوا كثرتهم ولا تخشوا بطشهم . اذكروا كيف نجا آباؤُنا في بحر القلزم حين تتبَّعهم فرعون بجيشهِ . فالان لنصرخنَّ الى السماء لعلَّهُ يرحمنا ويتذكَّر عهد آبائنا ويكسر هذا الجيش امامنا اليوم . فتعلم كل الامم ان لاسرائيل فاديًا ومُخلّصاً

وقال طارق يحث المسلمين على فتح الاندلس بعد ان صدَّر كلامهُ بالثناء عليهم :

وقد انتخبكم الوليدُ بن عبد الملك امير الموءمنين من الابطال عُربانًا . ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اَصهارًا واختانًا . ثِقةً منهُ بارتياحكم للطعان . واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان . ليكون حُظَّةً منكم ثوابُ الله على إعلاء كلِمتهِ وإظهار دينهِ بهذه الجزيرة

ومن الحث ايضاً ما قالهُ هولاكو الى الملك الناصر صاحب حلب يحذّرهُ من الخروج عن طاعتهِ ويدعوهُ الى الاقبال على ولايتهِ :

يعلم الملك اننا نحن جند الله في ارضهِ خلقنا وسلّطنا على من حلَّ عليهِ غضبهُ . فليكن لكم فيما مضى معتبر . وبما ذكرناه وقلناه مزدجر . فالحصون بين ايدينا لا تمنع . والعساكر للقائنا لا تضرّ ولا تنفع . ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع . فاتّعظوا بغيركم . وسلّموا الينا اموركم . قبل ان ينكشف الغطاء . ويحلّ عليكم الخطا . فنحن لا نرحم من شكا . ولا نرق لمن بكا . وقد اخربنا البلاد . وافنينا العباد . وايتمنا الاولاد . وتركنا في الارض الفساد . فعليكم بالهرب . وعلينا بالطلب . فما لكم من سيوفنا خلاص . ولا من سهامنا مناص . فخيولنا سوابق . وسهامنا خوارق . وسيوفنا صواعق . وعقولنا كالجبال . وعددنا كالرمال . فمن طلب منا الامان سلم . ومن طلب الحرب ندم . فان انتم اطعتم امرنا وقبلتم شرطنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا . وان انتم خالفتم امرنا وفي غيّكم تماديتم فلا تلومونا ولوموا انفسكم . فالله عليكم ياظالمون فهيئوا للبلايا جلباباً . وللرزايا اتراباً . فقد اعذر من انذر . وانصف من حذّر . لانكم اكلتم الحرام وخنتم بالايمان . . . . فابشروا بالذلّ والهوان . فاليوم تجدون ما كنتم تعملون . سيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون . فقد ثبت عندكم اننا كفرة . وثبت عندنا انكم فجرة وسلّطنا عليكم مَن بيده الامور مقدَّرة . والاحكام مدبَّرة . فعزيزكم عندنا ذليل . وغنيكم لدينا فقير . ونحن مالكون الارض شرقاً وغرباً . واصحاب الاموال نهباً وسلباً . واخذنا كل سفينة غصباً . فميّزوا بعقولكم طرق الصواب قبل ان تضرم الكفرة نارها . وترمي بشرارها . فلا تبقى منكم باقية . وتبقى الارض منكم خالية . فقد ايقظناكم . حين راسلناكم . فسارعوا الينا بردّ الجواب بتّةً . قبل ان يأتيكم العذاب بغتةً . وانتم تعلمون .

البحث الثالث

في خطبة التحريض على عمل الشيء او تركهِ

س ما خطبة التحريض

ج هي خطبة حماسية يُقصد بها تهييج حركات النفوس للوصول لا محالة الى قصد عظيم . وتكون إمَّا على طريقة التهييج مجرّدًا وإمَّا على سبيل التوبيخ والتقريع

واقوى كلام في التحريض ما قالهُ الحجَّاج : خرج الحجَّاج يريد العراق واليًا عليها في اثني عشر راكبًا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار وقد كان بشر بن مروان بعث المهلّب الى الحرورية فبدأ الحجَّاج بالمسجد فدخلهُ ثم صعد المنبر وهو ملثَّم بعمامة حمراء فقال: عليَّ بالناس . فحسبوه واصحابهُ خوارج فهمُّوا بهِ حتى اذا اجتمع الناس في المسجد قام ثم كشف عن وجههِ ثم قال .

انا ابن جلَا وطلَّاع الثنايا ... متى اَضع العمامة تعرفوني
صليب العود من سَلَفَي نِزارٍ ... كنصل السيف وضَّاح الجبينِ
وماذا تبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزت حدّ الاربعينِ
اخو خمسين مجتمع اشُدّي ... ونجّدني مداورة الشؤونِ
واني لا يعود اليَّ قرني ... غداة العبّ الَّا اَيَّ حينِ

اَما واني لاحمل الشرّ بحملهِ واَحذوه بنعلهِ واَجزيه بمثلهِ . واني لارى رؤوسًا قد اَينعت وحان قطافها واني لصاحبها . واني لانظر الدماء بين العمائم واللِحى تترقرق

قد شمَّرت عن ساقها فشمّري   هذا أوان الحرب فاشتدّي زِيَمْ
قد لفَّها الليل بسوَّاق حُطَم   ليس براعي إبلٍ ولا غنم
ولا بجزَّار على ظهر وضَم
قد لفَّها الليل بعصلبيّ   أروع خرَّاج من الدوّي
مهاجر ليس بأعرابيّ
قد شمَّرت عن ساقها فشدّوا   ما علتي وانا شيخ أدُّ
والقوس فيها وترٌ عِرِدُّ   مثل ذراع البكر أو أشدُّ

اني يا اهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الاخلاق لا يُغمز جانبي كتغماز التنين ولا يُقعقع لي بالشنان . ولقد فررت عن ذكاء وفتّشتُ عن تجربة واجريت مع الغاية . وان امير المؤمنين نثر كنانتهُ ثم عجم عيدانها فوجدني أمرّها عودًا وأشدّها مكسرًا فوجّهني اليكم ورماكم بي . فانهُ قد طالما اوضعتم في الفتن وسننتم سنن الغي . وايم الله لالحونّكم لحو العصا ولاقرعنّكم قرع المروة ولاعصبنّكم عصب السلمة ولاضربنّكم ضرب غرائب الابل . أما لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت . واياي وهذه الزرافات والجماعات وقال وقيل وما يقولون وفيم انتم . . . ولتستقيمنّ على طريق الحق او لأدعنّ لكل رجل منكم شغلًا في جسده . من وجدتهُ بعد ثالثة من بعث المهلب سفكتُ دمهُ وانتهبتُ مالهُ وهدمتُ منزلهُ . . .

ولهُ ايضًا خطبةٌ بعد وقعة دير الجماجم قرَّع فيها اصحابهُ تقريعًا لا مزيد عليهِ :

يا اهل العراق . . . قد اتَّخذتم الشيطان دليلًا تتبعونهُ وقائدًا تُطيعونهُ ومؤامرًا تستشيرونهُ وكيف تنفعكم تجربة او تعظكم وقعة او يحجزكم اسلامٌ او يردُّكم ايمان . ألستم اصحابي بالاهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر واستجمعتم للكفر وظننتم ان الله يخذل دينهُ وخلافتهُ . وانا ارميكم بطرفي وانتم تتسللون لواذًا وتنهزمون سراعًا يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءةُ الله منكم ونكوص وليّهِ عنكم إذ ولّيتم كالإبل الشوارد الى اوطانها النوازع الى أعطانها لا يسأل المرء منكم عن اخيهِ ولا يلوي الشيخ على بنيهِ حتّى عضَّكم السلاح وقصمتكم الرّماح يوم دير الجماجم وما دير الجماجم بهِ

كانت المعارك والملاحم بضربٍ يُزيل الهام عن مقيلهِ ويذهل الخليل عن خليلهِ . يا أَهلَ العراق اَهلَ الكفرات والفجرات والغدرات بعد الختَرات والثورة بعد الثورات إن ابعثكم الى ثغوركم غللتم وخِنتم وان امنتم اَرجفتم . وان خفتم نافقتم . لا تذكرون نقمةً ولا تشكرون نعمةً . . . . . . يا اهل العراق هل استخفكم ناكثٌ اواستغواكم غاوٍ او استفزّكم عاصٍ او استنصركم ظالم او استعضدكم خالع إلّا وثقتموهُ وآويتموهُ وعزّزتموهُ ونصرتموهُ ورضيتموهُ وارضيتموهُ . يا اهل العراق هل شغب شاغب او نعب ناعب او نعق ناعق او زفر زافر إلّا كنتم اتباعهُ وانصارهُ . يا اهل العراق أَلم تنهكم المواعظ أَلم تزجركم الوقائع . يا اهل الشأم إنما انا لكم كالظليم الذّابّ عن فراخهِ ينفي عنها المَدَر ويباعد عنها الحجر ويكنُّها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذباب يا اهل الشأم انتم الجُنَّة والرِداء وانتم العُدَّة والحِذاء

وكذلكَ ما قالهُ الامام علي بن ابي طالب في ذمّ اصحابهِ :

احمد الله على ما قضى من امرٍ وقدّر من فعلٍ وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا اَمرتُ لم تطع . واذا دعوتُ لم تُجيب . إن أُمهلتم خضتم . وان حُوربتم خرتم . وان اجتمع الناس على امامٍ طعنتم وان اجبتم الى مشاقّةٍ نكصتم . لا ابا لغيركم ما تنتظرون بنصركم ربكم والجهاد على حقكم . الموت او الذلّ لكم . فوالله لئن جاء يومي وليأتينّي ليفرّقن بيني وبينكم وانا لكم قالٍ وبكم غير كثير . لله انتم اَما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم . اوليس عجبًا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونهُ على غير معونة ولا عطاءٍ وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقيّة الناس الى المعونة وطائفة من العطاء فتفرّقون عني وتختلفون عليَّ . انهُ لا يخرج اليكم من امري رضى فترضونهُ ولا سخط فتجتمعون عليهِ . وان اَحبَّ ما انا لاقٍ اليَّ الموتُ . قد دارستُكم الكتاب وفاتحتُكم الحجاج وعرّفتُكم ما انكرتم . وسوّغتُكم ما مججتم . لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ . واَقرِبْ بقومٍ من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدّبهم ابن النابغة

وقال حمزة في خطبةٍ لهُ بالمدينة :

يا اهل المدينة يا ابناء المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ما اصحّ اصلكم واسقم فرعكم . كان اباؤكم اهل اليقين واهل المعرفة بالدين والبصائر الناقدة

والقلوب الواعية وانتم اهل الضلالة والجهالة . استعبدتكم الدنيا فاذلّتكم والامانيُّ فاضلّتكم . فتح الله لكم باب الدين فافسدتموه . واغلق عنكم باب الدنيا فقتحتموه . سراعٌ الى الفتنة بطاءٌ عن السنّة . عُميٌ عن البرهان . صُمٌّ عن العرفان . عبيد الطمع . حلفاء الجزع . نعمَ ما ورَّثكم آباؤكم لو حفظتموه وبئسما تورثون ابناءكم ان تمسكوا بهِ . نصر الله آباءكم على الحق وخذلكم على الباطل . كان عدد آبائكم قليلاً طيّباً وعددكم كثير خبيث . اتبعتم الهوى فارداكم . واللهو فاسهاكم . . . . وقلنا لكم : تعالوا الى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما انزل الله . فقلتم : لا نقوى على ذلك وَوَددْنَا انّا اصبنا من يكفينا . فقلنا : نحن نكفيكم ثم الله راعٍ علينا وعليكم ان ظفرنا لنعطينَّ كل ذي حقّ حقه . فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا والسيوف بوجوهنا فعرضتم لنا دونهم فقاتلتمونا فابعدكم الله . فوالله لوقلتم : لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان اعذر ولكن لا عذر للجاهل . ولكن ابى الله الّا ان ينطق بالحق على السنتكم ويأخذكم بهِ في الآخرة

ويندرج تحت الخطبة الحماسيّة خطبة القوّاد لعساكرهم يهيجونهم على محاربة العدوّ من غير مبالاة بالخطر .

قال الامام علي بن ابي طالب لاصحابهِ في الحرب :

وأيُّ امرءٍ منكم أحسّ من نفسهِ رَباطة جاش عند اللقـاء ورأى من احد من اخوانهِ فشلًا فَلْيذُبّ عن اخيهِ بفضل نجدتهِ التي فضل بها عليهِ كما يذبّ عن نفسهِ فلو شاء الله لجعلهُ مثلهُ . ان الموت طالب حثيث لا يفوتهُ المقيم ولا يعجزهُ الهارب . ان أكرم الموت القتلُ . والذي نفسُ ابن ابي طالب بيده لألفُ ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفرش . . . وكأني انظر اليكم تكشّون كشيش الضباب لا تاخذون حقًّا ولا تمنعون ضيماً قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوِّم . . . فقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر وعضّوا على الاضراس فانهُ انبا للسيوف عن الهام . والتوُوا في اطراف الرماح فانهُ أمور للاسنّة . وغضوا الابصار فانهُ اربط للجاش واسكن للقلوب . وأميتوا الاصوات فانهُ أطرد للفشل . ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الّا بايدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم . فان الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها

ووراءها وامامها ولا يتأخّرون عنها فيسلموها ولا يتقدمُون عليها فيفردوها . اجزأ امرءٌ قرنهُ وآسى اخاهُ بنفسهِ ولم يَكِلْ قرنه الى اخيهِ فيجتمع عليهِ قرنهُ وقرن اخيهِ وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة وانتم لهاميم العرب والسنام الاعظم ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقي وان الفارّ لا مزيد في عمرهِ ولا محجوز بينهُ وبين يومهِ الرائح الى الله كالظمآن يرد الماء . الجنة تحت اطراف العوالي . اليوم تُبلى الاخبار والله لأنا اشوق الى لقائهم منهم الى ديارهم . اللهم فان ردُّوا الحق فافضضْ جماعتهم وشتتْ كلمتهم وأبسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن درَّاك يخرج منهُ النسيم وضرب يفلق الهام ويُطيح العظام ويندر السواعد والأقدام وحتّى يُرموا بالمناسر تتبعها المناسر ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يُجرّ ببلادهم الخميس يتلوهُ الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحر ارضهم وباعنان مسارحهم ومسارحهم

ومثلهُ ما جاء لطارق في خطبةٍ لهُ للمسلمين :

. . . وليكون مغنمها خالصةً لكم من دونهِ ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى وليُّ انجادكم على ما يكون لكم ذكرًا في الدارين . واعلموا اني أول مجيبٍ الى ما دعوتكم اليهِ وأني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتلهُ ان شاء الله تعالى . فاحملوا معي فان هلكتُ بعدهُ فقد كُفيتم امرهُ ولم يُعوِزكم بطلٌ عاقلٌ تُسندون اموركم اليهِ . وان هلكتُ قبل وصولي اليهِ فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليهِ واكتفوا الهمَّ من فتح هذه الجزيرة بقتلهِ

ولما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة ابن ثعلبة فقال :

يا معشر بكر بن وائل ان النشاب الذي مع الاعاجم يغرقكم فاذا ارسلوه لم يخطئكم .فعاجلوهم اللقاء وابدؤوهم بالشدة

ثم قام هانيء بن مسعود فقال :

يا قوم . مهلك مقدور . خير من نجاء معرور . وان الحذر لا يدفع القدر . وان الصبر من اسباب الظفر . المنية ولا الدنية . واستقبال الموت خير من استدباره . والطعن في الثغر . اكرم من الطعن في الدبر . يا قوم جدُّوا فما من الموت بدّ . فتح

لو كان لهُ رجال . اسمعْ صوتاً ولا ارى قوماً . و يا آل بكر شدّوا واستعدّوا تشدوا والّا تُردّوا .

ثم قام شريك بن عمرو فقال :

يا قوم انما تهابونهم انكم ترونهم عند الحفاظ اكثر منكم وكذلك انتم في اعينهم . فعليكم بالصبر فان الاسنة تردي الاعنة . ياآل بكر قدماً قدماً

ثم قام عمرو بن جبلة بن باعث فقال :

يا قوم لا تَغرُرْكم هذي الخرقْ ولا وميض البيض في الشمس برقْ
من لم يقاتل منكم هذا العنقْ فجنّبوهُ الراح واسقوه المرَقْ

البحث الرابع

في خطبة التوصية

س ما خطبة التوصية

ج هي خطبة في صالحِ ثالثٍ

س ما هو المسلك المُتّبع في خطبة التوصية

ج ان تستهلّ بذكر ما أوجب الخطابة في شأَن المُوصَى بهِ فتذكر

١ً حسن صفاتهِ من كونهِ محمود السيرة وصادق الامانة ولطيف العشرة الى غير ذلك من المزايا المستوجبة التفات الجمهور الى اسعافهِ

٢ً انه في غاية الاحتياج الى ان يُلتفت اليه

ثم تختم بالشكر وإدامة الاقرار بمعروفهِ من قِبَلك ومن جهة مَن اوصيت به

ومما ينطبق على هذا ما كتب بهِ ابن الخطيب الى شيخهِ ابي عبد الله بن مرزوق التلمساني على سبيل الخطبة قال:

يا سيدي ابقاكم الله تعالى محطَّ الآمال وقبلة الوجوه. وبلَّغ سيادتكم ما تؤَملهُ من فضل الله تعالى وترجوه. وكلأ بعين حفظهِ ذاتكم الفاخرة. وجعل عزّ الدنيا متصلًا لكم بعزّ الآخرة. بعد تقبيل يدكم التي يدها لا تزال تُشكَر. وحسنتها عند الله تعالى تُذكَر. أُنهي الى مقامكم ان الشيخ ابا فلان مع كونهِ مستحقّ التجلّة. بهجرةٍ الى ابوابكم الكريمة قدُمت. ووسائل من اصالة وحِشمة كرمت. وفضل ووقار وتنويه الولاية ان كانت ذات احتقار وسنّ اقتضى الفضل برّهُ. وادب شَكَرَ الاختبار عليهِ وسرهُ. ولهُ بمعرفة سلفكم الارضيّ وسيلة مرعيّة. وفي الاعتراف بنعمتكم مقامات مرضيّة. وتَوَجُّه الى بابكم والتمسك باسبابكم. والمؤمل من سيدي سترهُ بجناح رعيهِ في حال الكبرة. ولحظهُ بطرف المبرَّة. اما في استعمال يليق بذوي الاحتشام. او سكون تحت رعي واهتمام. واعانة على عمل صالح يكون مسكة ختام. وهو احقّ الغرضين بالتزام. واحالة سيدي في حفظهِ رسم مثلهِ. على الله تعالى الذي يجزي المحسنين بفضلهِ. ومنهُ نسأل ان يديم ايام المجلس العليّ محروسًا من النوائب. مبلّغ الآمال والمآرب. والمملوك قد قرر شأنهُ في اسعاف المقاصد المأمولة من الشفاعة اليكم. والتحسّب في هذه الابواب عليكم. وتقليب القلوب بيد الله تعالى الذي يعطي ويمنع ويملك الأمر اجمع. والسلام

البحث الخامس

في خطبة الطلب

س ما هي خطبة الطلب

ج هي خطابٌ يلتمس فيهِ الخطيب امرًا إِما لنفسه وإمَّا لغيره

س ماذا يجب مراعاتهُ في هذه الخُطبة

ج يجب اولًا ان يكون المطلوب سهلًا على المُلتمس منهُ

ثانيًا ان يكون للمطلوب اسباب موجبة

ثالثًا وهو الاخصّ ان يتحاشى الخطيب في طلبهِ حَمْلَ المُلتمَس منهُ على الاشمئزاز والنفور

وبعد هذا ينبغي ان يُنهي الخطبة بالثناء عليهِ راجيًا من الله ان يقدّرهُ على مكافأتهِ

ومن ذلك ما ورد على لسان السمكة لما اختطفها مالك الحزين وقصد الى ابتلاعها (باب الامثال) قالت :

اسمع يا جار الرضا • ومَن عمرنا في صونهِ انقضى • لا تعجل في ابتلاعي • ولا تُسرع في ضياعي • ففي بقائي فوائد وعوائد • عليك عوائد • وهو انَّ ابي قد مَلك هذا السَّمك فالكلُّ عبيدهُ ورعيَّتهُ • وواجبٌ عليهم طاعتهُ ومشيئتهُ • ثمَّ إِني واحدُ ابويَّ . وأُريد منكَ الإِبقاء عليَّ . فإِنَّ ابي نذر النذور . حتى حصلَ لهُ بوجودي السرور . فما في ابتلاعي كبير فائدة . ولا اَسُدُّ لك رَمقا . ولا اشغل

لك معدة فتصير مع ابي كما قيل: فافقرَني فيمن أُحبُّ ولا استغنى . فالاولى ان اقرّ عينك . وأُعرِف ما بين ابي وبينك . فاكون سبباً لعقود المصادقة . ومفاتحاً لاغلاق المحبة والمرافقة . ويتحمل الك الجميلة . والمنة التامة والفضيلة . واما انا فاعاهدك ان اعتقتني . ومننت عليَّ واطلقتني . ان اتكفل لك كل يوم بعشر سمكات بيض سمان وَدِكات . تأتيك مرفوعة . غير ممنوعة ولا مقطوعة يُرسلها اليك ابي مكافاَة لما فعلت بي من غير نصب منكَ ولا وصب . ولا كدّ تتحمَّلهُ ولا تعب

ولما قتلت بنو اسد ملكهم ابا امرئ القيس تجهَّز امرؤُ القيس للفتك بهم فبلغ بني اسد ما يعدُّهُ لهم امرؤُ القيس فاوفدوا عليهِ رجالًا من قبائلهم كهولًا وشبَّانًا فيهم المهاجر بن خداش ابن عمّ عبيد بن الابرش وقبيصة بن نعيم وكان ذا بصيرة بمواقع الامور وردًا واصدارًا يعرف ذلك لهُ من كان محيطًا باكناف بلدهِ من معرب . فلما علم امرؤُ القيس بمكانهم أمر بانزالهم وتقدَّم باكرامهم والافضال عليهم واحتجب عنهم ثلاثًا . فسألهم من حضرهم من رجال كندة . فقال : هو في شغل باخراج ما في خزائن ابيهِ حجر من السلاح والعدَّة . فقالوا : اللهمَّ غفرًا انما قدمنا في أمر نتناسى بهِ ذكر ما سلف ونستدرك بهِ ما فرط فليُبلّغ ذلك عنا . فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء وكانت العرب لا تعتمُّ بالسواد الَّا في الترات . فلما نظروا اليهِ قاموا لهُ وبدر اليهِ قبيصة

انك في المحلّ والقدر والمعرفة بتصرُّف الدهر وما تحدثهُ ايامهُ وتتنقل بهِ احوالهُ بحيث لا تحتاج الى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرّب ولك من سودد منصبك وشرف اعراقك وكرم اصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليهِ من اقامة

العثرة ورجوع عن هفوة . ولا تتجاوز الهمم الى غاية الّا رجعتْ اليك فوجدتْ عندك من فضيلة الراي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمّت رزيّتهُ نزارًا واليمن ولم تخصص كندة بذلك دوننا للشرف البارع . كان لحجر التاج والعمّة فوق الجبين الكريم واخاء الحمد وطيب الشيم . ولو كان يُفدى هالك بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منهُ . ولكن مضى بهِ سبيل لا يرجع أُولاه على أُخراه ولا يلحق اقصاه ادناه . فاحمد الحالات في ذلك ان تعرف الواجب عليك في احدى خلال . إمّا ان اخترت من بني اسد اشرفها بيتًا واعلاها في بناء المكرمات صوتًا فقُدناه اليك بنسعهِ يذهب مع شفرات حُسامك تنائي قصيدته فيقول: رجل امتُحن بهلك عزيز فلم تستلّ سخيمتهُ الّا بتمكينهِ من الانتقام . او فداء بما يروح من بني اسد من نعَمها فهي أُلوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت بهِ القضب الى اجفانها لم يرددهُ تسليط الاحن على البراء . وإمّا إن توادعنا حتى نضع الحوامل فنسدل الازر ونعقد الخمُر فوق الرايات

وهذا مثال ايضًا في الطلب (المقامة الخامسة الكوفية للحريري)

فلما روّق الليل البهيم . ولم يبقَ الّا التهويم . سمعنا من الباب نبأة مستنبح . ثم تلتها صكّة مستفتح . فقلنا مَن الملمّ . في الليل المدلهمّ . فقال :

يا اَهلَ ذا المَغنى وقيتُم شرًّا ولا لقيتُمْ ما بقيتُمْ ضُرًّا
قد دَفعَ اللَّيلُ الذي اكفهرًّا الى ذَراكُمْ شعِثًا مُغبرًّا
اَخا سِفارٍ طالَ واسبطرًّا حتى انثنى مُحقَوقِفًا مُصفرًّا
مِثلَ هلال الافق حين أفترًّا وقد عرا فِناءَكُم مُعترًّا
وأَمَّكُمْ دُونَ الأَنام طُرًّا يبغي قِرًى منكم ومُستقرًّا
فدُونَكُمْ ضيفًا قنوعًا حُرًّا يَرضَى بما احلَولى وما اَمرًّا
وينثني عنكم ينُثُّ البرًّا

س وكيف يكون الانشاء في القول المشْوريّ

ج يختلف الانشاء باختلاف الخطَب المُختصّة بهذا الفنّ . فان الخطيب يفتقر في الطلب والتوصية ان يستعمل كُلّ تعبيرٍ لذيذ رقيق ليستميل بهِ المُخاطَب الى الغرض المقصود .

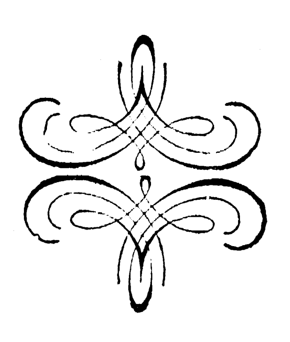
ولا يصحُّ مُطلقًا ان يخرج الكلام مخرجًا دنيئًا سافلًا كما يقع لبعض القوم . لانَّ هذا ممَّا يحمل على امتهانهِ والاستخفاف بهِ .

وعليهِ ان يتحاشى الاكثار . لان الاكثار ينفّر السامع ويعدل بهِ عن اجابة المطلوب .

امَّا خطب الاشارة فقد علمتَ انَّها موجَّهة للعقل . وانت تعرف ان العقل لا يقتنع بحقيقةٍ الَّا اذا اكتحل بنور البْرهان. فينبغي اذًا للمتكلم في مثل هذه المقامات ان يُودع كُلَّ تعاليل يأتي بهِ قوَّةً ومتانةً يتمكَّن بهما من امتلاك قياد العقل وان يتصرَّف في أدلَّتهِ تصرُّفًا لاغاية بعدهُ وذلك بأن يقلِّبها الى ما شاءَ الله من الوجوه المختلفة والاساليب المُتفنّنة

وخُطب الحثّ والتحريض ينبغي ايداعها قوَّةً أَشدّ ممَّا تُودع خُطب الاشارة . فالخطيب يُهيّج تارةً على الحرب وأُخرى على السلم وطورًا يُثير الخوف وآخر يبعث الرجاء وحينًا يُحرّك

المحبَّة وآخر يُخرج البغضة الى غير ذلك من الاهواء ولا غرْوَ انَّهُ يفتقر في جميع هذا الى تقوية الخطاب تقويةً غريبة بل الى كثرة تفنّن في وجوه الكلام وحسن تصرُّف في هيئة التعبير . ولولا ذلك لَمَا بلغ الحجَّاج من سامعيهِ ما بلغ (في ما مثَّلنا بهِ من الخُطب) ولَمَا أثّر كلامُ عليّ بن ابي طالب في مُخاطَبيهِ كُلَّ ذلك التأثير فدفعهم الى مُلاقاة المنايا واستقبال الحتوف



الباب الثالث

في القول المشاجريّ

القول المشاجريّ صنفانِ : شكاية وتنصّل . وغايته العدل والجور

وفي هذا القول لا بُدَّ للخطيب من شيئين : اتّصافه بصفاتٍ ذاتيَّة . ومعرفته المواضع المختصَّة بهذا الفنّ

البحث الاول

في صفات الخطيب الذاتيَّة

س ما هي صفات الخطيب الذاتيَّة

ج هي ١ً الاستقامة . والمراد بها هنا ان يدافع بُكل جهدٍ وغيرة عن الدعوى الآخذ فيها . وان لا يرضى بالمحاماة عن كلّ دعوى يعتقدها خارجة عن العدل او يتوهَّم فيها ذلك

٢ً معرفة الشريعة . وضرورتها لا تَخفى على احد . فمِن اين للخطيب ان يتولَّى المدافعة عن الخصومات وهو يجهل اصول الشرع وقوانين الدولة

٣ً معرفة الدعوى . لانَّ مَن كان جاهلًا شيئًا جاءَ كلامهُ فيهِ ساقطًا لا يؤَدّي الى غرض

البحث الثاني

في مواضع القول المشاجريّ

س ما هي مواضع القول المشاجريّ

ج هي ستّة : الشرائع . الشهود . الصكوك . السُّمعة . الحَلِف . العقوبة

س وكيف يستخدم الخطباء المواضع من الشرائع

ج لا بدَّ ١ً ان يثنوا على الشرائع بانها الرباط الجامع للجمهور وقوَّة الدوَل وملاذ الحريَّة الخ (١)

---

(١) قال ابن خلدون في مقدمتهِ :

ان الاجتماع البشري ضروري وهو معنى العمران الذي نتكلم فيهِ وانَّهُ لا بدَّ لهم في الاجتماع من وازع وحاكم يرجعون اليهِ . وحكمهُ فيهم تارةً يكون مستندًا الى شرع منزَّل من عند الله يوجب انقيادهم اليهِ وايمانهم بالثواب والعقاب الذي جاءَ بهِ مبلّغهُ وتارةً الى سياسة عقليَّة يوجب انقيادهم اليها ما يتوقَّعونهُ من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفتهِ بمصالحهم . . . . وان السياسة العقليَّة تكون على وجهين احدهما تُراعى فيهِ المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكهِ على الخصوص . . . . . .

٢ً ان يتطرّقوا من ذلك الى مدح واضعي الشريعة

٣ً ان يكشفوا عمَّا يلحق بالهيئة الاجتماعيَّة من الاضرار لو تُرِك الناس يُخالفون الشرائع من غير مُعارض ولا مانع يردّهم (١) مثال ذلك ما لو خطبت في وجوب الشريعة :

ان ضعف الانسان وحرّيتهُ وميلهُ الى الشرّ يستلزم خضوعهُ لشريعة لا يمكن الاستغناء عنها فهي ضروريَّة لهُ ضرورة السُنن للاجرام الفلكيَّة والارضيَّة غير المتنفّسة . . . . وإذا لم يكن الناس مُقيَّدين بشريعة تصدّ القاتل عن القتل والسارق عن السرقة والشهواني عن الفجور . . . . . . أتظنّون انَّهُ يبقى في العالم شيءٌ من النظام والهيئة الاجتماعيَّة . . . لعمركم كما ان الهوا ضروريٌّ للحياة الطبيعيَّة هكذا الشريعة ضروريَّة للحياة الأدبيَّة . . . . لذلك قام في كُلّ زمانٍ رجالٌ تفرَّدوا بالعقل والحكمة فوضعوا ما وضعوا من السُنن التي اَضحت نور العقل واساس العمران بها توصّل صاحب الحقّ الى حقّهِ ودفع بها المظلوم الظلمَ عن نفسهِ . . . وبعدها اضحوا وليس من قويٍّ يهتضم حقّ ضعيف ولا ضعيف يتطاول الى حقّ قويّ

(١) وقال ابن خلدون في مقدَّمتهِ

ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشروتمّ عمران العالم لهم فلا بدَّ من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم . وليست السلاح التي جُعلت دافعةً لعدوان الحيوانات بكافيــة في دفع العدوان بينهم لأنَّها موجودة لجميعهم . فلا بدَّ من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض . . . . . . فيكون ذلك الوازع واحدًا منهم يكون لهُ عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيرهِ بعدوان وهذا هو معنى الملك . . . وانَّهُ لا بدَّ للبشر من الحكم الوازع . . . وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عنـد الله يأتي بهِ واحدٌ من البشر يكون متميّزًا عنهم بما يودع الله فيهِ من خواصّ هدايتــهِ ليقع التسليم لهُ والقبول منهُ حتَّى يتمَّ الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تثريب

س وما العمل اذا أُعتُرض على الخطيب بمادَّة من موادّ الشرع تُخالف ما أتى بهِ

ج يقتضي الامر حينئذٍ ان يظهر بطلانها بمادّة أُخرى او نصّ اخر من نصوص الشرع

وقد يحتمل ان يكون الخصم أورد نصًّا لاثبات دعواه ناقضًا لها من حيث لا يعلم . فينبغي ان ينثني عليهِ الخطيب فيحاربهُ بنفس سلاحه

س ما الشهود وكيف يستعينون بالمواضع من الشهود

ج الشهود هم الذين يؤدّون شهادتهم امَّا شفاهًا وامَّا خطًّا في الشيء المتخاصَم عليه

امَّا المصدّقون منهم فهم الذين يعلمون الحق ويقولونه . وعليهِ فلا يوثَق بالشهود الَّا اذا كانوا عيانيّين ومستقيمين ومن المشهورين والوجهاء . اذًا لا يُوثق بشهادتهم اذا كانوا

١ً غير محمودي السُّمعة ومتَّصفين بالطيش وخفَّة العقل

٢ً اذا دفعهم الى الشهادة أملٌ او خوف. وغضب او رحمة

٣ً اذا سَاقهم اليها البرطيل والرشوة. لان الرشوة كما قال ضياء الدين ابو الفتح تحلّ عقد القلوب وتهوّن فراق المحبوب

٤ً اذا جاءَت شهادتهم متناقضة او مخالفة لغيرهم من الشهود الموثوق بهم او للدلائل الظاهرة

٥ً اذا كانت شهادتهم مأخوذة من طريق الحدس والتخمين

كتب ابو الفضل الهمذاني بديع الزمان الى الشيخ ابي العباس يتشكّى من شهادة شاهدٍ لا ثقة بكلامهِ :

كتابي اطال الله بقاء الشيخ وقليلٌ في الولاء ان احتذي من العين . واتخذ نعلَين من ان يسوقني هذا المساق إلّا الشوق الهائج . والوجد اللّاعج . وانا في هذه الحُرقة كثير الشوق ولكنّي وردتُّ . لغير ما اردتُّ . إنما ضربتُ في جنب . ما نسبوا اليَّ من الذنب . وطَعَنتُ في عين . ما قُذفتُ بهِ من المَين . وخرجتُ على مقام يومين . وسأرِدُ فأدحِضُ المهمَّة . وأمحضُ الخدمة . وأجدّد عهدًا بين ذلك . وآخذُ موثقًا من أولئك . لئلّا يتّهمني كلُّ ما كذبَ كاذبٌ . او استجهلَ كاتبٌ . او شرع حاسدٌ بكفران نعمتهِ . قُل لي أيستحلُّ ان يُسمَع في الحال . ولم يُكشَف فيهِ الحال . وما هذا التصديق لرجل ليس في المروءَة رأسًا ولا في الدين ذنبًا . والله يكفي شاهدًا . وإن كان واحدًا . فامّا غير الله فلا اقلُّ من شاهدَين . ولا كلُّ شاهدَين حتّى يكونا عدلَين

س ما الصكوك وكيف يستعملون الموضع منها

ج الصكوك هي مجموع الشهادات والافادات المحفوظة التي تتضمَّن العقود والوثائق والوصيَّة

لا يخلو كاتب الصكوك ان يكون صادقًا او مزوِّرًا

فعلى الخطيب ان يثبّت الصكوك الصادقة ويقرّرها او يفنِّد المزوَّرة ويضعّفها إمَّا بتخريجها على تأويل يوافقهُ وإمَّا بإيراد شهادات تخالفها او ببيان ما يناقضها من الاحوال

س ما السُمعة وكيف تتخذ المواضع منها

ج السمعة هي إمَّا اجماع بلدةٍ أَو أُمَّة على شيء وإما أحدوثة مُفتراة يبثُّها اهل الرداءَة فتتناقلها الافواه

فان علمتَ هذا هان عليك استعمال الموضع من السمعة

لو انتصب وكيل دعاوٍ امام القاضي ليحامي عن رجل اتَّهم بذنب لامكنهُ ان يقول :

التمس من مولانا القاضي مثال النصفة والعدل ان لا يبرز الحكم على فلان الذي وّليت المدافعة عنهُ بمجرد ما بلغهُ من الاراجيف والاحاديث المفتراة . اذ لا يغرب عن علم مولاي ان ليس كل ما تتناقلهُ الافواه ملابساً للصحة ولا كل ما يعهل انتشارهُ وجريانهُ على الالسنة ناشئاً عن الحق . ومَن كان مثلهُ ينبغي عليهِ ان لا يُعير اذناً واعية للمرجفين ولا يجعل الابرياء فريسة لمخالب اهل القال والقيل .

س ما الحِلف وكيف تُتناول المواضع منهُ

ج الحلف هو إشهاد الله على اثبات امرٍ او نفيه

فللخطيب ان يتصرّف هنا في اثبات الحلف او ردّه بمقتضى ما قلناه عن الشهود

س ما هي العقوبة

ج هي قصاص يوجبهُ الحاكم على المذنب او الشاهد أملًا ان ألم العذاب يحملهما على الاقرار بالحقّ (١)

(١) قد بطل استعمالها الّا في بعض الاحوال

البحث الثالث

في انواع الخطابة المشاجريَّة

هي بحسب الدعاوي نوعان

لان الدعاوي إمَّا جنائيَّة واما مدنيَّة . فالاولى هي شكاية اهل الذنوب والمطالبة بعقوبتهم والثانية هي المدافعة عن حقوق الرعيَّة

دً في الدعاوي الجنائية

س كيف يتصرَّف المشتكي

ج ينبغي ان تكون خطبتهُ غير قاصرة عن الغرض ولا متجاوزة الحدّ بل مطابقة للواقع كل المطابقة فيأتي بذكر كل ما يتوقّف عليهِ بيان كبر الجريمة من الظروف والاحوال

وبعد خمسة أيَّام انحدر حننيا رئيس الكهنة مع بعض الشيوخ وخطيبٍ اسمهُ ترتُلُّس وعرضوا لدى الوالي شكواهم على بولس . فلما دُعي طفق ترتلس يشكوهُ قائلًا :

قد نلنا بكَ سلامًا عظيمًا وبعنايتكَ حصلتْ مصالح جمّة لهذه الامَّة . فنتقبَّل ذلك في كل وقتٍ وكل مكان بكل شكر يافيليكس العزيز . ولكن لكي لا أُعوّقك بالإطناب أسألك أن تسمع لنا بحلمكَ قليلًا . إنَّا قد وجدنا هذا الرَّجل مُفسدًا ومُثير فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة وإمامًا لشيعة الناصريّين . وقد حاول ايضًا أن ينجّس الهيكل فامسكناهُ وأردنا ان نحاكمهُ بحسب ناموسنا .

اِلّا اَنَّ ليسياس قائد الألف اَقبلَ وانتزعهُ من اَيدينا بعنف شديد . وأَمرَ خصومَهُ بأَنْ ياتوا اليكَ ومنهُ تستطيع اذا فحصتهُ ان تعرف جميع ما نشكوهُ بهِ .

ومن امثلة ذلك ما ورد في المقامة السابعة من مجمع البحرين :

فاشار القاضي الى الرجل وقال تقدَّم فقُلْ . فقال :

يا مولاي لا تُطعِم العبدَ الكُراع . فيطمع في الذراع . ان هذا الشيخ استأجر مني ناقة مهريَّة . في الديار المصريَّة . وقال اذا بلغنا اليمن لا أُسلِّمك الزمام . حتَّى أُسلِّمك الاجرة عن تمام . فرخَّصتُ لهُ في النسيئة . وغفلتُ عن الخبيئة . فلمَّا بلغنا مَوطىء القدم . اذا هو اَضبط من عائشة بن عثم . فامسك المطيَّة . فضلًا عن العطيَّة

س وكيف يتصرّف المُدافع

ج اما ان ينكر الواقع بقولهِ مثلًا : إِن زيدًا لم يدخل بيت عمرٍ فيسرق منهُ

واما ان يقرّ بالواقع مع انكار جريانهِ على ما ادّعاه المشتكي . كقولهِ مثلاً : لا ينكر احد عليك ان الجيش انهزم ولكن لم يكن ذلك عن خيانة من القائد

وإِمَّا ان يقرّ بالوَاقع مدافعًا عنهُ بحجة كونه صوابيًّا كما لو قال : نعم ان خالدًا قتل يحيي غير انهُ اضطرّ الى ذلك مدافعةً عن نفسهِ

س وان لم يصحّ للمدافع استعمال شيء من هذا كُلّهِ فما العمل

ج ينبغي عليهِ ان يعتذر عن الفعل بانَّهُ وقع عن ضرورة

موجبة او اتفاق غير اختياريّ او عن غير عمدٍ وانتباه . او ان يلتمس مُلحًّا في محو الذنب بشفاعة ما للمذنب من فضلٍ سابق ويدٍ سالفة

افترضْ انّ رجلًا من اعاظم الرجال لهُ على دولتهِ ووطنهِ احسانات جمّة فقُضِي عليهِ لجريمةٍ ارتكبها . فاذا قمتَ مقام المدافع امكنك ان تقول :

لا انكر انَّ فلانًا قد اتى جريمةً كبيرة واقترف ذنبًا عظيمًا واعلمُ انَّ سادتَنا القُضاة المتولّين امر الاحكام هم رجال عدول لا يخرجون عن جادّة الانصاف وسبيل الاستقامة . وبالتالي فانَّ الحكم الذي ابرزوهُ في حقّهِ هو عادل من كُلّ وجهٍ مُطابق لاصول الشرع مستوفٍ جميع الشرائط المُقتضاة ... ولكن ان سمحتم لي قلتُ: أَيُنافي العدل ان أُذكّركم بسوابق احسانهِ لدولتنا ووطننا ... أَلم تكن الدولة على شرفٍ خطير ... أَلم تقبل علينا الاعداء بجيوشها الجرَّارة .. الم يرَ كلٌّ منّا اسباب الموت منتصبةً ... الم توشك الدولة ان تنحطّ من رتبتها وتسقط عن درجتها وتلحق بالامم البائدة . هذا نعلمهُ حقّ العلم ونتذكّرهُ بالخوف والرجفة بينا انّا نتذكّر بالفرح والسرور انهُ هو هو الذي خلّصنا من جميع هذه المهالك . أَيُنافي العدل اذًا ان نُعرض عمّا اتى من الذنب ... أَيُخالف الانصاف ان نصفح عن جريمتهِ بشفاعات ما سبق لهُ . . أَمَا احسانهُ الغير المنسيّ لا يُنسينا عملهُ هذا الجزئيّ .... مالي اطيل مع قُضاةٍ يغارون على صالح الوطن والدولة ويجازون الاحسان بالاحسان . فمحبّةً بالدولة والوطن اقضوا بحكمكم على مَن رفع شأن الدولة وعمَّ فضلهُ كلًّا من اهل الوطن

ومن كلام المدافع في انكار الواقع ما قالهُ بولس الرسول

فاجاب بولس مدافعًا عن نفسه :

بما أَنّي أَعلمُ بأَنّكَ قاضٍ لهذه الامّة منذ سنين كثيرةٍ فبطيب نفس أُجيبُ عن نفسي . انّهُ يمكنكَ ان تعلمَ أَن ليس لي اكثرُ من اثني عشر يومًا

منذُ صعدتُ الى أُورشليم للعبادة . ولم يجدوني في الهيكل أُفاوض أحدًا ولا أُهيّجُ الجمعَ لا في الجامع ولا في المدينة . ولا يستطيعون أنْ يبرهنوا على ما يشكونني بهِ الآن . ولكنّي أُقرُّ لكَ انّي بحسب الطريقة التي يسمّونها شيعةً أعبدُ إله آبائي مؤمنًا بكلّ ما كُتب في النّاموس والأنبياءِ . ومؤمّلًا من الله ما ينتظرونهُ هم ايضًا انّها سوف تكونُ قيامةٌ للأموات الأبرار منهم والأثمة . لهذا أُدرّبُ نفسي ليكون لي دائمًا ضميرٌ لا عثار بهِ أمام الله والناس . وبعد سنين كثيرة جئتُ لأصنعَ صدقاتٍ لامّتي وأُقدّم قرابين . فعلى هذا وجدَني قومٌ من اليهود من آسية متطهّرًا في الهيكل لا مع جمعٍ ولا في فتنةٍ . وكان يجبُ عليهم ان يحضروا لديكَ ويشكوا ان كان لهم عليَّ شيءٌ . اوليقُلْ هؤلاءِ ماذا وَجدُوا فيَّ من إثمٍ وأنا قائمٌ أمام المحفل سوى هذا القول وحدهُ الذي صحتُ بهِ لمّا وقفتُ بهم اني على قيامة الأموات أُحاكَمُ منكمُ اليوم .

وقال ايضًا بولس :

أنا واقفٌ لدى منبر قيصر وهناك ينبغي أن أُحاكَم . اني ما ظلمتُ اليهود بشيءٍ وأنتَ بذلكَ أعلمُ من الجميع . وان كنتُ قد ظلمتُ وصنعتُ شيئًا يوجب الموت فلست استعفي من الموت ولكن ان لم يكن شيءٌ مما يشكونني بهِ فما أحد يستطيع أن يدفعني اليهم . الى قيصر انا رافع دعواي .

وراجع ان شئت مدافعة بولس عن نفسهِ في اعمال الرسل (الفصل السادس والعشرين)

س واما رئيس المجلس فما تكون خطبتهُ

ج يجب ان يتبصَّر في الشكوى والمدافعة ويقابل بين حجج المتخاصمين جامعًا في خطبتهِ بين امرين : الوضوح والعدل .

فقال فستُس في دعوى بولس

ايّها الملك اغريبا وياجميع الرجال الحاضرين معنا انّكم ترون هذا الذي سعى اليَّ بهِ جمهور اليهود كلّهُ في أُورشليم وهنا . وهم يصيحون انّهُ لا ينبغي ان يحيا من بعدُ . اما انا فوجدتُ انّهُ لم يصنع شيئًا يوجب الموت ولكن إذْ رفعَ هو دعواه

الى اغسطُس قضيتُ بان أُرسِلَهُ . ولم اتيقَّن في امره شيئاً اكتبهُ الى السيّد فلهذا احضرتهُ امامكم وخصوصاً امامكَ ايُّها الملك اغريبا حتَّى انَّهُ بعد الفحص عن قضيَّتهِ يكون لي ما اكتبُ . لأني ارى من الجهل ان ابعث اسيرًا ولا أُبيّن الدعاوي التي عليهِ

ومن قول المشتكي والمدافع ورئيس المجلس ما جاءَ بهِ الحريري في المقامة الثالثة والعشرين الشعريَّة

فركضتُ إِثر النظارة حتى وافينا باب الامارة . وهناك صاحب المعونة متربّعًا في دستهِ . ومُروّعًا بسمتهِ . فقال لهُ الشيخ :

اَعزَّ الله الوالي . وجعل كعبهُ العالي . اني كفلتُ هذا الغلام فطيماً . وربَّيْتهُ يتيماً . ثمَّ لم آلهُ تعليماً . فلمَّا مَهر وبهَر . جرَّد سيف العدوان وشهَر . ولم إِخلهُ يلتوي عليَّ ويتَّقح . حينْ يرتوي مني ويلتقح .

فقال لهُ الفتى :

علامَ عثرتَ مني . حتى تنشر هذا الخزيَ عني . فوالله ما سترتُ وجه برّك . ولا هتكتُ حجاب سِرّك . ولا شققتُ عصا أَمرك . ولا آلغيتُ تلاوة شكرك .

فقال لهُ الشيخ :

ويلكَ وايُّ ريبٍ اَخزَى من ريبك . وهل عيبٌ افحش من عيبك . وقد ادَّعيتَ سحري واستلحقتهُ . وانتحلت شعري واسترقتهُ . واستراق الشعر عند الشعراء . افظعُ من سرقة البيضاء والصفراء

فقال الوالي للشيخ :

وهل حين سَرقَ سلخَ . امر مسخَ امر نسخَ

فقال :

والذي جعلَ الشعر ديوان العرب . وترجمان الأَدب . ما احدثَ سوى ان بترَ شمل شرحهِ . واغارَ على ثُلثَيْ سرحهِ . . . .

فالتفت الوالي الى الغلام وقال :

تبًّا لكَ من خِرّيجٍ مارِق . وتلميذٍ سارق

فقال الفتى :

بَرِئتُ من الأدب وبنيه . ولحقتُ بمن يناويه ويقوّض مبانيه . ان كانت ابياتهُ نمت الى عِلمي . قبلَ ان الّفتُ نظمي . وانما اتفق توارد الخواطر . كما قد يقع الحافر على الحافر ....

واليك مثالاً آخر في قول كلٍّ من المشتكي والمدافع ورئيس المجلس

فبينما انا عند حاكم الاسكندرية . في عشيةٍ عريَّة . وقد أحضر مال الصدقات . ليفضَّهُ على ذوي الفاقات . اذ دخل شيخ عفرِيَة . تعتلهُ امرأة مُبصية . فقالت :

ايّد الله القاضي . وادام بهِ التراضي . اني امرأة من اكرم جرثومةٍ . واطهر أرومةٍ . واشرف خؤولةٍ وعمومة . ميسمي الصونُ . وشيمتي الهونُ . وخُلُقي نعم العونُ . وبيني وبين جاراتي بونٌ . وكان ابي اذا خطبني بُناةُ المجد . وارباب الجدّ . سكّتهم وبكّتهم . وعاف وُصلتهم وصِلتهم . واحتجَّ بانهُ عاهد الله تعالى بحلفةٍ . ان لا يصاهر غير ذي حرفةٍ . فقيَّض القدرُ لنصبي ووصبي ان حضر هذا الخُدعةُ نادي ابي . فأقسم بين رهطهِ . انهُ وفقُ شرطهِ . وادَّعى انهُ طالما نظمَ درَّةً الى درَّةٍ . فباعها ببدرةٍ . فاغترَّ ابي بزخرفة محالهِ . وزوَّجنيهِ قبل اختبار حالهِ . فلما استخرجني من كناسي . ورحّلني عن أُناسي . ونقلني الى كسرهِ . وحصّلني تحت أسرهِ . وجدتهُ قُعدةً جُثَمةً . وألفيتهُ ضجعةً نومةً . وكنتُ صحبتهُ برياشٍ وزيٍّ . واثاثٍ وريٍّ . فما برح يبيعهُ في سوق الهضم . ويُتلِف ثمنهُ في الخضم والقضم . الى ان مزّق مالي بأسرهِ . وأنفق مالي في عُسرهِ . فلما أنساني طعم الراحة . وغادر بيتي أنقى من الراحة . قلتُ لهُ ياهذا انهُ لا مخبأ بعد بوسٍ . ولا عطرَ بعد عروسٍ . فانهض للاكتساب بصناعتك . واجنِني ثمرة براعتك . فزعم انَّ صناعتهُ قد رُميت بالكساد . لِما ظهر في الأرض من الفساد . ولي منهُ سلالةٌ . كأنهُ خلالةٌ . وكلانا ما ينال معهُ شُبعةً . ولا ترقأُ لهُ من الطَّوَى دمعةً . وقد قُدتُهُ اليكَ . واحضرتهُ لديكَ . لتعجُمَ عُودَ دعواهُ . وتحكم بيننا بما اراك الله

فاقبل القاضي عليهِ وقال لهُ :

قد وعيتُ قَصَصَ عِرسِكَ . فبرهن الان عن نفسِكَ . والّا كشفتُ عن لبسكَ . وامرتُ بحبسكَ

فاطرق اطراق الافعوان . ثم شمَّر للحرب العوان . وقال :

إسمَعْ حديثي فانَّهُ عجبُ   يُضحِكُ من شرحهِ ويُنتحَبُ
أَنا امرؤٌ ليس في خصائصهِ   عيبٌ ولا في فخارهِ رِيَبُ
سروج داري التي ولدتُ بها   والأَصلُ غسَّانُ حين أَنتسبُ
وشغلي الدرسُ والتبحُّرُ في الْ   عِلم طِلابي وحبَّذا الطَّلَبُ
ورأْسُ مالي سحرُ الكلام الذي   منهُ يُصاغُ القريضُ والخُطَبُ
أَغوصُ في لجَّة البيان فاختارُ اللآلي منها وانتخبُ
واجتني اليانع الجنيَّ من الْ   قول وغيري للعُود يحتطبُ
وآخذُ اللَّفظ فضَّةً فاذا   ما صُغتُهُ قيل انهُ ذهبُ
وكنتُ من قبلُ أَمتري نشبًا   بالأَدب المقتنى وأَجتلبُ
ويمتطي أَخمَصي لحرمتهِ   مراتبًا ليس فوقها رُتَبُ
وطالما زُفَّت الصِلاتُ الى   ربعي فلم أَرضَ كلَّ مَن يهبُ
فاليومَ مَن يعلقُ الرجاءُ بهِ   أَكسدُ شيءٍ في سوقهِ الأَدبُ
لا عِرضُ ابنائهِ يُصانُ ولا   يُرقَبُ فيهم إلٌّ ولا نسبُ
كأَنَّهم في عِراصهم جِيَفٌ   يُبعَدُ من نتنها ويُجتنَبُ
فحارَ لبّي لِمَا مُنيتُ بهِ   مِنَ الليالي وصرفُها عجبُ
وضاقَ ذرعي لضيق ذات يدي   وساورتني الهمومُ والكُرَبُ
وقادني دهريَ المليمُ إلى   سلوك ما يستشينهُ الحسَبُ
فبعتُ حتى لم يبقَ لي سَبَدٌ   ولا بتاتٌ اليهِ أَنقلبُ
وادَّنتُ حتى اثقلتُ سالِفَتي   بحمل دَين من دونهِ العطبُ
ثمَّ طويتُ الحشا على سَغَبٍ   خمسًا فلمَّا أَمضَّني السَّغَبُ
لم ارَ إلّا جهازها عَرَضًا   اجولُ في بيعهِ واضطربُ
فجلتُ فيهِ والنفسُ كارهةٌ   والعينُ عبرَى والقلبُ مكتئبُ
وما تجاوزتُ اذ عبثتُ بهِ   حدَّ التراضي فيحدث الغضبُ

فإن يكنْ غاظها توهمهـا ان بناني بالنظم تكتسبُ
او انني اذ عزمتُ خطبتهـا زخرفتُ قولي لينجح الأربُ
فوالذي سارت الرفاق الى كعبتهِ تستحثُّها النُجُبُ
ما المكرُ بالمحصنات من خُلقي ولاشعاري التمويهُ والكَذِبُ
ولا يدي مذ نشأتُ نيط بها إلّا مواضي اليراع والكتبُ
بل فكرتي تنظم القلائد لا كفّي وشعري المنظوم لا السُخُبُ
فهذهِ الحرفة المشـار الى ما كنتُ احوي بها واجتلبُ
فأذَنْ لشرحي كما اذنتَ لها ولا تراقِبْ واحكمْ بما يجبُ

قال فلما أحكم ما شادهُ . واكمل انشادهُ . عطف القاضي الى الفتاة . بعد ان شُعف بالابيات . وقال :

اما انهُ قد ثبت عند جميع الحكام . وولاة الأحكام . انقراضُ جيل الكرام . وميلُ الأيَّام الى اللئام . وإني لإخال بعلكِ صدوقًا في الكلام . بريًّا من الملام . وها هو قد اعترف لك بالقَرْض . وصرّح عن المحض . وبيَّن مصداق النظم . وتبيَّن انهُ معروق العظم . وإعنات المُعذِر ملامةٌ . وحبس المعسر مأثمةٌ . وكتمان الفقر زهادةٌ . وانتظار الفرج بالصبر عبادةٌ . فأرجعي الى خدركِ . واعذري ابا عذركِ . وغضّي عن غربكِ . وسلّمي لقضاء ربكِ .

٢ في الدعاوي المدنية

س اي طريقة يتّبعها كلّ من المشتكي والمُدافع

ج على كلّ من المشتكي والمُدافع ان ينطق بما هو مطابق للحقّ والشرع والعدل موضحًا كلّ ذلك باللفظ الصريح والادلّة البيّنة

اذا ادّعى مشتكٍ بصدور حكم لهُ على غريمهِ وطلب تنفيذهُ امكنهُ ان يقول مثلًا :

اعرض على مسامع اهل ـــ المجلس انهُ قد صدر لي حكم من اللجنة الفلانيَّة بتاريخ كذا سنة كذا بالزام فلان بدفع مبلغ كذا ومن حيث انَّهُ لم يدفع الى الان فالتمس ان توضَع املاكهُ الثابتة بالمزايدة وتُضبط المنقولة وتُباع عن يد مأمور مخصوص وفقًا للقانون ـ . . .

اما الغريم فيمكن ان يردّ عليهِ هكذا :

١ً ان الحكم الذي يدَّعي الخصم انَّهُ صادر عليَّ بتاريخ كذا سنة كذا لا علم لي بهِ

٢ً ان هذا الحكم على فرض صحَّة صدورهِ فانَّهُ لم يكن من محكمة قانونيَّة وقد صرَّحت المادة الفلانيَّة من قانون المحاكمات الموقَّت ان الدوائر المشكلة بغير ارادة سنيَّة لا تُعتَبر احكامها مطلقًا

٣ً انّي لم أُبلَّغ هذا الحكم المزعوم صدورهُ وعليهِ فهو غير مرعيّ الاجراء والتنفيذ كما هو منطوق المادة الفلانيَّة من قانون الاجراء . ومن ثم فاني التمس ايقاف كل معاملةٍ اجرائية يطلبها خصمي المحرر مع تضمينهِ كل ما يلحق بي من المصاريف والاضرار .

وهذه صورة أُخرى في الشكوى

ان لي في ذمة فلان كذا دراهم بموجب سند للامر مؤرَّخ في كذا سنة كذا مؤَجل الى خمسة اشهر من تاريخهِ وقد طالبتهُ مرارًا بهذا المبلغ ولم يدفعهُ لي فبناءً عليهِ اطلب تحصيلهُ مع فائضهِ القانوني

جواب المدَّعى عليهِ

ان دعوى الخصم بهذا السند للامر غير مسموعة لمضيّ خمس سنوات على حلول اجلها بدون مطالبة وانَّهُ على افتراض عدم مرور الزمن فان ذمَّتي بريئة من هذا الدين والخط والختم اللذان فيهِ ليسا خطي وختمي

ومن الدعاوي المدنيَّة ما تجتمع فيهِ الشكاية والمُدافعة معًا كما يحصل ذلك في اوقات الاستئناف والاعتراضات على الاحكام

وهذه صورة استدعاء الاستئناف (بعد الترجمة)

ان فلاناً العثمانيّ التاجر من البلد الفلاني اقام عليَّ الدعوى في محكمة بداية القضاء الفلاني بمبلغ خمسة آلاف قرش بموجب كمبيالة مؤرخة في كذا طالباً مني هذا المبلغ مع فائضهِ واجبت ان دعواهُ غير مسموعة لمرور خمس سنين على تركها وانَّهُ مع افتراض عدم مرور الزمن عليها فالكمبيالة مفتعلة لاعلم لي بها والخط والختم اللذان فيها ليسا بخطي ولا ختمي وبعد التحقيق غير الاصولي الذي جرى حكمت عليَّ المحكمة بعدم مرور الزمان وبأن الخط والختم هما خطي وختمي وبثبوت هذا المبلغ في ذمتي مع فائضهِ وبمبلغ كذا بدل تعطيل واضرار ومصاريف خصمي مستندةً في ذلك الى اسبابٍ غير اصولية واصدرتْ في ذلك اعلاماً مؤرَّخاً بكذا بُلِّغ اليَّ في كذا وحيث ان هذا الحكم مغاير الأصول وموقع بحقي المغدورية من جهة عدم مراعاة المحكمة اعتراضي بمرور الزمان حال كون المحكمة ممنوعة قانوناً من سماع الدعوى التي مرَّ عليها الزمان جئت ملتمساً استئنافهُ ضمن المدة القانونية باستدعائي هذا المصحوب بسند الكفالة القانونية الذي يضمن لخصمي المرقوم مصاريف المحاكمة والمصاريف السفرية والعطل والاضرار والخسائر التي تتعين قانوناً اذا ظهرت غير مُحقٍّ باستئنافي هذا ملتمساً تبليغ خصمي المرقوم صورة مصدقة عن هذا الاستدعاء وعن اللائحة وعن سند الكفالة المذكورة وجلبهِ للمحكمة الاستئنافية بموجب بوصلة دعوة يتعين فيها يوم المحاكمة لاجل الحكم عليهِ اولاً بقبول استئنافي وانهُ مقدم في مدتهِ موافق لشرائطهِ . ثانياً بفسخ حكم المحكمة المذكور. ثالثاً بالحكم على غريمي المرقوم بمنع دعواه وتضمينهِ ما التحق بي من العطل والاضرار والخسائر والمصاريف والرسومات . .

صورة اللائحة الاعتراضية

(مقدمة من فلان ردًّا واعتراضاً على حكم الاعلام الصادر عليهِ من المحكمة الفلانية المؤرخ في كذا عدد كذا)

انَّهُ لا يخفى على كل من نظر في هذه الدعوى ان جوهرها محصور في أمرين اولهما مرور الزمن القانونيّ عليها والثاني كون المحكمة اخطأت بقرارها في تحويل

السند الى تدقيق الخط والختم لانهُ اذا كان الادعاء بمرور الزمان صادقاً فلا حاجة الى التدقيق بالخط والختم كما يأتي بيان ذلك

ففي الامر الاول اقول

من الغنيّ عن البيان ان دعوى مرور الزمن انما تندفع بالاحتجاج (البروتستو) والمعارضة الاستحفاظية القانونيين المنصوص عليهما في مادة كذا من القانون الفلاني وكلاهما يجب ان يكون على الصورة المختصة بهِ الموضوعة لهُ لا مجرد شكوى فالحال ان الورقتين اللتين اظهرهما فلان المدعي وتشبّث بهما لا يقومان مقام الاحتجاج (البروتستو) او المعارضة الاستحفاظية لانَّهُ مقرّر ان الاحتجاج لا يكون معتبراً ما لم يشتمل على كذا . والمعارضة الاستحفاظية ينبغي ان تشتمل على كذا وهاتان الورقتان لا تشتملان الّا على بعض ما ذُكر لذلك هما باطلتان لا يُعتدُّ بهما وبالتبعية الحكم الذي بُني عليهما

وفي الامر الثاني اقول : انهُ صريح في مادة كذا من القانون الفلاني ان تدقيق الخط والختم ينبغي ان يكون على الصورة الآتية وهي كذا . وان الاوراق التي تُطبَّق عليها الورقة الواقع عليها النزاع ينبغي ان تكون إما اوراقاً مصدقاً عليها من الخصم وإما اوراقاً مصدَّقاً على صحتها من محلّ رسميّ لذلك يكون هذا التطبيق باطلًا فاقد الاعتبار وكذا الحكم المبنيُّ عليهِ

فالتمس والحالة هذه من محكمة الاستئناف الحكم بابطال الاعلام الابتدائي ومنع دعوى زيد عليَّ وتضمينهُ كل ما لحقني بسبب هذه الدعوى من ضرر وخسارة وتعطيل

الفن الثاني

في الخطابة الدينية

يدور هذا الفنّ على كلّ ما يتعلّق بالدين او يرجع اليهِ من الخطب ولهُ مزيّة على جميع اجناس الخطابة المدنيّة ·

١ً من حيث الخطيب اذ هو نائب الله يتكلم من قِبَل الله

و٢ً من حيث الموضوع اذ تختصّ هذه الخطابة باهمّ الامور واعظمها وهي الامور الروحيّة ·

و٣ً من حيث الغاية وهي تمجيد الله وخير النفوس

و٤ً من حيث الفائدة وهي الفوز بالسعادة السرمدية

وفي كلامنا على هذا الفنّ نبحث اولاً عن مصادر الخطابة الدينيّة وثانيًا عن انواع هذه الخطابة

البحث الاول

في مصادر الخطابة الدينية

س ما هي مصادر هذه الخطابة

ج لهذه الخطابة مصادر ثلاثة

الاول الكتاب المقدس وهو المصدر الأعظم في هذا الفنّ . فان كان الخطيب نائب الله كما سبق فلا بُدَّ لهُ في قولهِ ان يُعوّل على كلام الله

وكلمة الله تخوّل الخطيب قوةً وسلطةً وتنهض بهِ الى استمالة القلوب وتلقي النور في عقول السامعين

الثاني الآباء القديسون وهم الذين منذ اوائل الكنيسة نشروا معرفة الحقّ وحاموا عن حقائق الدين . فترصَّعوا في سماء البيعة شموس آدابٍ واقمار فضيلةٍ

وعلى الواعظ ان يتبحّر في مؤلّفاتهم . فيها يجد العلم الصحيح القويم ومنها يتَّصل الى البلاغة في القول والى القوَّة على الاقناع

الثالث الرسوم الكنائسيَّة وعلم اللاهوت والتاريخ الكنائسيّ .

س ألا يجوز للخطيب ان يستعين بادلَّةٍ يأخذها عن العقل .

ج يجوز لهُ ذلك ولا سيَّما في تفسير الحقائق التي يهتدي اليها العقل من نفسهِ كوجود الله وشرف الفضيلة وضرورة الديانة ولكن لا ينبغي ان يكثّر من استعمال هذه الادلَّة

خشيةَ ان يرفعْ درجة العلم على مرتبة الوحي

ولهُ ايضًا ان يستخدم التاريخ الدنيويّ فيستعيرُ منهُ شيئًا اما لمجرّد طلاوة الكلام او لغرض آخر

هكذا ذكر ستيري من خطبةٍ لهُ في اثبات قيام الجسد مع النفس ما يأتي :

ورد في التاريخ ان برّوس احد القادة الابطال سمع جُندَهُ يومًا يُلقّبونَهُ بالنَسر لِسرعة فوزهِ بالاعداء وغلبتهِ على كُلّ مُناوئ لهُ . فكان جوابهُ : انا النَسر وأمَّا انتم فأجنحتي التي اطير بها .—

وعلى ذلك اعتبر الواعظ ان اعضاء الجسد بمنزلة اجنحة للنفس لأنَّها في الحقيقة لا تستطيع ان تأتي عملًا صغيرًا او كبيرًا من دون مساعدة الجسد ومن ثمَّ اثبتَ في باقي كلامهِ انَّ الجسد يقوم مع النفس في الملكوت

ولا بأس اذا دعت الحاجة ان يتخذ ما يُوافق غرضهُ من العلوم الرياضيَّة

وأمَّا التشابيه والمقابلات المأخوذة من الامور الطبيعيَّة كالحِراثة والملاحة والحروب وغيرها من الاشياء المألوفة المعتادة للسامعين فلهُ ان يذكر منها ما شاءَ جريًا على عادة الآباء القديسين خصوصًا يوحنا فم الذهب . اذ ان تشبيه الحقائق بالامور المادّية مما يقرّب تناولها ويمهد سبيل وصولها الى الافهام

قال يوحنا فم الذهب : من خطبة لهُ في الموت

كُلّ من شاء تجديد بيتٍ قديمٍ اَخرَجَ ساكنيهِ لِيَبنيَ البيت بناءً جديدًا حسنًا . هكذا الله انما يُميت الجسد الحيوانيّ لِيُعيدَهُ بعد الموت كرَّةً أخرى ويجعلهُ في حال الكمال هيكلًا بالنفس لا ثقًا

وفي بيان القضية نفسها اخذ مقابلة اخرى وهي :

كما انّ حبَّة الحنطة اذا لم تَمُت في الارض لا يُرجى منها ان تنبت وتنمي كذلك حالة الجسم . لا بُدَّ ان يعتريه الموت فيبلَى حتَّى يقوم ممجّدًا . فلا تجزع ايُّها الانسان لموت جسدك لانَّ في موتهِ وقتًا حياتهُ دهرًا

البحث الثاني

في انواع هذه الخطابة

س كم هي انواع الخطابة

ج انواع الخطابة الدينية اربعة : خطبة الوعظ والخطبة المدحيَّة وخطبة التأويل والخطبة الجدليَّة

١ً في خطبة الوعظ

س ما خطبة الوعظ

ج هي خطبةٌ في حقيقة من حقائق الايمان

والغايةُ منها إمَّا تفسير هذه الحقيقة وإمَّا نداء الناس الى عمل الخير وتجنُّب الشرّ . فان قصد الاوَّل كانت الخطبة نظرية

واحتاجت خصوصًا الى ادلّة تُقنِع السامعين • وان قصد الثاني كانت أدبيّة واكثرها في الترغيب في عمل الفضيلة والصرف عن الرذيلة

وكثيرًا ما تكون الخطبة أدبيّة ونظريّة معًا

س اورد مثالًا على الوعظ

ج هذا مُلخّص عظةٍ لمسيليون الشهير (في ميتة الصالح والشرير)

اذا نظرتَ الى الاهواء البشريّة قضيتَ منها العجب وتحقّقتَ فيها تنافرًا شديدًا . ألا ترى ان الانسان يميل كُلّ الميل الى الحياة ويحسب الموت شرّ الشرور . اهواؤُهُ هي التي تُحبّب اليهِ الحياة ولكنّها هي التي تجلبُ عليهِ وبال الموت فكأنّي بالانسان لا يحيى الّا ليستعجل الموت .

كُلّ انسان يتمنّى بل يودّ ان يموت ميتة رجلٍ صالحٍ وان كان لا يأمل انّهُ ينعتق قبل دقيقة مماتهِ من الاهواءِ التي تدنّس بياض نفسهِ ايّام حياتهِ . كُلُّ انسانٍ يحسب ان ميتة الشرير شرّ البليات وهو مع ذلك يُمهّدها لنفسهِ آمِنًا مُطمئِنًّا . يرتجف رُعبًا وَفَرَقًا لمجرَّد التفكُّر في ميتة الشرير وتراهُ مع ذلك يقدّم رجليهِ بل يمشي مرحًا في نفس الطريقة التي تؤدّي اليها . قُل لهولاء انَّ مماتكم مثل حياتكم وكما عشتم تقضون آجالكم

ولاجل ان يهوّل على السامعين صوّر ميتة الشرير باشنع صورة قال :

ان الماضي والحاضر والمُستقبل كُلٌّ منها يُلقي الرُّعب في قلب المحتضَر الشرير امّا الماضي فلانَّ الشرير يرى فيهِ بُطلان سعيهِ وراءَ لذائذه ورداءة سلوكهِ وكثرة ما ارتكب من الذنوب والقبائح . . . فيتحسّر على ما فرّط ولات ساعة تحسُّر.

اما الحاضر فلانَّهُ يُحدث فيهِ حيرةً غريبةً . . . يرى يد الله مرفوعةً فوقَهُ . . يرى الدنيا غرَّارةً خدَّاعةً . . . . يرى الفراق محيطًا بهِ فراق الأهل والاحبّاء . .

فراق اللذائذ والشهوات ... فراق نفسهِ من نفسهِ .

وامّا المُستقبل وما ادراك ما المُستقبل : الله من اعلى السماء قاضٍ عادل مريع مهيب .... وتحت اقدام الشرير نار غضبٍ لا تنطفي على توالي الازمان ...

وعندها تصرّف الخطيب وقال :

فالخاطي المحتضر اذ لا يَرى وقتئذٍ في ما مضى عليهِ الّا ما يوجب الأسف ولا ينظر في ما بين يديهِ الّا صُورًا تملأهُ حزنًا ولا يلاقي في المستقبل الّا مخاوف تُشدّد عليهِ الرُّعب ولا يعلم بِمَن يستعين أَ بالخلائق التي تُفارقهُ أَم بالاهل وهم عاجزون عن نجاتهِ أَمْ بالاله الذي يعتقدهُ عدوًّا لهُ ... يتقلّب على فراش المرض فريسةً لاعظم القلاقل واَشدّها .... فتراهُ يجهد في الفرار من الموت ولا فرارَ ... يبدو عليهِ ما يدلّ على اضطراب نفسهِ . تسمعهُ يُصعد من اعماق حزنهِ كلمات مُتقطعـة بالشهيق والزفير وما يُدريك ان كانت عن ندامة او عن يأسٍ من رحمة الله ... يلقي على المصلوب نظراتٍ هائلةً لا تعلم ان كانت عن خوفٍ او رجاء . عن محبةٍ او بغضٍ – .... تتولّد منهُ تشنّجات واضطرابات ولا يُعرف ان كانت من انحلال الجسم او عن شعور النفس بوشك قدوم ديّانها. ... هذا وتشخص عيناهُ وتتبدّل هيئتُهُ ويتشنّع وجههُ وينفتح من نفسهِ ذلك الفم الذي عَلَتْهُ غبرة الموت .... ويرتجف بدنُهُ ... وتغادر تلك النفس التعيسـة جسمَهُ الترابيّ لِتَقِفَ امام وجه ربّها وتُحاسَب حسابها . . هذه ميتة الشرير فَتَجَنّبها ايّها الخاطي ان شِئتَ ميتة الصالح

وهنا انتقل الى تصوير ميتة الصالح من ثلاثة ابواب ايضًا . قال :

انّ الماضي والحاضر والمُستقبل كُلٌّ منها يملأُ الصالح فرحًا وسلوانًا .

يرى في الماضي انّهُ استراح من اتعابهِ ....

امّا في الحاضر فما من شيءٍ الّا ويفرح بهِ ... يفرح بقرب الفراق لأَنّهُ كان يتوقّعهُ ... وبالاسرار المقدّسة لانها تفتح لهُ ابواب الفردوس ....

وما احلى ذكر المستقبل عندهُ لانّهُ يرجو ان يجتمع بالهِ يُحبّهُ فيجازيه على حسناتهِ ....

اما مواعظ الآباء الشرقيين فكثيرة جدًّا وهي فائحـة

بعبير الفصاحة والبلاغة على ما هو مألوف نَزْعتهم في كتاباتهم وخُطَبهم . راجع تآليف النزينزي ويوحنا فم الذهب ويوحنا الدمشقي والقديس افرام وباسيليُس الكبير وغيرهم

٢ً في الخطبة المدحيَّة

وهي ثلاثة انواع : الخطبة في اسرار حياة المخلّص ووالدتهِ العذراء . الخطبة في مدح القديسين والخطبة التأبينيَّة .

١ الخطبة في اسرار حياة المخلّص ووالدتهِ العذراء

س ما الغاية من هذه الخطبة

ج غايتها ١ً ان يقِف المؤمنون حقّ الوقوف على اعمال السيّدِ المسيح

٢ً ان يُنزلوها منزلتها اللائقة بها من الاكرام

٣ً ان يجتّنوا ثمرةً منها .

فان علمت ذلك أَأَلْفتَ الخطبة بحيث تصل الى المقصود .

س اذكر لنا مثالاً على هذه الخطبة .

ج عليك بخطبةٍ للاب سِنْيَري الواعظ المشهور . موضوعها آلام سيّدنا يسوع المسيح . والقصد منها تحريك النفوس على الاعتبار بما تحمَّلهُ الرب من اجل محبّتنا

قال اولاً في المقدّمة يخاطب الخطاة

غلبتم ايها الخطاة فافرحوا . بلغتم آربكم من ربّكم فافتخروا . أُبشّركم ان يسوع قد مات مرفوعاً على الصليب مُعانياً أشدّ العذاب عُرياناً متروكاً مُزدرًى على مرأى جمهور من الخلائق ... بعيشكم يا قُساة أسرّتكم هذه البشارة . . أَ تُحبّون ان تحقّقوا الخبر بالعيان . هلمّوا الى الجبل تشبعوا من منظرٍ يروقكم . . تُبصروا باعينكم الجراحات التي جرحتم بها جسدَهُ بخطاياكم .. تُعاينوا جسدهُ مُعلّقاً مُهشّماً مُقطّعاً من جرّاء شهواتكم وراسَهُ موجعاً بنخسات كبريائكم وشفتيهِ متمرمرتين بسموم ألسنتكم . . . . . قوموا فاسرّكم . تعالوا نصعد الى جبل الربّ .

وبعد هذا الاستهلال الذي يستغني عن الوصف بما فيهِ من البلاغة الظاهرة عدل الى القسم الاول من خطابهِ مُبيناً فيهِ ثلاثة امور .

أوّلها ان السيد المسيح قاسى الآلام في النفس والجسد معاً . قال :

كثير من الناس تصيبهم الآلام الموجعة غير انها ان أصابت الجسد لم تُصِب النفس وان حلّت بالنفس لم تحلّ بالجسد . وأمّا يسوع المخلّص فقاسى الآلام بنفسهِ وجسدهِ معاً حتّى سمّاهُ النبيّ رجل الاوجاع .

ثانيها ان المخلص كان اكثر شعورًا بالعذاب من جميع البشر لانّ جسمهُ خُلق اكمل والطف من اجسام جميعهم قال :

اعلم ان كثيرين غير المخلص اصابتهم اوجاع كثيرة وآلام فادحة الّا ان اجسادهم لم تكن لتشعر بالألم الموجع شعورَ يسوع بهِ . . . لانّ الجسد الاقدس الذي تركّب بفعلٍ يسمو على قوّة الطبيعة كان اكثر كمالًا من جميع الاجساد التي تكون بفعلٍ طبيعيّ اذ كُلّ شيءٍ جرى بمعجزةٍ كان أتمّ من غيرهِ

ثالثها ان المخلص لم يُقاسِ الاوجاع حين الآلام فقط بل مثّلها نصب عينيهِ من اوائل حياتهِ فكأنّهُ تألم منذ وُجدَ الى حين مات وفقًا للنص النبويّ : وجعي مقابلي في كل حينٍ . — قال :

عَانى المخلّص كُلَّ صنفٍ كان مزمعاً ان يُصيبهُ من اصناف الآلام . عَاين خيانة يوداس وتَركَ تلاميذهِ لهُ . أَبصرَ جلدَهُ على العمود وإكليل الشوك على رأسهِ والمسامير في يديهِ ورجليهِ ورفعَـهُ على الصليب مريانًا ونزاعَهُ ثلاث ساعات . . . وانما كان تمثيلهُ لاصناف هذه الآلام من بُعدٍ كحالة مشاهدتنا لها وقد ادركتنا .

وبعد ان فَرغَ من القسم الاوَّل انتقل الى القسم الثـاني واتى باخبار الآلام مُفصلًا باساليب غاية في التأثير. واماَّ في القسم الثالث فقال :

قرأتُ على صفحات وجوهكم سطور التأسُّف والاشفاق مماَّ اوردتُ لكم من اخبار سيّدنا يسوع المسيح لهُ المجد . غير اني لا اَودّ ان تكون الفائدة من كُلّ ذلك سجم دموعٍ خارجة فقط . لانّ هذا ما يمكن صدورهُ من الشفقة الطبيعيَّـة على كُلّ رزيَّة تنزل برجل بريّ غير مذنب . فيبْغي من ثمّ ان نستخلص من ذكر الآلام دواعي قويَّةً تحرّكنا على الندامة والخجل من آثامنا . فنقابل قباحة كفرنا بنعم مَن تحمَّل تلك الآلام من اجلنا ونتوب اليهِ توبةً نصوحاً

ثم التفت الى المصلوب وخاطبـهُ خطاباً مُؤثرًا للغاية مماَّ يدعو المؤمنين على حسن التوبة وهكذا ختم خطبتهُ .

٢ الخطبة في مدح القديسين

س وما الغاية من هذه الخطبة .

ج هي نفس الغاية التي قصدتها الكنيسة اذ اذنت في اكرام القديسين :

١ً ان تؤدّي الشكر لله وتُشيد باسمهِ . قال الكتاب : عجيبٌ الربّ في قدّيسيهِ . سبّحوا الربّ في قدّيسيهِ .

٢ً ان تُحرّك المؤمنين على تمجيد اولياء الله الابرار والالتجاء اليهم ·

٣ً ان تحثّهم على الاقتداء بفضائلهم ·

هذا واماَّ الطريقة لتأليف هذه الخطبة فهي على ما شرحناهُ في الخطبة المدحيَّة المدنيَّة ·

٣ الخطبة التأبينيَّة

س وايّ فرق بين هذه الخطبة والخطبة التأبينيَّة المدنيَّة ·

جْ لا فرقَ بين الاثنتَين الاَّ في كون هذه اسمى وارفع غرضًا · فلذلك تعيَّن على الخطيب ان لا يمدح فيها الاَّ ما كان في غاية الموافقة للتعاليم الدينيَّة

امَّا التسلية فلا يخفى انَّها تُؤخذ هنا على وجه الخصوص من مصادر الدين · واماَّ الحثّ فينبغي ان يكون على الفضيلة والتمسّك بالبرّ والسيرة الحسنة ·

٣ً في خطبة التأويل

س ماذا تفهم بخطبة التأويل

ج كلّ خطبةٍ يُفسَّر فيها اماَّ كلام الانجيل او الرسائل او شيء آخر من آيات الكتاب

وطريقة التصرّف فيها ان تُوضح المعنى جملةً جملةً فتشرح غامضهُ شرحًا مُطوّلاً او مُوجزًا على حسب صعوبة الموضوع او سهولتهِ وعلى حسب ما تقتضيهِ الحال

ولا بأس في خلال الشرح ان تُثني على الله او تتكلّم على شرف الفضيلة وقبح الرذيلة او تُذكّر بالابديّة

وفي الخاتمة لا بُدَّ لك من بعض الحثّ على الغرض كما تستلزم الاحوال او تتطلّب حاجات السامعين

وللآباء القديسين في التأويل شيءٌ كثير . وقد تفرّد فيهم القديس يوحنا فم الذهب وهذا مثالٌ من موعظةٍ لهُ اوّل فيها آيةٌ من رسالة بولس الرسول الى الرومانيين :

« اسألكم ايها الاخوة بمراحم الله ان تقرّبوا اجسادكم ذبيحةً حيّةً مُقدّسةً مرضيّةً عند الله عبادةً منكم عقليّة » . قال فم الذهب :

بعد ان ذكّرنا الرسول فيما تقدَّم من الآيات بنعم الله التي هي نتيجة مراحم الله عاد الان يسألنا بنفس تلك المراحم ان نُواجه غرض النعمة . وكيف ذلك . قال : اسألكم ان تقرّبوا اجسادكم ذبيحة . ولئلّا يتبادر الذهن الى لزوم الذبيحة الدمويّة بقتل الاجساد اضاف اليها قولهُ : حيّة — واحترازًا من ان تكون كذبائح الاقدمين قال ايضًا : مُقدّسةً مرضيّةً عبادة عقليّة — لان ذبائحهم كانت جسديّة ولم تكن في الاكثر مقبولة . . . .

وربَّ قائلٍ : كيف أُقدّم الجسد ذبيحة — قلتُ : ان لا تُحوّل عينك الى قبيح . هذا هو الذبيحة . ان لا يتحرّك لسانك بالدنس هذا هو الذبيحة . . . غير أن هذا كُلّهُ غير كافٍ . اذ لا بُدَّ ايضًا ان نعمل الاعمال الصالحة .

فالذبيحة الفُضلَى اذًا ان تبسُط يدك بالصدقات وان يُبارك لسانُك مُبغضَكَ وان تُعوِّد اذنك سماع كلام الله . . . . هكذا يمكنَّا ان نقرّب اجسادنا ذبيحة حيَّةً مُقدَّسةً مرضيَّةً لله عبادة عقليَّة

ولهُ ايضًا تأويل في هذه الآية : لتختبروا ما مشيئة الله الصالحة المرضيّة الكاملة. قال :

وما مشيئة الله – هي ان نعيش في الفقر والتواضع والزُّهد في الدنيا لا في اللذَّات . . . . . في الاتعاب لا في الراحة . . . . في النوح والبكاء لا في المرح والسرور . . . . في الصوم وقهر الجسد . . . في ضبط الاميال المنحرفة والتمسّك بابواب البرّ . . . . مشيئتُهُ اذًا ان نعمل كُلّ ما امرنا بهِ . . . . –

وهذا القدر الوجيز كافٍ لبيان المقصود من التأويل

٤ً في الخطبة الجدليَّة

الخطبة الجدليّة ضربان . أوَّلهما خطاب على طريقة المجادلة بين واعظَين احدهما يُلقي المسائل والآخر يردّ عليهِ والضرب الثاني خطاب يُقصد فيهِ شرح اسرار الدين والمُدافعة عنها في وجه الخوارج المُبدعين . وذلك ليرجع السامعون للايمان او ليزدادوا فيهِ ثباتًا.

تنبيهات ١ً لا تُلقى هذه الخطبة بحضرة جمهور ايًّا كان . انمَّا يُقتضى ان يكون السامعون من اهل العلوم والآداب. والَّا سقطتْ دون الغرض بل جاءَت سبب عثرةٍ .

٢ٍ تؤْخذ الحجج والبراهين امَّا من العقل او من مصادر لا يصحّ للخصم ان يعترض عليها

٣ٍ واذا خطر للخطيب اعتراض على ما اثبتهُ فلهُ ان يبادر الى تفنيدهِ كما لو كان اوردهُ الخصم ويتَّبع في ذلك ما سبق بيانهُ في الصفحة ١١٣ من هذا الكتاب

س اي مسلك من الانشاء يُتَّبع في الخطابة الدينيَّة

ج لا مراء ان الموعظة ثقيلة على السمع شديدة على النفس بعيدة من القبول لاعتراضها الشهوة ومعارضتها الهوى الذي هو ربيع القلب ومربع اللهو ومسرح الامانيّ . فكان من ثمَّ واجبًا على كلّ خطيب في امور الدين ان يزيّن خطبته لنفوس السامعين بالالفاظ الحسنة والعبارات الرائقة والاساليب المنمَّقة ويجمّلها بانواع من التشابيه والمقابلات التي تنهج لها سبيل الوصول الى الافهام متصرفًا في طرق بيانها على وجوه شتَّى تجعل القلوب ميَّالة اليها شديدة الاستئناس بها

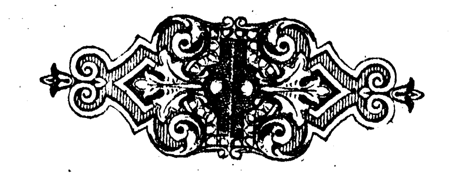
هذا كلُّه الَّا ان عليهِ فوق ذلك ان يتحاشى التكلُّف ولا يقصر الخطبة على مجرَّد التحسينات اللفظيَّة التي لا يليق الاجتزاء بها في منابر الوعاظة الدينيَّة . والحاصل انه لمَّا كان جمهور السامعين للخطب الدينيَّة جامعًا لطبقات الناس من عالمٍ

مُتفقّهٍ وجاهلٍ لا دربَةَ لهُ وجب ان تكون الخطبة انيقة غير مكدودة لا يستنكرها العالم ولا تستبهم على الجاهل

ولا بُدَّ على كُلّ الاحوال من الاخذ بالرصانة والوقار بحسب ما يجب على الناطق باقوال الله من قِبَل اللهِ

•

قد نبَّهنا فيما سبق ان القول الخطبي ثلاثة : تُثبيتيّ ومشوريّ ومُشاجريّ . والحال ان هذا التقسيم ينطبق ايضاً على الخطابة الدينيَّة . الا ترى ان خطبة الوعظ النظريَّة والخطبة المدحيَّة وخطبة التأويل مرجعها الى القول التثبيتيّ . وخطبة الوعظ الادبيَّة تختصّ بالقول المشوريّ . وامَّا الخطبة الجدليَّة فهي من القول المشاجريّ



فصلٌ
في
الخطابة الدينيَّة الاسلاميَّة

لما فرغنا من الكلام في اجناس الخطابة المدنيَّة والدينيَّة استحسنَّا ان نفرد فصلًا للخطابة الدينيَّة عند المسلمين لا سيَّما ونحن بين ظهرانَي أُمَّتهم الشريفة . فمن ثمّ تفقَّدنا كتُب الأَئمَّة ومجاميع الادب واقتطفنا منها ما رأَينا مسطورًا من قواعد هذه الخُطَب عندهم ونقلناهُ بحروفهِ من غير ان نتصرَّف الَّا بتبويبهِ وجعلهِ على طريقة السؤال والجواب كسائر اجزاء الكتاب

ومدار كلامنا اولاً على الوعظ وَغايتهِ وفائدتهِ . وثانيًا على عيوب بعض الخُطباء . وثالثًا على صفات الخطيب الحسنة . ورابعًا على مصادر الوعظ . وخامسًا عى اجزاء هذه الخطابة

الخطابة الدينيَّة الاسلاميَّة

البحث الاول

في الوعظ

س ما الوعظ

ج الوعظ هو التذكير بكلام الله

قال بعض القُدماء : الوعظ هو حبل الله الممدود وعهدُهُ المعهود وظلّهُ العميم وسراطُهُ المُستقيم وحُجَّتُهُ الكبرى ومَحَجَّتُهُ الوُسطَى

س وما الغاية من الوعظ

ج قال الشيخ الحسين المرصفي : لمَّا كان الانسان موضعًا للسهو والنسيان ومحلاً للذهول والغفلة تعيَّن ان يصحبهُ مُذكّر دائِم وواعظ مستمرّ يهديهِ الى قصد السبيل وجادّة المحجَّة كلّما جارت بهِ الخيالات الفاسدة والوساوس الرديئة . ولتحصيل ذلك ورد الامر في قولهِ : ولتكُن منكم أُمَّة يدعون الى الخير .

قال بعض الحكماء : فالموعظة موقظة للقلوب من سِنة الغفلة ومُنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ومُحيية لها من موت الجهالة ومُستخرجة لها من ضيقة الضلالة . . .

س وما الفائدة من الوعظ

ج قال النبيّ : حُفّت الجنَّة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات. يُريد ان الطريق الى الجنَّة احتمال المكروه في الدنيا. والطريق الى النار ركوب الشهوات . والوعظ هو المانع لك ممَّا تشتهي والحامل لك على ما تكره (من كتاب العقد الفريد)

س وكيف العمل حتى يتوصَّل الواعظ الى غاية الوعظ وفائدته

ج عليهِ ان يعدل عمَّا ذكرهُ الشيخ الحسين المرصفي من عيوب بعض الخطباء . وان يكون مُتصفًا بمزايا الخطيب الحسنة .

البحث الثاني

في عيوب بعض الخطباء

س وما هي عيوب الخطباء على ما ذكرها الشيخ الحسين

ج هاك مُلخَّص ما قالهُ :

« من خطباء المنابر كثيرون تراهم وتسمعهم وهم انَّما تميّزوا عن آخر طبقة من طبقات العامَّة لتمكّنهم من قراءة نوعٍ من انواع الخطّ . فغاية امر الواحد منهم ان يقرأ ديوان خُطَب صنَّفه بعض اسلافهِ كما تخيَّل مناسباً للشهور والمواسم فيتحفَّظ ما تعطيهِ تلك النقوش من موادّ الالفاظ . او ينسخ صورة خطبةٍ ليخفَّ حملها عليهِ اذا قام بها خطيباً . يسرد الفاظاً حفظها او نظر حروفها لا يعقل معناها ولا يفهم المراد منها كما اذا لم يكن الديوان مشكولاً ولم يقرإِ الخطبة على ذي درايةٍ سمعتَ منه المُعجب والمُطرب من اللحن الفاحش والتصحيف القبيح .

« ومن خُطَباء الاسلاف ... تجد ان جميع خُطَبهم يدور امرها على معانٍ واحدةٍ والفاظٍ مُعيَّنةٍ لا تُجاوزها وهي التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وتبشير المُطيع وانذار العاصي . يكرّرون ذلك كُلَّ جمعة وكُلَّ موسم حتى لم يبقَ لهُ تأثيرٌ والتحق بالامور المعتادة . انَّما يسمع الناس اصواتاً ذات كيفيَّات مختلفة إقامةً لذلك الرسم حسبما يصل اليهِ فهم العامَّة من ان تلك الصورة هي إقامة الدين . وفي صفة خطَباء العصر الثاني بعد عصر النبيّ واصحابهِ يقول شاعرهُ :

وذمُّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفاويقَ حتَّى ما يَدُرُّ لنا ثَعْلُ

« ولا تظنّ اني انتقص بذلك خطباء العصور الأُولى فانهم كانوا يرون كفاية ذلك لكثرة أهل المعرفة حين ذاك . وبالجملة فكيفما كان الحال في الخطابة فهي غير كافيةٍ في تحقُّق الدُّعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المُنكر

« وامَّا الوُعَّاظ . . . فانّ الوعاظة كانت حرفةً شائعةً وصناعةً فاشيةً كان اهلها يتنافسونها وكثير منهم اخذ عليها الرواتب من الاموال واكثرهم كان يلمُّ بها القِطَع من العامَّة الذين يحضرون مجالسهم . فكان الواعظ اذا فرغ من كلامهِ الذي أَعدَّهُ لذلك المجلس بَسَط منديلهُ وطرح فيهِ كلُّ ما سمحت بهِ نفسهُ »

هذه كلّها عيوب فان عدل عنها الخطيب سهل عليهِ الوصول الى المقصود من الوعظ اللهمَّ اذا كان مُتَّصفًا بالمزايا الحسنة .

البحث الثالث

في صفات الخطيب الحسنة

س وما هي صفات الخطيب الحسنة .

ج قال الشيخ الحسين المرصفي :

ان مَن نصب نفسه لوظيفة الهُدى ودُعاء الناس الى الخير يجب ان يكون ابعدهم من التصنّع وأحرصهم على الكمال. فان ادنى هفوةٍ منه تُسقط اعتباره وتسهّل التهاون به فلا يكون لكلامه تأثير في القلوب ويصير مجلسه مسلاةً يُتلهّى بحضورهِ. فكثيرًا ما كانت تلك المجالس مواعد لاهل الخلاعات والمجون.

وقالوا: ما احسن التاج وهو على رأس الملك احسن. — وما احسن الدُرَّة وهي على نحر الفتاة احسن. — وما احسن الموعظة وهي مُن الفاضل التقيّ احسن.

ثمّ ومن صفات الواعظ ان يكون من الفطنة والذكاء وبراعة المنطق وبلاغة العبارة بمكانٍ رفيع

البحث الرابع

في مصادر الوعظ

س اذكرْ مصادر الوعاظة

ج قال ابن عبد ربّه : واحكمُ المواعظ مواعظ الله. ثمّ مواعظ الانبياء. ثم مواعظ الآباء للابناء. ثم مواعظ الحُكماء والأُدباء. ثمّ مقامات العُبَّاد بين ايدي الخُلفاء. ثم قولهم في الزهد ورجالهِ المعروفين بهِ

مواعظ الله :

يابُنيَّ أَقِمِ الصلوة وَأْمُرْ بالمعروف وَانْهَ عن المُنكَر واصبرْ على ما اصابك . إنَّ ذلكَ من عزم الامور . ولا تُصَعِّرْ خدّكَ للناس . ولا تمشِ في الارض مرحاً ان الله لا يُحبّ كُلّ مُختالٍ فخور . -(سورة لقمان)

قُلْ إنَّ الموت الذي تفرّون منهُ فانّهُ مُلاقيكم ثُمّ تُردّون الى عالِمِ الغيب والشهادة فيُنبّئكم بما كنتم تعملون .. (سورة الجمعة)

مواعظ الانبيا :

وقال شعيا لبني اسرائيل :

ان الدابَّة تزداد على كثرة الرياضة ليناً . وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة الَّا قسوة . ان الجسد اذا صلح كفاهُ القليل من الطعام وان القلب اذا صحّ كفاهُ القليل من الحكمة . كم من سراج قد اطفأتهُ الريح وكم من عابد قد افسده العجب . يابني اسرائيل اسمعوا قولي فانّ قائل الحكمة وسامعها شريكان وأولاهما بها من حقّقها بعملهِ

مواعظ الآباء للابناء :

قال لقمان لابنهِ

اذا اتيتَ مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ثم اجلس فان افاضوا في ذكر الله فأجِلْ سهمك مع سهامهم وان افاضوا في غير ذلك فخلِّ عنهم وانفضْ ثوبك .

وقال :

يا بنيّ استعذْ بالله من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر

وقال ايضاً :

لا تركن الى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فانك لم تُخلق لها وما خلق الله خلقاً اهون عليهِ منها . فانّهُ لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ولا بلاءها عقوبة للعاصين . يا بُنيَّ لا تضحك من غير عجب ولا تمشِ في غير اَرب ولا تسأل عما لا يعنيك .

يا بُنيَّ لا تضيّع مالك وتصلح مالَ غيرك فان مالك ما قدّمت ومال غيرك ما تركت . يا بُنيَّ انَّهُ من يرحم يُرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الباطل يأثم ومن لا يملك لسانهُ يندم . يا بُنيَّ زاحم العلماء بركبتيك وأنصت اليهم بأذنيك فان القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الارض الميّتة بمطر السماء

مواعظ الحُكماء والأُدباء

قال ابن شبرمة :

اذا كان البدن سقيماً لم ينجع فيهِ الطعام ولا الشراب واذا كان القلب مُغرماً بحبّ الدنيا لم تنجع فيهِ موعظة .

وقال بعضهم :

من عمل لآخرتهِ كفاه اللهُ أمر دنياه ومن أصلح ما بينَهُ وبين الله أصلح الله ما بينَهُ وبين الناس ومن أخلص سريرتهُ أخلص الله علانيتَهُ .

من مقامات العُبَّاد بين ايدي الخلفاء

دخل اعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

يا امير المؤمنين انّي مُكلّمك بكلام فاحتملهُ ان كرهتَهُ فانَّ وراءَهُ ما تُحبّ ان قبلتَهُ .. انّي سأُطلق لساني بما خرسَتْ عنهُ الالسن مِن عظتك تأديةً لحقّ الله تعالى وحقّ إمامتك . انَّهُ قد اكتنفك رجالٌ أساؤُا الاختيار لانفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربّهم . خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك. فهم حرب الآخرة . سلْمٌ للدنيا فلا تأْمنهم على ما ائتمنك الله عليهِ . فانهم لا يألونك خبالاً والامانة تضييعاً والأمّة عسفاً وخسفاً . وانت مسئول عمّا اجترحوا وليسوا مسئولين عمّا اجترحتَ . فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك . فان اخسر الناس صفقةً يوم القيامة واعظمهم غبناً مَن باع آخرتَهُ بدنيا غيرهِ

قولهم في الزهد

قيل للزهيري ما الزهد : قال

اما انهُ ليس تشعيث اللمَّة ولا قشف الهيئة ولكنَّهُ صرف النفس عن الشهوة ·

دخل قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونهُ في مرضهِ وفيهم شابّ ذابل ناحل فقال لهُ عمر يافتى ما بلغ بك ما أرى . قال :

يا امير المؤمنين امراض واسقام . . . ذقتُ يوماً حلاوة الدنيا فوجدتُها مرَّة عواقبها فاستوى عندي حَجَرُها وذهبُها . وكأَني انظر الى عرش ربّنا والى الناس يُساقون الى الجنة والنار . فأَظمأت نهاري واسهرت ليلي وقليل كلّ ما انا فيهِ من جُنب ثواب الله وخوف عقابهِ

البحث الخامس

في اجزاء الخطابة

س كم هي اجزاء الخطابة

ج اجزاؤها ثلاثة

١ً الفاتحة وهي الحمد لله والصلاة على النبيّ وآلهِ

٢ً بيان المقصد

٣ً الحثّ على الامر المخطوب بهِ

وقد يرتجل الخطيب بذكر المقصد من غير ان يفتتح الكلام بالحمدلة والصلاة على النبيّ

وهذه ثلاثة خُطب لاشهر خُطباء المُسلمين مُنطبقة على ما مرَّ بك من قواعد هذا الفنّ .

الخطبة الاولى لعلي بن ابي طالب

يا ايها الانسان ما جرأك على ذنبك وما غرَّك بربك وما آنسك بهلكة نفسك . اَما من دائك بلول . أَليس من نومك يقظة . أَما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك . فربما ترى الضاحي من حرّ الشمس فتظلّهُ او ترى المبتلى بأَلم يمضّ جسدهُ فتبكي رحمةً لهُ . فما صبَّرك على دائك وجلّدك بمصابك وعزَّاك عن البكاء على نفسك وهي اَعزّ الانفس عليك . وكيف لا ينقذك خوف بيات نقمة وقد تورطتَ بمعاصيهِ مدارج سطواتهِ

فتداوَ من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة وكن لله مطيعاً . وبذكرهِ آنساً . وتمثل في حال تولّيك عنهُ اقبالهُ عليك يدعوك الى عفوهِ ويتغمدك بفضلهِ وانت متولٍّ عنهُ الى غيرهِ

فتعالى من قويّ ما اكرمهُ . وتواضعتَ من ضعيف ما اَجرأك على معصيتهِ وانت في كنف سترهِ مقيم وفي سعة فضلهِ متقلّب . فلم يمنعك فضلَهُ ولم يهتك عنك سترهُ . بل لم تخلُ من لطفهِ مطرفَ عين في نعمة يحدثها لك او سيئة يسترها عليك او بلية يصرفها عنك . فما ظنك بهِ لو اطعتهُ

وايمُ الله لو ان هذه الصفة كانت في متَّفقَين في القوة متوازنين في القدرة لكنت اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوئ الاعمال . وحقاً اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء . ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اَصدق وأَوفى من اَن تكذّبك او تغرّك . ولربّ ناصحٍ عندك متهم وصادق من خبرها مكذَّب . ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنَّها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك ولنعم دار مَن لم يرضَ بها داراً ومحلّ من لم يوطنها محلّاً وان السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم

اذا رجفت الراجفة وحقّت بجلائلها القيامة ولحقَ بكل منسك اهلهُ وبكل معبود عبدتهُ وبكل مطاع اهل طاعتهِ فلم يجزَ في عدلهِ يومئذٍ خرق بصرٍ في

الهواء ولا همس قدم في الارض الّا بحقهِ . فكم حجة يوم ذاك داحضة . وعلائق عذر منقطعة . فتحرَّ من امرك ما يقوم بهِ عذرك . وتثبت بهِ حجتك . وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى لهُ وتيسّر لسفرك وشم برق النجاة . وارحل مطايا التشمير

الخطبة الثانية للمهدي (من كتاب العقد الفريد)

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسهِ . ورضي بهِ من خلقهِ . احمدهُ على آلائهِ . وأُمجّدهُ لبلائهِ . وأستعينهُ وأُومن بهِ وأتوكل عليهِ توكل راضٍ بقضائهِ . وصابر لبلائهِ . وأشهد أن لا اله الّا الله وحدهُ لا شريك لهُ وأن محمدًا عبدهُ المصطفى . ونبيهُ المجتبي . ورسولهُ الى خلقهِ . وأمينهُ على وحيهِ . أرسلهُ بعد انقطاع الرجاء وطموس العلم واقتراب من الساعة الى امة جاهلية مختلفة أُمية أَهل عداوة وتضاغُن وفرقة وتبايُن . قد استهوتهم شياطينهم وغلب عليهم قرناؤهم فاستشعروا الردى . وسلكوا العمى . يبشّر من اطاعهُ بالجنة وكريم ثوابها . وينذر من عصاهُ بالنار واليم عقابها . ليهلك من هلك عن بيّنة . ويحيا من حيي عن بينة . وان الله لسميع عليم

اوصيكم عباد الله بتقوى الله فان الاقتصار عليها سلامة . والترك لها ندامة . وأحثكم على اجلال عظمته . وتوقير كبريائه وقدرته . والانتهاء الى ما يقرب من رحمتهِ . وينجّي من سخطهِ . ويُنال بهِ ما لديهِ من كريم الثواب . وجزيل المآب . فاجتنبوا ما خوفكم الله من شديد العقاب . واليم العذاب ووعيد الحساب . يوم تُوقفون بين يدي الجبار . وتعرضون فيهِ على النار . يوم لا تكلّم نفس الّا باذنهِ . فمنهم شقي وسعيد . يوم يفرّ المرء من اخيهِ . وامه وابيهِ . وصاحبته وبنيهِ . لكل امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه . يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون . يوم لا يجزي والد عن ولدهِ . ولا مولود هو جازٍ عن والدهِ شيئًا

ان وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . فان الدنيا دار غرور . وبلاء وشرور . واضمحلال وزوال . وتقلُّب وانتقال . قد أفنت من كان قبلكم وهي عائدة عليكم وعلى من بعدكم . من ركن اليها صرعتهُ . ومن وثق بها خانتهُ . ومن املها كذبتهُ . ومن رجاها خذلتهُ . عزُّها ذلّ وغناها فقر والسعيد من تركها والشقي فيها من آثرها والمغبون فيها من باع حظهُ من دار آخرتهِ بها . فالله الله عباد الله والتوبة مقبولة . والرحمة مبسوطة . وبادروا

بالاعمال الزكية في هذه الايام الحالية قبل ان يؤخذ بالكظم وتندموا فلا تنالون الندم في يوم حسرة وتأسف وكآبة وتلهف يوم ليس كالايام . وموقف ضنك المقام .

الخطبة الثالثة نقلناها من كتاب الموعظة الحسنة للشيخ ابي الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام من اعظم فرائض الاسلام . والحمد لله الذي جعل الحجّ كفّارةً للخطايا والآثام . نحمدهُ على ما منح من سوابغ الانعام . وأشهدُ أن لا اله الّا الله وحدهُ لا شريك لهُ شهادةً تقودُ الى دار السلام . ونشهد انَّ سيّدنا محمَّدًا عبدهُ ورسولهُ اوّل الانبياء ومسك الختام . اللّهمَّ فصلِّ وسلِّم على سيّدنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ صلاةً وسلاماً دائمين الى يوم القيام

امَّا بعدُ ايها الناس فانَّ الله دعاكم الى بيتٍ حرامٍ في بلدٍ حرامٍ . ووعدكم بهِ أسنى الضيافة وأهنى الإكرام . من قبول الاعمال ومحو الخطايا والآثام . وخلف الانفاق وتوفير الأجر التام . فعلامَ التسويف من عام الى عام . وإلامَ التعلُّل بعلائق اشتغال بهذه الحطام . وحتّامَ لا تغتنمون فسحة الليالي والايّام . أعلى يقين من طول الاعمار وصحة الاجسام

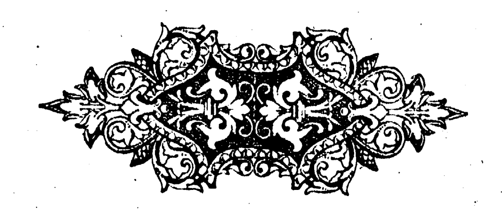
فالغنيمةَ الغنيمة لبلوغ المرام . والعزيمة العزيمة الى حطّ أثقال الاثام . والرحيل الرحيل الى بيت الله الحرام . بيتٌ حجّهُ ابونا آدم عليهِ السلام . وحجّتهُ ملائكةُ الرحمن قبلهُ بألفي عام . وحجّتهُ انبياء الله ورسلهُ الكرام . وأذّن ابرهيم الخليل بحجّهِ فاجابوهُ من الاصلاب والارحام . ألا وانَّ مؤذّن الحجّ ينادي بينكم بالرحيل . ويستحثُّ منكم من استطاع السبيل . فهذا اوان انضمام الرفيق الى الرفيق . وهذا وقت شدِّ الرحال الى بيت الله العتيق . وهذا ايّام تزاحم وفد الله في كل طريق رجالاً وعلى كل ضامر يأتينَ من كل فجٍّ عميق . فهل من متعرّض لنفحات الاحسان . وهل من خائف فيلوذ بحرم الرحمن . وهل من مشمّرٍ لأداء فرضٍ أنزل الله فيهِ قولاً ثقيلًا : ولله على الناس حج البيت من استطاع اليهِ سبيلًا

وعنهُ صلّى الله عليهِ وسلّم حجّوا فان الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء

الدرن . وعن عليّ رضي الله عنهُ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم مَن ملكَ زادًا وراحلةً تبلّغهُ الى بيت الله الحرام ولم يحجَّ فلا عليـهِ ان يموت يهوديًّا او نصرانيًّا . وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم الحُجَّاجُ والعُمَّارُ وَفدُ الله ان سألوهُ اعطاهم وان دعوهُ اجابهم وان أَنفقوا أَخلف لهم . والذي نفس ابي القاسم بيده ما كبَّر مكبّر ولا أَهلَّ مهلٌّ على شرَفٍ من الاشراف الَّا اَهلَّ ما بين يديهِ وكبَّر حتَّى ينقطع به منقطع التراب .

جعلني الله واياَّكم ممَّن تزوَّد لحجّ بيت الله الحرام . ووفَّقني واياَّكم لزيارة خير الانام . إنَّ احسن الكلام كلام الملك العلَّام . والله يقول وقولهُ الحقّ المبين : فاذا قرأْتَ القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . أَعوذُ بالله من الشيطان الرجيم . واذّن في الناس بالحجّ يأْتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأْتينَ من كل فجٍّ عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايَّامٍ معلوماتٍ على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير .

٥ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني واياكم منهُ بالاية والذكر الحكيم . واجارني واياكم من العذاب الأَليم . وثبَّتني واياكم على الصراط المستقيم . أَقولُ قولي هذا وأَستغفرُ الله العظيم . لي ولكم ولجميع المسلمين . انَّهُ هو الغفور الرحيم . فاستغفروهُ



فهرس